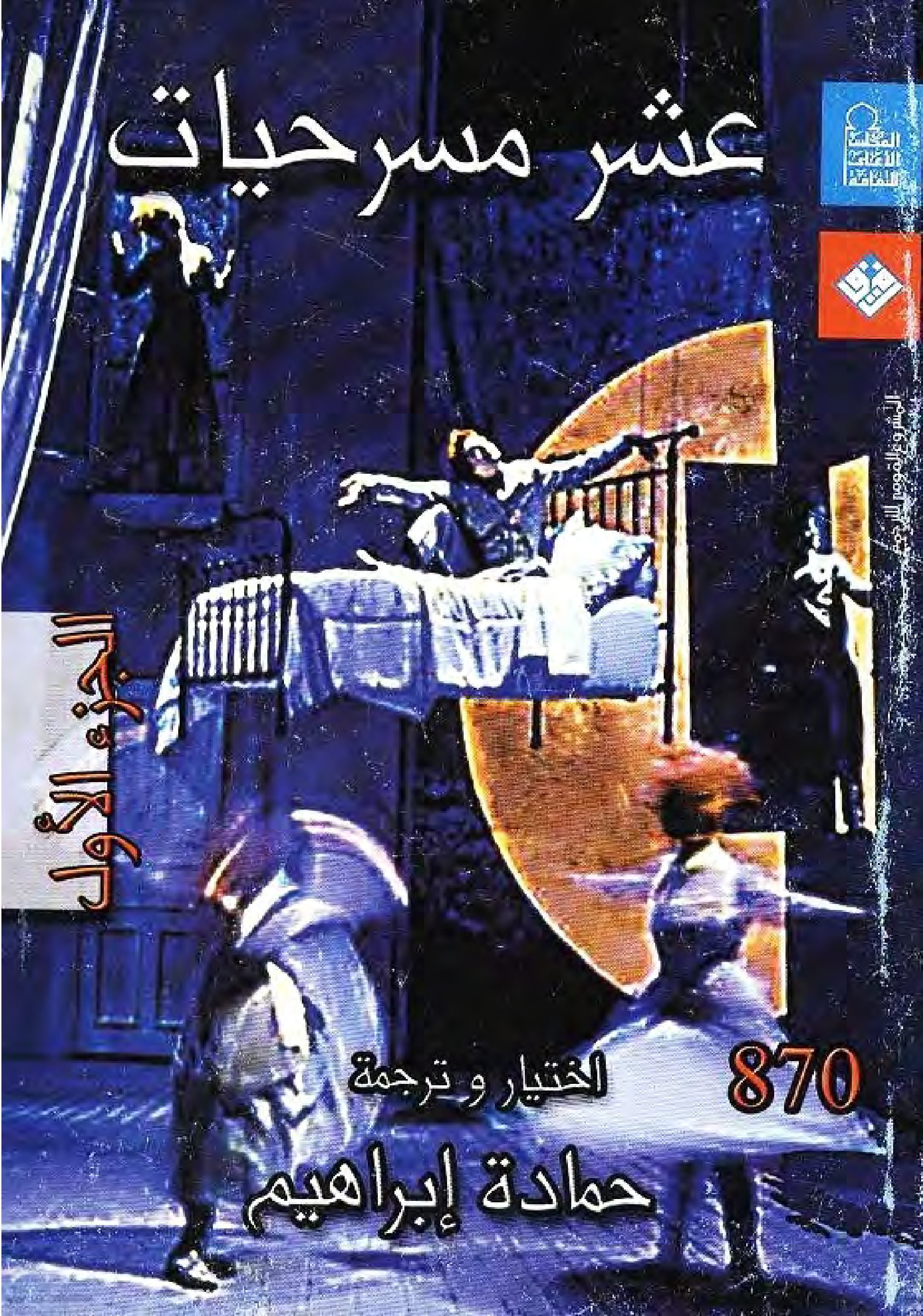


عشر مسرحيات

الجزء الأول

870

اختيار و ترجمة

حمادة إبراهيم

المشروع القومى للترجمة

عشر مسرحيات

(الجزء الأول)

تأليف : مجموعة من الكُتَّاب

ترجمة : حمادة إبراهيم

المجلس الأعلى للثقافة

٢٠٠٥

المشروع القومى للترجمة

إشراف : **جابر عصفور**

- العدد : ٨٧٠
- عشر مسرحيات (الجزء الأول)
- مجموعة من الكُتَّاب
- حمادة إبراهيم
- الطبعة الأولى ٢٠٠٥

هذه ترجمة عشر مسرحيات مختارة

شارع الجبلاية بالأوبرا - الجزيرة - القاهرة ت ٧٣٥٢٣٩٦ فاكس ٧٣٥٨٠٨٤

El Gabalaya St., Opera House, El Gezira, Cairo

Tel. : 7352396 **Fax :** 7358084

تهدف إصدارات المشروع القومى للترجمة إلى تقديم مختلف الاتجاهات والمذاهب الفكرية للقارئ العربى وتعريفه بها ، والأفكار التى تتضمنها هى اجتهادات أصحابها فى ثقافاتهم ، ولا تعبر بالضرورة عن رأى المجلس الأعلى للثقافة .

تقديم المترجم

مشروع جرىء ، بل هو الأول من نوعه فى النشر العربى ، أن يصدر كتاب يضم عشر مسرحيات معاصرة لعشرة مؤلفين مختلفين . وهم ليسوا مختلفين فى الأسماء فقط ، بل فى البيئات أيضا . فإذا كان معظمهم فرنسيين ، فإن منهم إيطاليين وعربيا وآخر من أوراجواى .

علمًا بأن الترجمة تمت من اللغة الأصلية سواء كانت الفرنسية أو الإيطالية .

- تغطى المسرحيات مساحة زمنية تربو على ستين عامًا ؛ فأقدمها يرجع إلى عام ١٩٢٥ ، وأحدثها صدرت عام ١٩٨٧ .

- لا تنتمى إلى نوع مسرحى محدَّد أو إلى نوع معين من الكتابة المسرحية ، بل هى تجمع بين الكوميديا والمأساة والميلودراما والدراما الشعبية ، كما ينتمى بعضها إلى مسرح العبث والمسرح الشاعرى . ومنها ما يخضع للكتابة الكلاسيكية المقننة والمنضبطة ، ومنها ما يتحرر من كل القيود والأعراف .

- معظمها فاز- أو فاز أصحابها - بجوائز عالمية ومحلية . فرومان رولان وداريو فو فازا بجائزة نوبل ، الأول عام ١٩١٦ والثانى عام ١٩٩٢

وبول جوت فاز بجائزة الأكاديمية الفرنسية . وإدواردو دى فيليبو فاز بالجائزة العالمية " أنطونيو جيلترينيللى " عام ١٩٧٢ ، وراعول داموتتى نوتال فاز بالجائزة الكبرى للأدب المسرحى فى باريس عام ١٩٧٧ ، وكاتب ياسين حصل على جائزة جان أمروش لمؤتمر ثقافة البحر المتوسط عام ١٩٦٣ ، وياسمينة رضا حصلت مرتين على جائزة موليير لأفضل عمل درامى ، عام ١٩٨٧ وعام ١٩٩٥ ، أما تييرى مونييه فقد حصل على عضوية المجمع الفرنسى ١٩٦٤ .

عشاق المترو

باليه كوميدى دون رقص ولا موسيقى

جان تارديو

ترجمـــة

د. حمادة إبراهيم

عرضت هذه المسرحيـة لأول مـرة فى ٢٢ أبريل عـام ١٩٥٢ على مسرح " لانكرى " .

قام بتصميم الديكور : جاك نوويل Jacques Noel

قام بالإخـــــراج : سيلفان دوم Sylvain Dhomme

اللوحة الأولى تجرى أحداثها على رصـيف إحدى مـحطـــات المترو .

أما اللوحة الثانية فتجرى أحداثها داخل إحدى العربات فى أثناء سير المترو .

جان تارديو

يُعد " تارديو " متخصصا فى المسرحيات الطليعية ذوات الفصل الواحد . وقد أسهم مسرحه فى مولد المسرح الطليعى كما قدمت مسرحياته على مسارح العالم التجريبية .

والحقيقة أن مسرح " تارديو " فى معظمه من النوع التجريبى أو المختبرى ، وهو نفسه يعلق على هذه الحقيقة فى تقديمه لمسرحياته محددا هدفه من ولوج هذا الفن بأنه : "معالجة المسرح من خلال وسائله ، لا من خلال أغراضه وأهدافه " ، " والاهتمام بقضايا المنصة أكثر من الاهتمام بموضوعات المسرحيات " .

وقد حاول " تارديو " فى البداية أن يصنف هذه المحاولات وهذه التجارب تصنيفا فئويا مثل " كوميديا اللغة ، و " كوميديا الكوميديا " و " المونولوجات والحوارات " و " الحلم والكابوس " وذلك مع إعطاء كل مسرحية عنوانا ثانويا مثل " تعسف الألفاظ " و " تعسف الاستخدامات " و " كوميديا الدراما البرجوازية " و " المنصة الخالية " و " رقصة الموت " .

ويقول تارديو فى هذا الصدد : " لقد حاولت بهذه البحوث أن أكشف عن أسرار ذلك الجهاز الضخم ، المادى والمعنوى ، الذى يسمى المسرح فى أشكاله البالية وإمكانياته المستقبلية " .

وكان ميل تارديو إلى المسرحيات القصيرة ذوات الفصل الواحد أمرا طبيعيا ؛ فهذه المسرحيات هى التى تتلاءم مع هذه الأهداف التجريبية .

كذلك يُعد " تارديو " مؤسسا للمسرح التجريبى الإذاعى . وقد كان له دور كبير فى تطوير الوسائل الفنية الخاصة بالدراما الصوتية أو التى يعتمد فيها التلقى على عنصر السماع دون عنصر المشاهدة .

وبصفة عامة تنقسم مسرحيات " تارديو " إلى نوعين : " مسرحيات السخرية " و "مسرحيات الجزع " . أما الأولى فهى تسخر من مواقف الحياة اليومية كما فى مسرحية "شركة أبوللو " أو كيف نتحدث عن الفن " ومسرحية " عشاق المترو " وأغلب هذا النوع من المسرحيات يهدف إلى السخرية من أشكال المسرح التقليدى ومكوناته مثل الحوار المصنوع والتجنيبات أو التحدث على انفراد ، والمسرح الواقعى حيث الشخوص تتحدث فيما بينها ولا تهتم بالمشاهدين الذين لا يعرفون بالضبط عما يتحدثون ، كما يحدث فى مسرحية " هم وحدهم يعرفون الموضوع " .

وأما النوع الثانى من مسرحيات " تارديو " والتى أطلق عليها " مسرحيات الجزع " فهى تكشف من خلال حادث عارض مضحك فى ظاهره عن وضع الإنسان المزرى فى عالم يعتقد أنه لم يخلق له . ويشيع فى هذه المسرحيات نوع من عقدة الذنب يشعر بها الإنسان دون سبب واضح . كما يحدث فى مسرحية " السيد أنا " ومسرحية " شباك التذاكر" أو يسود إحساس بوجود عدو لا يرحم ولا يتورع عن قتل من يصادفه مثل مسرحية " من هناك " .. ومسرحية " البيانولا " .

فى أثناء الفصل الأول

(وذلك بالاستعانة ببعض التفصيلات السريعة مثل الشوارب وشعر الرأس والنظارات ، إلخ . وكذلك بفضل تكوينات أصوات وأوضاع)

أول رجل اجتماعى

ثانى رجل اجتماعى

المرأة المتعجلة

الرجل الذى يعرج

الرجل المدعى

حبيبة القلب

القارئ القِس

القارئ العِلمانى

الطالب

الطالبة

الفتاة العانس

الفتاة

الشيخ الأول

الشيخ الثانى

الأجنبية المتأنقة الأولى

الأجنبية المتأنقة الثانية

المترجم .

فى أثناء الفصل الثانى

قارئ الجريدة .... شاب ضئيل الجسم مدقق موسوس .

المرأة المهانة ولٰكنها مثيرة .... ضخمة تبعث على الازدراء .

النجمة الخيالية .... خياطة شابة ، جميلة وغريبة الأطوار .

السمكرى .... شـاب فى مقتبل العمـر . لئيـم ، مازح .
فى زى العمل . يتدلى من على كتفه
حقيبة العُدد والأدوات. يمكن أن يمسك
بيده بعض المواسير الرصاصية .

الحامى .... مجـرد " مانيـكان " ممـا يعـرض فى واجهـات
المحلات . شوارب مرسومة ، قبعة ، قفازات
رقيق الملامح يبدو عليه البله .

شخص فى حالة ذوبان فى الجمهور . غير محدد الأوصاف .

الشخوص

هى

هـو

وثلاثة وعشرون راكبا من بينهم " مانيكان " . فيما يختص بالركاب الثلاثة والعشرين فيكفى للقيام بأدوارهم خمسة ممثلين (ثلاثة رجال وامرأتان) يتقمصون بالتوالى الشخوص الآتية :

اللوحة الأولى

على رصيف إحدى محطات المترو

(فى البداية ، أقصى المنصة يكون مشغولا بالكامل بإعلانين ضخمين مزركشين بألوان كثيرة متنافرة ، معلقين داخل بروازين خفيفين ، يحملهما من داخل المسرح شخصان لا يمكن رؤيتهما) .

(الإعلانان حافلان فى غير نظام بصور كتب وأشياء أخرى مثل الزجاجات والطيور وشعر الرأس والقاطرات ، إلخ . نطالع وسط هذه الصور العبارات التالية مكتوبة فى كل اتجاه باليد :

خذوا المشهد من الناحية الصحيحة .

اشربوا كلماتى .

إذا ضعفتم ، استردوا صحتكم .

عيشوا وصدقونى .

(يمكن أيضا تعليق بعض اللافتات الزرقاء التى تحمل أسماء بعض محطات المترو أو الاتجاهات الخيالية) .

(بعد ذلك يبتعد الإعلانان ويختفيان من ناحيتى اليمين واليسار داخل الكواليس) .

(نلمح رصيف إحدى محطات المترو والناس يروحون ويجيئون) .

(هذا الفصل يمكن أيضا أن يتم أمام الستارة . يكفى لذلك وضع ثلاث أو أربع درجات سلم على اليسار تُفضى إلى الكواليس ، ترمز إلى السلم الذى ينزل عليه الركاب إلى المحطة) .

(الشخوص الذين يمثلون تحركات الجمهور يظهرون ويختفون ويصعدون ويهبطون الدرجات . هذه التحركات ينبغى أن توحى بحركة غير عادية وغير متوقعة ، ومع ذلك فهى مضبوطة بدقة)

(فى خلال هذا الفصل كله ، بعض المشاهد القصيرة سوف تؤدى فى البعد الأول (مقدمة المسرح) بينما الركاب مستمرون فى ذهابهم وإيابهم ، بعضهم بسرعة والبعض الآخر ببطء ، كل فريق يتجنب الاصطدام بالآخر فى أداء صامت يبدو غريبا ومثيرا من هؤلاء الناس المجهولين الذين هم صورة منا جميعا حينما نلتقى فى مكان عام لمدى لحظات قصيرة)

(نفر قليل من الممثلين يؤدون هذا الدور ، فيقومون على وجه السرعة بتغيير بعض ملابسهم بحيث يصبحون فى

كل مرة شخوصا جددا ، يختلفون فى نبـرات الصـوت أو لهجة الكلام أو الأوضاع التى يتخذونها)

(الممثلون فى مجموعهم ينبغى أن يعطوا انطباعا بنوع من الباليهات مع واقعية فى الإيقاع)

الرجلان الاجتماعيان يتقدمان متجاورين حتى منتصف المنصة . ثم يتوقفان فجأة)

الرجل الأول : (لطيفا للغاية)

إذن ، إلى اللقاء ، يا عزيزى .

الرجل الثانى : (أكثر لطفا)

تريد أن تقول : إلى اللقاء يا عزيزى ؟

الرجل الأول : ماذا إذن ؟ ألم أقل ذلك ؟

الرجل الثانى : بلى ، لقد قلت ذلك . لقد قلت فعلا : إلى اللقاء يا عزيزى .

الرجل الأول : أليس ذلك ما كان ينبغى أن أقول ؟

الرجل الثانى: بالضبط ، هو ما كان ينبغى أن تقول . وأنا سأجيبك ...

الرجل الأول : وأنت ستجيبنى ؟

الرجل الثانى : سأجيبك قائلا : إلى اللقاء يا عزيزى .

الرجل الأول : هيا ، هكذا كل شىء على ما يرام . إلى اللقاء .

الرجل الثانى : إلى اللقاء .

الرجل الأول : إلى اللقاء .

الرجل الثانى : إلى اللقاء .

الرجل الأول : إلى اللقاء .

(يشد كل منهما على يد الآخر عدة مرات فى حرارة وينصرفان ، الأول ناحية اليمين والآخر ناحية اليسار . ولكن قبل اختفائهما ، يتوقفان فجأة)

الرجل الأول : (متلفتا وصائحا)

ومع السلامة !

الرجل الثانى : (الأداء نفسه ،.وهو يضع يده على فمه كالبوق)

نعم ، مع السلامة !

الرجل الأول : مع السلامة !

(يصل " هو " و " هى " كل منهما يمسك يد صاحبه ، ويتقدمان بطريقة أقرب إلى الرقص . يروحان ويجيئان مرة أو مرتين على هذا النحو ، ثم يختفيان وهما يبتسمان)

هـــــو : (بإيقاع الفالس)

واحد ، اثنان ، ثلاثة ، غرام .

هـــــى : (الأداء نفسه)

واحد ، اثنان ، ثلاثة ، دوام .

هـــــو : واحد ، اثنان ، ثلاثة ، مرام .

هـــــى : واحد ، اثنان ، ثلاثة ، زحام .

هـــــو : واحد ، اثنان ، ثلاثة ، كلام .

هـــــى : واحد ، اثنان ، ثلاثة ، سلام .

هـــــو : واحد ، اثنان ، ثلاثة ، وئام .

هـــــى : واحد ، اثنان ، ثلاثة ، حبيبى .

هـــــو : واحد ، اثنان ، ثلاثة ، سماء .

هـــــى : واحد ، اثنان ، ثلاثة ، نصيبى .

هـــــو : واحد ، اثنان ، ثلاثة ، نداء .

هـــــى : واحد ، اثنان ، ثلاثة ، خميلة .

هـــــو : واحد ، اثنان ، ثلاثة ، حصان .

هـــــى : واحد ، اثنان ، ثلاثة ، جميلة .

هـــــو : واحد ، اثنان ، ثلاثة ، ميزان .

هـــــى : واحد ، اثنان ، ثلاثة ، غرام .

هـــــو : واحد ، اثنان ، ثلاثة ، دوام .

(ينصرفان)

المرأة المتعجلة : (يتبعها رجل يعرج)

بسرعة يا جوستاف ... حتى لا يفوتنا المترو ... بسرعة ؟

الرجل الذى يعرج : (لاهثا)

ياه ، ياه ... كعوبى تؤلمنى ...

المرأة المتعجلة : (مغيظة)

يا الله ! ... لن نصل ... وسينتهى كل شىء !

(يصل رجل وسيدة يجتازان المنصة فى عظمة ظاهرة)

الرجل المدعى : كان عندى واحد منها . ظل عندى زمنا طويلا .

حبيبة القلب : آه ! وكيف كان ؟

الرجل المدعى : كان جميلا . جميلا جدا . جميلا جدا جدا . بحق جميلا جدا ... ولكنه كان ضعيفا جدا ... وضعيف الفهم جدا . جدا ، جدا . كان لابد من التعود عليه ... جدا !

حبيبة القلب : إلى هذه الدرجة ، يا عزيزى ، الأمر يبعث على المذلة .
أنا أيضا كان عندي واحد ، ظل عندى زمنا طويلا ، زمنا طويلا . ولكن فى يوم من الأيام فى أثناء تنظيفه ، تنظيفه ...
(تأتى حركة غامضة قد تعنى موت كائن حى أو تحطيم شىء ما)

الرجل المدعى : آه ؟ وأين كان ؟

حبيبة القلب : فوق مدفأة الصالون ، مدفأة الصالون .
(الرجل والمرأة يختفيان . شخصان يظهران على جانبى المنصة ويتوجه كل منهما نحو الآخر ، دون أن يرى أحدهما الآخر ، لأن كلاهما غارق فى قراءة كتاب . زيادة على ذلك فهما متشابهان بدرجة عجيبة ، ولكن أحدهما قِس والآخر عِلمانى . يصطدم كل منهما بالآخر ويتوقفان) .

القارىء القس : أوه ، عفوا !

القارىء العلمانى : أوه ، عفوا !

القارىء القس : (يتحدث عن كتابه كأنه يقدم نفسه بانحناءة خفيفة)
القديس بطرس !

القارىء العلمانى : (الأداء نفسه)
المركيز دى ساد !

القارىء القس : معذرة !

القارىء العلمانى : العفو !

(يتبادلان التحية بكل جدية ، ويواصلان طريقهما مستأنفين القراءة)

(يصل طالب وطالبة يحملان كتبهما تحت إبطيهما)

الطالبة : (بكل جدية)
... أرأيت ، الفتاة كاهنة فى معبد فينوس . يعنى ، على حد تعبيرهم ، فقد قرر أبواها أن تضع الحجاب .

الطالب : (ساخرا)
ماذا ؟ أهى فى أحد الأديرة ؟

الطالبة : دعك من هذا الهراء ! إنها تعيش وحدها فى برج فى " سيستوس " ، مع خادمة ، على شاطئ البحر .

الطالب : وبعد ؟

الطالبة : فى يوم من الأيام ، لمحت شابا فى المدينة فى حفل خيرى . ولسوء الحظ كان يعيش فى " أبيدوس " على الشاطئ الآخر من المضيق . ولكن هذا لم يُجْدِ شيئا كما تعرف ، فقد أحبته وأحبها . وقرر أن يذهب ليقابلها فى المساء ، خفية .

الطالب : (مستهزئا)
خفية ممَّن ؟ من فينوس ؟

الطالبة : كلا ، أيها العبيط . من خادمة المعبد ! وعلى ذلك فقد راحت فى كل مساء تلوِّح له بمصباح من أعلى البرج . حينئذ يأخذ هو فى السباحة للعبور إليها مجتازا الخليج الذى يفصل بينهما . تصور يقطع خليجا كاملا لكى

يصل إليها ! ... فيقضيان الليل معا . وفى الصباح يعود من حيث أتى .

الطالب : وبعد ذلك ؟

الطالبة : بعد ذلك ، سار كل شىء على ما يرام طوال الصيف . أما فى الشتاء ، حينما تهب الريح وتعصف بالماء ...

الطالب : (ساخرا)

أيوه ، أيوه ، أعرف ، أكملى !

الطالبة : حينئذ ، فى ليلة عاصفة ، صمم بالرغم من ذلك على أن يسبح إليها ، وكان من الطبيعى أن تسوء حالته فى الماء ...

الطالب : وبعد ذلك ؟

الطالبة : بعد ذلك ، لم يعثروا إلا على جثته التى حملتها الأمواج إلى الشاطئ ... حينئذ ، شاهدت هى ذلك من أعلى البرج ، فلما رأت أنه مات ألقت بنفسها من النافذة فسقطت إلى جواره فاقدة الحياة .

الطالب : ما اسمها ؟

الطالبة : اسمها " لياندروهيرو " قصيدة جميلة . ولكن من الصعب جدا ترجمتها ! ...

(يختفيان)

(فى الحال ، ومن الجهة المقابلة يصل عاشقا المترو متشابكين ، يسيران الهوينا ، فى صمت ونشوة . يتوقفان فى أقصى المنصة ويشرعان فى حديث غرامى بصوت خفيض دون أن يبرحا المكان) .

(تمر فتاة عانس وبصحبتها فتاة فى مقتبل العمر)

الفتاة العانس : (صـــارمـــة ، تحـــاول أن تمنع الفـــتـــاة من النظر إلى العاشقين)

سيسيل ، أُنظرى إلى إعلان شربة ماجى .

الفـــتـــاة : (متبرمة وهى تطالع العاشقين بإصرار)

ولكننى لا أشربها .

العـــانس : لا يهم ... انظرى مع ذلك . يجب علينا دائما أن ننظر إلى الإعلانات . الإعلانات ، دائما يجب أن ننظر إليها .

الفـــتـــاة : لقد قلت لى عكس ذلك قبل قليل .

العـــانس : لأنه كان إعلانًا لا يجب أن ننظر إليه . هيا ، تعالى .

(تختفيان بسرعة . الفتاة تخرج على مضض وهى تلقى نظرة أخيرة على العاشقين)

(العاشقان يتحولان عن مكانهما فى أقصى المنصة ويَمْثُلان فى المقدمة . يتحدثان بنوع من النشوة لا تبعث على السخرية ، على أكثر تقدير ، تدعو إلى الابتسام . وعلى أية حال ، ينبغى أن يكون شعورنا نحوهما هو التعاطف معهما ، بل وإذا أمكن ، التأثر) .

هـــى : أين أنا ؟

هـــو : بالقرب منى .

هـــى : وأين أنت ؟

هـــو : بالقرب منك .

هـــى : أنت تكون ؟

هـــــو : أنا أكون .

هـــــى : لم أكن شيئا . أنت جئت . أنا أكون .

هـــــو : أنا أكون معك .

هـــــى : أنا لا أكون شيئا دونك .

هـــــو : نحن نكون .

هـــــى : (متضرعة)

قل : نحن سنكون !

هـــــو : نحن سنكون .

هـــــى : أود أن أكون أنت .

هـــــو : أنتِ تكونين أنا .

هـــــى : من أجلك ، من حولك .

هـــــو : منك ، وإليك ، ومن خلالك .

هـــــى : نكون كلٌ منا للآخر .

هـــــو : كائن واحد .

(ينصرفان فى بطء)

(يصل رجلان مسنان (شيخان) مهندمان يحملان الأوسمة والنياشين لعلهما من رجال السياسة)

الشيخ الأول : (بصوت أخنف متكسر)

وهكذا ، ذلك ما تؤيده أنت ؟

الشيخ الثانى : (مترددا فى دقة ورقة)

نعم ، إذا شئت ، نعم ... على حد تعبيرك ... هو ذاك ...

الشيخ الأول : أنت إذن مؤيد ؟

الشيخ الثانى : (وقد شعر بالإهانة إلى حد ما)
أوه ، كلا ... كلا ... ، أرجوك ! لا تُقَوِّلْنى ما لم أقل .

الشـيخ الأول : إذن ، فـأنت تعـتـقـد أن المرء يمكن أن " يؤيد " دون أن يكون " مؤيدا " .

الشيخ الثانى : إيه ، عفـوا ... ، عفـوا ... أن تـؤيـد " هذا شـىء " ، أما أن " تكون مؤيدا " فهذا شىء آخر .

الشـيخ الأول : إذن لا تؤيد .

الشيخ الثانى : للأسف يا صديقى العزيز ، هذه مهنتى ، ماذا أصبح إذن إذا لم أؤيد ؟

الشـيخ الأول : إذن ، تصرف !

الشيخ الثانى : أتصرف ! ولكن قبل أن أتصرف لابد أن أفكر . هناك نعم وهناك لا ، مؤيدون ومعارضـون . وهنـا أتدخـل أنا و(يأتى حركة أنيقة) وأؤيد ...

الشـيخ الأول : (بشىء من الازدراء)
أرأيت ! فى النهاية تدخل فى زمرة أحد المؤيدين .
(فى الوقت الذى يعترض فيـه الشـيخ الثـانى فى حـدة وعنف على هذه التهمة الشنيعة ، يختفى الشيخان)
(بعد ذلك على الفور ، يظهر عاشقا المترو . ولكن بعد مشهد الغرام يحل مشهد عادى) .
(يجتـازان المنصة سريعا إلى حد مـا ، " هـى " فى وضع التـوتر والتـوبيخ ، و" هو " فـى وضـع البـرىء المظلوم الذى يدافع عن نفسه معتمدا فقط على سلامة طويته الواضحة)

هـــــــى : فكر فيما كنتَه !

هـــــــو : ولكننى أكون دائما .

هـــــــى : كلا ، أنت الآن لم تعد أنت .

هـــــــو : لا ، أنا أكون أنا .

هـــــــى : كلا .

هـــــــو : بل أنتِ لم تعودى أنت .

هـــــــى : آه ، هذا كثير . أنت الذى لم تعد تكون أنت .

وهـــــــو : ولكن كيف ؟ ولماذا ؟ لماذا ؟

هـــــــى : أنت تعرف جيدا أن !

هـــــــو : أن ماذا ؟

هـــــــى : أنت نفسك قلت ذلك .

هـــــــو : قلت ماذا ؟

هـــــــى : أنت تعرف جيدا . ما كان عليك إلا ألا !

هـــــــو : ولكننى لم أقصد أن ! لقد قلت إنَّ ! ولكنك فهمت ألا !

هـــــــى : لقد فهمت أننى فهمت .

هـــــــو : (وقد بدأ يحتد)

وأنا أكون ما أكون فى النهاية !

هـــــــى : (فى لهجة التحدى)

آه ، أنت تكون ما تكون ! حسنا ، وأنا أيضا .

هـــــــو : كلا ، ثم كلا . أنت لا يمكن أن تكونى ما أكون أنا .

هـــــــى : (بنبرة لوم عاطفى ، تكاد تجهش بالبكاء)

لقـد كنتُ ذلك فـعـلا قـبل قليل . أنا كنتُ " أنت تكون " الخاصة بك ، وأنت كنت " أنا أكون " الخـاصـة بى . آه ، كل شيء مختلف تماما !

هـــــــــو : (متضرعا)

اسمعينى !

هـــــــــى : (متباكية)

كلا ! تعال ! هيا بنا ! فهاهنا كنا !

هـــــــــو : (رقيقا)

ولكننا سنكون ، أنت تعرفين ذلك جيدا . سنكون من جديد . ينصرفان .)

أجنبيتـان أنيقـتان تتقـدمـان . تحـاولان أن تشرعـا فى مناقشـة ، ولكـن لأنـهـما تتكلمــان لغتيـن مـختـلفتين ، فلا تستطيع إحداهما أن تفهم الأخرى)

الأجنبية الأنيقة الأولى : آما مادى باها " باريس " ؟

الأجنبية الأنيقة الثانية : (لم تفهم إلا كلمة باريس)

أوه باريس ، جوش ، جوش ، باريس !

الأجنبية الأنيقة الأولى : أويوه ببهو ؟

الأجنبية الأنيقة الثانية : (تشير بأنها لم تفهم)

باكوب ، باكوبى ، بوتوك !

(يصل الترجمـان باحـثا عن زبائن . لباسـه المتبـاين يوحى بمهنتـه . فـهـو مـثـلا يرتدى طربوشـا مـغربيـا ، وضـفـيـرة شـعـر تتـدلى على ظهـره ، وتنورا جندى من نيوقوسيا ... يلحظ الأجنبيتين ويتقدم عارضا خدماته)

المتـــــرجم : مترجم ؟ مترجم ؟

الأجنبية الأولى : (بإشارة تسأل الثانية عن هذا القادم الجديد)

أويو إيبيلى ما هى ؟

الأجنبية الثانية : (بإشارة تريد أن تقول إنها لم تفهـم الأجنبيـة الأولى ولا المترجم)

باكوبى ، باتاك ، بوتوك ؟

المتـــــرجم : (وقد عرف اللغتين اللتين تتحدثان بهما . يخاطب الأولى)

مترجما هى ؟...

الأجنبية الأولى : (تشير إلى أنها فهمت وموافقة)

أو ماهو هى ... ماهوى ...

المتـــــرجم : (مخاطبا الثانية)

مترجماتوك ؟

الأجنبية الثانية : (مشيرة بأنها فهمت وموافقة بجلبة عالية)

جوش ! جوش ! مزجوك !

بيزودى بيليك ؟ بيشيه – بى ، كوتو – كوتس ؟

المتـــــرجم : (يترجم للأجنبية الأولى)

مينيه – هى ، مينيه – ها ، إيبيه – هى !

الأجنبية الأولى : (تشير بأنها فهمت)

فيجيه – هى ، فى – هى – هى ! (وهى تشير بالتوالى وبدلال ظاهر إلى ما ترتدى من ثياب) إيفيهيه ، ريميه – ها ، هو هاى – هو وى دو يو ، ليميـه وى ! ... مادا ... أووا ، آدا . دووا ، إيرى – وى .

المتـــــرجم : (مخاطبا الأجنبية الثانية وهو يشير إلى ملابس الأجنبية الأولى من رأسها إلى قدميها)

جوش ! بيز ! جيجيه فيفر ، بيم ريديبن ، بام سيكتودا ، بأم داد ووار ! ... كوكوروكس !

الأجنبية الثانية : (ضاحكة)

أشر ! أشر ! كيدبت ! كيدبت ! آرابوراس ماجركس !

الأجنبية الأولى : (ضاحكة)

ميمى – هى ، آماماوى ! ماهووا ، ماهى !

المتـــــرجم : (ضاحكا بطريقة مبتذلة)

بروبوكس ! هو ! هو ! هو ! بوبوكس ، بوبوكس !

(الثلاثة يبتعدون ضاحكين . العاشقان يعودان . هذه المرة منهمكان فى المناقشة)

هـــــــو : (بعنف)

وأنت ، وأنت ، وأنت ، وأنت !

هـــــــى : (بالعنف نفسه)

ليس أنا ، ولكن أنت . ليس أنا ، أنت !

هـــــــو : عفوا ، أنت أنا !

هـــــــى : (غاضبة)

كيف ، أنا أنت ؟

هـــــــو : نعم ، أنا أنت !

هـــــــى : أنا أنت أبدا ، أبدا .

هـــــــو : بلى ، أنتِ أنا !

هــــــــى : أنت الذى !

هــــــــو : أنا الذى ماذا ؟

هــــــــى : أنت ، أنـت ، أنت ، دائمـا أنـت ! (ساخرة) آه حـقا !
(عنيفة وعصبية) وكيف أنا الذى ؟ ولمن ؟ ولماذا ؟

هــــــــو : (مرهقا)
من أجلك ، ليس من أجلى ! أنتِ التى أنتِ ، فى حـين أنا أنا !

هــــــــى : أنا أنا نعم . يا ربى ، أنا أنا ، أنا أنا دائما .

هــــــــو : (وهو يواصل مجهودا صادقا فى الشرح)
وأخيرا : أنا أنا ، لأن أنتِ أنت .

هــــــــى : (وقد تملكها الشيطان)
لا يوجـد أنت أنت ! انتـهى الأنا أنت ، انتـهى الأنت ، انتهى الأنا .
(تجهش بالبكاء)

هــــــــو : (متأثرا)
ولكنك تعرفين جيدا أن أنا !

هــــــــى : كلا ، أنا لا ، أنا لا ، أبدا .

هــــــــو : (قلقا)
ألن تحاولى أنا ؟

هــــــــى : بلى سأحاول وأنت !

هــــــــو : (متضرعا)
فرنشسكا ؟

هـــــــــى : (مبتعدة خطوة وهى تبكى)
كلا !
هـــــــــو : (مؤثرا بعض الشىء)
أليسا !
هـــــــــى : (أكثر قليلا)
كلا !
هـــــــــو : (أقوى شيئا فشيئا)
جولييت ! شارلوت !
هـــــــــى : (مبتعدة أكثر)
كلا ، كلا .
هـــــــــو : لورا ! بياتريكس ! كليوباترا !
هـــــــــى : كلا ، كلا ، كلا ، كلا .
(تخرج من المسرح وهى تجرى)
هـــــــــو : (صائحا وجاريا وراءها)
إيما ! إيلووا ! هيلويزا ! ديوتينا ! جورجيا ! هيلدا !
(يختفى وهو يجرى . تظهر " هى " فى المواجهة وهى تهبط الدرجات ، بين ذهاب وإياب الجمهور . ثم تتوجه إلى الناحية المقابلة . فى الوقت الذى ستختفى فيه ، يظهر " هو " وهو يجرى وراءها ويشير إليها بالتوقف .. صائحا من بعيد)
متى إذن ؟
هـــــــــى : (الأداء نفسه ، فى ألم)

أبدا .

هـــــــو : أين إذن ؟

هـــــــى : أبدا .

(تتكرر منهما هذه الحركات بين المنصة والكواليس مرتين أو ثلاث مرات . " هو " محاولا أن يلحق بها ومعبرا بسرعته المتزايدة عن شعوره المأساوى بفقد حبه ورغبته الحارة فى إعادته) .

(فى أثناء هذا الأداء ، يسمع صوت رتيب ، ولكن بإيقاع واضح ، يواصل تعداد أسماء إناث)

الصـــــوت : (داخل الكواليس أو من خلال مكبر للصوت)

إليزا ، إيميليا ، أنّا ،

جوليا ، أورورا ، كاسندرا ،

هيلينا ، أرماند ، أوفيليا ،

ميلوزينا ، أرميدا ، أنيترا ،

لويزا ، جانّا ، ماريا ، كلودينا ،

سوزانا ، ريموندا ، كوليتا ، إنيكا !

(إيقاع جرى العاشقين يجب أن يزداد سرعة وكذلك نداء أسماء الإناث) .

(على حين فجأة ، المشهد يخلو . الدرجات الموجودة جهة اليسار تختفى ، قد يعود الإعلانان إلى مقدمة المسرح فى البعد الأول لإخفاء تغيير الديكور) .

فإذا بنا أمام ...

اللوحة الثانية

(تصل مقصورة إحدى عربات المترو بطول الرصيف . المقصورة مفتوحة كأنما ذلك بفعل تحطيم أحد جانبى العربة) .

(صف من تماثيل المانيكان ، نظرتهم ثابتة ، ملئوا المقصورة حتى حافتها تاركين فقط المكان لصف واحد من الركاب المضغوطين . مع الاستثناء التالى : فى البعد الأول ، مانيكان واقف (هو الذى يمثل " الحامى ") يشغل المكان السادس من الصف الأول من ناحية اليسار) .

(وراء الصفين الأول والثانى ، هياكل من الكرتون المقصوص تمثل أعماق جمهور الركاب المضغوطين بعضهم فى البعض الآخر) .

(الركاب يصلون يركض بعضهم وراء البعض الآخر ، ويصعدون بسرعة داخل المقصورة ويظلون واقفين متلاصقين مواجهين جمهور المشاهدين ، ولكن بحيث يتركون مكانا خاليا فى كل طرف من طرفى المنصة) .

(يمكنهم أيضا أن يقفوا أولا وظهورهم للجمهور . فى هذه الحالة تُثَبَّتُ نسخٌ من قناع واحد فوق أقفيتهم

جميعا كما يمكن أن يكسو ظهورهم جميعا " زى موحد " فيما بعد ، أى فى الوقت الذى يقوم فيه " البطل " بتوجيه الحديث إلى " هى " بشكل خاص ، سيقوم كل منهم بالدوران على عقبيه ليواجه الجمهور : حينئذ يقوم الراكب بالإشارة إلى وجهه هو وثيابه الخاصة . فقط ، وبطبيعة الحال ، المانيكان الذى يمثل " الحامى " سيكون منذ البداية مواجها الجمهور وحتى النهاية) .

هؤلاء الركاب هم ، تبعا لأماكنهم من اليسار إلى اليمين :

- هاوى الجرائد
- المرأة المهانة ولكن مثيرة
- العامل المتفهم
- النجمة الخيالية
- " الحامى " **(وهو مانيكان)**
- الشخوص فى حالة ذوبان فى الجمهور .

(هؤلاء الشخوص الستة ، حتى حينما يظهرون من الأمام ، سيكونون فى البداية غير محددى الهوية ، غير محددى الشخصيات ، بلا تعبيرات ، جامدين ، غائبين ، كما لو كانوا جميعا مجرد مانيكانات . يظلون كذلك طالما لم يدخلوا فى مناقشة خاصة مع الشخصية الرئيسة) .

(حينئذ يتخلون عن جمهورهم ويصبحون كائنات بشرية متميزة تفيض حياة) .

(فى البداية ، تحول الشخوص الستة بطريقة آلية رءوسها الواحد نحو الآخر كأنهم أشخاص آليين ويتنادون ويجيب بعضهم بعضا بمنتهى السرعة بطريقة موحدة ، أصواتهم بمجرد أن يتحولوا إلى كائنات بشرية متميزة) .

هاوى الجرائد : (متلفتا نحو المرأة المهانة)

هل تعرفيننى ؟

المرأة المهانة : (متلفتة نحو هاوى الجرائد)

لا أعرفك . **(بعد ذلك مباشرة ، وهى تلتفت نحو النجمة الخيالية)**

هل تعرفيننى ؟

النجمة الخيالية (الأداء نفسه)

لا أعرفك **(الأداء نفسه مع السمكرى)** هل تعرفنى ؟

السمكرى : لا أعرفك **(الأداء نفسه مع جاره)** هل تعرفنى ؟

الحامى : (بما أنه مانيكان لا يجيب)

السمكرى : (مشيرا إلى جاره)

لا يعرفنى ! **(منحنيا ليخاطب الراكب السادس)**

هل تعرفه ؟

الشخوص فى حالة ذوبان فى الجمهور

لا أعرفه ! لا أعرفك ! لا أعرف ! لا أعرف أحدا !

(بمجرد إنهاء هذا الأداء ، الشخوص الستة يعودون إلى جمود المانيكانات)

"(هى " تصل وهى تجرى ، وتصعد إلى المكان الذى بقى خاليا فى الطرف الأيمن من المقصورة . الشخوص الستة يتظاهرون بأنهم ينضغطون إلى أقصى حد ممكن لكى يسمحوا لها بالوقوف ، مع المحافظة على المكان الخالى الموجود فى الطرف الأيسر من المنصة) .

(بعد ذلك مباشرة " هو " يصل وهو يجرى . يحاول أن يصعد بجوارها ولكن مستحيل ، فيُرَدُّ خائبا) .

هـــــــو : لا تذهبى دونى . لا تذهبى دونى ! ... (يحاول أن " يخترق " " جبهة " الركاب فى عدة أماكن . فيفشل . فى النهاية ، يقرر أن يشغل المكان المتروك خاليا جهة اليسار . وبذلك يظل يفصله عنها الشخوص الستة الواقفون متجاورين يمثلون الجمهور . الفتاة ، جهة اليمين ، تبكى فى منديلها . " هو " ، فى الناحية الأخرى ، يجفف جبينه . بابان بارتفاع يتراوح بين أربعين إلى خمسين سنتيمترا ، يُدفع أحدهما من " كالوس " اليمين ، والآخر من " كالوس " اليسار ، ويمثلان الأبواب الآلية ، يلتقيان فى منتصف المنصة . تسمع صفارات ناظر المحطة . الركاب الثمانية يمثلون تحرك المترو وذلك بأن يميلوا جميعا فى اتجاه واحد ميلة شديدة . يعودون إلى الثبوت . ولكن من آن لآخر سيظلون خلال المشاهد التالية يذكروننا بأن العربة تسير ، وذلك عن طريق بعض الحركات من رءوسهم وأكتافهم . فى الوقت نفسه ، ينبغى أن يصدر

عنهم وأفواههم مغلقة ، نوع من الطنين يمثّل حركة العجلات . هذا الطنين يتبع إيقاعا معينا (أربعة أزمنة ، الأول منها شديد) للإيحاء بتحرك العربة ، من الممكن أن تُمرر فى بطء وبالتوالى من اليمين إلى اليسار الإعلانات التى ظهرت فى البداية ؛ للإيحاء بأن المترو يتحرك من اليسار إلى اليمين . وأخيرا اللافتات الزرقاء التى تدل على المحطة ، تختفى . من الممكن أيضا الحصول على ضجيج مسجّل لعربة مترو متحرك : يعرض على الأقل فى بداية الفصل ثم يختفى فى الوقت الذى تبدو فيه الشخوص فى التحدث .

(هو ، محاولا أن يخترق له طريقا بين الجمهور وموجها الحديث إلى جاره المباشر) عفوا يا سيدى ! ...

(لا يتلقى إجابة) عفوا ، يا سيدى ! هل تسمح ! ... سيدى ، لو سمحت !

(الجار لا يتحرك)

الجمهور (فى كورس ، دون أن نرى أحدا يتكلم ، مادام الشخوص يديرون لنا ظهورهم . فى البداية " ميتزوفوتش " (صوت منخفض) ولكن واضح الإيقاع . أصوات رجال ونساء مختلطة)

ألفريد ، لوسيان ، فيليكس !

روبير ، مارتان ، بأزيل !

بينوا ، ريشارد ، باسكال !

هـــــــو : سيدى ، أنا ... هل ... تسمح لى بالمرور ... من فضلك !
ممكن أمر ... يا سيدى .
(ولا حركة)

الجـمـهـور : ألبير ، جوليان ، جاكسون .
إيرنست ، آلان ، إيناس
دانيال ، سيمون ، جوستاف .

هـــــــو : **(ملتفتا نحو الآخرين فى المقصورة)** سيدتى ، سيداتى ، سيدى ، لو سمحتم ... يجب أن ... معى شخص هناك ، أريد أن أذهب إليه ... من فضلكم ... هناك ... عفوا يا سيدتى! ... يحاول بمرفقه ، يتدافع ، ولكن بلا فائدة . يصل إلى درجة التضرع ، سيداتى ، سادتى ، أرجوكم ! أرجوكم ! دعونى أمر ... خطوة بسيطة ، شبر ! ... **(يمثل حركة من يسبح)** ! ذراع واحدة لا أكثر ... حتى الشاطئ ، حتى الشاطئ فقط .
(لا نتيجة)

الجـمـهـور : **(رافعا الصوت بإيقاع أسرع)**
ماريا ، إيناس ، هورتينس !
إيفا ، راشيل ، جوستين .
إيرين ، إيدا ، ليديك ،
آجات ، أولجا ، صوفيا .

هـــــــو : **(يشب على أطراف أصابعه محاولا التحدث مع صديقته من فوق رءوس الركاب . يُرى وهو يصيح ولكن صـوته**

- مع أنه صياح - إلا أنه يبدو ضعيفا حيث تغطى عليه جزئيا ضوضاء الجمهور المستمرة)

هذا أنا ! ... أنا هنا ... فى العربة نفسها ! ... أركب معك . انتظرينى ! ... لا تنزلى قبلى ! ... ولا بعدى ...

(أصوات تتجاوب بسرعة وتطلق أسماء أشبه بكرات التنس . الرجال يطلقون أسماء إناث ... الإناث يطلقن أسماء ذكور)

صوت رجل : (صاعدا - كريشندو)

دينيس ! كوليت .

صوت امرأة : (الأداء نفسه)

لوران ! إيميل .

صوت رجل : (صائحا)

كريستين ! إيديت !

صوت امرأة : (الأداء نفسه)

فيكتور ! سيزار !

صوت رجل : (هابطا - ديكريشيندو)

لوسى ! مونيك !

صوت امرأة : (هابطا - ديكريشندو)

ميشيل ! فرانسوا !

(الأصوات تصبح بلا تمييز . تواصل مع ذلك بالإيقاع نفسه)

هـــــو : (محاولا أن يصبح رغم العجز وشبه اليأس)

هم الذين ! ... ليس واحدا ! ليس اثنين ! ليس ثلاثة ! ...

بل ثلاثة مضروبة فى مائة ، مضروبة فى ثلاثة ... مضروبة فى ألف تربيع ، مضروبة فى عشرة ، ثم فى ثلاثين ، ناقص أربعة عشر ، زائد ألفين ! ليس أنا ، ليس أنت . بل أنت زائد أنا ، زائد الجميع ... الجميع زائد الجميع يساوى جدارا ! الجميع زائد الجميع ، يساوى الرمال ، زائد الجميع يساوى البحر ، زائد الآخرين ، لا أحد ! ...

(**فى قمة الغيظ**) أريد أن أصل إليك ! ... لا أستطيع ! ...

(على حين فجأة ، ضجيج الركاب يتوقف)

صوت رجل : (بلهجة شبه عادية ولطيفة)

ريموند !

صوت امرأة : (الأداء نفسه)

روجيه !

صوت الرجل نفسه :ريموند .

صوت المرأة نفسها :روجيه !

صوت الرجل نفسه :ريموند .

صوت المرأة نفسها :روجيه .

هـــى : (تشرئب فوق الركاب وبصوت شابة عادى)

الجميع ... يساوون واحدا زائد واحد !

الجمهور : (فى همهمة خفيفة تضعف حتى تتلاش)

واحد زائد واحد! واحد زائد واحد!... واحد زائد واحد!...
واحد زائد واحد! واحد زائد واحد! واحد زائد واحد !...

العقبة الأولى أو هاوى الجرائد

هـــــــو : **(بعد أن لاحظ جاره لحظات وسعل لكى يجذب انتباهه)**

هوم ! هوم ! **(لا إجابة)** هـوم ! هـوم ! هـوم ! هـوم !

(لا إجابة . هاوى الجرائد يستدير على عقبيه ويبدو بوجهه الحقيقى ، فإذا به رجل مهندم الثياب . دون أن يتخلى تماما عن جموده السابق . وبحركات شبه آلية يخرج من جيبه جريدة ، يفضها ويشرع فى القراءة ، انتباهه بما يقرأ واضح فى حركات رأسه من أعلى إلى أسفل أو من اليمين إلى اليسار. حركاته تتحول شيئا فشيئا إلى المرونة والبشرية خلال المناقشة. أخيرا هو يقرر أن يتكلم)

نيـوم ، نيـوم ، نيـوم ، نيـوم ، نيـوم ، نيـوم ، الكلمـات المتقاطعة ؟

هاوى الجرائد : **(ينصرف عن قراءته ويلتفت فجأة نحوه . وبلهجة فظة وسريعة)**

تيوك . تيوك ، تيوك ، تيوك ، تيوك ، تيوك ، بوليتيكا ، سياسة ...

هـــــــو : **(بلهجة من يريد أن يستعلم ويسأل باحترام شخصا عليما)**

بو ، بو ، بو ، بو ، بو ، أخبار سارة ؟

الهـــــاوى : **(وهو ما يزال على جموده)**

داك ، داك ، داك ، داك ، داك ، أخبار سيئة !

هـــــــو : **(بأسى صادق)**

أوه ! دز ، دز ، دز ، دز ! **(صمت قصير ، مشيرا فجأة إلى فقرة فى الجريدة بفضول مشوب بشىء من الانفعال)**

فى ، فى ، فى ، فى ، فى ، الحوادث ؟

الهـــاوى : (موافقا)

بوبوب ، جريمة ! بوبوبوب ، جريمة حب !

هـــو : دوب ، دوب ، دوب ، احكها لى !

الهـــاوى : (وقد شعر فجأة بتعاطف نحوه)

تهمك ؟

هـــو : كثيرا .

الهـــاوى : (بعد أن طوى جريدته ووضعها فى جيبه يشرع فى رواية الحادث مع تمثيل جميع الحركات)

زو ، زو ، زو ، زو ، فتاة ، زو ، زو ، فى البيت ، زو ، زو ، وحدها ، زو ، زو ، الأب مسافر ، زو ، زو ، الضيق ، باتا ، باتا ، أنيقة ، خرجت ، باتا ، باتا ، مهرجان ، باتا ، شاب ، بان ، بان ، أنيق ، بان ، قبعة . باتاتى ، الفتاة ، باتاتا ، والفتى ، الرقص ، باتاتا ، كأس شمبانيا ، باتاتا ، ما أراه ، باتاتا ، طول الليل . بوه ، البيت ، الأب يعود بوه ، لا توجد فتاة ، بوه ، غاضب ، بوه ، مجنون ، بادادام ، الشرطة ، بادادينج ، البحث ... دين ، دين ، دينج . **(بنغمة جرس الصلاة)** دينج ، دينج ، دينج ، الصباح ... دينج ، دينج ، الفندق ... لا ، لا ، لا ... العاشقان لا ، لا ، لا ! بوم ، بوم ، متعبان ، لا ، لا ، لا ،

نوم سـعيـد ! برور ، بررا الشـرطة ! ررر ! الأب ! بوم ، بوم ، بحث وتفـتـيش ! توك ، توك ، افـتح ! لا ، لا ، لا . العاشقان المسكينان ! باتاترا ، يصحوان . لا ، لا ، لا ، الفتـاة : " العـودة ... البـيت ... أبدا ... " الفـتى : " حب ... انفصال ... أبدا ..." توك ، توك ، توك، " ... القانون ! " توك ، توك ، توك ، افتح ، افتح ! هو ، هو " أبدا " بان " أحبك " بان "أقتلك " بان " واقتل نفسى " ودونج ، دونج ، دونج ، دونج ، دونج **(على شاكلة رنين الكأس)** الأب ، الشرطة ، العاشقان ، الموكب ! ...

هـــــــو : **(بعد صمت وصائحا بهذه الأبيات)**

الحب ، الحب ، الحب ، نار ، نار ، نار .

بوم ، بوم ، بوم ،

الحب ، جبّار ، جبّار ، جبّار .

الـهـــــاوى : أعجبتك ؟

هـــــــو : **(بغير اهتمام)**

داب ، داب ، داب ، أنا أيضا .

الـهـــــاوى (باهتمام)

أنت ، أنت ، أنت ، أنت ، أنت نفسك ؟

هـــــــو : أنا نفسى . هى نفسها . أحبها ... كبير ، حب كبير ... تلك الفتاة التى هناك .

(يشير إلى الطرف الآخر من المقصورة)

الـهـــــاوى : **(مشرئبا لكى يرى الفتاة)**

هون ، هون ، جميلة ! هـون ، هـون ، جميلة ، جميلة
(**فجأة ، قلقا**) بوه ، بوه ،لا شقاء ؟ بوه ، بوه !لا خطر ؟
لا حوادث ؟

هـــــو : بلى ! خوف شديد ، خوف شديد .

الـهـــاوى : (**وقد تملكته الشفقة**)
أوه ! كيف ؟

هـــــو : هى ، زج ، زج ، زج ، زج ، تريد أن تذهب ، أنا ، تيك ، تيك ، تيك ، الحق بها .

الـهـــاوى : (**مشيرا إلى ناحية الفتاة**)
أسرع ، زو ، زو ، إليها .

هـــــو : مستحيل ، الزحام شديد !

الـهـــاوى : خذ مكانى .

هـــــو : شكرا يا سيدى .

(هو " والهاوى ، وأذرعهما ملتصقة بطول جسديهما ، يدوران بحيطة وحذر أحدهما حول الآخر بحيث يتبادلان مكانيهما ويصبح " هو " وقد كسب درجة) .

الـهـــاوى : أتمنى لك السعادة . أيها الفتى ، والهناء فى الحب إلى الأبد .

هـــــو : أنت رجل طيب ، يا سيدى . سوف نذكرك حينما نكون " معا " .

(الهاوى وقد شغل المكان الذى كان يشغله قبلا " هو " ، أى فى أقصى يسار المقصورة ، يعود فى الحال إلى

قراءة جريدته بعد أن اكتسى وجهه وحركاته بجمود الرجل الآلي كما كان في السابق) .

العقبة الثانية

أو

المرأة المهانة ولكن مثيرة

(بمجرد أن يصل الفتى إلى جوار المرأة ، تستدير على عقبيها أشبه بآلة يتم تحريكها لتصبح فى منتهى الحيوية والحركة والضوضاء . تشرع فى مونولوج طويل لا يتمكن الفتى من أن يعلق خلاله بكلمة واحدة)

(يكتفى بالتعبير عن مشاعره بحركات تنم عن التعجب والسخط والسخرية والشفقة ، إلخ . فى تلك الأثناء ، الركاب الآخرون يظلون بطبيعة الحال جامدين ، بلا أى تأثر ، كأنهم لا يسمعون شيئا)

المرأة المهانة ولكن مثيرة : آه ! شىء عجيب ! شىء غريب ، تتصور أننى لم أر حركاتك ! وأساليبك ! لو لم يكن من المخجل رؤية ذلك . من الأفضل ألا نرى ذلك . يجب أن نراه حتى نصدق ! فتاة مسكينة لم تعمل لك شيئا . آه ! كم عذبتها ! أشياء لا يمكن لأحد أن يعلمها . تهجرها هكذا! وحيدة وسط المترو ! بلا أحد ! وفى ساعات الذروة ! وتسىء معاملتها ! إلى أقصى حد. تسىء معاملتها . أنت سيئ المعاملة ! (**مستشهدة بالركاب الجامدين**) وبعد ذلك هاهو ذا السيد المحترم يأتى ليلاحق ضحيته هنا !

فى مقصورتنا نحن . مقصورة لم تعمل له أى شىء وتخصنا نحن . نحن دافعى الضرائب ! ليس مثل هذا الوغد . هذا الوغد هو أنت أيها الفتى ! بالضبط ! لذلك فلن أتكلم معك ، لن أوجه إليك الخطاب . بالضبط ! إليك ، إليك أيها السيد لا أوجه الخطاب . كيف ؟ لماذا ؟ ماذا عملت لى ؟ آه ، يا له من وقح ! ولكن لحسن الحظ ، أنك لم تعمل لى شيئا . كلا ، ولكن من يظن نفسه ؟ ومن تظننى ؟ آه ! لو رأت شقيقتى الكبرى هذا . لا يمكن . لما تمكنت من مواصلة تسكعك حتى هنا ، ولما تحرشت بى . أيها الوغد الحقير ! آه . لو أن خالة شقيقتى الكبرى رأت هذا ! إنها سيدة بحق ، دولاب بحق ، دولاب بأدراج ، لو عادت أدراجها ، ولكنها عادت أختها المريضة . لقد ماتت منذ زمن بعيد . ماتت قبل أن تولد . لقد عرفتها دون أن أعرفها . فى ذلك العصر لم يكن هناك مترو ، ولا أوغاد ، ولا سفلة . ثم إننى لا أحقد عليك فأنت غبى ! حكم السن . شقاوة أطفال . آه ، يا ربى ، لقد سقطت حقيبتى ... هل يمكن أن تساعدنى وتعطينى إياها ؟

(المرأة والفتى يثنيان ركبهما بحيث ينزلان مواجهةً دون انحناء بطريقة مضحكة ، مع المحافظة على النصف العلوى مستقيما ، وذلك للبحث عن الحقيبة ، يجلسان على أعقابهما ويتحسسان بأيديهما مع المحافظة على النظر إلى الأمام)

(فى هذه الأثناء ، نشاهد " هى " تُخرج ورقة من جيبها وتخط فيها بعض الكلمات وتنقل الورقة إلى جارها وهى تميل إلى الأمام ، مشيرة إلى " هو " بوصفه مرسلا إليه)

هـــــــــو : من فضلك ، أعط هذه الورقة للسيد ، هذا الذى هناك .

المرأة المهانة ولكن مثيرة : ولكن لا تنتهز الفرصة لترتكب حماقة ... لن أسمح بذلك ... حسنا ، هذه هى حقيبتى ! لم يكن معى حقيبة . أنا التى وجدتها . شكرا ، يا سيدى . أنت لطيف للغاية . ولكن ماذا تنتظر ؟ ماذا تنتظر لتصعد إلى السطح ؟ النجدة ! إننى أغرق ! إنى أختنق ! ساعدونى ! **(يصعدان معًا كما نزلا . فى هذه الأثناء ، الركاب يتناقلون الورقة من يدٍ ليدٍ بصورة آلية دون رمش .)** أوف ! كنت سأختنق . بطبيعة الحال ، كنت ستستغل الفرصة . أراهن أنك كنت ستستغل الفرصة .

هـــــــــو : **(مؤدبا ولكن باردا)**

آسف ، يا سيدتى . ولكن ياقة معطفك الفرو تحركت من مكانها . اسمحى لى أن أنتقل إلى الناحية الأخرى لأعيدها مكانها .

(يأتى حركة التفاف تسمح له بأن يتبادل مكانه مع المرأة . وبذلك يكسب درجة أخرى . فى أثناء هذه العملية ، تواصل المرأة مونولوجها للحظات)

المرأة المهانة : ولكننا لسنا هنا فى حفل راقص ، ماذا ستفعل فى ظهرى ؟ ... كأننا فى حفل راقص ؟ لو نرقص المزيد من الفالس ؟

أوه ! سيدى ، هذه السهرة لا يمكن أن أنساها ! وهذه الآلات الموسيقية ! وهذا الشراب ! وضوء الـ ...

(تتوقف بغتة لأنها أصبحت تشغل مكانها الجديد بجوار هاوى الجرائد ، وبذلك عادت إلى صمتها وجمودها)

(هو " يأخذ الورقة التى سلمتها له جارته جهة اليمين ويقرؤها)

مادمت ... مادمت ... **(يحاول أن يفهم ، مقطبًا جبينه)** مادمت ... مادمت ... مادمت ... ماذا ؟ **(محاولا إعادة صياغة الجملة)** " مادمت ... لا تفهم ... مادمت لم تفهمنى ... مادمت على خطأ ... أقول لك وداعا ... كلا ، لقد قالتها فعلا . **(فجأة يشرق وجهه)** آه ، وجدتها ! مادمت ... بذلت مجهودا لتلحق بى ، مادمت تقترب ... فإننى لم أعد أبغضك . **(وهو يكتب على عجل فوق ظهر الورقة)** مادمت قطعتُ ... نصف الطريق ... أليس كذلك ؟... رجاء ... تكمله ... الجملة ! **(يسلم الورقة لجارته)** بَرْقيةٌ ! .

(الشخوص الماثلون جهة اليمين يتناقلون الورقة فى صمت وبصورة آلية دون أن يتخلوا عن عدم اكتراثهم ، حتى يقوم الأخير بتسليم الورقة لـ " هى ")

هـــــــى : **(تقرأ الورقة ثم تخط شيئا عليها وتعيدها إلى جارها)**
البريد العاجل !

هـــــــو : **(يأخذ البرقية ويقرؤها)**

" نعم ... أنا فى انتظارك " (**يبدو راضيا ولكن مع شىء من خيبة الأمل ...**) نعم ... أنا فى انتظارك ! نعم ... أنا فى انتظارك ! (**من فرط تكراره لهذه العبارة يصل إلى درجة الافتتان**) مادمت ... مادمت ... نعم ... أنا فى انتظارك ! مادمت نعم أنا فى انتظارك ! هذا واضح ! مادمت - نعم - أنا - فى انتظارك ! شىء رائع !

العقبة الثالثة
أو
العامل المتفهم

(هو " وقد عاد إليه الأمل ، يلتفت فى حيوية ظاهرة إلى العامل ، جاره الجديد : يتفرس وجهه لحظة ثم يربت كتفه برقة)

هـــو : أنت تعرفنى ، أليس كذلك ؟

(العامل يستدير على عقبيه ، فإذا به رجل ما يزال فى سن الشباب . ملامح الوجه تدل على الخبث . تتدلى من على كتفه حقيبة العُدد)

العامل : أعرفك .

هـــو : أنت تسكن فى حيِّنا ؟

العامل حيكم أو حينا ، هذا أكيد . احتمال أن أكون قد حضرت لإصلاح صنبور المطبخ عندكم .

هـــو : آه ، أرأيت ، أنت فعلا .

العامل : **(ضاحكا)**

الزبائن هم الزبائن دائما . إنكم لا تحبون أن تنظروا إلينا ونحن نعمل فى بيوتكم .

هــــــو : **(مدافعا عن نفسه)**
أنا آسف .

العــــامل : بينما نحن ، نلاحظكم . أنظر ، أنا أعرف أن السيدة الصغيرة دائما تثير المتاعب .

هــــــو : آه ! أنت تعرفنا !

العــــامل : أولا ، رأيتكما تمران قبل قليل . هى تحبك ، أليس كذلك ؟

هــــــو : **(بحرارة)**
نعم ، أنا متأكد من ذلك . **(مستدركا)** على الأقل ، كنت متأكدا ...

العــــامل : لا تتغابى ! أنت تعرف جيدا أنها تحبك فقط كما تحب النساء ... إلى آخره إلى آخره ! أكيدا! أكثر مما تحبها أنت !

هــــــو : **(فى اندفاعه)**
لا تقل هذا .

العــــامل : على أية حال ، بصورة مختلفة .

هــــــو : إذن ، مادمت تعرف الكثير ، قل ماذا حدث لها قبل قليل .

العــــامل : ربما أنك كنت توجه إليها ألفاظا ...

هــــــو : كيف ذلك ؟ وهى ؟

العــــامل : هى ؟ كانت تجيبك بألفاظ ليست ألفاظا .

هــــــو : الألفاظ ألفاظ .

العامل : هنا ألفاظ وألفاظ : ألفاظك وألفاظها ! ليس شيئا واحدا !

هو : هل ستمنعنى أن أتحدث إليها ؟

العامل : لن يكون فى ذلك ضرر أكبر .

هو : **(بعد تفكير)**

ولكن ماذا أقول لها ؟ ...

العامل : أوه ! الألفاظ ، ليست ألفاظا ، إنها أشياء . حينما نقول ماسورة فهذا يعنى ماسورة . وحينما نقول مطرقة أيضا ، وحينما نقول " قدم مسحوقة " أو " يد مقطوعة " ! فهذا يعنى ما يعنيه هذا . **(مغيرا من لهجته)** اسمع ، حقيبتى انزلقت من على كتفى . هل تساعدنى فى إعادتها إلى مكانها من ظهرى .

هو : بكل سرور ، مادامت حقيبة تعنى ...

العامل : **(ضاحكا)**

هذا يعنى : تقديم خدمة ... **(غامزا بعينه فى خبث)** كل المطلوب منك أن تدور حولى ، هذا أسهل .

(هو يتبادل مكانه مع العامل)

العقبة الرابعة
أو
النجمة الخيالية

(هو " يوجه الحديث إلى جارته الجديدة ، وهى فتاة بسيطة الثياب للغاية . تستدير على عقبيها ثم تدب فيها الحركة ، ثم تجيب تبعا للألقاب التى سيوجهها إليها)

هـــــــو : إيه ، يا آنسة ؟ ... (**لا تجيب**) هيه ! يا آنستى الصغيرة ؟ ...
(**تستدير وتواجه الجمهور**) ... عفوا ، يا آنسة ؟ ...
(**تصمت**) اسمعى يا سيدتى ؟ (**تبدأ فى الحركة**) ...
عفوا ، سيدتى ، ولكن ... ؟ (**تنظر إليه**) ... صديقتى
العزيزة الشهيرة ! معقول ! أنت هنا ؟

النجمة الخيالية : **(تمثل دور النجمة المشهورة المتحذلقة فتحرك أهدابها وتضغط على مقاطع الكلمات بصورة مبالغ فيها)**
نعم ، يا عزيزى ، أنا هنا .

هـــــــو : وأنا الذى بحثت عنك هنا وهناك ! لو علمت أنك هنا !
(يخرج من جيبه مفكرة وقلما ويقلد شخصية صحفى فى جريدة كبرى يقوم بعمل تحقيق صحفى مع " شخصية مهمة ")

النجمـــة : أنا هنا حيث أنا . أقول لك هذا بصورة عابرة ، يا عزيزى . هذه أضمن طريقة لمقابلتى .

هـــــــو : حسنا ، حسنا ، حسنا . فى المستقبل ، سأعرف كيف أصل إليك ... لو تنتهزين هذه الفرصة لتعبرى لى عن انطباعاتك عن ...

النجمـــة : ليس عندى انطباعات ...

هـــــــو : طبعا ... طبعا ... ومع ذلك ، كنت أريد أن أتحدث معك عن فيلمك القادم .

النجمـــة : فيلمى القادم . لن أشارك فيه .

هـــــــو : وكيف ذلك ؟

النجمة : لقد فضلت أن أضع اسمى فقط . فهذا يكفى . أنا فى الإعلانات . وهذا يساوى عدة ملايين، إذن ، الجميع سيأتون لمشاهدتى فـ...

هو : فلا يجدونك .

النجمة : فلا يجدوننى ! ... هذه طريقة مجنونة فى الدعاية ! ... الدعاية بالغياب !... سيكون شيئا رائعا ! رااااائعا ! **(تغير من لهجتها وتشير إلى المانيكان الموجود بعد العامل)** هل يبدو عليه الاستغراب ، هذا السيد ؟

هو : **(بعد أن ألقى نظرة على المانيكان)** لا يبدو أنه يفهم كثيرا ... **(يعود إلى دور الصحفى)** وأين كنت أيتها الصديقة العزيزة الشهيرة ، أين كنت قبل قليل ، هناك حيث كنت قبل أن تكونى هنا ، حيث أنت ؟

النجمة تصور أننى كنت أتناول فطورى ، يا عزيزى ، يحدث أحيانا أن أتناول فطورى ... كنت أفطر . أنا أحب الفطور كثيرا .

هو : **(وهو ما يزال يتظاهر بأنه يسجل أقوالها فى المفكرة ، تارة كأنه صحفى يسجل حديث شخصية مهمة ، وتارة كأنه " سفرجى " يسجل طلبات زبون)** والطعام ؟

النجمة : **(داخلة فى اللعبة)** إليك ! ... أولا ، متبلات ومشهيات ، جمبرى وسلجم ، وفلفل وكبد وكلاوى ، وسلاطة حيتان ، وماندولين محمر .

هـــــــو : **(وقد تقمص دور السفرجى)**

لا ، يا سيدتى . آسف ، ليس عندنا ماندولين محمر .

النجـــمـــة : أوه ! شىء فظيع . إذن دع المشـــهـيـــات ولندخل فى الداخليات . حصان بالسايس .

هـــــــو : **(وهو يواصل التسجيل)**

وأعلن لسيدتى أن لدينا ساعات حائط سويسرية .

النجـــمـــة : حلوة ؟

هـــــــو : **(وقد عاد إلى لهجته الطبيعية)**

فيما يختص بالفطور ، أين تفطرين ؟

النجـــمـــة : **(تضحك وقد عادت إلى طبيعتها)**

أشـتـرى بعض الطعـام ... مـرة أشـتـرى بيـضـة ، مـرة ساندويتش ، قطعة حـلوى ، موزة ... ليس عندى وقت !... **(وقـد رأت أنه يواصل التـسـجـيل)** اسـمـع ، لا داعى لتسجيل كل هذا ... فنحن لم نعد نمثل .

هـــــــو : ومع ذلك فنحن نمثل ...

النجـــمـــة : **(ببساطة واضحة)**

أنا أعمل خياطة نساء بالنهار .

هـــــــو : هل تعيشين وحدك ؟

النجـــمـــة : أنا أقوم بتربية أخى الصغير .

هـــــــو : **(مشيرًا إلى المانيكان)**

السيد هذا ، من يكون ؟

النجـــمـــة : هذا وغد حقير ، لقد هجرنى .

هــــــــــو : إذن ، لعلنا أحسنا صنعا حين جعلناه يعتقد أنك أصبحت نجمة سينمائية !

(فى هذه الأثناء ، فى الطرف الآخر من المقصورة ، " هى " تنحنى ، وترى " هو " فى حديث مع المرأة ، تخط بسرعة ورقة وتمررها)

النجـــمـــة : **(وهى تسلمه الورقة)** هيا ، حسنا ! هذه رسالة عاجلة أخرى من صديقتك ، يا لها من " باشكاتبة " .

هــــــــــو : **(يقرأ)**

" أرى كل شىء . ستوب . المحادثة طالت . ستوب !

النجـــمـــة : هى تشعر بالغيرة ، أليس كذلك ؟

هــــــــــو : **(وهو يكتب الرد على ظهر الورقة نفسها)** إذا كنت ستواصلين ، ستوب . أنا أنزل المحطة القادمة ، ستوب .

(مخاطبا النجمة) أوصليها !

النجـــمـــة : **(بعد أن مررت الورقة إلى جيرانها)**

والآن !... يجب أن تنتقل إلى الجهة الأخرى **(وهى تتطلع إليه بجدية ظاهرة)** لقد تسلينا بما فيه الكفاية .

(فى هذه الأثناء ، هى تسلمت الرسالة وقرأتها . ترفع كتفيها وتعود إلى الصمت والجمود ، فى حال بين الغيظ والاستسلام) .

(هو و النجمة يتبادلان مكانيهما)

هــــــــــو : **(وهو يحاول فى أثناء هذه الحركة أيضا أن يتحدث إلى جارته)**

هذا أكيد ! كان بينك و.. ولكن لماذا أحدثك بصيغة الماضى ؟

(بعد الانتهاء من " عملية الدوران " يلاحظ فى أثناء حديثه مع النجمة ، أن الفتاة عادت إلى جمودها وصمتها تشوبها الكآبة) .

لقد فات الأوان ! ...

العقبة الخامسة

أو

الحامى

(هو " ، وقد أصبح جارا للحامى ، يتحدث إليه بغضب مكتوم . من الطبيعى أن " الحامى " لا يجيب بشىء ويحتفظ بنظرته الثابتة فهو ليس أكثر من مانيكان)

هـــــــو : (بصوت خفيض فى البداية ، ولكن كأنه يخاطب شخصا من لحم ودم)

ألا ينتابك أى شعور بالندم ؟ لا ؟ ولا وخز ضمير ؟ ... ولا خجل ... بسبب هجرك **(مشيرا إلى النجمة)** لهذه المسكينة ! ... ولكن أجبنى ، أنا أتحدث إليك . **(رافعا صوته)** أنا أتحدث إليك ، أيها السيد أجبنى ؟ هل ستظل هكذا تنظر بعيدا ؟ كأن الموضوع لا يخصك . ولكنك إنسان وقح ! أنا هنا بجوارك . حديث رجل لرجل ! ... أوه ! لا تخش شيئا . كل إنسان حر فى تحركاته ، وأنا لا أعرفك ! وليس من حقى أن أوجه إليك أى لوم !

كل ما أريده منك هو ... هو أن تشرح لى ، فقط لا غير ...
أو إذا شئت : وجهة نظرك ! ... هيا ! تكلم : السبب ؟ ما هذا ؟
(يشير إلى جبين المانيكان) اشرح موقفك ! ... أنا أنتظر ! ...
وأستمع إليك : هل يمكن أن تفتح فمك ، لا ؟ تلزم الصمت ؟ تحيط نفسك بالغموض ، عالم آخر صغير ؟ شيء بسيط بالنسبة للخائن ، بالنسبة للقاتل ! ... لا أحد ! ولا حركة ! ولا صرخة ! الصراخ للآخرين ، أليس كذلك ؟ ... قطعا أنت من معسكر الصمت ، من أولئك الذين ليس لديهم من الإنسانية إلا المظهر . لا جدوى من الإلحاح ! هيا! دعنى أمر أيها الأنانى ! أيها الوغد ! . أيها الجبان ! أيها السافل ! شركة محدودة ! مسئولية مشتركة !... آه ! لا أدرى ما الذى يمنعنى ! ...

(يزيح المانيكان ويتبادل معه المكان)

العقبة السادسة

أو

الشخص فى حالة نوبان فى الجمهور

(هذا الشخص يبدو من ملامح وجهه وثيابه أنه عادى جدا غير أن صوته اللاهث ، وإلقاءه المتقطع المتدافع سوف ينمان عن إحساس رهيب بالجزع ، كأنما أصابه مس من نيران الجحيم . بمجرد أن يصبح " هو " بجواره ، يأخذ هذا الشخص فى رعشة تستولى على جميع أعضائه .

يبدو كأنه فريسة حمى شديدة تهزه من رأسه إلى قدميه وتغنيه عن الحركات)

هـــــــو : هل أصابك مكروه ؟

الشخص فى حالة نوبان فى الجمهور : لا تمسنى ! ... لا تقترب منى ! ... أنا فى خطر ! أنا أحترق !

هـــــــو : (مفزوعا)

ماذا بك ؟

الشـــخص : (وقد أخذت أسنانه يصطك بعضها ببعض)

أفظع شىء ... فى الوجود !

هـــــــو : هل أسألك عن طبيب هنا ؟

الشـــخص : (وهو يطلق ضحكة رهيبة ، مفتعلة)

طبيب ! ها ! ها ! ها ! لا يوجد طبيب لمثل هذا المرض الفظيع !

هـــــــو : أى مرض ؟

الشـــخص : ليس له اسم ! ... ليس له اسم بعد !... ولكننى أحترق ! أنا محاط بهذا الحريق !... إنه يحوم حولى ! وقد بدأ يمس ملابسى .

هـــــــو : هل أنت مريض ؟ هل تخاف من الموت ؟

الشـــخص : (وقد تملكته الحمى أكثر وأكثر)

كلا ، لا الموت ! ... ولا المرض ! ... بل أسوأ من ذلك ! هناك شىء ما من الخواء ، من الفراغ ، مجهول الاسم والهوية ، يحوم ، يحوم ، يحوم حولى ! وأنا !

سـأختـفى ! بين لحظة وأخـرى ! سـ... أخـ... تـ... فـى ! ...
ألا تفهم هذا ؟

هـــــو : كيف تختفى دون أن تموت ؟

الشـــخص : **(وهو يطلق ضحكة أخرى فظيعة)**
هيه ! ها ! ها ! هناك مائة ألف طريقة للاختفاء دون أن تموت . حينما تذوب قطعة من الثلج فى حرارة الشمس . هل تموت ؟

هـــــو : بطريقة أو بأخرى !...

الشـــخص : كلا ، يا سـيـدى ، كـلا ! لا تموت ... تـخـتـفى . تذوب إذا شئت . تذوب ! تختلط بالهواء ، بالتراب ، بالآخـرين بنوع خاص . **(صـائحا)** بالآخرين ! الآخرين ! جميعا ! هؤلاء جميعا ! **(بصوت أكثر انخفاضا)** اسمع يا سيدى : انظر إلى وجهى جيدا . أنت ما تزال ترانى . أنت تعتقد أننى السـيـد فـلان ؟ السـيـد فـلان ؟ المولود فى المكان الفلانى ؟ عُمره "س" من السنين ؟ يعمل فى كذا ؟ ... حسنا . انظر إلىّ بانتباه يا سيدى : إننى بصدد أن أصبح لا أحد ، ولا حتى رقم ، فكرة ، تجـريد . سحابة صغيرة من البخار ، مجرد " بوف"، بوه ، ززززد ! ... كنت " شخصا " ، " مواطنا " كان اسمى السيد ... السيد ... آه ! ... السيد ماذا ؟ كيف إذن ! **(وقد تملكه الرعب)** أرأيت . لم أعد حتى أستطيع أن أتذكر اسمى ، هذا الشخص ... أنا ، أنت ، هو ، أنا ، هو ، أنتم ، فلان ! ...

أوه ، أوه ، هذه عـوارض الحـالة ! هذه هى ! هذه هى الأزمة ! الأزمة النهائية ! سأختفى بعد قليل . لقد قلت لك .
سأختفى ! ... ســ... أخـ... تفى فى الجمهور ! انظر إلىّ مرة أخرى : فى ظرف لحظة واحدة ، بوف ! ... سأكون قد اختفيت فى الجمهور ، هل تسمعنى ؟ (**صائحا**)
قد ... أخـ... تـ... فيـ... تـ تـ تـ تـ تـ تـ !

(الشخص بالفعل ينسل بين المانيكانات الموجودة خلفه ، يبدو كأنها ابتلعته) .

(فى هذه الأثناء ، " هى " ، التى بقيت حتى هذه اللحظة وحدها آدمية حية ، تتحول شيئا فشيئا إلى الجمود ، كأنما قد تمكن منها شيطان الفناء ، واللاواقع ، وذوبان الشخصية الذى أصاب جارها . (ولعلها أيضا قد دارت على عقبيها بشكل غير ملموس فأدارت ظهرها للجمهور) .

حينما يبدأ " هو " فى التحدث إليها ، تدور مرة أخرى على عقبيها وتبدو فى أول الأمر غائبة ثم تعود إلى إدراكها بفعل الصفّارة)

(بعد لحظة قصيرة من الصمت ، " هو " يميل نحو " هى " ، ولكن دون أن يجرؤ على اجتياز الفراغ الضئيل الذى يفصل بينهما)

هـــــو : **(بصوت بالغ العذوبة)**
أنا بالقرب منك ! ... أنا هنا ، بالقرب منك ... اسمعينى ، أجيبينى !...

هـــــــى : **(بصـوت حلم ، دون أن تلفت رأسـها ، ونظرتها ثابتـة كأنها تحت تأثير السحر)**

من أنت ؟ أنا أسمعك من بعيد .

هـــــــو : لقد وصلت ! لقد وصلت ، انظرى إلىَّ لكى تتعرفينى !

هـــــــى : أنا لا أعرفك يا سيدى !...

هـــــــو : لقد جئت إلى هنا ... تذكرى : التكاثر ، التـزايد ، جدول الضرب !

هـــــــى : **(بمجهود ، وبلهجة فتاة حزينة تردد درسها)**

واحد ... مضروب فى صفر ... يساوى صفرا ...

هـــــــو : أُخـرجى من هذا الكابوس ! تذكـرى ! لكى أصـل إليك مررتُ " بهم " جميعا الواحد بعد الآخر !...

هـــــــى : الآخرون ؟ ... هم أنا .

هـــــــو : كلا ! هناك أنت ، هناك أنا وسط الآخـرين ، وسط " أنا " آخرين و " أنت " آخرين .

هـــــــى : لا أفهم ... أنا خائفة .

هـــــــو : عودى إلى رشدك ، يا حبيبتى . أنت تعلمين جيدا من أكون ، من تكونين .

هـــــــى : أنا لا أكون شيئا . أنت لا تكون شيئا ، لا يوجد أحد .

هـــــــو : هات يدك لكى تتعرفينى !

هـــــــى : **(فى قمة الرعب)**

لا تقترب ! الصحراء ! ... النار !

هـــــــو : أين أنتِ ؟

هـــــــى : **(صائحة)**
أنا أختفى !...
هـــــــو : ولكنك كنت فى انتظارى .
هـــــــى : إذن ، وداعا ، إذا كنت قد عرفتنى فى الماضى !
(صـوت صـفـارة يدوى . الشـخـوص يصـطدم بعـضـهـم بالبعض الآخر . وقد هزهم توقف العربة المفاجئ)
هـــــــو : **(وهو يجتاز بقفزة الفراغ الضئيل الذى يفصله عن " هى ")**
أين كنت يا حبيبتى ؟ أنا كنتُ هنا ...
هـــــــى : **(وهى تمتطى)**
لابد أننى كنت نائمة . كنت أحلم . لم أكن أعرف من أكون .
هـــــــو : **(بكل حماسة)**
والآن ؟
هـــــــى : **(وهى تبتسم له)**
أنظرُ إليك . فأتعرف نفسى : أنا أكون ، مـا دمت أنت تكون .
هـــــــو : الإنسان يمكن رؤيته من قريب . كل واحدٍ لكل واحدٍ .
هـــــــى : **(ضاحكة)**
كلُّ واحدٍ له واحدته !
(الركابُ ، وقد فُكَّ عنهم فعل السحر ، ينزلون ويختفون باندفاع)
(هو " و " هى " يمران فى بطء أمام الستارة وكل منهما يمسك يد صاحبه كما كانا فى البداية)

هـــــــــو : **(على إيقاع الفالس الذى كان فى البداية)**

واحد ، اثنان ، مجهول الهوية .

هـــــــــى : واحد ، اثنان ، ثلاثة ، هاوية .

هـــــــــو : واحد ، اثنان ، ثلاثة ، أعرف

هـــــــــى : واحد ، اثنان ، ثلاثة ، أُبعث .

هـــــــــو : واحد ، اثنان ، ثلاثة ، غرام .

هـــــــــى : واحد ، اثنان ، ثلاثة ، دوام .

(يختفيان فى الكواليس)

ســتارة

الجثمان المطوق

كاتب ياسين

كاتب ياسين

الظاهرة الأولى البارزة فى أدب الشمال الأفريقى هى أنه لا يمكن عزله عن الثقافة الغربية ، كما لا يمكن أيضا اقتلاعه من الأرض الأفريقية الإسلامية .

كان الجزائريون فى ظل الاستعمار الفرنسى يشعرون أنهم عرب ويفخرون بذلك . ومع كل فهم لا يستطيعون أن يعبروا عن ذواتهم باللغة العربية ، وكانوا يدريكون تماماً أن اللغة الفرنسية التى يتحدثون بها ليست لغتهم . وكان الجزائرى أمام أمرين لا ثالث لهما ، فإما أن يظل جاهلا بكل شىء ، وإما أن يعرف كل شىء شريطة أن يدخل المدارس الفرنسية ويتعلم لغة الأعداء . إذن فليتعلم الجزائريون لغة عدوهم ليتخذوا منها ومن ثقافته سلاحاً ضده . وفى ذلك يقول كاتب ياسين :

" إن الأدب الجزائرى المكتوب باللغة الفرنسية أدب مستقل عن اللغة التى يعبر بها ، مخلص من روابطها العاطفية والعنصرية ، فهو يعبر عن وضع معين ، روح أصيلة بها ملامح من حكمة الشعب الجزائرى وعزيمته الثورية المندفعة للقضاء على الأوضاع الاستعمارية الفاسدة ، وإحلال أوضاع جديدة وبناءة محلها . "

الظاهرة الثانية الطاغية فى الأدب الجزائرى أن البطل يلقى الصعاب ويعانى من الظلم والإرهاب ، ولكنه يتغلب عليها جميعا ولو بالموت . لأن

الموت فى هذا الأدب ليس فناء أو نهاية ، وإنما هو استمرار وبداية ، لأن البطل عندما يموت يترك وراءه ذرية من الأبطال ، وهو بموته إنما يلهب الثورة ويلقى عليها الوقود فيضطرم أجيجها .

وكاتب ياسين شاعر وروائى وكاتب مسرحى ، فرض نفسه على الثقافة الفرنسية التى أصبحت تفخر به وتدرجه فى كتب الأدب الفرنسى والقواميس الفرنسية واحدًا من ألمع نجومها.

ومن الطريف الذى يذكر أن والدته كانت تكتب الشعر ولها تجارب فى المسرح . وكانت الأم ، على حد تعبير الابن ، مسرحًا كاملا . وكان هو المتفرج الوحيد ، أو بمعنى أصح المستمع الوحيد لها .

فى يناير عام ١٩٦٣ عرضت فى باريس مسرحية " الجثمان المطوق " بعنوان المرأة المتوحشة .

وفى العام نفسه حصل كاتب ياسين على جائزة " جان أمروش " التى يمنحها مؤتمر ثقافة البحر المتوسط . وفى عام ١٩٦٧ عرضت مسرحية أخرى له بعنوان " الأسلاف يتميزون غضبا " . وفى آخر العام نفسه عرضت مسرحية " مسحوق الذكاء " فى باريس أيضا .

كتب ياسين بعد ذلك ثلاث مسرحيات : " الرجل ذو الحذاء المطاط " (١٩٧٠) ، " محمد ، احمل حقيبتك " (١٩٧١) ، " صوت النساء " (١٩٧٢) ..

الظاهرة الثالثة فى انتاج ياسين (الشعر والرواية والمسرح) هى أنه سيرة ذاتية جماعية ، لا تترجم حياة الكاتب وحده ، وإنما حياة أهله وقومه وأمته بآلامها وآمالها .

المنظر

{حى القصبة ، خلف الأطلال الرومانية . فى طرف الشارع بائع يجلس القرفصاء أمام عربته الفارغة . زقاق يفضى إلى الشارع فى زاوية قائمة. كومة من الجثث تطفى على شقة الجدار. أذرع ورءوس تهتز فى يأس . بعض الجرحى يظهرون ويموتون فى الشارع . فى زاوية التقاء الزقاق بالشارع نور مسلط على الجثث التى تصدر فى بادئ الأمر أنينا شاكيا يتجسم شيئا فشيئا ليصبح صوت إنسان ، صوت " الأخضر" الجريح }

الأخضر : هنا شارع الواندال . إنه أحد شوارع مدينة الجزائر ، أو قستنطين أو سيتيف ، أو جلمة ، أو تونس أو الدار البيضاء . آه ! إن المسافة تعوزنى لكى أعرض فى كل أبعاده شارع المتسولين والعرجان ، لكى أسمع نداءات الشخصيات السائرة فى نومها ، وأشيع نعوش الأطفال ، وأتلقى فى موسيقى المنازل المغلقة جلبة المشاغبين المقتضبة . هنا ولدت ، هنا لازلت أحبو لكى أتعلم الوقوف بالجرح السرى نفسه الذى فات الأوان لأعادة رتئه ،

وأعـود إلى النبع الدامى ، إلى أمنا البـاقـيـة أبدا ، المادة التـى لا تنفـد أبدا ، المولدة للدمـاء والطاقـة تـارة ، وتارة أخرى مختلطة بالاتقاد الشمسى الذى يحملنى إلى المدينة المضـيـئـة فى قلب الليل النضـيـر ، رجـلا قد قـتل لسـبب غـامض فى ظاهره طـالما أن مـوتـى لم يؤت ثمـرة ، كـحبـة قمح يابسة سقطت تحت المنجل لكى تتمـوج عـاليا عندمـا يأتى مـوعد دراسـهـا القـادم وهـى تضم الجسـم المسـحوق إلى ضمـير القوة التى تسـحقها ، فى انتصـار عام ، تعلِّم الضـحية فيه جلادها كيف يستعمل السـلاح ، ولا يعلم الجلاد أنه هـو الذى يكابد ، ولا تـعلم الضـحـيـة أن المادة تقبع متحصنة فى الدماء التى تجف والشمس التى تشرب .. هـنا شـــارع الوندال ، شـــارع الأشـــبـــاح والمجـــاهـدين والصـبـيـان المخـتنين والعـرائس حـديثـات الزواج ، هـنا شـارعنا . لأول مـرة أشـعر به ينبض كالشريان الوحيد المتدفق والذى أستطيع فيه أن ألفظ أنفاسى الأخيرة دون أن أفـقده . إننى لم أعد جسـدا وإنمـا أنا شـارع . لابد لى الآن من مدفع لصرعى . وإذا صرعنى المدفع فسـأظل مـاثلا هنا أيضـا ومـيض نجم يمـجـد الأطلال . وأى صـاروخ بعـد ذلك لن ينال مـسكنى إلا إذا تخلى طفل ناضج قبل الآوان عن الجاذبية الأرضية ليتبخر معى فى عطر نجم ، فى موكب ودِّى لا يكون الموت فيه سوى لعبة ..

هنا شارع نجمة ، نجمتى ، الشريان الوحيد الذى أريد أن أقضى فيه نحبى . أنه شارع دائم الغروب تفقد فيه المنازل وضاعتها مثل الدماء بمثل عنف الذرة التى توشك على الانفجار .

(سكون ، ثم صوت الأخضر يعود من جديد) .

هنا ترقد فى الظلام الجثث التى لا تريد الشرطة أن تراها . ولكن الظلام شرع فى المسير تحت الضوء الوحيد المنهار ، وكومة الجثث لاتزال على قيد الحياة وقد جالت بها موجة رائعة من الدماء ، كتنين أصابته الصاعقة يجمع قواه لحظة احتضاره وقد أصبح لا يدرى ما إذا كانت النيران ستتلكأ فوق جثته بأسرها أو فوق صدفة واحدة من الصدف الحى الذى يضىء مغارته . هكذا يبقى الجمهور على قيد الحياة بعد أن فقد رأسه فى عملية الإبادة التى تحصنه وتخلصه . هنا ، فى هذا المكان نفسه وأنا صريع فى زقاق مولدى ، يعود إلى فمى طعم مذاق قديم ، ولكنه ليس مذاق المرأة التى أنجبتنى ولا العشيقة التى أحتفظ بعضتها . إنهن سائر الأمهات وسائر الزوجات اللائى أشعر بعناقهن ، يرفع جسدى بعيدا عنى ، ويبقى لى فقط صوتى ، صوت الرجل أستعيد به كمال الجسم المذكر أقول نحن وأنزل [illegible] لأبعث الحياة فى الجسد الذى أملكه إلى [illegible] فى انتظار البعث . وحتى أصعد من [illegible]

بعد أن قتل الأخضر ، يلزمنى أن أضيف إلى المد المذكر الجزر الجمع ، حتى تدفعنى الجاذبية القمرية إلى التحليق فوق قبرى على نطاق كاف .. هنا أحصى نفسى ولم أعد أنتظر النهاية . لقد متنا . جملة غريبة . متنا مقتولين . وسرعان ما ستأتى الشرطة لالتقاطنا . أما الآن فإنه يوارينا لأنه لا يجرؤ على عبور الظلام الذى لا تستطيع فيه قوة أن تشتتنا . لقد متنا ، لقد أبدنا دون علم المدينة .. عجوز يتبعها أطفالها كانت أول من رآنا . ولعلها جمعت بعض الرجال الأصحاء الذين انتشروا بيننا مسلحين بالفئوس والعصى ليدفنونا بالقوة .. لقد اقتربوا على أطراف أقدامهم رافعين أسلحتهم فوق رءوسهم وقد راح الأهالى يراقبونهم من داخل منازلهم المظلمة ، موزعين بين الحيرة والرعب لمنظر الأشباح المنحنية على الجثث المكدسة . مذبحة كبيرة كانت قد وقعت ، وطوال الليل كله ، وحتى ضوء الصباح الذى يوقظنى الآن ، ظل الأهالى محبوسين كما لو كانوا يتوقعون مذبحتهم ويتهيئون لها فى عزلتهم مع أنفسهم ، ثم كفت الأشباح أنفسها عن الذهاب والإياب . وجلت القطط الأخيرة عن المكان . والمارة الذين كانوا ينقصون شيئا فشيئا كانوا يجزعون لحشرجاتنا ويتوقفون لحظة فى مكان الاشتباك . ولم تأت أية دورية ليلية لتعكر تأملاتهم العابرة ، لقد شعروا بإحساس جديد نحو المجاهدين الغامضين الذين مازال

موجهم يهدر عند أقدامهم . فى هذا الشارع الذى كانوا قد شاهدوه عفنا كئيبا ، حيث مجد مثل هذه المجزرة يأتى فجأة ليطيل الزقاق نحو جولات قادمة .

(نجمة ، متشحة ، تغادر حجرتها نحو الزقاق . تمزق وشاحها وخديها ، وثوبها وتنتحب) .

نجـــمـــة : انظروا إلى الصدر الضرير .
بعيدا عن الحبيب المفطوم .
لن ينضج أبدا .
ذلك الثدى الذى سوده الفراق .
لن يستطيع بعد الآن أى فم أن ينال لبنى .
إن الأخضر ينام مع غيرى .
لقد حذرتمونى .
ولقد حلمت بالإعدام رميا بالرصاص .
ولكن كان من المفروض أن يعود عند الغروب .
وكان من المفروض أن أخفى عنه دموعى وخنجره .
وهأنذى محكوم على بليل الوحدة .
أرملة لن يمسنى بشر أبدا .
زهرة عمياء تبحث عن حبيبها المختار الذى حمل بعيدا .
وسط قرابين قرية النمل التى تتردد على تتويجها .
هكذا هجرنى الأخضر ، النملة الذكر
الذى عبر العطر المتغطرس لمخدعى
ليسقط وسط هذه الكومة من الأجساد المجهولة .

حسن : منذ أن رحل الأخضر ، ونحن هنا ، دون أخبار . لم تتحرك نجمة طوال النهار . والآن تنصرف صامتة تحت جنح الظلام . نعم ، هذا هو شبحها الذى يبتعد على طول الجدار . إننى لم أسمعها وهى تخرج .

مصطفى : **(وقد نُشل فجأة من غفوته)** نجمة ! لا يجب أن نتركها تذهب . نادها .

لا تنس أن الأخضر تركها هنا ، إنه حتى إذا كان لم يخطرنا بأنها ستظل تحت حمايتنا .. انظر إليها وهى تتخطى الموتى . لا الذهول ولا الخوف يثقل مشيتها . هاهى ذى تقف أمام الزقاق المشئوم . أن وشاحها يتطاير فى الليل . إن الناظر ليظنها قاربا سكنت حركته بعد أن انقلب ليكشف لنا عن الأفق . الحق بها سريعا . ففى غمضة عين قد يغمى عليها . إن أصوب فخ يُنصب للغزالة الشاردة لا يكون فى غالب الأحيان سوى وقفة لها تجعلها فى متناول البندقية .

(حسن خرج متلصصا للقاء شبح نجمة . بعد لحظة إظلام على المسرح، تدخل نجمة ، شاردة ، وشاحها ممزق ، يتبعها حسن من بعيد تجلس فوق مقعد) .

طهار : **(بضحكة مفتعلة)** قهوتك لاتزال ساخنة .. ولكن أخبرينى إلى أين كنت ذاهبة ؟ إلى أهلك ؟ .

مصطفى : دعها تشرب . إنها بلا عائلة **(مخاطبا نجمة)** ما عليك إلا أن تنتظرى ، فأنت تعرفين الأخضر خيرا منا .

طـهـــــــار : **(وهو يعيد الكرة)** أن المرء لا يهجر عائلته من أجل مجنون كالأخضر .

حـــــــسن : **(حانقا)** أعلم جيدا أيتها الجيفة أنه لولا الصديق الغائب ما كنا فتحنا لك بابنا مطلقا . فليس هذا من أجل شعرك الأبيض .

طـهـــــــار : الأخضر ! الأخضر !.. إنني لا أسمع إلا هذا الاسم أليس هو ابني قبل كل شيء ؟..

حـــــــسن : ابن أمه : إنني أحدد هذا لك . لماذا تذكر عقمك هنا ؟ أنك لست سوى ثرثار يهذي ويخرف .

[سكون ، ثم ترفع نجمة الفنجان إلى شفتيها وهي تتحدث إلى نفسها بصوت خفيض كما لو كان كلامها نفسه لا يصل إليها) .

نجـــمـــة : لم أكن أسمع وقع أقدام الجنود . ولم ينجد هيامى اليوم أيضا فى الأماكن المحظورة التى نزحف فيها غير قادرين على النهش ، بهائم سمرتها إلى الأرض حزمة من العشب منيعة يسيطر علينا وجودها كما لو كان جزاء علينا الكفاح من أجله ، وغدا لابد منه فى سبيل الثأر الذى نعده ، دون أن ننبس بكلمة ، ودون قطعة سلاح ، ولكننا على الأقل واثقون أننا سننهزم وفى قلوبنا كبرياء من يشعرون بأنهم قوم لا يهزمون . وما دام الصديق الوحيد قد هلك ، فسأنتظره أكثر من أى وقت مضى . سأطأ التراب والدماء مثل بقرة تعدو نحو المجزرة

باحثة عن وجه شبه مفقود . كم من وجوه عند قدمى ، وكم من أشـبـاح مـتناثرة فى إثرى ولا أثر للأخـضـر . إن الأخضر يلزم الصمت غالبا عندما نناديه .

طهـار : وأنا سأفقد خير ما فى من قوة وأنا أجرى كالمسكين باحثا عن الملعون : هذا الابن بالتبنى الذى تلومونني على حبه ، أنا الأب الوحيد الذى لم يعرف سواى حتى اللحظة التى سلبتم فيها عقله بكل أفكاركم الجديدة التى لا أدرى من أين استقيتموها .. لقد استحوذ عليه رفاق يجهل أسماءهم فى بعض الأحيان ، وهاهو الآن ضائع ليس فقط بالنسبة لزوج أمه ، وإنما بالنسبة لأمه التى تركها صغيرا ، عند خروجه من المدرسة فى ذلك اليوم الذى اتفقتم فيه على الاستهزاء بالشرطة بعرض راياتكم التى لا تفهم . ومنذ ذلك الحين وأنتم لا تمارسون إلا هذا العمل . لم تعد الشرطة كافية . إنهم الآن يرسلون إليكم جنودا من الجيش . والنتيجة : هذه الجثث للشبان فى الشارع. وهؤلاء أيضا من " الرفاق " الذين نبذتم من أجلهم كل شيء . الكتب المدرسية ، وأدوات العمل ، والمنازل والعائلات لتتجمعوا أيضا ودائما فى انتظار أن يرسلكم رجال الشرطة والجنود لتلحقوا بالجثث المجهولة التى لا تستطيعون حتى دفنها ، فى حين أن أصدقاءكم ، وربما الأخضر أيضا ، يقبعون هنا تحت أبصاركم فى الشارع نفسه الذى كانوا يأتون فيه لحضور اجتماعاتكم ..

مصطفى : لقد ولدنا فى هذا الشارع ، كلنا ، وليست الشرطة هى التى ستخرجنا منه . أما بالنسبة للجثث ، فلقد رأى الشارع القديم جثثا غيرها . أنت نفسك أيها العجوز المسكين سيشهد الشارع مرور نعشك ، ونحن جميعا سنمر من هنا . ليس عدد الموتى هو الذى يثقل على شارعنا ، أنه الموت المنعزل ، موت الجبناء والقلقين من أمثالك ، أنتم معشر الآباء المتخلفين ، الذين تخونون أسلافكم . إنكم تظنون أنكم تؤمنون أعماركم المتقدمة بإرسالنا إلى الورش والمدارس التى يطردنا منها دائما أولئك الذين أصبحت سيطرتهم عزيزة عليكم ، إنكم تعجبون بالسطوة والترف وأسلحة المرتزقة التى انتصرت على أجدادنا المشتركين . لم يعد للكفاح معنى فى عيونكم .. وماذا يعنى هذا ، سوى أن نفوسكم ، نفوس الخدم ، قد دفعتكم إلى عار الهزيمة التى تتلذذون فى قبولها ، ودفعتكم إلى تغذية أحلام العبودية على حساب أولادكم اقتداء بمستعمريكم هم أيضا يعتقدون أنهم يحبونكم بسذاجة (**الفاسق دائما ساذج**) ما داموا يعيشون من نشاطكم ويشركونكم فى فحشائهم مع إحساسهم بأنهم هم أيضا آباء معلمون .. ولكنكم ستكونون آخر المخدوعين . أن أولادكم ، على الرغم منكم قد كبروا فى الشارع . لم يكن لديهم وقت ليستعبدوا ، وسرعان ما رأوكم تنفقون مع أحلامكم السعيدة . لن نعمل بعد اليوم من أجل أيام الخدم العتيقة .

طـهــــــار : فى هـذا البلد الشـؤم ، الدمـاء تسـيل كل عـشـرة أعـوام .
لقد رأيت كثيرين من الأغرار المتحمسين مثلكم يتعرضون دائما للهزيمة نفسها . ماذا فعلتم بأعلامكم ضد المدافع الرشاشة ؟
جميع المعارك تخمد بسرعة مثل نشيج الأطفال . منازلنا هدمتها المدافع . فالميليشيات والجيش يأتيان لمساندة الشرطة وهم يضربونكم ويذلونكم ويجبرونكم على العمل ويطلقـون النار على مظاهراتكم الملعـونة . وكل هذا ينعكس على الأبرياء . أمن الممكن أن يعـتـمـد عليكم الأبناء التسعة لكاتب المحكمة ؟ ، ذلك الكاتب الذى أحرق حيا بعد أن سُكب عليه البنزين لأنه راق له أن يحتفظ بجرائدكم ومنشوراتكم .

حــــــسن : يبدو أنك تتلذذ بتوجيه هذا اللوم إلينا .

مـــصطفى : دع الغراب ينعق . ليس هو الذى يثير قلقى .. قل لى يا حسن ، هل تتذكر ذلك الشاب الذى عاقبته المحكمة العسكرية بتهمة " إلقاء نظرة مهينة على موظف فى أثناء تأدية وظيفته " .

حــــــسن : نعم ، أتذكر . لقد كان فى زنزانتنا بعد الهروب .
قال لنا : " لماذا نبقى فى هذا البلد ، إذا كان الثأر مستحيلا ؟ "

طـهــــــار : عندئذ غادر معظمكم البلد ، وسافرتم إلى فرنسا ، وأكلتم على مائدة أعدائكم، وتكلمتم لغتهم وارتديتم زيهم مع

أنهم أطلقوا عليكم النيران فى الخفاء وأنتم ترتدونه ، أما أنا ، فقد كنت أشرب وألهو مع النساء ، ولكننى ظللت فى بلدى ، ولذلك فلم أكن جنديا ولا عاملا فى المصانع المشهورة هناك . أننى أستطيع بدورى أن أتهمكم بعدم الوفاء ، إن لم يكن بالخيانة . هاهما عامان قد مضيا منذ عاد الأخضر من باريس ، ولم يأت لزيارتنا مرة واحدة . وأمه تقف كل يوم فى النافذة على أمل أن تراه يمر ، لم أعد أشتهى الشراب والطعام .

حسن : الشراب على وجه الخصوص . إن رائحة النبيذ الآن تصيبك باشمئزاز غريب .

طهار : هذا يحدث لى منذ اعتدت الصلاة . فكرة أخذتها عن تاجر أمين . أنك لا تستطيع أن تتصور معنى أن تبلغ المئذنة فى ملابس ناصعة البياض وجسد طاهر .

[يدخل رسول من الحزب]

الرسول : السلام عليكم (**يجلس ويقدم سجائر**) .

طهار : ما الأخبار ؟

الرسول : (**دون أن يلاحظ حركة الارتياب التى يبديها مصطفى**) : الهدوء مطلوب . إنهم يريدون أن يعرفوا مدى قوتنا عن طريق القيام بهجمات جديدة .

حسن : سيقولون أن بعض الأوروبيين المسالمين قد هوجموا ..

الرسول : لقد اكتشفوا أماكن لقائنا الرئيسة وأصبحت تحت المراقبة . لم يبق إلا أن نختبئ ، ولكن علينا ألا نعرض

أنفسنا للقبض علينا . فإذا اختفى جميع المسئولين مثل الأخضر وكثيرين غيره فسيفقد الحزب عنصره الجوهرى .

حسن : **(مشيرا إلى نجمة الواهنة)** : أننا لم نقرر بعد اعتبار الأخضر مختفيا .

الرسول : عليكم أنتم أن تعثروا عليه .

مصطفى : كيف نبحث عن الأخضر إذا كانت الأوامر تقضى بأن نظل مختبئين ؟ أننا لا نعرف ما إذا كان بين الضحايا . ألا يخطر ببالكم أن الشرطة قد تركت الجثث فى أماكنها بهدف واحد هو إيقاعنا فى المصيدة ؟

الرسول : **(تاركا المقعد)** : ربما **(يخرج)** .

نجمة : **(وهى تنهض فجأة)** : سأعود لزيارتكم .

طهار : إنها مجنونة .

حسن : صه !

طهار : كلٌّ مسيَّر لما كُتب له . لماذا تخرج ؟ كل مسيَّر لما كُتب له .

مصطفى : دعها تفعل . يجب عليك أن ترافقها .

[نجمة تخرج ، يتبعها طهار آسفا] .

حسن : أتقول إنها كانت على خلاف مع الأخضر ، صبيحة يوم المظاهرة ، ظروف غريبة . إننى على يقين من أنها تعتقد أنه مات دون فائدة ، لمجرد أنه لم يعد يريد أن يراها . منذ قليل ، عند خروجى لأول مرة ، تساءلت عما إذا كانت لم تر الأخضر طريحًا فى الزقاق . ألا تظن أنها تخدعنا خشية الإفصاح عن آلامها ؟

مصطفى : لا شىء تود المرأة أن تنفرد به مثل حدادها .

حسن : ويأسها ، هل ترى أنها تأبى أن تخلطه بيأسنا ؟

مصطفى : وعلى فرض أننا نجهل ما قد رأته بالتأكيد ، جليا كما رأيناه ، فهى تعتقد أنها تتجنبنا ..

حسن : ... وهى فى الوقت نفسه تكتم الحزن الذى لن تتحمله ، إذا ما تحدثنا بطريقة مكشوفة . ولكن كيف هجرها الأخضر ؟

مصطفى : لقد قضينا الوقت فى إعداد المظاهرة ، وفى الفجر شرع الأخضر فى إتيان أعمال عظيمة ، كان يريد إغلاق الباب ، وتسريح رجال المقاومة والتكفل بأداء المهمة كلها . وأخيرا لم يبق سوانا نحن الثلاثة : الأخضر ، ونجمة ، وأنا . كنا نجاهد للتغلب على النوم كما لو كنا قد أحسسنا بأن هذه المظاهرة لن تنتهى كغيرها من المظاهرات . كانت نجمة تقف على حدة ، ولكنها لم تكن تبدو غاضبة . كنت وحدى فى بعض الأحيان أقترب منها وأحدثها . وكان الأخضر قد شرع فى الكتابة . وأخيرا نهضت نجمة لفتح الباب ، وانقضَّت الشمس فوق رءوسنا ، بسرعة النحل المتجمع ، وكنا نرتعد تحت لسعاتها الطفيفة ، ونحن لم نزل مثقلين من تعب الليل . كنت أنا ونجمة ، قد اقتربنا من الباب لاستنشاق هواء الربيع ، وظللنا مأخوذين بالفجر وحرارته دون أن نجرؤ على قطع هذا السحر . وإذا بصوت الأخضر يردنا إلى الواقع حين

قال : " لا شيء يدعو للحزن " كانت النافذة مفتوحة . وكانت نجمة مائلة فى نور الشارع وعبير الصباح ، فهمس لها الأخضر مرة أخرى " لا تغضبى " وابتعد وهو يوصينى بتنظيم النوبة والاطمئنان عليها . حينئذ فقط أدركت أنهما خارجان من مشاجرة ؛ من الطريقة التى كانت تنظر بها إليه وهو يرحل بعين قاسية وحزينة .

[عند خروجها تلمح نجمة الأخضر بين الجثث . لقد نهض بمشقة . ثيابه ووجهه ملطخة بالدماء . يترنح فى الشارع كالمجنون . نجمة تظل صامتة محدقة النظر دون أن تقوى على التقدم خطوة واحدة] .

الأخضر : إننى أجد نفسى مرة أخرى فى مدينتنا . إنها تستعيد شكلها فى ناظرى . إننى ما زلت أحرك أعضائى المحطمة ، وشارع الواندال ينتهى أمام عينى كأنه تحت عاصفة ، قبل دقيقة معينة ينهار فيها الليل وسط الأحجار ، فى صدر الحشرات التى ينبشها الريح والجليد حتى الصباح . حينئذ قام حائط ضخم بين المدينة الكبيرة وبينى . إننى أخرج أخيرا من هذا الموت العنيد ومن هذه المدينة الميتة التى أنا مدفون فيها .

[طلقات نارية بعيدة ، غير حقيقية يرددها الصدى] .

فوق شجرة هائمة جاهدت عائلتى الثرية ، الثرية بالدم وبالأصل ، القبيلة ذات الضريح الخالى التى عاشت قبلى فى عطر البن المحمص ، جيراننا لم يعطوا شيئا منه على

الإنطلاق ، " لزهرة " تلك الأم التى لا أجرؤ على رؤيتها مرة أخرى دون أن أنقذها من الرجل المتعاجب الذى تزوجها ، فى غياب أبى الحقيقى الذى قضى نحبه فى حادث سيارة ، كان يركبها مع عاهرة ، هذا الأب الذى كانت ميتته الفظيعة هاوية من المهاوى التى ابتلعت بقايا القبيلة ، ذلك الميت الذى لا يذكرنى بأى شىء إلا بقسوة القدر ، ذلك الميت الذى يتركنى مروره العابر بعيدا ، بعيدا للغاية ، سمكة ميتة خلقت بطريقة غير ملموسة وراء أحشاء الأم ، ولدت مرة ثانية عندما خرجت فى عملية الهضم الكئيبة لسمكة القرش التى عبر هيكلها المشرف على الفناء بعد أن اجتاز فكيها الواهنين : وهكذا فإن ميتتى تجتاز ميتة أخرى أبوية قبل الأوان ، ولم أعد أملك سوى زوج أب لتحويل أمى "زهرة" عن لحدى القريب ، ولم أعد أملك سوى الأصدقاء الذين ستذهب إليهم " نجمة " الحبيبة المبعدة . وهأنذا صريع مرتين ، ولكننى وحدى أنهض ، أشبه بالتماثيل التى تبعثها الزلازل ، أزعزع العوالم وأهزها فى نوبات غضب بارقة ضد الدناسة العمياء ، دناسة الزمن ، ودناسة الموت ، ودناسة النكبة التى لا شىء يخلص منها عقولنا الباقية ، إلا ربما اللحظة التى حانت لى أخيرا ، لحظة بلا ديمومة ولا عودة يختبر المرء فيها قوته مع حشود لا حصر لها عند مخافر القدر الأمامية . أوه ! يا لسمكة القرش التى فقدت

سرعتها قرب السابحين المبهورين ، كذلك تكون عبقرية الموتى متخلفة عن تاريخى ، الآن وقد جئت على شاكلة الحجارة أموت فى الشارع ، وقد راح الزمن يضرب الأرض بقدميه ، وقد أعارنى شكلا أخيرا دون أن يقوى على أن يتغير معى أو أن يرفع القناع عنى ، الآن وقد انبرى الزمن ينازع الموت ذاكرتى المبعدة عنهما ، لم يعد هناك توقيت يمكن أن يكون توقيتى ، ودمائى المراقة لن تعرف لها بعد اليوم مقياسا ، ولا رواجا .

[طلقات نارية]

إننا لم ننف بعد من أرضنا ، ولكننا فقط هزمنا فى الشارع ، حيث أنا بمفردى ، وعلى الرغم من السفاحين ، أحبو لا ميتا ولا حيا ، مهملا بلا عناية بواسطة قرار حكم أصدره الربيع ، فى رائحة دغل محطم ، شأن القنفذ الكبير وقد تخلى عن المقاومة ، يتذوق فى وكره ألم الطلقات الضائعة ، وهو يبلل فى هوادة تربة احتضاره الذى ليس إلى نواله من سبيل .

[طلقات نارية]

وحيد وفى ظلى تحوم النداءات الخطيرة لمدينتنا التى هجرت ببسالة ، وقد غزاها كياننا كله ، المدينة الشابة أبدا ، والتى تحتفل بالعيد على مشارف الخرائب .

[طلقات نارية متتابعة تستمر وتنتهى بسكون جديد يلقى فيه الأخضر بهذيانه ، وسينتصب بكل قامته ليلقى ، فى

بطء ، وكلمة كلمة ، الفقرة الآتية التى يستعيد فيها رشده] .

إننى أسمع ضوضاء الدماء تعيش ، وأعثر على صرخة أمى وقد جاءها المخاض . إننى أسمع القبيلة تعيش تحت ريح السَّموم التى بلغت عروقى ، وأرتفع عند الغروب نحو أشجار الحور العتيقة التى يهتز قوامها ورقة ورقة وفق اكتساح نباتى لا يمكن التصدى له ، اكتساح يذكرنا فى الليل الذى يسير قدما ، بفرسان نوميديين تفرقوا عند المغرب ليجددوا حملاتهم .

[طلقات متتابعة وعدو جياد ، عدو جياد وطلقات متتابعة . سكون يبعث من جديد] .

وأخيرا فلكى أقيم سياجا من هذه الأكداس الرهيبة من الزمن حول القلب المدمر الذى يتلقاها ، فإننى أصبح ، لا عن تصنع ، وإنما عن عناية - أصبح ذلك الرجل العنيف الذى لم يكف عن التعدى على الأشباح .

[الأخضر يتطلع حوله ، متخليا شيئا فشيئا عن هوسه ، ويستطرد بنوع من السخرية]

إن ثقل الخزائن موجود فى الأيدى المتقلصة التى تحبسنى فى الجبانة ، ومدينتنا المنهارة لم تعد سوى بهجة للحياة مع الجدران .

[الأخضر يترنح على شفا الجنون فى قهقهة صفراوية] .

نجمة : **(وهى تعدو نحوه)** الأخضر !

[ولما كان الأخضر يوشك على الانهيار ، فإن نجمة تسنده . إنها تساعده فى الاتكاء على العربة . البائع ينام نوما عميقا . الأخضر يعود إلى مناقشة نفسه فى هلوسته] .

الأخضر : الرجال المتروكون يلقون فوقى بأيديهم المكبلة فى سلاسل مهولة تأتى ، على ما أرى ، من أجساد تترصدها النتانة ..

نجمة : لا أريد أن أسمع !

الأخضر : إننا جميعا فى هذه المدينة التى لا يطيقها الأجانب ، لا نطرد أحدا على الإطلاق . أى فاتح بوسعه أن يطعننا مرة أخرى ويخصب بدوره قبرنا ، وهو يُعلم يتامانا لغته ، وهو مستقر فى أمان مع ذويه دون أن تزعجه احتجاجاتنا ، الاحتجاجات التى تصدر من العالم الآخر .

فلا أحد يمكن أن يسمعنا . وليس هذا من عدم الصراخ .. إننا لم نكف عن أن ننادى بكل قلوبنا هذا المنفى الذى نعيشه مكانكم ، فوق قبرنا ، أرضنا السليبة .

أمن الممكن أن تكون هذه خديعة ؟

نجمة : (**تغلق فمه بيدها الممدودة**) أنا لا أسمع ! أنا لا أسمع ! .

الأخضر : (**وهو يجاهد ليعود وسط الجثث**) : دعينى كروح تقطع آخر روابط الأموات ، أخفى هذه العقول التى تمزق بعضها فى زهور تخالف أوانها فوق أرضها المحرمة ، أوه أيتها الزهرة المضطربة قرب الرحيق المتقيأ ، يا حزمة العقول المظلمة التى اجتازها فى جماعات كل هذا النحل من الرصاص الذى يستقر فى رءوسنا .

نجمة : لا أريد أن أسمع ! .

الأخضر : انصرفي ، فلنفترق دون إجهاد قلبينا القاسيين . إن الروح وحدها تكفي لعبور العالم ، مع أننا نادرا ما نتحدث عند النفس الأخير . إنني أصمت . إنك على طرف لساني ساخنة تماما ، وأنا أجدف في سكون لكي أبلغك في سحبة جزر . صدرك كشعب البحر يوقف حركتي . إنني أسبح بالكاد ، بأذرع مقيدة ، نحو نعاس الكهف . والآن آتي لأرد لك الروح . إن الطوفان لم يعد يجذبني . إنني أفضل على النعاس هبة الكلام ، بشرط أن تسنديني . ولكن شواطئ جسدك ليست سوى مهاو ساحقة . إنني وأنا مصاب بجرح مميت «أرسو» يكفيني أن أرفع صوتي حتى تصيبني الخيانة.

نجمة : لقد بحثت عنك في أعماق الكهوف ، وعرفت في مصادقة القتلة صيد القنفذ . لقد كنت دائما تفقدني .

الأخضر : نعم ، لقد أمضيت أيامي في خندق ، أرصد أولئك الذين لا يسقطون في فخاخك . كانوا يسيرون فوق صدري ، وكنت أنت تتسنمين ، وكنت تموئين عند رؤية شواربهم . فإذا صدر عني رد فعل ، كان تمردك يجرفني إلى مساقط جديدة يستغلها كل غريم فيفرض نفسه في قفصي . وهكذا كان لابد لي أن أقاسمك رذائلك وأن أتخلى حتى عن العذاب .

نجمة : تكذب . ما هذا العذاب ؟

الأخضر : إن سوء التفاهم هذا يمنحهم كل أنواع الشجاعة . وأنا وحدى كنت أستطيع أن أبدد جهلهم . وكان المنافسون يهيجون ، وهم يبكون فى بعض الأحيان فوق لحدى . ولم يكن بوسعى أن أنسل منهم . ولا أن أواسيهم ، أنا الذى كان لا يزال يحمل مخلبك . وفوق ذلك فإن صوتى كان يثقل العبء ، بحيث أن أية لعنة كانت ترفع من قدرك .

نجمة : (حاسمة وشاردة) مجرد أزمة غيرة .

الأخضر : ولكننى لو كنت أبطلت السحر ، لكانوا قد رضوا بأن يرونى أهجر مضجعك الفاتن ، ولأثارونى ضدك . عندئذ كانت تظهر لى قمة العذاب . ولكننى لم أشأ أن أبلغ مستوى ارتفاعك ، إذ أدركت أن الفراغ كان فى النهاية .

نجمة : أنك لم تشأ أبدا أن تتم غزوى . تذكر ذلك الصباح الذى هجرتنى فيه تاركا وراءك سخريات بدلا من الوداع .

الأخضر : فى ذلك الصباح كان الجنود فى المعسكرات ، على أهبة الاستعداد للتدخل، وكان المنظمون عندنا يجهلون ذلك . كنت أعرف فقط أن الشرطة ستأتى آخر الأمر . وكنت أنتظر رجال مكتب النظام ، وكانت الفرق الأولى قد تمت محاصرتها ، والشعب لا يزال يأتى إلى شارع الوندال . كانت لحظة الانتشار فى الشارع الكبير . وفى الليلة السابقة كان رجال الشرطة قد استقروا فى بعض المنازل . كنا جميعا متعبين . ومن إحدى الشرفات ، خرجت

الطلقات جزافا ، كان الجمهور قد ضاقت حلقاته . وكنا نتخذ من كل شيء قذائف ، ولكن لم تكن لدينا أية حماية . ووصل الجنود فأطلقوا النيران بعنف ، فإذا بى على الأرض مع مذاق قديم فى فمى ، فاقد السمع ، فاقد الإحساس ، ولكن عينى لا تزالان منفرجتين . ثم شرع الجمهور فى الرقص ، ولم تخرج من صدرى أية حشرجة ، أو على الأقل لم أسمع حشرجة صدرى كما لم أسمع حشرجة الجرحى الآخرين ، فلقد كان هناك رصاص فى جسدى وضوضاء فى المدينة ، كان يلوح لى بكل بساطة أن الجمهور قد شرع فى الرقص . لم يكن هناك ما يدعو إلى الحزن . ومن جهة أخرى ، فقد كنت أحمل بعض السجائر . إن المستنقع الذى كنت أرقد فيه لم أكن أراه .
كان الجو جميلا . لم تكن المظاهرة قد انتهت . كان يبدو لى أن الجنود من عالم آخر . أما رجال الشرطة فقد نسيتهم . ولكن الجمهور كان ينقص . عندئذ شعرت بضعفى .

{لحظة . ظلمات . شبحا الأخضر ونجمة . طلقات نارية . أوامر ، أنات . عويل من الجمهور الذى أسكرته مذبحته نفسها . جلبة . عراك . ضوء . المنصة خالية .
البائع ، بمفرده يجلس القرفصاء أمام شجرة البرتقال . الوقت الليل . نجمة ومصطفى وحسن يظهرون ، وهم يختفون من منزل إلى منزل } .

مصطفى : لا داعى للذهاب أبعد من ذلك . لن نعثر عليه .

حسن : لقد اختفى فى أثناء العراك الثانى .

مصطفى : **(بلهجة قاسية)** كان يجب الاعتناء به ، ثم حبسه فى المسكن . ولكن لا نتركه هنا .

نجمة : أنا لم أتركه ! فعندما سمعت طلقات النيران والصراخ ، أخذته من ذراعه . كان متكئا هنا **(نجمة تشير إلى شجرة البرتقال)** توسلت إليه أن يتبعنى . فلم يجب . سمعنا بالقرب منا جماعة من الرجال المسلحين . فتوسلت إليه مرة أخرى ، وصرخت فيه بأن يذهب إلى أى مكان إذا كان لا يستطيع أن يتبعنى . لكنه كان ما يزال يهذى ، وهو يحاول أن يقف على قدميه . وفى هذه اللحظة ابتلعتنى الجماهير التى كانت تفر من الرصاص . وسقطت . ثم نهضت ، وسقطت مرة أخرى . كان الرجال يتطاحنون من حولى ، وهم يقلبوننى فى طريقهم ، كما لو كانت رغبتهم الأخيرة هى أن يسحق بعضهم بعضا فوق جسد امرأة مجهولة .

مصطفى : **(بلهجة أشد قسوة)** نحن نعرف هذا جيدا : حتى تحت الرصاص ، فإن المرأة تجد نفسها فى بؤرة النزاع . بهذه الطريقة فقدت الأخضر . وذات يوم ستفقدين أصدقاءه إذا لم يكن هذا قد حدث فعلا .

حسن : **(ليحول غضب مصطفى)** إن هذا البائع موجود هناك دائما . فلا شك أنه قد رأى الأخضر .

البـــائـع : [**يقتربون من البائع . حسن يهزه دون مراعاة**] .
(**مذعورا**) اللعنة على الكافر الذى أيقظنى . أوه ! عفوا .
لقد ظننتكم جنودا .

حـــســن : ألم تر الأخضر ؟

البـــائـع : يوجد فى بلدنا رجال يدعون بهذا الاسم .

حـــســن : أنه صديق . الناس جميعا يعرفونه .

مـصـطفى : (**حانقا ، وهو يقترب أكثر**) ليس هذا وقت المزاح ،
أخبرنا إذا كنت رأيته.

البـــائـع : كلا . لم أره .

مـصـطفى : حقا ، أولا تعرف رجالنا ؟ طوال الوقت فى الشارع
ولا تعرفهم ؟

البـــائـع : (**مفزوعا**) أنا لا أعرف سوى عملى وأولادى .

مـصـطفى : ماذا تعمل فى هذا الشارع ؟ ألا تحادث أحدا ؟ .

البـــائـع : آه ! يا إخوانى ، أنا لا أعمل بالسياسة . فما عسى
يفيد هذا ؟

مـصـطفى : هناك من يفيدهم هذا . الشرطة أيضا ، هذا يفيدها .

البـــائـع : إخوانى ، عندى سبعة من الأبناء . أكسب قوتى بقدر
ما أستطيع .
أمن المحظور أن يكسب المرء قوته ؟ .

مـصـطفى : تعتمد على رجال الشرطة ؟ يتركونك تكسب قوتك ،
ماذا تعطيهم فى مقابل ذلك ؟ .

حـــســن : سأخبرك بما تعطى لهم ، أتحب أن أخبرك به ؟

البـــائـع : **(وقـد جن جنونه)** إخـوانـى ، إن عنـدى سـبـعـة من الأبنـاء . لـو لـم يـكن الأطفال جـيـاعـا لكبـروا بسرعة ، ولتحررت البلاد .

مـصطفى : إذا كنا جميعا مرشدين ، فقد يكون هذا وسيلة للتخلص من الفاقة ؟

نجـمـة : فلنتركه . أنه ليس سوى عجوز ضعيف .

مـصطفى : إذن وأنت نائـم ، تقـوم بهـذه المهنـة ، مهنـة الكـلاب ، **(مصطفى يجلس القرفصاء بالقرب من البائع ويضيق عليه أكثر)** تفكر طبعا فى الحاكم ؟ لديك أحلام مليئة بالأنين مثل أنين الكلاب ؟

البـائـع : **(منبطحا)** سـامحونى ، لقـد ظننتكم من الأعداء . كل إنسان يخطئ . كان صاحبكم مجروحا .

حـسـن : **(وهو يقترب من الجهة الأخرى)** إلى أى مكان لجأ ؟

البـائـع : **(مشيرا إلى نجمة)** هذه المرأة رأته . لقـد تحدثا معـاً بالقرب من عربتى دون أن يلاحظا أنـى قريب منهمـا . ثم كانت المعركة الثانية . لم أر شيئا ، أقسم لكم أنى لم أتوان فى حزم أمتعتى .

[ظلام . طلقات متصلة من الجونج . ضوء . الكومندان يثرثر مع ضابط آخر ، وهو يشير إلى خريطة أفريقيا ، المعروضة على الشاشة] .

الكومندان : ... انظـر إلى تاريـخ " نومـيـديا " . إنهـا اليوم شـمـال أفريقـيا ، مـع فـارق بسيط وهو أننا حللنا محل الرومان

فى مراكز القيادة . قديما ، لم يكن من السهل هزيمة فرسان " نوميديا " . أما اليوم ، فلدينا الطيران والبلاد مقسمة إلى ثلاثة أجزاء . ولكنها دائما بلد واحد . لن ننجح فى ابتلاع سكانها ، حتى بعد أن نقلنا عددا من المستوطنين لم يصل إليه عدد فى أى إمبراطورية أفريقية . فى تونس والمغرب وهنا أيضا ، الرجال أنفسهم ينقلبون ضدنا . أنهم يعاودون الهجوم متدفقين من القرون الغابرة ، وهم يُقتلون فى المعارك ليظهروا من جديد ، نوميديين يلوذون بالفرار ولكنهم يوحدون صفوفهم للقيام بهجمات أخرى ...

[الضوء ينتقل جهة الأخضر المغطى بالتراب والكدمات ، فى مواجهة مارجريت] .

مارجريت : هل هوجمت ؟

الأخضر : من العسير أن نقول ذلك .

مارجريت : لقد " فرملت " بالضبط أمام جسدك . كنت وحدى إلى عجلة القيادة . لك حظ ... لقد " فرملت " فى الوقت المناسب تماما . لقد تحركت أنت وسمعت أنا بعض الكلمات الفرنسية ...

الأخضر : لابد أن الأمر اختلط عليك . فقد كان هناك جرحى آخرون .

مارجريت : كلا ، أنا متأكدة . كلماتك كانت غير مفهومة . لكنها كانت بالفرنسية .

الأخضر : (**خجلا**) هذه نتيجة ذهاب المرء إلى المدرسة ...

مارجريت : ماذا تقول ؟

الأخضر : (**مستدركا**) لا شيء .

مارجريت : لقد تجشمت العناء فى نقلك . لحسن الحظ أنى ممرضة . أحب أن أعالج الناس لكنها ليست مهنتى . والدى لا يريد لى أن أعمل . يقول أن مرتبه يكفى . فى باريس كنت أقوم أيضا ببعض الخدمات الطبية . أما هنا فالوضع بالغ الدناءة ... المهم أننى أوقفت النزيف .

الأخضر : وأنا اشعر بتحسن .

مارجريت : إذا سمحت ، فإنى سأخطر والدى وسيطلب إحضار عربة إسعاف .

الأخضر : تعتقدين أن والدك ...

مارجريت : إنه ضابط .

[الأخضر يذعر . مارجريت تحدق فيه باهتمام قبل أن تستطرد بصوت خفيض] .

مارجريت : أنت أجنبى ؟ كلا . أنت عربى . أرى ذلك الآن ، وأنا أنظر إليك من قريب . يبدو أن دمك عربى .

الأخضر : نعم ، دمى عربى .

مارجريت : (**وهى تفكر**) غريب ... الآخرون ، لا أستطيع أن أراهم . أنهم قذرون .

يظنهم الناظر قملا . أنت لست مثلهم . تمدد فوق سريرى .

الأخــــضـــر : سأنام عند رفاقى .

مــارجــريت : سأتركك . تنام فوق سريرى .

[مارجريت تخرج . تدخل نجمة] .

نجـــمـــــة : سامحنى . أصدقاؤك يبحثون عنك . لقد رآك البعض تنزل هنا .

الأخــــضـــر : أنت أيضا ، تراقبينني ؟ هل أنا عبد أو طفل ؟

نجـــمـــــة : من بعيد جدا تبعتك . ليست أنا التى ستقوم على حراستك . لا تزال ترقد غارقا فى نظرتك أنت ، لو صح أن نسمى العنكبوت الذى يجرى فوق جبينك نظرة . إنى أقتفى أثرك بينما أنت تعمينى وتضربنى . أن روحك القاسية تثقلنى ، وأنا أرتدى الحداد ، ولكنك لم تمت إلا من أجلى .

الأخــــضـــر : أبدا لا نفقده .

ذلك الحبيب الذى

تأتى لفحة جديدة

فتواريه التراب فى غير وقته

محروثة بعيدا عن خطوط حقلى

أقدم إلى نيرك الوحدة

وغيابى سيجعل هجرانك يزدهر .

نجـــمـــــة : فى احشاء ذاتى

ألقيت بذرتى بلا عودة

وهاأنت ذا تنبذ

سحابة تفجرت كان ماؤها منيتى

الأخضــر : وكجوال على ظهره

أقوم بالتسميد مختلطا بك

وأغمرك بفم مخيط

مفعماً بسحابك المطر

وكجوال على ظهره

أقوم بالتسميد مختلطا بك

أيتها الرفيقة التى لا يمكن التنبؤ بها ، أيتها الأرض التى أرهقها قمحها اليابس الذى ألقى على الأرض عنوة .

نجمـــة : أنا التى رأتك والمنجل يقطعك .

الأخضــر : ولكننى سأخرج من صومعة الغلال

ولن تعرفى بعد ذلك .

أى هجمة قديمة تغطيك

وسينسى

عريك

الشتوى !

أننى أسحب روحى إلى الموت الذى ينسى نفسه

فلتخلع ثياب عرسها

تلك الساحرة التى هى القدر

ولتهلك عذراء حول النيران !

ولتظهر دون جدوى

سقوطها الهادر

في أعماق المغارات العرسية !
الحب ، والموت والروح :
ندم طمره الأسلاف
الأسلاف الذين يفضحون حياتهم
كوباء استعر في زمن القحط
في معسكر عشاق مغمورين لا يستطيعون أن يتعرفوا
على أنفسهم دون أن يحرقوا آخر عبراتهم في صراع
تشعر فيه روح الخصم أنها وحيدة ! .

[يدخل حسن ومصطفى] .

مصطفى : **(مشيرا إلى الأخضر)** هاهو ذا حي ، بل ويثرثر .

الأخضر : انتظر . .

[تدخل " مارجريت " ، مذعورة أمام المجاهدين] .

نجمة : لا تخشيْ شيئا . سننصرف نحن .

الأخضر : **(متأثرا)** إيه كلا ! لنبق معا **(مشيرا إلى مارجريت)**
إنها من باريس .
إن المرء وهو في بيتها يشعر كأنه قد اجتاز البحر .

مارجريت : سأغلق الباب .

نجمة : **(متألمة)** لا تحملي نفسك كل هذا العناء .

مصطفى : **(بصوت من أتى ذنبا)** العناء قد وقع .

[خمسة كشافاتْ تنتشر فوق المنصة . الكشاف الأول يظهر بجلاء وجه الأخضر المتورم الذي تحدق فيه مارجريت ، وهي مأخوذة ، في نور الكشاف الثاني ،

كاشفة عن هذا الحب الجديد الذى تفتح دون علم المصاب. الكشاف الثالث يبين الإغراء العاجز لنجمة التى تبدد نظرتها المريرة رقة الغريمة . الكشاف الرابع يتأرجح مع النظرة المزدوجة التى ينقلها مصطفى بين نجمة والأخضر ، الأخضر الذى بدأ يكره ، ونجمة التى تدفعه إلى اليأس الكامل . الكشاف الخامس ينطفئ أولا على حسن ، المنزوى قليلا ، منفردا ومتضامنا فى الوقت نفسه . مصطفى ومارجريت ونجمة يدخلون بالتوالى فى الظلام . الكشاف الأخير ينطفئ على شفتى الأخضر فى اللحظة التى يبدأ فيها الكلام } .

الأخضر : (**رافعا الكلفة**) هل لديك شراب ؟ أعطنى أى شىء .
ستشربون معنا .
سيتم ذلك بلا ضغينة .

[مارجريت تحضر شرابا . يشربون فى صحة الأخضر]

حسن : جراحك ؟

الأخضر : كلها جديدة .

مارجريت : لقد نزف كثيرا .

نجمة : ستملئينه كالقربة .

مصطفى : (**غيورا**) لقد أصبح فاقد الإحساس ، أشبه بتلك الأشجار التى تمزقها مناقير اللقالق حتى العظام .

الأخضر : (**وهو يميل فجأة ناحية مصطفى**) اللقلاقة نفسها (**مشيرا إلى نجمة**) تضربك بمنقارها . ولكنى مرتاح .

نحن إخوان . أن الغربان لا يمتهن بعضها البعض ...
والآن أخبرنى ، أين رجالنا ؟

[مصطفى ، مغموما ، لا يجيب . صمت . حسن هو الذى يجيب] .

حسن : لم يعد سوانا فى المنطقة . لابد من إعادة تجميع الرجال . منزلنا واحد من المنازل النادرة التى لم تهاجم ، الجرائد تقول إن حالة الحصار لن تستمر . لكن الرجال المشتبه فيهم ، بين الثامنة عشرة والستين ، أبعدوا عن المدينة فى مواكب عسكرية ...

الأخضر : **(مخاطبا مارجريت)** فما رأى أبيك فى هذا ؟

مارجريت : **(مفكرة)** أنه يقوم بالتنفيذ .

مصطفى : نعم ، إن المستوطنين هم الذين يقررون . لقد توصلوا فى باريس إلى أن تكون السلطة مقسمة إلى حد ما بين الميليشيا والجيش . والحاكم نفسه مشلول الحركة . من الممكن أن ننتظر أى شىء .

الأخضر : هل نستطيع أن نقدر خسائرنا ؟

مصطفى : أنا لا أرى سوى ثلاث فئات : الضحايا ، الأسرى ، الفارين . الأمر لا ينتهى أبدا . فى الجهة الأخرى من القبر ، تتكاثف الظلمة الحالكة . أنهم يحيكون بعض المؤامرات ، مع أن فترة الإنذار قد انتهت .

الأخضر : بأيديهم هم سيقضون على انتصارهم ، خوفا من العقاب .

مـارجـريت : لا تتعشموا أن تعارض باريس الجيش .

مـصطفى : نحن نعرف سلطان المستوطنين . ذات يوم سيذهبون لإرهابكم فى فرنسا .

أنهم من الآن يتحرشون بكم ، ويخادعونكم ، ويسيطرون عليكم . إنهم مرتزقتكم الذين لا تقف قوتهم عند حد . سينقلبون ضدكم ، فى قمة العجرفة الذليلة .

مـارجـريت : (**مذعورة**) اخفضوا أصواتكم ... من مكتبه ، يسمع كل شىء .

مـصطفى : من ؟

مـارجـريت : أبى !

[مصطفى والأخضر يتبادلان النظر . عند صيحة مارجريت ، الباب يفتح، يطير حطاما تحت حذاء الكومندان ، الذى يصرعه حسن فى الحال وهو قريب منه . تنقضى لحة ، مارجريت تتردد ، ثم تتخذ مكانها بجراءة وسط المعمعة . تتخطى جسد أبيها لتقبض على الأخضر الذى يقاوم مذهولا] .

مـارجـريت : بسرعة ، لنحملهما كليهما . إن السيارة أمام الباب .

[مارجريت تحمل الأخضر ، الذى يكف عن المقاومة . يغادران المنصة يتبعهما مصطفى الذى يحمل جثة الكومندان . حسن ونجمة يظلان وحدهما] .

حـسـن : (**وهو لا يزال تحت تأثير فعلته**) إنه أبوها فعلا .

نجـمـة : لا يهمنى .

حسن : أنت مخطئة إذ تكرهينها . هى ليست سوى أجنبية ، مجرد فتاة مغتربة ، عاطلة ، كتبت عليها حياة الثكنات ، تخنقها روح طبقتها بالقرب من أب مجرد من الشفقة . إن وحدتها ألقت بها بيننا كمن تمشى وهى نائمة . إنها تنضم إلى الشباب كما ينضم المرء إلى العدو ، سائرة فوق دمائها ، دون أن تعرف أولئك الذين تختار معسكرهم ، وقد نزعتها من عزلتها ضربة من ضربات القدر ...

نجمة : (**عابسة**) لا يهمنى .

حسن : ألا تشعرين بالغيرة ؟

نجمة : هيا ، أنت حمار ، بمسدسك هذا ... ألم تلاحظ ؟ أمامى ، كان الأخضر ومصطفى يبغض كل منهما صاحبه . وأمام هذه الفرنسية التأمت صداقتهما من جديد .

حسن : هكذا تترك غيرة الحب مكانها لإخوة السلاح .

[ظلام . ضوء . دقات جونج . جو مقهى أو بار حافل بالناس . نجمة تتكلم فى منتصف المنصة] .

نجمة : حان الوقت لأتحدث عما وقع عندما كان الأخضر يخرج من مرحلة الطفولة ، كان يبدو له عندئذ أنه خلق ليعيش فى بلد أجنبى لن أذكر اسمه ... لم تقع له كل هذه الأحداث إلا بعد أن انقضت سنوات عديدة على اختمار فكرة رحيله . كان أبوه يعيش فى مقهى ليل نهار .

والأخضر يتذكر أنه اصطحبه إلى هناك ، عندما حلت أوقات فاقة تركت الناس بلا عمل . كان العمال والفلاحون وصغار الموظفين وحتى المحامى ، لا يغادرون المقهى . كانوا يشربون قليلا أو كثيرا . وكانوا يلعبون الورق أو الدومينو . هكذا كانت تنقضى الأيام العصيبة ، كان المحامى يقرأ الجرائد ، وهو يفرك عينيه ، وكان الآخرون يطرحون رءوسهم إلى الوراء للتأمل والتفكير . وكان والد الأخضر يريد أن يستخفى عن الأنظار . كان يقول " إن الجرائد مثل عبارات السحرة ، لا يستطيع الناس جميعا حل رموزها "... وذات يوم قامت الشرطة بعدة هجمات مباغتة فى الشارع ، وأسرع الجميع يلجئون إلى المقاهى والحوانيت ، والحمامات ، بل وحتى إلى المحطة ... ودخل الأخضر المقهى ...

[نجمة تغادر المنصة . العمال والفلاحون وصغار الموظفين والمحامى فى وسط المنصة . فى أقصى المنصة يوجد مصطفى . الأخضر يتسلل نحوه] .

الأخضر : **(الذى لمح زوج أمه ، يدمدم متذمرا)** اليوم يوجد جمهور كثير .

طهار : وبك يزداد واحدا .

الأخضر : أنا لا أبحث عنك ، يا أبى ، أنا لا أبحث إلا عن الهدوء .

مصطفى : اجلس ، أيها الرفيق ، احترم أباك قليلا .

[فى هذه اللحظة ، المحامى متوقفا عن قراءة جريدته ، يطلق صرخة قصيرة] .

المحــــامى : انتــهى الأمــر ! لقــد صــدر الحكم على رئيس الحــزب . بعشرين عاما أعمالا شاقة .

المــوظــف : **(غير مكترث)** هاهو الأستاذ يبكى .

المحــــامى : ليس أنت الذى سيتحمل مهمة إمدادنا بالأخبار ...

المــوظــف : عفوا ، يا أستاذ ، ولكن طريقتك سيئة فى نقل الأخبار .

مــصطفى : هل حكم عليه طبقا للقانون ؟ عفـوا ، يا أسـتـاذ .. كيف أدانوا الرئيس ؟

المحــــامى : **(بلهجة الذى يفهم الأمور)** القـانون ، والمسـتـوطنون ... لقد أدين تماما .

الأخــضــر : وهاهو ذا بلا دفاع ؟

المحــــامى : ليست هذه أول مرة . سيموت فى السجن .لا أمل ،إذن ؟

مــصطفى : يبدو لى ، يا أسـتـاذ ، من كلامك أننا جمـيـعـا سنـدان إن عاجلا أو آجلا .

المحــــامى : آه يا بنى ، لقـد فـهمتـنى ! إن القانون يهـددنا على الدوام ، وهو يشـعـرنا بهـذا التـهـديد عن طريق مـثل هـذه الأحكام . ومع ذلك فـإن القـانون لا يصـيب الجـماهير بتـاتا . فطالما نحن مـعـا ، سيتـركـنا نعيش خاضـعـين . أمـا إذا تراءى لسوء الحظ لأحد الساخطين أن ...

طــهــــار : برافو ، يا أستاذ ، علِّمنا ! .

الأخــضــر : هل تعنى أن رئيس الحـزب كـان الوحـيد الذى تمرد ، وأنه يرتكب دائما الخطأ نفسه دون أن يستطيع إقناعنا ؟ هل تعنى أننا لم نتبعه حتى النهاية ؟

المحــــامى : نعم ، يا بنى ، أنت أيضا تفهــم ، أنا أرى أنـه مـن غـير الحكمـة أن يخـرج المرء من شـعب جـائع ، جـاهـل مـثل شعبنا ، لكى يسقط من تلقاء نفسه تحت وطأة القانون . إنكم ترون جيـدا أن هذا التـعس قـد خـذل نهائيا . إن إدانته لا تؤدى إلا إلى زيادة إرهابنا . ولا عمل لنا إلا أن نقاسى من الهجمات الفجائية دون أن يكون لنا شأن بها ..

الأخــضــر : برافو ، يا أسـتـاذ ، لابـد وأنـك عرفت كثيرا من القضاة . إنك تتحدث عنهم بحكمة .

القـــاضى : (**فى تواضع**) منذ عـشـرين عـامـا وأنـا مـقـيـد فـى سـجـل القضاء ...

الأخــضــر : أننى أفكر فى ذلك الرجل الذى أدانوه منذ قليل . هـو أيضـا مسجل فى سلك القضاء منذ عشرين عاما ، ولكن فى الجانب الآخر من المحكمـة ... هل تفـهـم يا أسـتـاذ ، هل تفهم ؟

المحــــامى : (**تائها**) نعم ، لقد عرفت كثيرا من القضاة .

الأخــضــر : هل عرفتهم رجلا لرجل ؟

المحــــامى : بالتأكيد ، فمنذ عشرين عاما واسمى مسجل ..

الأخــضــر : إذن فـقـانونهـم ليس بعـيـد المنـال ... يكـفى أن يسـجل المرء نفسه فى سلك القضاء . إنك تغرينى بأن أفعل ذلك .

المحــــامى : (**مـغـيظا**) لقـد فـات الآوان ، أيهـا الشـاب ، لكى تتم دراستك ...

الأخضر : اقتربوا ، اقتربوا جميعا ! الجميع يستطيعون هنا أن يسجلوا أسماءهم بسلك القضاء . ولكن ذلك سيكون فى الجانب الآخر من المحكمة لأن القانون سيغير معسكره . يا أستاذ ، إن الحكم عليك سيكون خفيفا ...

المحامى : الله فى عونكم يا أبنائى . سأذهب لأرى إذا كانت الجريدة قد وصلت .

(المحامى يخرج ، تشيعه الفرحة العامة) .

مصطفى : إن الأستاذ لا يحب حماستنا .

الموظف : إنه رجل حر ، ولكن لديه بعض الهموم .

عامل : إننى أفضل رأسى ، رأس العبد .

الأخضر : (**مخاطبا مصطفى**) حان الوقت لكى نبدأ ...

مصطفى : (**ساحبا مفكرة من جيبه**) فتحت الجلسة .

[فلاحون وعمال يقتربون فى صمت . طهار يظل بمفرده عند منضدة الشراب]

الأخضر : (**مخاطبا طهار**) سنبدأ عندما تنصرف أنت .

طهار : (**مخاطبا صاحب المقهى**) معهم ، ستصبح ثريا .

[طهار يخرج ، تتبعه حفنة من صغار الموظفين . الاجتماع يبدأ بجلبة طفيفة . ثم يسمع جزء من البيان الذى يبدأ بصوت خفيض ، جاذبا الانتباه]

مصطفى : ... زنزانتهم ليست زنزانتنا : إنها لن تكفى لعزل مساجيننا . لابد من تنظيم الحجرات المشتركة ، رغم وجود المحكوم عليهم بمقتضى القانون العام ، وألا يقبض

علينا مباغتة ، وإنما يجب أن نتسلل إلى السجون ، بخطة تحرير شامل ، تضم حتى نصوص القانون العام ، لأنه ليس لنا أن نحكم على الذين فى الطرف الآخـــر من سلاسلنا .

[الأضـــواء تنطفئ واحـدا واحـدا ، بينمـا المجـاهدون ينهضون ويذهبون كل إلى وجهته . الظلمة تقع على ظلى الأخضر ومصطفى المعروضين على الشاشة . قضبان السجن الحربى فى نقطة كبيرة . بالداخل ، الأخضر ومصطفى وحسن مجتمعون فى الزنزانة نفسها . المشاهدون يتعرفون على وجوه المسجونين الثلاثة ولن يروهم طوال المشهد ، لكنهم سيسمعون أصواتهم الواضحة التى ينقلها مكبر للصوت . أمام القضبان ، فى لقطة كبيرة ، وعلى جانبى الشارع الذى يفضى إلى كوة الزنزانة ، يقف كورس الجمهور فى صفين يطغى كل منهما على الآخر . شخصيات الكورس ليست رمزية فيما عدا مارجريت ، الباريسية ، التى تتميز عن المجموعة بأناقتها ، وخطواتها ذهابا وإيابا التى تتسم بالكآبة وسط الشارع ، لأنها تنتظر وحدها أخبارا عن الأخضر ، بينما الجمهور منصرف إلى مشاغله ، يتنزه أو ينعس ، كل هذا فى نوع من التركيز الفكرى اللازم لسماع الثلاثى المسجون] .

حســـــــن : لن يطلقوا عليك النار . مجرد مسرحية لإرغامك على الكلام .

الأخـــضــــر : أخـــبـــرونى بـأن هـــذا سـيكون غـدا ، فى الســاعـــة الواحــدة . كان يبدو أنهم ينتظرون إجابتى .

مـــصـطفى : هل كانت قاسية معرفة هذا الخبر ؟ أكثر قسوة من التعذيب ؟

الأخـــضــــر : بمجرد أن سمع الحكم .

لم يعد الزمان سوى ذكرى إعدام مقبل .

من تلقاء نفسها توقفت الأسلحة .

فى خرير شلال تحت الأرض .

لا تطفو عليه سوى أيام الشتاء الأخيرة .

إنها ذكريات مدرسية ...

مـــصـطفى : كنا معا ...

الأخـــضــــر : ... فى الشـتــاء نفـســه ، مـصطفى وأنــا ، خــالطــين جمــاعتينا المتنافسـتين ، كدليلين يقظين ، عند مغادرة المدرسة التى كنا أيضا أول من يبلغها .

مـــصـطفى : كنت أفكر فى ذلك ، كنت أفكر فى ذلك حتى هذا الصباح .

[illegible] لم [illegible] أن نكتشف لأنفسنا ذاكرة مشتركة ، قبل أن نقدر عمقها المعادل حتى لا يخطر ببالنا أن أحدنا سيكون هنا دائما .

الأخـــضــــر : لذلك ، وأنا أفكر فى أيام الشتاء ،

أشركتك فى السقطة القادمة .

عند الخروج من المدرسة ، زمن التدافع بالأيدى

عندئذ كنا نجهل الحكم الصادر من الأعداء

أما الآن
فإننى أشعر بدمائى تتدفق
لرؤية رجال لم يتغيروا . منذ الطفولة ،
وأنا أنظر إليهم على أنهم أعداء . كانت الكراهية تخنقنى
منذ ذلك الحين ، الكراهية والحاجة
لأن أصادفهم يوما وجها لوجه
لكى أعلم إذا كانوا حقا قد هزمونا .

مصطفى : منذ الطفولة ونحن نعلم أنه يجب أن نهزمهم . ومنذ استطعنا أن نجرى أخذنا النبال ولذنا بالأدغال ولم يُجدهم شيئا أن يعلموا بضرباتنا قبل وقوعها . ولم يغنهم شيئا أن نهلك نحن بدلا منهم ... إن قبرنا سوف يخصص لهم أبدا . سيتساقطون مثل الذباب بتأثير غيابنا فقط .
كيف يمكنهم الحياة دوننا ؟

[قسما الكورس يرددان كل فى دوره]

" ... كيف يمكنهم الحياة دوننا ؟ بتأثير غيابنا فقط سيتساقطون مثل الذباب. كيف يمكنهم الحياة دوننا ؟ "

[وهكذا فإن صوت السجين انحرف متجها إلى كورس الجمهور الذى يردده فى صدى ، مشيرا فى نهاية هذه الفقرة إلى السجناء وجلاديهم فى الوقت نفسه ، بينما نهاية الفقرة كانت تتضمن معنى واحدا فى فم مصطفى ولا تشير إلا إلى الجلادين . صوت الأخضر يلى صوت الكورس على الفور]

الأخـــضـــر : ترى هل قرب الموت يجعل غضبنا أكثر هولا ،
ترانا نعيش أحلام طفولتنا الحربية
أهى الحرب يا ترى أم هو حلم ؟
منذ مائة عام وهم يجردوننا من السلاح .
لا يكاد يبقى سوى ما نذهب به إلى الصيد ...

قسما الكورس : **(وهما يرددان نهاية هذه الفقرة كل فى دوره)** –
" لا يكاد يبقى سوى ما نذهب به إلى الصيد ... منذ قرن وهم يجردوننا من السلاح . أهى الحرب يا ترى أم هو حلم ؟ "

[الصمت يحل ، وصوت حسن يعود فى هدوء]

حـــــســـــن : **(فى دمدمة)** ألا تستطيع أن تنام قليلا ؟

مـــصـطـفـى : النعاس لم يعد من طبيعة هذا العالم
بالنسبة لمن سيرى الفجر العارى تماما
كعاشق يتحدى الليل سباقا ...

قسما الكورس : **(وهما يرددان كل فى دوره)** كعاشق يتحدى الليل سباقا... بالنسبة لمن سيرى الفجر العارى تماما ، النعاس لم يعد من طبيعة هذا العالم .

حـــــســـــن : **(فى صوت واحد مع مصطفى ، فى ثنائى يعيد جمع قسمى الكورس الذى يلازم مارجريت)**
ونحن رفاقه فى الزنزانة
نسهر على نفَس الأخضر المتعجل دائما ،
نفس الأخضر الذى يعوزه الزمان والمكان ،

ها نحن نتعثر أمام نظرته ،
مبهورين فى خلية المعدن المتأجج الذى يخترقه
لحظة الارتقاء
حيث رأسه يجتذب الصاعقة
ويجعل البنادق تخر وتنحنى

[عند نهاية هذا البيت الأخير ، صوتا حسن ومصطفى المختلطان يشكلان ثنائيا يعيد الجمع بين قسمى الكورس حول مارجريت . الكورس كله يردد عندئذ الفقرة كلها ، مخاطبا مارجريت الصامتة . ثم يقوم الكورس بسرعة بغزو السجن ويظل مختفيا عن الأنظار بينما مارجريت باقية وحدها فى الشارع . ويعود صوت الأخضر من جديد]

الأخضر : شعورى يزداد بالظلم الشامل
الآن وقد أصبحت أقل كلمة
تزن أثقل من الدمعة
أرى بلدى ، وأرى أنه فقير
أرى أنه ملىء برجال هوت رءوسهم
وهؤلاء الرجال أراهم واحدا واحدا فى رأسى ،
لأنهم أمامنا ، والوقت ينقصنا للسير وراءهم .

[الكورس كله وهو لا يزال خافيا عن الأنظار ، يردد هذا البيت الأخير :] "لأنهم أمامنا ، والوقت ينقصنا للسير وراءهم " !

[بعد فترة يعود صوت الأخضر من جديد]

الأخضـــر : فى كل عام ، لدى كل موجة عميقة

لأشباحنا المطعونة عبثا

تكون الغطسة نفسها فى الصخرة

يكون هلاك جديد

دائما ما يطول الحزن عليه

ولكن قلما تنوح أرواحنا

لأننا نمسك الزمن جريحا بين أسناننا

كمثل الكثيرين من المفكرين الشبان

المغمورين فى المعابد .

لأنه من وراء الأنصاب تصلنا

ألوان من العذاب خطيرة

تعكر صفو موتنا فى ينبوعه .

[فى هذه اللحظة تهل مجموعة من الجنود وتنسل داخل السجن . يخرجون منه حالا ، قابضين على ثلاثة مجهولين يعدمون رميا بالرصاص بطريقة رمزية فى الشارع على ضوء كشاف يدل على بزوغ النهار . ثم يغادر الجنود المنصة . ويخرج الكورس من السجن لكى يدفن ، بالحركات ، الجثث الثلاث . الكورس ، وهو يترنم بالدعاء للموتى ، ينتظم فى صفين على جانبى الشارع كسابق عهده ، حول مارجريت ، التى لا تزال فى الانتظار . فى أثناء هذا الوقت يكون الكشاف قد كف

عن إرسال ضوئه على المعدمين الثلاثة لكى يعلن حلول الفجر للأخضر ، الذى يبقى الآن وحيدا]

الأخضـــر : لقد حان الوقت . فليتركونى لأرى النهار

حتى لو لم يكن هناك إلا الوقت لطرد الأفكار السوداء ، هذا هو الوقت الذى لا يكون للمرء رأس فيه . غزو مفاجئ ، كل ما كنت أسعى إليه كان يسعى إلىَّ !

ها نحن تحت الريح المضادة ... محكومون بغليل لا يشفى .

قسما الكورس : (**يرددان كل فى دوره**): هانحن تحت الريح المضادة ... محكومون بغليل لا يشفى .

[ضابطان يدخلان السجن . من المنصة نسمعهما وهما يعذبان الأخضر]

الضابط الأول : سينفذ فيك حكم الإعدام وأنت فى زنزانتك .

[صراخ الأخضر . الكشاف الهائم يمسح جدران السجن ، بينما قسما الكورس يرددان بطريقة حزينة]

الـكـــورس : " وأنت فى زنزانتك سينفذ فيك حكم الإعدام ، سينفذ فيك حكم الإعدام وأنت فى زنزانتك "

[بعد صمت طويل ، نسمع الضباط يعاودون الاستجواب]

الضابط الأول : انظر إليه . ما أغرب نظراته ! ... أنا لم أر هذا إطلاقا .

الضابط الثانى : (**مخاطبا الأخضر**) لاحظ جيدا أننا نفعل هذا كمجرد شكليات . إن الرئيس ينوى أن يعدمك . هيا ، تكلم !

الأخضـــر : (**صارخا فى مكبر الصوت**) أهذا هو إعدامكم ؟ أهذا هو ؟ عليك أنت أن تتكلم . هيا تكلم !

[رئيس الشرطة يدخل السجن بدوره . إنه ضابط بلا زى رسمى . عند دخوله يسمع الأخضر وهو يصرخ بأعلى عقيرته . صمت . ثم نسمع نهاية الاستجواب]

رئيس الشرطة : إذن ، ألم تنتهيا منه بعد ؟

الضابط الأول : يبدو أنه فقد صوابه . إن أعمال التعذيب فى شخص على شاكلته ، مع احترامى لسيادتك ، لا تفيد شيئا . إنهم متعودون على ذلك .

الرئيس : إنه مقضى عليه بالهلاك . سيظل يشاهد رؤى طول حياته . سوف يصرخ كالممسوس . فليعد إلى أصدقائه . فليعد إلى أمه . عندما يرونه سيفهمون .

[الأخضر يغادر الزنزانة دون حرس . يترنح فى الشارع الغاص بالناس ، بين قسمى الكورس ، أمام الشبح الرمزى الذى يمثل العدو : إنها مارجريت التى يرهقها الكورس المتجمع بالتهكم والسخرية]

الكورس (وهو يشير إلى مارجريت)

هاهى الباريسية
روح المدينة المفتوحة
ابنة الجلاد
باقة المعدومين الشنيعة
هاهى الباريسية
الأليفة البسيطة الساذجة
الجاهلة

القاسـية

ابنة الجلاد

إنها تأخرت ، تأخرت كثيرا .

فى اللحاق بمعسكر الضحايا .

هاهى الباريسية

[الأخضر يمسك مارجريت من ذراعها . ولما كان الكورس يواصل دمدمته فإن الأخضر يرد عليه ، وهو يسحب مارجريت]

الأخضر : (مشيرا إلى مارجريت)

لقد تأخرت ، لقد تأخرت كثيرا

فى اللحاق بمعسكر الضحايا

أبدا لن أحبها أبدا

لكننى أسفت عليها دائما

[المظهر العادى للشارع . باعة . نسوة محجبات يتسوقن . الأخضر ، زائغ النظرة . البائع أمام . شجرة البرتقال]

السيدة : هاهو الأخضر ! بلحمه وعظمه . ويقولون إنه مات .

البائع : برتقال حلو

برتقال مالح

برتقال نصف حلو ونصف مالح

بالواحدة ، بالكيلو . برتقال !

السيدة : برتقالتين .. يا رجل ! زنهما ! أنت تفضل البيع بالواحدة .

البـــــائـع : (**مراوغا**) إذا كان الأخضر هو الذى يدفع ...

الأخـــضــــر : (**الذى سمع من بعد غير قليل**) . إيه ؟ ماذا ؟

الســـيــــدة : (**مخاطبة البائع**) خذ نقودك .

الأخـــضــــر : (**وقد وصل قريبا من العربة**) ماذا تريدان منى ؟

الســـيــــدة : (**بصوت خفيض**) اتبعنى ، يا الأخضر ، سأعيد إليك صوابك .

الأخـــضــــر : (**وهو مازال شاردا**) لم أسمع .

الســـيــــدة : (وهى تمسك الأخضر من يده) هيا بنا .

[يبتعدان]

الســـيــــدة : من أنا فى رأيك ؟

الأخـــضــــر : أختى ، أو أخت شخص آخر ، لا يهم .

الســـيــــدة : ماذا حدث لنجمة ؟

الأخـــضــــر : (**وعيناه مرفوعتان إلى السماء**) فيما مضى كانت الدب الأكبر . بعد ذلك نمت . كيف يمكن أن نميزه فى وضح النهار ؟

الســـيــــدة : (**فى حزن**) هاأنت ذا قـد تغيرت كثيرا ... (**على حدة**) كنت أفضل أن أجلس على نصبه ، بدل أن أراه يتعثر كالأعمى أو كالمجنون . اللهم أنزل الليل عليه ...

[جميع الأضواء تنطفئ لحظة . عندما تضاء من جديد ، يتضح أن المرأة المتشحة هى " نجمة " . الأخضر اختفى فى الكواليس . نجمة هذه المرة فى صحبة مارجريت وطهار]

طهـــــار : **(فى أشد حالات السكر)** اليمام يؤكل صغيرا ونيئا .

نجـــمـــة : أيها الثعلب العجوز ذو السحنة الكريهة .

لست أدرى ما الذى يمنعنى من تحطيم أسنانك .

لا شيء سوى ضربة بسوارى .

تعالى ، يا مارجريت ، هذا الرجل لا يعنيني فى شىء ،

مع أنه سبب شقائى . لا تردى عليه التحية .

[بينما المرأتان الشابتان تنسحبان ، يظهر الأخضر الذى يذهب رأسا إلى نجمة]

نجـــمـــة : **(مرتعدة)** تعالى ، يا مارجريت ! لنرحل !

الأخـضـر : عفوا ، يا أختاه ، إلى أين تذهبين ؟

(وهى تحول عينيها) إنه مجنون ! لا أريد أن أراه .

[فى هذه اللحظة ، طهار الذى كان مستخفيا فى أقصى المسرح ، يقترب خلسة]

طهـــــار : **(منفجرا)** يا للسماء ! لقد أطلقوا الأفعى !

[طهار ينقض على الأخضر ويطعنه . المرأتان والقاتل يهربون فى اتجاهات مضادة . الأخضر يترنح متجها إلى شجرة البرتقال ويظل متعلقا بها حتى لا ينهار . الجمهور ينتشر حوله]

رجـــــل : **(مشفقا)** شقى آخر يولى ...

الأخـضـر : **(وهو لا يزال متعلقا بشجرة البرتقال)** إيه يا رجل !

أتبكى لأن الثورة تحطمت ؟ لا تبك .

رجل أخـــر : أهلى جميعا ماتوا محروقين . المنزل أصبح رمادا .

هذا العام يبدأ وينتهى بالشر ...

الأخضر : **(وهو يكافح الهذيان)** سننام معا ، عندما تتركنى الشجرة أسقط .

سيدة : كان لى ولد اسمه فقط بغيض على ...

اسم الولد التائه ، وقد ارتد حتى عضوى الحساس وأنا
فتاة ، هذا الاسم يزداد ثقله فى أحشائى .
أكثر من الوقت الذى كان ينام فيه فى مأواه
قبل أن يفصل عن الكرة الجسدية ،
مضطرا إلى النزول إلى الأرض
فى هذه الصحراء التى يسد فيها رمقه من فمى ،
وإننى لأبغض حتى الاسم الذى يطلقونه عليه
لينزعوه مرة أخرى من عضوى الحساس ،
وإننى لم أعد أرصد سباق السنين
برغبة السعادة القديمة
أنا التى فقدت ثلاثة فصول من أربعة
لكى تنجب وحشا هاربا .

[الجمهور يشكل كورسا ينتظم على جانبى الشارع ، الرجال والنساء يقفون فى مواجهة بعضهم البعض ليشكلوا قسمى الكورس . النساء فقط يرددن فى صوت واحد الفقرة السابقة وقد قمن بالصراخ والعويل الذى تقوم به الأمهات . السيدة التى كانت قد تحدثت إلى الأخضر تواصل سرد أسرارها التى ما زال يرددها فى صدى حتى الآن كورس النساء]

السيدة نفسها : (**مخاطبة الأخضر)** وما إن شب عن طوقه حتى رحل إلى فرنسا ، ولكننى أعلم أنه عاد ... أنه لا يقوم بزيارتى أبدا ، وهو يصر على أن يعيش فى الشارع مثل قاطع الطريق .

[هنا صف النساء لا يكرر سوى نهاية الفقرة ، لكى يوسع مدلولها الأصلى . كل سيدة تخاطب الرجل الذى يواجهها ، وتشركه فى اللوم الذى وُجه منذ قليل إلى الأخضر]

كورس النساء : **(مخاطبات رفاقهن من الرجال)** ... إنكم لا تقومون بزيارتنا أبدا وتصرون على الحياة فى الشارع مثل قطاع الطرق .

[الأخضر ، وهو مازال متعلقا بالشجرة ، يرد على اللوم الذى وجه إليه بمفرده من قبل]

الأخضر : انصرفى أيتها المرأة التعسة ، لديك كل الوقت الكافى للبكاء .

الزوج والابن بالنسبة لك ليسا سوى شخص واحد :

لقد مات هذا وذاك ،

قبل أن تنشق الأرض لسقوطك ،

لأنه مازال هناك زوج أم

لكى ينغِّص عليك ترملك

ويلاحق يتيمك .

السيدة : **(وهى تقترب من الأخضر)** ماذا تقول ، يا ولدى ، ماذا تقول ؟ أمن الممكن أن يكون سرى هو سرك أيضا ؟ أم ليس الأمر سوى هذيان وهواجس ؟

الأخضر : عبثا أتحدث عن نفسى فى الماضى ...

السيدة : **(وهى تقترب أكثر)** هل الأخضر مات ؟ لأن الحداد هو ميزتى ، وأنا أوجه عند كل احتضار هذا السؤال القاسى .

الأخضر : أبدا لن أستطيع أن أطمئنك .

أنا آخر الفلاحين

لست أدرى ما الذى يقيدنى

إلى شجرتى المضحى بها

أهو الرجل الذى كنته

أم الخنجر الذى يحل محلى

[هنا قسم الذكور من الكورس يخاطب صف النساء مكررا بداية الفقرة السابقة]

كورس الرجال : **(مخاطبا النساء)**

أبدا لن نستطيع أن نطمئنكن

نحن آخر الفلاحين

لا ندرى ما الذى يقيدنا

إلى أشجارنا المضحى بها ...

[الأخضر يكرر هنا كل الفقرة التى يختمها إلى أمه التى تثبت شخصيتها الآن : المرأة التى اقتربت منه]

الأخضر : أبدا لن أستطيع أن أطمئنك

أنا آخر الفلاحين

لا أدرى ما الذى يقيدنى

إلى شجرتى المضحى بها
أهو الرجل الذى كنته
أم الخنجر الذى يحل محلى
ماذا عساها تجنى هنا أرملة أبى
حين تعلم أننى قتلت
بيد الزوج الثانى الذى لم تختره ؟
هل رأيت الأفاعى التى تسعى إلى اللذة
وهى تعض بعضها البعض وسط التبن ؟
هكذا ذاكرتى
تتحرك خلال القتل والمنفى
وهذا الخنجر الذى يدفعنى إلى الشجرة ،
هو الانبهار الذى يستهوى العقرب الشاب ؛
أنا المطوق فى دغل منبتى ، لا أدين بشىء لزوج أمى .
ولا حتى بالاغتيال ، ولا حتى بمنة القربان
لأنه أبعد من أن يكون إبراهيم الخليل ، وأنا لست سوى قط
علقته بومة فوق أوهى غصن
لا أنتظر إلا أن أسقط منه لكى أعمى الطائر النهارى
فى ورق الشجر الذى يظن أننى غاف فيه
[قرع طبلة . الجمهور الهائج يخلى المسرح . لا يبقى سوى الأخضر الذى لا يزال متعلقا]
صوت الكورس : (متشتتا من بعيد)
أيها المجاهدون من حزب الشعب !

لا تغادروا ملاجئكم !

ساعة المعركة لا تزال بعيدة .

أيها المجاهدون من حزب الشعب !

[مصطفى وحسن يدخلان المسرح وهما يتحادثان]

مصطفى : فلنرحل . فلننسحب إلى الجبال .

حسن : الفلاحون سيقدمون لنا المأوى .

مصطفى : هيا نعد تشكيل قواتنا .

حسن : سنغدو أكثر إصرارا وعنفا .

مصطفى : **(متوقفا عن الحركة)** . توقف ... أليس هذا هو الأخضر ؟

[يشير إلى الشجرة]

حسن : إنه هو ، دون أدنى شك ، مصاب مرة أخرى !

الأخضر : سلام عليكم ، سلام ! لا ترحلا دون كلمة واحدة ، كمن يتركون ميتا .

... على الأقل اتركا لى تبغا .

مصطفى : لا يمكنك أن تظل على هذا الوضع . **(يسير نحو الشجرة ، يتبعه حسن)** سنقوم بحملك .

الأخضر : **(بلهجة عنيفة)** ابقيا حيث أنتما ! **(صوته ينهار . يستأنف بصعوبة ، دون أن يخفض نبرته)** لم أعد أشعر بالخنجر . إننى أكاد أتوهم أنه مغروس فى الشجرة . إننى كالدرع أرن فاقد الإحساس ، منذ أن أخذنى الموت من كتفى ، فى هدهدته التى لا ترجى . أبقيا حيث أنتما ! إذا أردتما إخراج الخنجر فلابد أن أدير لكما ظهرى ،

ولابد من ترك هذه الشجرة ، فى حين أننى أفنى لأحميها من الجليد .

مصطفى : أنت تقف على قدميك ، فى هذا الشنق الإرادى ، لكنك ترفض أن تتقدم خطوة إلى الأمام !

الأخضر : سل الشجرة . سلها إذا كان بوسعها أن تسير ، أو إذا كان يجب علىَّ أن أبدأ السير .

مصطفى : إذن سنقوم بحملك .

الأخضر : لا تُحمل سوى الجثث . اذهبا واتركا لى تبغا ! ...

[قرع الطبول]

[صوت الكورس من بعيد ! أيها المجاهدون من حزب الشعب ! ...]

[مصطفى وحسن ينصرفان عن الصديق المحتضر]

حسن : فلنتركه . عبثا يناضل مع جثته . كيف يستطيع أن يتبعنا ؟ أجل ، فلنتركه . إننا فى نظره لسنا أكثر إقناعا من الأشجار ، أنه يناضل مع جثته .

[حسن ومصطفى يتفرسان طويلا فى وجه الأخضر الكئيب ، الذى يقطع الصمت فجأة ، فى اللحظة التى يغادر فيها حسن ومصطفى المسرح فى بطء ، كما لو كانا يشيعان جنازة غير حقيقية]

الأخضر : وداعا ، أيها الرفاق ، ما أفظع الشباب الذى عشناه !

[هنا تدخل أم مصطفى ، باحثة عن ولدها الذى رحل إلى المنفى . تتلمس طريقها أمام الشجرة دون أن ترى

الأخضر . ترتدى القميص الأزرق الخاص بمستشفى الأمراض العقلية . شعرها الذى لا يكاد يخطه البياض منتصب، فوق رأسها . نظرتها الزائغة لا تتوقف عند شيء . هيكلها المتكسر وحركات المها تخلو تماما من علامات الأنوثة . صوت الطيور المشئومة يتخلل هذيانها فى بعض الأحيان . تنطق كلمة " مصطفى " ! بصوت مختلف دائما ، وكأنها تستطيع من خلال هذا الاسم الذى تنطق به فى عبارة سحرية ، أن تمسك صورة ولدها المتبددة]

الأم : مصطفى ! مصطفى ! (**صياح الطيور**) مصطفى !

الأخضر : إنه لا يزال هنا . ينتظرنى فى هذا العالم ، وأنا أنتظره فى العالم الآخر . إننا نقضى حياتنا يودع كل منا صاحبه .

الأم : (**وهى لا تزال فى حالة تنويم مغناطيسى**) مصطفى ! مصطفى ! (**صياح الطيور**)

الأخضر : (**مرددا كالصدى**) مصطفى !

[صياح الطيور المشئومة ، ينتهى بتغريد الربيع . المجنونة تجمع حواسها مطأطأة الرأس ، ثم يرتفع صوتها ، خفيفا ممزقا ، فيردده كورس النائحات الذى يستخفى عن الأنظار]

الأم : (**وهى تجلس القرفصاء أمام شجرة البرتقال التى تسند الأخضر**)

فوق مقعد المستشفى الكبير

أنا المجنونة الهاربة
أرملة مؤجلة ، وأم فى المحجر الصحى .
[صياح الطيور يصدره كورس النائحات ، الذى يكرر الفقرة السابقة ، ثم يستأنف الحوار بين الأخضر الذى يحتضر وأم مصطفى]

الأم : (وهى تتابع سيرها المتعثر حول الأخضر)
تركت اللبؤات يكبرن
دون أن أستطيع تمشيط شعورهن
الطيور نبأتنى بذلك !
لابد أنهم ذبحوا الولد
وقصوا للبنات شعورهن
فى ذكرى الأم المخبولة
والطيور وهى تقفز ، تسخر
تسخر منى ، تسخر
من الابن الذى ينتظرنى فوق المقعد
فوق مقعد المستشفى الكبير .

الأخضر : إنه كان ينتظرنى أيضا
فى المكان الذى تهذى فيه أمه
دون مراعاة لمشنقتى الخضراء
ودون كلمة ، وكذلك هجرنى
ليحتضن أشجارا أخرى
هكذا نجومنا تتتابع

نساء ورجالا ، أجسادا ومتاعا .
لا شيء يقاوم الرحيل
وأم شخص آخر أصبحت أمي
في هذا الهجران الثلاثي المنحوس !
[كورس الرجال المستخفي عن الأنظار يكرر من بعيد]

الكورس : الليل يهبط ، وعالمنا كله ينحني
على نافذة العدم !
فلنمسك عن قذف المجنونة بالحجر
هي التي نهضت لتغلق النافذة
ولذلك فإن عينيها تالفتان .

الأم : (وهي تسقط وتنهض في فرارها)
الليل هو سبب سقوطي
والطيور تسخر
[مكبر الصوت يصيح معلنا : " صدمة كهربائية ! صدمة كهربائية ! صدمة كهربائية ! بينما تضيء الشجرة بلمحة من صاعقة ، وفي الوقت نفسه يسمع صياح الطيور المشئومة]
تسخر مني ، تسخر ...
[بينما أم مصطفى تقفز إلى خارج المسرح ، الكورس كله يردد]

الكورس : هكذا نجومنا تتتابع
رجالا ونساء ، أجسادا ومتاعا .

لا شىء يقاوم الرحيل

[الريح تأخذ فى الهبوب ، بينما الأخضر يتشبث بالشجرة ، فى محاولة أخيرة]

الأخضر : دون مراعاة لمشنقتى الخضراء

فيض من الرجال ، وفيض من النساء قد مروا . موكب حزين فيه الموت هو الذى يسهر ويتابع الغائبين

[الضوء ينطفئ . الريح تهب أشد قوة . إنها ريح الموت . البائع وعربته يدخلان المسرح ، وقد سلط عليهما ضوء خافت . الأخضر والشجرة دخلا فى الظلام]

الأخضر : كل العقوبات عقوبات قصوى

بالنسبة لمن يبلغ المركز ،

مركز القدر .

هنا هبت ريح تلخصنى ، ولسانى الذى فسد أخيرا مع النباتات المائية سيغذى الفضاء المترامى .

هنا يجب أن نتقيأ كل شىء

الآلام ، الهموم ، الأوهام ، والعلوم

وكمثل المحيط يجب علىَّ أن ألفظ كل شىء

دون أن أحتفظ بلؤلؤة ولا جثة

ولابد لى من أن أنتقل إلى الاعترافات

إذا أردت أن أرحل إلى الخواء

إلى الطرف الآخر من المصير

حيث لا يدخل قناع مأساة

ولا جمهور ولا عابر سبيل ،
إلى قلب الارتفاعات العفيفة الطاهرة
حيث القبلة تفيض فى نجمة
حيث عرف الطائر يبدأ فى عقبه
حيث العلم يكون بارقة مخلصة
والحب ليلة واحدة بلا ذكرى .

[ظلام . ضوء . دقات جونج متصلة . البائع نائم تحت الجدار . الأخضر مستند إلى الشجرة]

الأخضـــر : إيه أيها النائم !

البـــائع : (**دون أن يرفع رأسه**) استمر فى الكلام يا ولدى . أنا لا أعتقد كثيرا فى الأشباح . بوسعك أن تختفى وراء الأشجار . لقد تعديت سن الخوف .

الأخضـــر : (**من بين أسنانه**)

دائما فى لحظات الاعتراف يبدو المسرح خاليا . ليكن . أنا وحدى سأجمع إلى الزنزانة . من بين جميع الغائبين الذين لا يشفع لهم عندى شىء ، واحد فقط لا يزال يثقلنى إنه أبى الذى حملوا جثته فى ملاءة بينما كنت أنتظر منه خاتمة حكاية وحلم مختلطين .

ذات يوم كان قد غار فى الخمارات ، فى صحبة بعض السكيرين والقتلة . كانوا جميعا يبحثون عن أجنبية بارعة الجمال رفيعة الثقافة ، على درجة من الجمال والتحفظ حتى إن أصدقاء والدى تطاحنوا حتى الفجر

ليمهدوا لأنفسهم طريقا بين الجمهور ويلحقوا بها ، فى الفندق الرائع الذى كان يستقبلها فيه عشيقها . كان الغيظ والحنق يأكلان والدى ، وهو يقتفى أثر المرأة التى كانوا يتبعونها باحترام فى الأفراح ... فى ذلك اليوم ، أصيب إصابة بالغة فى وجهه من موسى ألقاه عليه رجل عجوز من إحدى النوافذ، بينما كان يترقب الغانية غير المهتمة ، وكان يلقى فى لحى أصدقائه سيلا من الدماء الكثيفة المتقدة . وأنا أيضا ، لم أستطع أن أمنع نفسى من إطلاق الصراخ الفظيع ، ليس إلا لأخفف عن نفسى وطأة عار أبى وأهوائه التى لا نهاية لها لأننى كنت حديث الولادة ، وكنت أصرخ صباح مساء ، كأننى أشير إلى الرجل الخسيس الذى كان يأخذنى بين ذراعيه لكى يعرضنى أمام مثار غيظه وحقده ... تلك الأجنبية التى كانت لا تنفك عن الظهور فى نافذتها فى الساعات المتأخرة التى كنت أصرخ فيها من النعاس ، ليظهر أمامها عاطفة الأبوة ... وأخيرا ، نزلت بخطوة سريعة ، الأجنبية نفسها ، بوجهها العكر ، وحركاتها التى كان الجمهور يرقبها كما يرقب أحد الطقوس الدينية ، المرأة ذات العطر المجهول التى أحاطتنى بذراعيها ، بينما أنا أستحلب أثقل أثدائها وأجملها **(كان يبدو لى أن لها أثداء كثيرة ، ما دامت أمى المسكينة لم يكن لها سوى اثنين)** .

وبينما أبى المتسمر أمام الأجنبية التى كانت تهددنى وهى تبتسم ، وأناس آخرون كانوا يتوقفون عند هذه اللوحة الغريبة ، كان أبى يغيب فى صمت يملؤنى تأنيبا وغيرة ، أنا ابن السنوات الست الذى مسته العاطفة الأبوية إلى هذا الحد الخطير ، أنا الذى كان أعنف غريم لوالده بينما لم تكن أسنانى قد اكتملت ، أنا الذى لم يسلم أبدا بأن الأجنبية قد اختفت وأن أبى قد حمل فى غطائه ، فى الوقت الذى كنت ألعب فيه مع نجمة فى الشارع ، نجمة ابنة الأجنبية التى كان أبى قد اختطفها .

[على أثر هذه الكلمة ينهار الأخضر أمام شجرة البرتقال التى أصابتها الصاعقة .الأضواء تنار من جديد ." على " ، الذى تلاحقه نجمة ، يتسلق شجرة البرتقال . دقات متصلة من الجونج . جثة الأخضر تختفى شيئا فشيئا تحت سحابة من الأوراق الميتة . " على " جالس مباعدا بين ساقيه فوق قمة شجرة البرتقال . يقوم بقص غصن ذى شعب ليصنع منه نبلة]

نجمة : انزل من عندك ! انزل !
هيا ، انزل . وأعطنى هذا الخنجر

على : إنه خنجر أبى ... إنه خنجرى .

نجمة : وجيوبك المحشوة بالبرتقال المر ! ألق بهذا . ألم أقل لك مائة مرة إن هذا البرتقال مسمم ؟ هيا ، انزل .

[على لا ينزل . يخرج برتقالا من جيوبه ، يضعه فى نبلته ، ويصوب جهة الجمهور ، وابل من البرتقال فى صالة المسرح . الستار يسدل مخرما من أثر ضربات النبلة ، بينما صوت الكورس يدمدم من بعيد : " أيها المجاهدون من حزب الشعب . لا تغادروا مخابئكم " ظلام . ضوء دقات جونج متصلة] .

* * *

جيزابيل

مسرحية من ثلاثة فصول

جان أنوي

جان أنوى

ولد أنوى عام ١٩١٠ ، قبل يونسكو بعامين وبعد بيكيت بأربعة أعوام ، ومع ذلك فهو لم يستجب لموجة العبث التى طغت على المسرح فى الخمسينيات ، مع أنه شجعها وكان من القلة القليلة الذين شاهدوا " فى انتظار جودو " حتى النهاية .

أما تأثير الصدمة الذى ترك البصمات الواضحة فى انتاج أنوى ، فكان حينما شاهد مسرحية " سيجفريد " لجان حيرودو . وفى ذلك يقول : " منذ تلك الليلة دخلت فى ليل طويل لم أخرج منه حتى الآن ، وقد لا أخرج أبدا " .

يعدُّ أنوى من أغزر كتاب المسرح ، إن لم يكن أغزرهم جميعا . فقد ظل أكثر من خمسين عاما يطلع بمسرحية جديدة على جمهوره الذى اعتاد أن يشاهد له مسرحية جديدة كل عام . باستثناء الفترة من عام ١٩٦٢ حتى ١٩٦٨ التى لزم فيها الصمت .

بعد خمسين عاما فى المسرح ، وأكثر من أربعين مسرحية ، راق للكاتب أن يصنِّف أعماله إلى مسرحيات وردية ، وأخرى سوداء ، وثالثة متألقة ، ورابعة صريرية . ولكن الواقع هو أن الاختلافات ليست جوهرية ، بل ليست واضحة تماما . فالمرارة التى يهزأ بها أنوى نفسه تقبع خلف

الضحكات . كذلك فإن المسرحيات الوردية لا تخلو من الكآبة التى تبعث على القلق . حقيقة القول هو أن ما يمكن أن يكون قاسما مشتركا فى أعمال أنوى هو " الصريرية " التى تطغى على مسرحياته .

وإذا كان لنا أن نتحدث عن تطور فكرى عند أنوى ، فنحن على الأقل نلاحظ طابع اليأس فى كل أعماله . فهو يرفض الوضع الإنسانى الراهن ، وقد تأكدت هذه النظرة العدمية فى مسرحياته الأخيرة . فكل شىء باطل . وهو يضحك من ذلك ويرى أنه لا ينبغى أن نأخذ شيئا مأخذ الجد . الضحك وحده هو الذى يعيننا على تحمل هذه الحياة الدنيا . ولعل هذا هو الدرس الوحيد الذى أخذه أنوى من العبثيين .

من أشهر أعمال أنوى : مسافر بلا متاع (١٩٣٧) ، المتوحشة (١٩٣٨) ، أنتيجون (١٩٤٤) ، جيزابيل (١٩٤٦) ، الدعوة للقصر (١٩٤٧) ، بيكت أو شرف الله (١٩٥٩) ، السمك الأحمر (١٩٧٠) .

الشخوص

مارك

جاكلين

الأب

الأم

جورجيت

الأخ

الأخت

ابنة العم

الصغيرة

الفصل الأول

حجرة شاب فقير

جورجيت : **(وهى تدخل جاكلين)** – نعم ، موجود . تفضلى . سآتى بسيدى " مارك "

جاكلين : يا أنسة !

(جورجيت تلتفت)

أنت تحبين سيدك مارك طبعا ؟

(جورجيت تنظر إليها بارتياب ، وتخرج دون أن ترد عليها)

(مارك يدخل وينظر إليها دون أن يتحرك)

شعرت ببعض الخوف . أجل . فجئت .

جاكلين : **(لا يجيب ، يبدو معتل المزاج . تقترب هى من النافذة.)**

جميل هذا الميدان الصغير . لم أمر به أبدا .

مارك : إنه بعيد عن شاطئ البحر .

جاكلين : لماذا هجرت الشلة ؟

(يرفع كتفيه)

إننا نأسف لفراقك .

مــــــارك : هذا ممكن .

جــــاكلـين : أنا آسف لفراقك .

مــــــارك : صحيح ؟

جــــاكلـين : مـاذا بك ؟ أنت رئيس شلتنا الصـغـيـرة . وأفـضـل من يلعب التنس فـينا . وأسـرعنـا فى الجـرى ، وأحـسننا فى السباحة . وأنت خير من يعامل الفتيات الثلاث اللاتى فى الشلة . وإذا بك ذات يوم تـخـتـفى . ومـع ذلك نعـرف أنك لـم تـغـادر المديـنة . ونبـحث عنك ، فـتـخـفى نفسك عنا . وأخيرا تتوقف سيـارتى بسـبـب نفـاد البنزين بالقرب من هذا الميـدان الصـغـيـر . فـتـتـاح لى فـرصـة العـثـور على منزلكـم ، وهكذا تستقبلنى ، أنا صديقتك القديمة ! تصـور أننا تلاقـينا فى بداية يونيـو عندمـا لم يكن هنا أحـد على الإطلاق . هذه أمور لها أهميتها يا مارك .

(ينظر إليها)

كلا ، ليس هذا صـحيحا . لم تتوقف سيارتى بسـبب نفاد البنزين ؛

وإنما جئت سائرة على قدمى .

مــــــارك : من أعطاكِ عنوانى ؟

جــــاكلـين : والدك .

مــــــارك : والدى ؟ هل تحدثت إليه ؟

جــــاكلـين : أجل .

مـــــــارك : **(بمجهود)** – لابد وأنه أضحكك ؟

جـــاكلين : لماذا ؟

مـــــــارك : إنه يحب أن يُضحك الناس .

جـــاكلين : أعتقد أنه قال لى نكتة . ولكن لا يجب الاستمرار فى مثل هذا السخف .

على أية حال أنا لم أفهمه جيدا .

مـــــــارك : لماذا أتيتِ ؟

جـــاكلين : لكى أسألك لماذا لم تعد تأتى .

مـــــــارك : **(يصيح فجأة)** – لم أعد أريد أن آتى !

(تنظر إليه . أهدابها ترمش . يمسك يدها فجأة)

أسف . أحبك يا جاكلين .

جـــاكلين : وبعد ؟

مـــــــارك : لا تطلبى منى شيئا . دعينى .

جـــاكلين : هل ستأتى ؟

مـــــــارك : سأحاول .

جـــاكلين : هل تعتقد يا مارك, أننى سأفهمك ؟

مـــــــارك : أعتقد ذلك .

جـــاكلين : لماذا لا تقول لى شيئا ؟

مـــــــارك : لا أستطيع أن أقول لك شيئا .

جـــاكلين : أنت غريب ...

مـــــــارك : أوه ، كلا ! بخاصة لست غريبا ...

(صمت)

أنا بائس ، هذا كل ما فى الأمر .

(صمت أخر)

جـــــاكلـين : أنـا أيضا كنت بائسة للغاية ، فى خلال هذه الأيام الثمانية ، ولكننى أخبرت الجميع بذلك ! اطمئن ، لم أقل إننى أحبك ، ثم لا أهمية لذلك كثيرا ، فأنا أعتقد تماما أن جميع من فى الشاطئ قد أدركوا ذلك الآن . ولكننى كنت أجد لذة فى العمل على فشل فرق التنس ونزهات البواخر . كنت أتمنى أن تمطر السماء . وكنت أضمد كعبى حتى لا أجرى ولا أرقص معهم .

مــــــــارك : يالها من همة عظيمة !

جـــــاكلـين : وأنت تعلم جيدا أننى أضيق بهذا كله . وأن قدرا ضئيلا منه كان يكفينى .

(ينظر كلاهما إلى الآخر مرة أخرى)

أحبك يا مارك !

مــــــــارك : وأنا أيضا ، يا جاكلين .

جـــــاكلـين : إذن ، فلماذا ترحل ؟ لماذا تتركنى هكذا هادئة ، ساكنة ، حينما عثرت عليك ؟ لماذا لا أكون بين ذراعيك الآن .

مــــــــارك : **(يأخذها)** ها أنت بين ذراعى .

جـــــاكلـين : وما هذا الوجه الصارم !

(تلمس جبينه بإصبعها)

لن أجتاز هذا الباب أبدا

(يقبلها فجأة)

أريد أن أكون لك .

(ينظر إليها مبتسما برقة وطفولة حقيقيتين ترتسمان على وجهه الذى كان منذ برهة جامدا مغلقا)

أريـد

(تقول هذا كطفلة صغيرة . وهى تضرب الأرض بقدميها بطريقة غير ملموسة)

مـــــــارك : **(يبتسم)** الفتاة صاحبة العربات الهائلة ، والكلاب الضخمة ، والتى اعتادت أن يطيعها الناس جميعا بمجرد إشارة من هذه القدم الصغيرة .

جـــاكلين : **(تخلص نفسها)** – إننى فى نظرك دمية أو طفلة بلهاء .

مـــــــارك : كلا ، إنك فى نظرى أنقى الناس طهرا . وأعظمهم شجاعة ، وأكثرهم استقامة .

جـــاكلين : ومع ذلك ، فسأظل دائما أصطدم بهذا الوجه الذى يغلق على ولا أفهمه .

لقد قلت لى ذات يوم إننى سأصبح زوجتك ...

مـــــــارك : فيما بعد ، حينما يصبح ذلك ممكنا .

جـــاكلين : ولكنه ممكن ! إن أبى هو خير أصدقائى . ولقد أخبرته بكل شىء . وهو يعلم أننى لا أنخدع . وهو ينتظر أن تذهب لزيارته .

مـــــــارك : لن أذهب .

جـــاكلين : أرجو ألا يكون ذلك بسبب فقرك ؟

مـــــــارك : كلا . إننى أشعر فى داخلى بقوة هائلة . وفى اليوم الذى أصبح فيه حرا ، وأستطيع فيه أن أقرب العالم ، سوف أقهره .

جـــاكلين : ماذا تعنى بالحرية ؟

مـــــــارك : لا أستطيع أن أخبرك بذلك .

جـــاكلين : سأنتظر حتى تستطيع .

(تنهض)

مـــــــارك : **(يحتجزها بيده)** – أوه ، لا تتركينى ! ... ليتك تدركين أين أنا ومن أكون ، ومبلغ حاجتى .

جـــاكلين : هل بوسعى أن أواسيك فى آلام لا أستطيع أن أعرفها ؟

مـــــــارك : أجل ، بعينيك ، بصوتك الرزين ، بجرأتك الهادئة .

جـــاكلين : لماذا تهجرنى ثمانية أيام ، وحينما تجدنى تتركنى بعيدة عنك كالغريبة ؟

وإذا لم يكن باستطاعتنا أن نتزوج الآن ، فلماذا لا نحاول أن نعيش معا .

(مارك لا يجيب)

إننى إنسانة من لحم ودم . وأخشى . أن يكون حبك لى ليس كما أريده أن يكون .

مـــــــارك : إن حبى لك ليس كذلك ، ولكنه كذلك أيضا .

جـــاكلين : وبعد ؟ إنهم على الشاطئ لا يتحدثون إلا عن مغامراتك لقد عرفت فتاتين من المجموعة أقل منى جمالا ولم تكن تحبهما . ثم إننى تجاوزت مرحلة الطفولة ... ولقد أخبرتك بذلك .

مـــــــارك : **(يضمها إلى صدره ، ينظر إليها فى صمت . وفجأة يتكلم ، برزانة)** ستصبحين زوجتى يا جاكلين ، وقد تكون هذه بلاهة منى ، إننى أريد أن تصبحى زوجتى حقا لا عشيقتى كالأخريات . أريدك ببيت . ووالدك متعلقا بذراعك ، أريدك بباقات أزهار العرس .

جـــــاكلين : **(تبتسم)** باقات أزهار العرس ! ...

مـــــــارك : لا يجب أن تقولى هذا بهذه التكشيرة . ما أجملها من مفاجأة أن أخذك وأنت فى الثوب الأبيض ، بعد طول الانتظار ، والخطبة ، وسط البسمات ووسط الموافقة العامة . إن كل هؤلاء القوم الذين أشعر نحوهم بشىء من الخوف ، ربما قاموا على تربيتك ، والعناية بك بهذا القدر العظيم من الحب والمبادئ ، لكى أستطيع أن آخذك فى تلك اللحظة . وربما قدمونى إلى عمتك العجوز ...

جـــــاكلين : أنت غريب يا مارك ...

مـــــــارك : أوه ، لا تقولى لى إن جميع صديقاتك يتزوجن بهذه الطريقة من رجال لا يحببنهم .

هبى لى هذا المنظر الجميل الأخاذ ! كان ينبغى أن يكون لدى أمى ثوب من الدانتلا السوداء . إن ثيابها كما تعرفين رديئة للغاية ، لأنها لا تملك مالا كثيرا ، كما أنها غريبة الأطوار . ولكنها عندما تضطر إلى ارتداء الأسود ، فإنها تبدو رائعة .

جـــــاكلين : إنك لا تحدثنى عنها أبدا .

مــــــــارك : وكان ينبغى أن نشترى قبعة عالية لوالدى للرسميات . ما أغرب ما كان سيبدو والدى فى القبعة العالية .

جــــاكلين : مارك أيها العجوز ! يسرنى أن أراك طفلا .

مــــــــارك : وكان ينبغى ...

(يتوقف)

كان ينبغى : ماض معلَّق . لم أعد واثقا يا جاكلين أننى أستطيع .

جــــاكلين : إذن ، ماذا وراءك يهددنا ؟ إننى بدأت أخاف الآن .

مــــــــارك : لا أستطيع أن أخبرك به .

جــــاكلين : هل أنت واثق أنك لا تبالغ فى تصور الأمور ؟ هل أنت واثق أنك لا تخدع نفسك ؟

مــــــــارك : ربما كنت مخطئا . سأعرف ذلك اليوم . إذا كنت مخدوعا ، فسأجتهد لكى أكون جديرا بك ، وسأحقق ذلك ، أقسم لك . وإذا لم أكن مخدوعا فلا ينبغى أن تسعى إلى لقائى لمدة طويلة . ولن أنساك .

جــــاكلين : ولكن لا يحق لك أن تشقينى بهذه الطريقة . ففيمن خدعت ؟ وفيم خدعت ؟

مــــــــارك : لا أستطيع أن أخبرك بذلك .

جــــاكلين : (**ضجرة**) إننى إنسانة بسيطة . وأخشى أن تكون مبالغا فى حب الأسرار من أجلى .

مــــــــارك : أو . كلا ! إننى أود أن أصبح شخصا بلا أسرار ، شخصا يبسط يده مستقيمة تماما ويقول : هذا والدى ،

ذلك السيد الذى كان زميلا لوالدك فى المدرسة . وهذه أمى ، هذه السيدة التى تمر . إننى لا أملك من دواعى البهجة والسرور إلا ما فى وجهى . وأنا واثق أنى قادر على إسعادك .

جـــاكلين : لست فى حاجة إلى أن تخبرنى بهذا كله .

مـــارك : أما أنا ففى حاجة إلى أن أستطيع إخبارك به .

جـــاكلين : لماذا لم تأخذنى كالأخريات ، ولو لتتركنى بعد ذلك ؟

مـــارك : إننى لا أريد أن أمارس معك الحب وحده . يبدو على أننى أجذف .

فالحب لا يكفى ، أريد أن أمارس معك المودة ، والثقة والحياة . أريد أن أراك كل يوم تتقدمين فى السن بالقرب منى . مستقيمة ، فخورة . مستقيمة تماما بشعر جميل أبيض .

جـــاكلين : **(تبتسم)** تتعجل الأمور كثيرا يا مارك .

مـــارك : **(غارقا فى حلم)** شعر أبيض . سأقول : هذه زوجتى . وسيحبك الناس جميعا ويحترمونك . ستعرفين كل شىء عن الحياة ومع ذلك . فلأنك بسيطة وطاهرة ، ستحتفظين بابتسامتك الصبيانية . كوالدتك فى تلك الصورة التى أريتنى إياها . أما أنا فسأكون مستقيما ، شريفا قويا بالقرب منك ، كوالدك . وسأكون كذلك متيما بك كما كان هو متيما بوالدتك . وستكون لنا طفلة ، وقد تغار من حبنا كما كنت تغارين من حبهما .

(يقول هذا كله وكأنه يقص حكاية جميلة وهو يضطرب شيئا ما . صمت)

جـــاكلين : كم تحب ذكرياتى ، يا مارك !

مـــــارك : ليس لى ذكريات مثلها ، وعلى ذلك فأنا أستخدم ذكرياتك مضطرا .

صـــوت : بالله ياسيدتى ، سأتناول مشهيات ، حينما يطيب لى ذلك .

(الأب يدخل ، تتبعه جورجيت) .

الأب : صباح الخير يا أنستى الجميلة .

جـــاكلين : صباح الخير يا سيدى .

(مارك يحتار لحظة ، ثم يتقدم)

مـــــارك : جاكلين تأخرت يا أبى ، يجب أن تنصرف . تعالى .

(يخرجان)

الأب : **(يجلس قانطا)** - يهربان منى .

(جورجيت تمر بالقرب منه ، تحفه بجونلتها عمدا).

أيتها القذرة الصغيرة . أنت التى قلت لسيدتك إننى كنت أشم المشهيات ؟

جـورجـيت : كلا . يا سيدى .

الأب : كيف تريدين أن تشمها هى ؟ إنها لا تملك حاسة الشم على الإطلاق . إنها امرأة لم تستطع فى حياتها أن تشترى شمامة . ومهما راحت تشم الشمام كما تشم الشبان ، فإنها دائما تأخذ منه غير الناضج .

(يناولها سلة)

أمسكى ، هاك حصادى من نبات الفطر ، فاسلقيه .

جـــورجـــيت : أمرك ، يا سيدى .

الأب : هل تحبين نبات الفطر ؟

جـــورجـــيت : الحقيقة أننى لم أذقه فى حياتى ! إنه سام .

الأب : ليس حينما أقطفه أنا ! جورجيت ، أنك لا تثقين فىَّ .
اقتربى !

جـــورجـــيت : ماذا ستعطينى ؟

الأب : أنت تعرفين تماما أننى لا أملك مالا .

جـــورجـــيت : تقول هذا دائما .

الأب : لأننى لا أملك منه شيئا .

جـــورجـــيت : يعنى ! ...

الأب : جورجيت ...

جـــورجـــيت : سيدى ؟

الأب : اقتربى ، يا جميلتى .

جـــورجـــيت : كلا .

الأب : سأقوم .

جـــورجـــيت : أوه ، لن تنالنى بهذه الطريقة !

الأب : أنا سيدك ، يجب أن تطيعينى .

جـــورجـــيت ليس في هذا الأمر .

الأب : لن أمسَّك .

جـــورجـــيت : تقول ذلك .

الأب : هل لك عاشق ؟

جــورجــيت : كلا .

الأب : تكذبين . فـقـد رأيتك . وسـأخـبـر سـيـدتك ، فـتطردك ويضربك أبوك .

جــورجـيت : أنت الذى تكذب ! كيف تريد أن يكون لى عـاشق ؟ فـأنا لا أخرج مطلقا ، وسيدتى تعلم ذلك جيدا .

الأب : إن فتاة صغيرة جميلة مثلك لا يمكن أن تظل بلا عاشق .

جــورجــيت : نعم ! ...

الأب : لمجرد المتعة .

جــورجـيت : ليس لنا متع ، نحن .

الأب : لأنهـم لـم يعـرفـوا أيتهـا البلهـاء الصـغـيرة . اسمعى يا جوريت ، سأشرح لك ، اقتربى .

جــورجــيت : ماذا ستعطينى ؟

الأب : أنك لا تفكرين إلا فى ذلك ! أنت ناكرة للجميل . تذكرى أننى قلت لسـيـدتك بالأمس إننى أنا الذى كسـرت إناء الزهر الأزرق ، حتى لا تجعلك تدفعين ثمنه .

جــورجــيت : لقد كسرتُه لأنك كنت تطاردنى !

الأب : اقتربى يا جورجيت ...

جــورجــيت : ماذا ستعطينى ؟

الأب : سأشترى لك شيئا .

جــورجـيت : مـاذا ؟

الأب : السروال الناعم الحرير الذى ترغبين فيه .

جــورجــيت : لقد اشتراه لى سيدى مارك .

الأب : ماذا تقولين ؟

جـورجـيت : أقول إن سيدى مارك اشتراه لى .

الأب : تكذبين .

جـورجـيت : تستطيع أن تسأله .

الأب : ما دخله هو ؟ إنه عاشق والبلدة كلها تعلم ذلك !

جـورجـيت : للطويلة النحيفة ؟ كنت سأعجب لذلك . أنه لا يحب إلا الصغيرات السمينات أمثالى . إنه فى يدى .

الأب : يا لك من سانجة . هل أخبرك بذلك ؟

جـورجـيت : كلا ، ولكننى رأيته .

الأب : ليس هناك أطفال ! ماذا يفعل معك سيدك مارك ؟ هيه ، قولى .

يمكنك أن تقصى على فلن أخبر أحدا .

جـورجـيت : ماذا ستعطينى ؟

الأب : **(وقد نجح فى مسكها)** لن أعطيك شيئا ، أيتها القذرة الصغيرة ! إنك فى يدى الآن ! لن تستطيعى الإفلات ! ماذا يفعل معك سيدك مارك ؟ هه ؟

جـورجـيت : دعنى وإلا صرخت ...

مـــــارك : **(يدخل ، يمسك والده من رباط عنقه ، وينتزعه من كرسيه)**

بابا ، ألا تترك هذه الصغيرة ؟

الأب : **(وهو يتراجع ممسوكا من رباط عنقه)** مارك !

مـــــارك : أما هذه ، فإننى أنذرك بألا تمسها .

الأب : أنا والدك !

مـــــــارك : أعرف ذلك .

(يقوده حتى الباب)

انصرف

الأب : هكذا تضاجع الخادمة الآن ؟ ألا تخجل .

مـــــــارك : لا

الأب : ولا تكتفى بمضاجعتها ، بل وتنفق مصروفك فى شراء السراويل لها بينما نحن فى حالة ميئوس منها ، ولا تخجل ؟

مـــــــارك : لا . انصرف .

الأب : إننى ألعنك .

(يخرج . جورجيت تحاول الهروب)

مـــــــارك : **(يحتجزها)** جورجيت ، ألم ترى صديقتك بعد ؟

جـــورجـيت : نعم لم أره ، يا سيدى مارك .

مـــــــارك : هل أنت واثقة على الأقل أنها تبعتهما ؟

جـــورجـيت : أجل ، فليس عليها أن تفعل غير ذلك .

مـــــــارك : ماذا قلت لأبى الآن ؟

جـــورجـيت : لا شيء

مـــــــارك : ألا تتكلمين ؟ هل قلت له إننى قدمت إليك هدية ؟

(لا تجيب)

وأننى عشيقك ؟ ما هذه الحكاية ؟

جـــورجـيت : إنك تسيء إلى .

مـــــــارك : لماذا قلت له ذلك ؟

جـورجـيت : **(بعد صمت)** أنا أعرف تماما كيف تنظر إلى .

مـــــــارك : أنت مجنونة .

جـورجـيت : كلا

مـــــــارك : أنت طفلة

جـورجـيت : أنا فى الخامسة عشرة . وها قد مضى عامان منذ اشتغلت . وقبل ذلك كان والدى ، إذن ...

مـــــــارك : **(ينظر إليها لحظة)** لا تدعى والدى يمسُّك . خذى . اشترى لنفسك ما تريدين .

(تخبئ النقود)

جـورجـيت : مادمت تهتم بذلك ، فاطمئن أنه لن يمس منى إلا ما لا أستطيع منعه عنه ، وفى الجزء العلوى فقط .

(تنصرف لكى تخرج ببطء . تلتفت)

ها أنت ذا تنظر إلىَّ كالمرات الأخرى .

مـــــــارك : تعالى !

(تقترب جورجيت فى هدوء)

هل أنت واثقة أن صديقتك ستقوم بالمهمة .

(بضيق فجأة)

جـورجـيت : أجل .

(صمت)

وبعد ؟

مـــــــارك : انصرفى .

جورجيت : أنت غريب الأطوار .

(تقول ذلك بجفاء واحتقار، ثم تخرج . يمرر مارك يده فوق جبينه ويهم بالجلوس) .

الأب : **(يدخل ، طبيعيا للغاية)** وبعد يا بنى ، هل فكرت فى كشف الحساب ؟

مارك : أى كشف ؟

الأب : كشف الغاز .

مارك : ولكن ... أين مرتبك ؟

الأب : لم يبق منه شىء .

مارك : إننا فى العاشر من الشهر .

الأب : لقد أعطيت كل شىء لأمك . فاشترت لنفسها قبعات .

مارك : لقد أخبرتنى أنك لم تعطها إلا ألف فرنك . فأين الباقى ؟

الأب : أنها تكذب . ومع ذلك فهل تريد أن أقوم بعمل الحساب لك ؟

مارك : أوه ، كلا ، فإنك دائما تكون على حق حينما تقوم بعمل الحساب .

الأب : كلا . كلا . إننى أتمسك بذلك . فى كلمتين . اسمح لى بكلمتين أيها الكونت [1] .

(يضحك)

مارك - عظيم .

الأب : هل تحتقرنى ؟

(١) عبارة مشهورة قالها رودريج للكونت فى مسرحية " السيد " .

مــــــــارك : أجل .

الأب : تحتقرنى لأننى أغازل الخادمة بينما أنت عشيقها . شىء مضحك !

مــــــــارك : أنا لست عاشقها ، لقد كذبت عليك .

الأب : الجميع يكذبون علىَّ هنا . وذلك لكى يبتزوا نقودى دائما !

مــــــــارك : ماذا تخشى ما دمت لا تملك منها شيئا !

الأب : هذا صحيح ، ولكنهم يحاولون . إذن فأنت لست عاشقها ؟

مــــــــارك : كلا .

الأب : حسن .

مــــــــارك : ولكننى أمنعك أن تصبح أنت عاشقها .

الأب : لماذا يا بنى ؟

مــــــــارك : إنك تثير اشمئزازى . أحب ألا أتحدث معك فى هذا الموضوع .

الأب : أنت ترغب فيها ، هيه أيها الماجن ؟ أما أنا فلست على هذا القدر من الخبث . إنها صغيرة لا تفكر إلا فى النقود . **(يضحك)**

مــــــــارك : **(يضرب رأسه بقبضته)** جاكلين ! جاكلين !

الأب : **(بصفاء)** هل تنادى الخطيبة ؟

مــــــــارك : أنا ابنه . أنا ابنهما . هل أستطيع يوما أن أنتزع نفسى منكما ؟

الأب : لقد قضى الأمر . إنك تجحد مولدك . إنك لا تتعلق بنا إلا من حبل سرتك.

(يضحك)

مـــــــارك : هل كنت تقول لجاكلين نكاتا من هذا النوع ؟

الأب : إنها رائعة . تصور لقد قلت لها نكتة .

(يتكور فى كرسيه كما لو كان يشعر بالبرد)

الأب : إذا قلبتها غمًا فهذا الأمر يختلف ، ماذا تريد يا بنى ، بالضبط . إننى ألهو مع هؤلاء الخادمات الصغيرات . أنت الآن كبير ويمكن أن أتحدث إليك . أنت تعلم أن أمك لا ترغب فىَّ منذ عام ١٩١٣ . أنا عجوز دميم ولكننى أيضا رجل . وبقليل من المال وبقليل من الفراغ يصعب على المرء أن يجد عشيقة ... هناك البيوت السرية ، طبعا ، ولكنها مجازفة مع ما تتركه أمك ... أما هؤلاء الصغيرات هنا فعلى العكس ، نظافة وأمان ، وهذا دائما لا يتطلب الكثير . وأخيرا لا يجب أن نعمل من الأمور البسيطة فواجع . إنهن فتيات متعودات على ذلك ... ولست أول عاشق لهن ، يا للشيطان ! ماذا تريد أن أقول لك يا بنى ؟ إننى لا أرتكب جرما عظيما . وعلى كل فقد كنت دائما أحترم الأخلاق والمظاهر . وهذا بخلاف أمك .

مـــــــارك : **(وهو لا يتحرك)** ماذا تقول ؟

الأب : أقول إن هذا بخلاف أمك .

مـــــــارك : لم أكن أنصت إليك .

الأب : فيم كنت تفكر ؟

مـــــــارك : فيك .

الأب : **(ضيقا)** أوه ! يابنى ...

مــــــــارك : أيتها الخرقة القديمة ...

الأب : **(بحركة)** أبوك ! ...

مــــــــارك : أبى المسكين العجوز !

الأب : أجل .

مــــــــارك : لا تستطيع أن تقف على ساقيك ، وتتمسح بالخادمات ، وترى أموالك تتسرب ...

الأب : لم أطلب منك أن تقول ذلك !

مــــــــارك : ومع ذلك فقد وضعت منه فى ركنك الصغير ما استطعت أن تحفظه .

الأب : كذب !

مــــــــارك : وأنت تتقدم فى السن . ولن يلبث أن ينتهى ذلك . ولا تملك شيئا . ولم تملك شيئا على الإطلاق .

الأب : بقى لى شرفى .

مــــــــارك : أجل ، والمظاهر .

الأب : أجل .

مــــــــارك : هل كنت شقيا معها ؟

الأب : أجل .

مــــــــارك : وهى أيضا كانت شقية .

الأب : إنها ...

(ينظر إليه ، يكمل)

إنها أمك .

مـــــــارك : أجل . كم من الوقت يلزمك لكى يكون لديك ما يكفى لشراء عشة وقارب على شاطئ البحر !

الأب : أنت مجنون ؟

مـــــــارك : قل ...

الأب : أنا لا أملك مليما ... إننى مدين بخمسة وعشرين فرنكا لزميلى " بيزار "

مـــــــارك : (**وهو يدفعه دفعات خفيفة**) أيها الماجن ! ... بوسعك أن تذهب ، فتشترى بضع سنوات من الهدوء ... وسأزورك .

الأب : آه ، لو كنت تقول الصدق !

مـــــــارك : أنا أيضا قد أفعل ذلك . ولكن فرصتى فى ذلك أقل كثيرا من فرصتك .

ومع كل ، ما قولك لو أننى ، ذات يوم ، اشتريت لك قبعة عالية وسترة لكى تحضر حفل زواجى .

الأب : تتزوج ؟ بالصغيرة ؟

(يأتى بإشارة تدل على أن هناك مالا .)

سيكون ذلك رائعا ! أتعشم ألا تنسى والدك العجوز ؟

مـــــــارك : كلا ، ولكن يجب أن تبدو فى مظهر محترم ذلك اليوم ، هيه ؟

الأب : اطمئن .

مـــــــارك : ولا تقل نكاتًا ؟

الأب : لدى منها مجموعة مختارة . إننى نكتى ولكننى أعرف عالمى . بخلاف أمك ، فكل يوم يمضى تصبح أكثر شيوعا من اليوم السابق . إنها تعاشر قوما يخيفون . هل رأيت السيد مارسيل هذا ؟

مـــــــارك : أجل . هل تعرف من يكون ؟

الأب : كلا . إنه يشبه الخدم .

مـــــــارك : ألا تذكر أنك رأيته وسط الناس فى الملهى ؟

الأب : كلا . اثنان وعشرون !

(الأم تدخل)

مـــــــارك : صباح الخير يا أمى .

الأم : إننى أشعر بإعياء شديد . لم أنته بعد من أعمال البيت . جورجيت لا تفعل شيئا . أنا دائما من تشقى هنا . هل وضعت " الأنيزيت " فى حجرتك .

مـــــــارك : أمى : لن تشربى الآن . فإننا سنتناول الطعام .

الأم : لن تمنعنى من الشرب وأنا ظمآنة الآن ! فأبوك يفرط فى تناول المشهيات وأنت لا تقول له شيئا . أما أنا فدائما على خطأ .

(تخرج) .

الأب : وهى تشرب أكثر فأكثر حينما ترى أنك لا تراقبها .

مـــــــارك : وأنت تتركها تفعل ذلك ؟

الأب : مادامت لا تقول لى شيئا فأنا لا أهاجمها .

مـــــــارك : كيف استطاعت أن تشترى هذا المئزر الأصفر ؟

الأب : أنها تحب الألوان الصارخة .

مـــــــارك : إنها تزداد سمنة . فهى لم تعد تعتنى بنفسها .

الأب : كلا .

(مارك يجلس ورأسه بين يديه)

كيف تريد أن نتصرف معها يا بنى ؟

مــــــــارك : أخشى أن أتحدث إليها. إن كل كلمة نتبادلها تقلص وجهينا . أود أن أهدئها، أن أقول لها إننى أحبها ، وأن هذا من أجلها . لابد وأننى أخرق .

الأب : يجب أن تتركها لحالها .

مــــــــارك : كلا .

الأب : ستضيع وقتك .

مــــــــارك : أريد أن أنجو بنفسى . أريد أن أعيش ، هل تفهم ؟ لا أستطيع أن أفعل شيئا وأنا معكما أنتما الاثنان ، وأنا بينكما أنتما الاثنان .

الأب : هوِّن عليك ، يا بنى ، أنا لست بائسا . فأنت حر، وتحصل على مصروف جيب كاف . بخلافى أنا ، أنت شاب .

مــــــــارك : أجل .

الأب : ألست شابا ؟

(ينظر من النافذة)

ياللمصيبة ، إنه الغاز !

(يصيح)

جورجيت ، لا تفتحى !

(يطرق الباب . صمت . يطرق الباب مرة أخرى . لحظة)

لقد وضع إنذارا فى صندوق الخطابات . لدينا ما يكفينا خمسة أيام .

مـــــــارك : عندما يتحتم علينا أن نفكر فى هذا السيل من كشوف حساب الغاز . وأن نجفف هذا الفيض من الدموع الزائفة ، وأن نكذب على هذا وذاك ، وأن نكون عاقلين مهما حدث ، مادام أحد ليس عاقلا ...

الأب : أنت تبالغ .

مـــــــارك : بكل تأكيد .

الأب : فى مثل سنك كنت سعيدا . وهل تدرى كيف كان أبى وأمى ؟ كنت معهما بين ذراعى كلاَّبة .

مـــــــارك : كان لك حظ ، كان الأمر أكثر تصريحا .

(صمت)

الأب : وفضلا عن ذلك فإذا تم هذا الزواج فستنسانا سريعا وكذلك ستنسى كشف حساب الغاز . أعتقد أن حماك سيدبر لك وظيفة ؟

مـــــــارك : لقد أخبر جاكلين أنه سيأخذنى فى مصانعه .

الأب : هذا رائع . أنا فخور بك . إننى أنتظر بفارغ الصبر أن أكتب إلى العائلة لأخبرها بذلك .

مـــــــارك : لا تتعجل أكثر من اللازم .

الأب : أما بخصوص السترة ، فبمجرد أن تحصل على قليل من النقود أعطنى إشارة فإن زميلى " بيزار " لديه فرصة رائعة وسأتحدث معه مساء اليوم فى هذا الشأن .

مـــــــارك : ما أسرعك . لا تتحدث فى هذا إلى زميلك " بيزار "

الأب : لماذا ؟

(مارك يهز كتفيه)

أهناك مانع محتمل ؟

مـــــــارك : أجل . يكاد يكون أكيدا .

الأب : امرأة ؟

مـــــــارك : **(بابتسامة رهيبة)** .

أجل .

الأب : سيئة السلوك ؟

مـــــــارك : أجل .

الأب : وإذا قدمت إليها المال ؟ أنا لا أملك منه شيئا ولكن حماك قد يقرضك ؟

مـــــــارك : ليست هناك وسيلة ياأبى العجوز المسكين .

الأب : إنك تفزعنى يا بنى .

(صمت)

مـــــــارك : سوف نلتقى ، ليكن ! ولسوف نتحدث عن الخادمات . ولسوف نحاول أن نمنع أمى من الشرب .

الأب : لا تكن لاذعا .

جـورجـيت : **(تدخل)** سيدى مارك . لقد حضرت صديقتى .

مـــــــارك : **(ينهض فجأة)** صحيح ؟ أدخليها . دعنا وحدنا يا والدى .

الأب : **(باهتمام)** – ما هذا ؟ ألا أستطيع أن أراها ؟

مـــــــارك : كلا . سأشرح لك فيما بعد ، دعنا الآن .

(يدفعه إلى الخارج . ثم يخاطب جورجيت) .

ماذا ؟

جـورجـيت : سأدخلها ، ولكننى أنذرك . فهى امرأة بغيضة . تسعى إلى امتلاك جميع الرجال .

مـــــارك : وبعد ؟

جـورجـيت : لسوف تسبب لك ضجة بكل تأكيد . ولكن خذ حذرك ؛ فهى مريضة ، وقد أخذت هذا المرض من أحد جنود الفرقة ١٦٨ .

مـــــارك : ولماذا تقولين لى ذلك ؟

جـورجـيت : لأننى لا أريد أن تتصل بها ، والله

مـــــارك : (**يمسكها من كتفيها**) - هل سيستمر هذا المزاح ؟ تتصورين دائما أننى أرغب فيك ، أيتها الصغيرة البلهاء ؟

جـورجـيت : (**تنظر مليا فى وجهه**) - أنا متأكدة من ذلك . انظر . إنك لا تجرؤ أن تنظر إلى منذ أمسكتنى . إنك تضغط على لدرجة أنك تؤلمنى آى ! ... إنك تزيد من شدة الضغط ...

مـــــارك : لماذا تفعلين كل هذا ؟ ... أتحبيننى إذن ؟

جـورجـيت : (**بوضوح . برزانة ، بلا دلال**) - كلا .

مـــــارك : (**يهزها فجأة وهو يصيح**) ليس هذا صحيحا ، فاهمة ؟ أنا لا أرغب فيك . ولم أرغب فيك أبدا . ولسوف تعودين إلى والدك ! ومع ذلك فأنا سأرحل . وستخبرنى صديقتك بذلك الآن . سأصبح حرا ! لم يكن هو . لقد خدعت ! الأمر سيكون فظيعا لو اضطررت للبقاء هنا معكم أنتم الثلاثة .

جـورجـيت : (**مهزوزة**) - آى ! آى ! آى ! أنت مجنون !

مـــــارك : **(يتركها فجأة)** - احضريها .

(جورجيت تخرج وتعود) ها هى ذى .

(تدخل فتاة بين السادسة عشرة والسابعة عشرة تبدو عليها هيئة الأوباش . يخاطب جورجيت)

دعينا .

جـورجـيت : كلا .

مـــــارك : قلت لك دعينا

جـورجـيت : كلا ، ثم إنها ستقول لى كل شىء ...

مـــــارك : هل تبعتها ... أخبرينى بسرعة ؟

الصـغـيـرة : أجل . ولكنها تاهت منى يومين . وأمس فقط استطعت أن أتبعها حتى النهاية .

مـــــارك : هل كانت بصحبة الشخص نفسه فى الأيام الثلاثة ؟

الصـغـيـرة : أجل ... الطويل الأسمر .

مـــــارك : ألم يكن يرتدى زى السائقين ؟

الصـغـيـرة : نعم لم يكن .

مـــــارك : وبعد ذلك حمت حول حظيرة السيارات **(الجراج)** كما طلبت منك ؟

الصـغـيـرة : أجل .

مـــــارك : ولكن تكلمى ، تكلمى إذن ! هل رأيته ؟

الصـغـيـرة : أجل . رأيته .

مـــــارك : هل كان فى زى السائقين هذه المرة ؟

الصـغـيـرة : أجل .

مـــــــــارك : هل كان هو نفسه ؟

الصـغـيـرة : أجل .

مـــــــــارك : هل أنت واثقة أنه هو نفسه ، الذى رأيته معها أول مرة ؟
هل أنت واثقة من عدم وجود تشابه .

الصـغـيـرة : كـلا . لقـد رأيت حـتى خـاتمه . ولكننى لا أعـرف لماذا احتجت إلى فى هذا الشأن ، فقد كنت تستطيع أن تراه بنفسك .

مـــــــــارك : (**يعطيـهـا بعض النقـود . يشـحب تمامـا**) خـذى . اصحبيها يا جورجيت .

الصـغـيـرة : (**مبتسمة**) إن سيدك خفيف الظل .

جـورجـيت : إنه فاسق . يلهو مع كل بنات الحى .

(**تخرجان**)

مـــــــــارك : (**ينادى**) ماما ! ماما !

صـوت الأم : ليس لدى وقت ، إننى أرتدى ملابسى .

مـــــــــارك : اصعدى حالا ، ضرورى !

(**الأم تدخل متسربلة بطريقة عجيبة**)

مـــــــــارك : (**يبدأ رزينا**)
أمى !

الأم : إيه حسن ، ماذا تريد ؟ هل تعجبك قبعتى الصغيرة الأمريكية ؟

مـــــــــارك : هل جننت ؟

الأم : كنت أتوقع منك ذلك . إنك تريد أن أرتدى ملابس العجائز !
إننى لم أصبح عجوزا يا صغيرى مارك ، ليس بعد ...

(تصلح هندامها أمام مرآة . تغنج)

مـــــــارك : أمى .

الأم : ماذا بك يا صغيرى ؟

(تنظر إليه . تتحسس شعره فى حركة أمومة)

هل أنت بائس ؟

مـــــــارك : أجل .

الأم : ماذا جنيت من الذنوب لكى أنجب ابنا كهذا ؟ كيف يمكن أن تصبح بائسا ؟ لا شىء هناك ، دعك من هذا ، إن هذه الأحزان تمر بسرعة .

(تربت عليه خفيفا . يتبعها بعينيه . يتردد ، عندما تصبح قريبة من الباب يناديها) .

مـــــــارك : أمى !

الأم : ماذا تريد إذن ؟ ستجعلنى أتأخر عن الغداء إننى على موعد فى الثانية .

مـــــــارك : يجب أن تستمعى إلىّ يا أمى .

الأم : **(أمام المرآة)** هيا ، تكلم . أهى أشجان الحب ؟ حقا أنك لا تقصها على إطلاقا ، فأنت لا تثق فى . إيه حسن ، تكلم ، هل تحب هذه الصبغة الشقراء الإيطالية ؟ أظن أننى كنت أجمل حينما كنت استخدم الصبغة الكستنائية . إنك لا تقول لى شيئا أبدا .

مـــــــارك : كان حديثى معك سيصبح سهلا لو لم تستخدمى الصبغة الشقراء الإيطالية .

الأم : أنت مثل أبيك ، تريد أن أصبح عجوزا حتى أستطيع أن أتفرغ لخدمتكما .

مـــــارك : لا تختلقى أفكارا سيئة . إننى أحبك ، وأود أن تكونى سعيدة ولكننى أود أن أكون سعيدا أنا أيضا .

الأم : وهل أنا أحول بينك وبين السعادة ؟

مـــــارك : اجلسى . اخلعى على الأقل قبعتك الأمريكية . أجل ، اخلعيها إننى أجلس على الأرض وأضع رأسى بين ركبتى كما كنت طفلا . أنا بائس يا أمى وهذا بسببك أنت .

الأم : ماذا تخترع ثانية ؟ إنك تتسلى بتعذيبى !

مـــــارك : منذ زمن بعيد ربما منذ عشر سنوات . تمنيت أن أكلمك بهذه الطريقة . وفى بعض الأحيان كنت أريد أن أتوسل إليك لكى تكونى أما كالأمهات الأخريات ، وفى بعض الأحيان كنت أريد أن أسبك ، أن أهينك ...

(ينكمش بين ركبتيها)

الأم : ماذا بك يا مارك ؟

مـــــارك : فى سن السادسة كنت أبله كجميع الأطفال . كنت أظن أننى قوى . وقد أوشكت أن أؤدى هذا المشهد أمامك . والآن ، وقد كبرت قليلا ، أدركت تماما أننى لن أؤدى ما حييت ، مشهدى البديع ، مشهدى الرهيب .

الأم : ولكن ، ماذا بك ؟

مـــــارك : أمى ألا تمكنينى من السعادة قليلا بدورى ، ألا تقبلين أن تكونى عجوزا كما تقولين ! ليس هذا قبيحا ، كما تعلمين ،

عجوزا ما تزال جميلة ، لها شعر أبيض جميل ، عجوزا ترتدى ثيابا سوداء ، وتلمع منزلها ، عجوزا تهتم ...

الأم : (**تنهض**) دعنى يا مارك . أنت أنانى .

مـــــــارك : (**يصرخ**) أمـاه !

الأم : (**تتوقف**) لقد ضحيت بنفسى فى سبيلك . لم أكن أتصور أنك ستكافئنى بهذه الطريقة آه ! هذا عقاب إنجاب الأطفال ...

(هما الآن مبتعدان كل عن الآخر) .

مـــــــارك : **(بوضوح ، ضاغطا على أسنانه) .**

أمى ، ليس هذا صحيحا ، إنك لم تضحى من أجلى أبدا . وإننـى أسـألك لأول مرة أن تفعلى ذلك .

الأم : أنت أنانى !

مـــــــارك : لا تكررى هذه الكلمـة ، فهى غـيـر صـحـيـحـة . تشـجـعى وانظرى داخل نفسك . راجعى نفسك .

الأم : دعنى أذهب .

مـــــــارك : كلا .

الأم : دعنى أذهب ، فلم أعد أريد أن أنصت لك ! من أجلك أنت ، بقيت إلـى جوار هذا البخيل ، هذا الجبان الذى أبغضه ، إننى أندم الآن لأننـى لـم أرحل .

مـــــــارك : كنت تحسنين صنعا لو كنت رحلت .

الأم : ماذا تقول ؟

مـــــــارك : أقـول إنك كنت تحـسنين صنعـا لو كنت رحلت : كنت سأكون أقل شقاء ! ولكن . لا توهمى نفسك . إن الرحيل

مجرد كلمة . فأين تذهبين ؟ لقد بقيت لأنه يعولك ، ولأن هذا الوضع أفضل وأيسر . ولكنك لم تضحى بأية متعة من أجلى .

(تنهض فجأة . لا تقول شيئا. يريد أن يحتجزها . تحاول أن تخلص نفسها. دون كلمة واحدة ، وعيناها زائغتان ، تبكى بلا صراخ) . سامحينى يا أمى ، سامحينى . إننى لا أدرى ما أقول . وكما ترين أن هذا الكلام السىء يفلت من بين شفتى . ليس هذا صحيحا، لقد بقيت لأنك كنت تحبيننى . أنا أعرف ذلك ، سامحينى يا أماه . لقد كنا خير صديقين . وكنت دائما تخلصيننى من المكائد . ليس هذا صحيحا . لقد كذبت عليك ، ينبغى أن تنسى ما قلته . لقد بقيت أنت لأننى عندما كنت أصاب بالمرض لم يكن هناك غير يدك فوق جبينى تشفينى ، لقد بقيت لأننى فى المساء كنت لا أحب أن أؤدى صلاتى إلا بصحبتك ، وإذا كنت قد أشقيتنى فإنك لم تفعلى ذلك عمدا أبدا . ماما ، ماما ، لماذا فقدنا كلمات الطفولة الجميلة ؟ ماما ، مامى . لا تبكى يا أماه ! اسمعينى ، إننى أجلس متكورا على الأرض حتى إنك تستطيعين أن تعتقدى أننى لم أكبر بعد . أنت الآن عائدة منذ قليل ، وقد ظللت أنتظرك طوال النهار فى المطبخ مع الخادمة . ولقد نسيت مرة أخرى ذلك الحصان الآلى الذى كان ينبغى أن تحضريه لى كل مساء ، وتقولين لى :

لا يجب أن تقول إننى خرجت ، وأنا أجيبك " كلا يا أماه لن أقول " (**صمت**)

الأم : لا يجب أن تؤدى أمامى مثل هذا المشهد الفاضح يا مارك .

مـــــارك : (**بنفس الصوت**)- كلا يا أماه .

(**صمت أخر طويل**)

الأم : لقد بكيت . فلا بد أن أضع المساحيق مرة أخرى . دعنى أنهض .

مـــــارك : (**بصوت الرجل الذى عاد إليه**)

كلا ، يا أماه .

الأم : دعنى إذن ...

مـــــارك : (**يقبلها ، يمسكها بقوة ، يتحدث إليها عن قرب شديد بصوت خفيض**) أماه ، أماه . ليس بوسعك أن تفقدينى هذا النصيب من السعادة . لن تلبثى الآن أن تقومى بمهزلة مشئومة سوف تصليك عذابا ، فتوقفى من تلقاء نفسك وأتيحى لى فرصة السعادة . كونى كما أطلب إليك أن تكونى وهذا أمر يسير للغاية . إننى أخجل من التحدث إليك ، وأرى جيدا أنك تخجلين من سماعى . ماذا تريدين ؟ ليست غلطتى ، إننا ننطق كلمات لا ينطقها الأبناء والأمهات . ولكن من الأفضل أن نقولها ، هذه الكلمات حتى ولو خجلنا منها . إن شيئا بالغ الثقل يقوم حائلا بيننا وربما كان ما بيننا من الحب لا يكفى لإزالته .

(لحظة ، ثم يتوسل ، برقة وبطء)

اهجريه ، يا أمها ... اهجريه . كوني أما كغيرك من الأمهات ، الآن وقد أصبحت عجوزا . ولن تلبث السن أن ترغمك على هذه التضحية ...

الأم : أنت مجنون !

مارك : اهجريه يا أماه . انظري ، إنني لا أكاد أجرؤ على أن أتقدم إليك بهذاالرجاء المخجل ، فاستجيبي له .

الأم : **(متصلبة)** – فيم يهمك ما أفعله ؟

مارك : إنني أحب فتاة . ولا أريد لها أن تظل مجرد عشيقتي بمواراتي منها والكذب عليها كالأخريات . اسمحي لي أن تصبح زوجتي .

الأم : وماذا يمنعك ؟ هل تخجل مني ؟

مارك : إنه سائق والدها يا أماه .

الأم : وبعد ؟

(مارك ينتصب ، وينظر إليها)

جورجيت : **(تدخل)** سيدتي ، السيد مارسيل تحت . إنه في حالة هياج شديد . يحطم كل شيء .

مارك : **(يحتجزها)** لا تنزلي يا أماه .

الأم : دعني .

مارك : إنني أمنعك ، أتوسل إليك .

(تخلص نفسها وتخرج)

أوه ، صحيح ، إنني أبغضك ، إنني أبغضك !

(يظل بمفرده مع جورجيت التى تتضاحك)

جـورجـيت : تأخذ نصيبها . جاء دورها فقد كانت دائما تشتمنى وتهزأ بى .

مـــــارك : **(ينظر إليها ، تائها ، يتمتم)** - سامحينى يا أماه .

الأب : **(يدخل)** يبدو أن العلاقات بالغة السوء بين هؤلاء السادة والسيدات .

(يضحك)

مـــــارك : أيها العجوز الجبان !

الأب : الألفاظ الوقحة دائما .

مـــــارك : لو كنت عرفت كيف تسيطر عليها ، وتحتفظ بها . وتجعل منها زوجتك ، لما أصبحنا الآن فى هذه الحال .

الأب : صدقنى إن أردت . لقد كانت ألطف وأرق عروس يمكن أن يتصورها العقل . عام واحد فقط كان كافيا لكى تتحول إلى رجل .

مـــــارك : ولكن هل كنت تحبها ؟

الأب : **(بحركة)** - إننى أكرهها منذ زمن بعيد .

مـــــارك : هل أحببتها يوما ؟

الأب : ربما .

مـــــارك : **(يهزه)** - ما السر الذى جعلك لا تستطيع السيطرة عليها ؟

الأب : كان يلزمها لذلك عشرة من أمثالى . إنها كثيرة المطالب . ونحن فى أسرتنا متحفظون . وأنا رجل طيب ، عادل ،

مجتهد . بل إن عائلتي كانت تقول على إنني قديس .
لو كانت امرأة شريفة ، لأصبحت سعيدة معي بكل تأكيد .
عندما أفكر أنني كنت على وشك أن أتزوج " ماري لوكوربييه " إنها الآن زوجة عالم آثار شهير . تذهب إلى القداس كل صباح .

مارك : **(جالسا ورأسه بين يديه)** – ولكنك ربما كنت تستحق هذا الشقاء . أما أنا فلا .

الأم : **(تدخل شعثاء ، مذعورة)** – مارك ، هل معك نقود ؟

مارك : أنت تعلمين جيدا أنني لا أملك نقودا .

الأم : من أين أستطيع أن أحصل عليها ؟ يلزمني خمسة آلاف فرنك ، في الحال . قبل هذا المساء .

(الأب يحاول أن ينصرف في الخفاء)

لا تخرج !

الأب : كيف ؟

الأم : لا تخرج . إنك تملك هذه النقود ، أنت . يجب أن تقرضني إياها .

الأب : أنا ، نقود ؟

الأم : أجل ، لا تكذب . فعندما كنت أقوم بأعمال البيت مع جورجيت ، اكتشفنا ذلك القعر المزدوج في منضدة سريرك . أن لديك عشرة آلاف فرنك .

الأب : هل أخذتها ؟

الأم : كلا ، ولكن يجب أن تقرضني منها الآن خمسة آلاف .

الأب : مستحيل .

(يريد أن يخرج)

الأم : لن تخرج . لابد من أن تقرضنى إياها ، فاهم ، لابد من أن تقرضنى إياها ...

(تمسك بسترته)

الأب : لكى تعطيها لعشيقك ؟

الأم : أجل ، لكى أعطيها لعشيقى ... لابد منها فى الحال . أنقذنى . ولسوف أقتصدها . لسوف أعمل وأجنيها . أقسم لك .

الأب : أه ، إنك تضحكيننى .

(يضحك وهو يحدث جلبة ، ضحكا مفتعلا)

الأم : أوه ،لا تضحك هكذا !

(يتوقف فجأة)

الأب : أنا ليس لى زوجة ! ولن أجرد نفسى من مالى لكى أمهر لك رجلا .

الأم : لقد سرقها من سيده . وإذا لم يحصل عليها قبل غد، فسيقبض عليه . لا أحد غيرى يستطيع أن يقرضه إياها .

الأب : ما أشد طيبتها . كيف تجد أمك يا مارك ؟ تطلب منى نقودا لتصلح ما أفسده اللصوص .

(يضحك)

الأم : لا تضحك ! لا تضحك ! إنك ترى جيدا أننى كالمجنونة وأننى أبكى .إنك تبغضنى وأنا أعلم ذلك . تريد أن تذلنى ،

تريد أن تنتقم لنفسك . فانتقم لنفسك . أذلنى. انظر. إننى أركع على ركبتى . سأبيع المجوهرات والأثاث الذى أمتلكه . سأكتب إلى أختى لترسل إلى نقودا ، باختصار سأردها لك ، أقسم لك ! مارك ، قل له إننا سنردها له .

الأب : لا فائدة .

مـــــــارك : انهضى يا أماه .

الأم : كــلا . لا أريد أن أنهض . أريد أن يقــرضنى إياها . سأظل متعلقة بساقيه حتى يقرضنى إياها .

مـــــــارك : **(ينهضها)** انهضى يا أماه .

الأب : **(يتوجه بوقار ناحية الباب)**

أحسنت صنعا . فإن دموعها ما كانت لتثنينى .

الأم : إننى أكـرهك ! أكـرهك ! دعنى يا مـارك ، دعنى . أريد أن أنزع عينيه ! أريد أن أضربه ، أن أصفعه !

الأب : أمسكها !

الأم : هـو ذاك . أصلح ياقــتك ، ورباط عنقك . كن مــهندمــا كشأنك دائما ! أما أنا فلست كذلك . إننى امرأة ضائعة كما تقول ، بلهاء ! انظر إننى أنزع صـديرتـى ، وألطم وجهى ، وأحول من الألم لأنك تمنع عنى هذه النقود .

مـــــــارك : أماه .

الأم : دعنى !

الأب : **(بوقار)**

أنا خارج يا مارك .

الأم : أنا أبغضك ! ... أبغضك ! لسوف أحصل على العشرة آلاف فرنك التى تملكها . سآخذها منك ، فاهم ، سآخذها منك .

الأب : مارك ، أنت شاهد .

(يخرج)

الأم : **(تكرر وهى منبطحة)**

سآخذها ... ، سآخذها ...

مارك : اسكتى يا أماه .

الأم : سآخذها ... سآخذها ...

مارك : أماه ...

(يهدهد رأسها ، نظرته ثابتة . صمت طويل)

الأم : مارك ، قد يكون لك أصدقاء ... هذه الفتاة الغنية . اذهب واطلب منها أتوسل إليك .

مارك : لا ، يا أماه .

الأم : لا يجب أن تتخلى عنى . سيقبضون عليه . سيضعونه فى السجن . لن أراه بعد ذلك ... أو سيجد نقودا عند امرأة أخرى ويهجرنى . أجبنى يا مارك . هذه الخمسة آلاف فرنك سيقرضك أصدقاؤك إياها بكل تأكيد ؟

ولكن أجبنى . لم هذا الفم الحجرى وهاتان العينان الخزفيتان ، لماذا ؟

مارك : **(برقة)** – يجب أن نتركه ليقبض عليه ، أو ليجد النقود عند امرأة أخرى .

الأم : أوه ، لا تقل هذا ! أنت مـجنون ! أتريد إذن أن أصـبح مجرد خرقة ، خرقة بالية ؟

مـــارك : **(دون أن ينظر إليها وهو يتعلق بمسند الكرسى)** أريد أن أعيش .

الأم : ليس هذا أنت . فشفتاك ليس بها هذا التكسُّر . وجبينك ليس به هذا الخط . مـارك ، أنت طيب ، ولا تريد لى الشقاء ... انظر إننى أجثو فوق الأرض .
لن أطلب منك شيئا آخر ... سأرحل غدا ، إذا كنت تعتقد أننى سبب شقائك ... ولكن هبنى هذا النصيب الأخير من الحياة ...

مـــارك : **(كالمجنون)** فى السجن ، مطرودا ، مختفيا .

الأم : لا يجب أن يحدث ذلك يا مارك . لا يجب !

مـــارك : أنت الآن عجوز ولا تحبينه. أنا واثق من ذلك ... أما أنا فإننى شاب وأحبها .

الأم : أجل ، إننى عجوز ! انظر إلى. إنه آخر عشاقى ، ذلك الذى أستجديه إياه . إن هاتين العينين لن تقاوما إلا بضع سنوات أخرى. وهذه التجعيدة سرعان ما سأعجز عن إخفائها تحت اللزقات . إننى لا أحبه ، كلا ، وربما لا يزال معى لمجرد المتعة . ولكننى بعد ذلك ، أعرف أننى لن أحصل على غيره، وقد مضى هذا . إننى لم أعش إلا من أجلهم .

مـــارك : أسكتى .

الأم : كلا ! مادمت تريد أن تنتزع منى هذا الأخير فاعلم إنك إنما تنزع الحياة من أحشائى !

(تصرخ)

إننى لم أعش إلا لكى آخذهم بين ذراعى ، هل تسمعنى ؟

مـــــــارك : اسكتى . إننى أخجل .

الأم : أما أنا فلا أخجل أن أقول لك إننى لم أعش إلا من أجل الحب ، لأنك تشبهنى .

مـــــــارك : كلا .

الأم : بلى . إن هذه السعادة التى تسعى إليها بزواجك من هذه الفتاة الجميلة ، إنما هى حلم . لن تذوقها لحظة واحدة لأنك تشبهنى .

مـــــــارك : ليس هذا صحيحا !

الأم : هل تظن أننى لا أراك مع البنات اللائى يعملن عندنا هنا . إنك لا تزال تقاوم ، ولا تشعر برغبة إلا فيهن وفى بنات الشوارع .

مـــــــارك : كلا .

الأم : نعم . فحينما كنت لا تزال صغيرا ، كنت تشرد بصور فى جيبك . كنت تصيب نفسك بالأمراض . أما أنا ، فلم أكن مثل الأمهات الأخريات ، كنت سعيدة لأنك كنت تشبهنى .

مـــــــارك : **(يسد أذنيه)**

لا أريد أن أسمع ، لا أريد أن أسمع ، إنك تكذبين !

الأم : إنك تعرف ، أنت ، معنى هذا النداء الذى يمحو كل ما عداه . إن شعرى مستعار ، وأسنانى تتساقط ، وجسمى يتغضن . ولازلت أسمعه أشد مما كنت أسمعه فى شبابى . مارك ، افهم معنى أن يدرك الإنسان أنه لن يلبث أن يصرخ فى الفراغ ، وافهم بأى ظمأ يشرب المرء آخر دقائقه فى الحياة ... أبوك خرقة بالية ، وحتى لو لم يكن يكرهنى ، فلن يستطيع أن يدرك . يجب أن أقضى عليه لكى آخذ منه هذه النقود . ولكن أنت الذى تدرك كل شىء دبر لى هذه الخمسة آلاف فرنك حتى لا تحل النهاية إلى الأبد ، ألا تحبنى ؟ ربما أكون قد تسببت فى شقائك دون إرادتى ولكننى اعتنيت بك وواسيتك ، وأنقذتك من آلاف الأخطار التى تتربص بالطفولة . فنظير هذه الحياة التى وهبتك إياها ودافعت عنها ضد الموت ... دعه لى شهرين آخرين أو ثلاثة حتى ولو حال هذا بينك وبين سعادتك .

مـــــارك : **(وقد ضغط على أسنانه وبدا وجهه غارقا فى الدموع)**
- كلا .

الأم : إنك مازلت تملك شبابك كله . ولسوف تدرك معنى هذا حينما يصبح الأمر آخر مرة ...
(صمت)

مـــــارك : **(متعلقا بالكرسى)** - أريد أن أعيش .
(صمت آخر)

الأم : **(تنظر أمامها فى ثبات . تدمدم)** - إننى وحيدة تماما .

جــورجــيت : **(تدخل)** سيدتى ,هل أسلق نبات الفطر الذى أحضره سيدى للظهر ؟

(صمت ، لا يجيبان ، تتضاحك قليلا ، ثم تقول)

سيدتى ، نبات الفطر الذى أحضره سيدى هل أسلقه ؟

الأم : **(ترفع رأسها شاردة)**

نبات الفطر ؟

جــورجــيت : أجل ، نبات الفطر الذى جمعه سيدى .

الأم : أجل .

جــورجــيت : إن سيدتى تحسن صنعا لو قامت بتنقيته . فإننى لست متأكدة من بعضه . وفى الحقيقة ، أنا أعتقد أن سيدى لا يفهم فيه كثيرا .

الأم : أجل .

(تنهض وتخرج كمن يسير فى أثناء النوم ، جورجيت تنظر إلى مارك)

جــورجــيت : سيدى مارك ، هل ستأتى هذه الليلة ؟ إننى أضيق وحدى فى حجرتى ...

(لا يجيب ، تنتظر لحظة ثم تخرج وهى تهز كتفيها)

مـــــــارك : **(يكرر آليا)**

أريد أن أعيش ...

تسدل الستارة

الفصل الثانى

الديكور نفسه

الأم : هل تأكدت من منضدة السرير ؟ هل بحثت فى القعر المزدوج ؟

جورجيت : أجل ، مرتين .

الأم : لماذا خرجت بهذه السرعة ؟

جورجيت : خيل لى أنه تحرك .

الأم : ما أغباك ! وهل نظرت تحت المرتبة .

جورجيت : لقد قلت لك . اذهبى وانظرى أنت بنفسك .

الأم : لا أستطيع ، فإنهم يراقبوننى .

(تقضم أظافرها)

القذر ، القذر .

جورجيت : لا ينبغى أن نتحدث عن ميت بهذه الطريقة .

الأم : أين يمكن أن يكون خبأها ؟

جورجيت : اسألى سيدى مارك . لابد وأنه يعرف .

الأم : إنه يغضبنى ، أكثر من الآخرين .

جـورجـيت : ما الذى يجب عمله ، يا سيدتى ؟

الأم : جورجيت ، لا تتركينى ، قولى شيئا ، افعلى شيئا .

جـورجـيت : لا أستطيع أن أبحث ؛ فهم فى الحجرة .

الأم : كان عاشقا لك . أو كان يتصل بك ، كان يطاردك . من المؤكد أنه قال لك شيئا يمكنك أن تهتدى به .

جـورجـيت : لا شىء يا سيدتى . إن سيدى لا يثق بى .

الأم : من أجل لا شىء ! من أجل لا شىء !

جـورجـيت : على كل حال ، لا ينبغى أن تعكر سيدتى دمها . فليس هناك ما يخشى مع وجودى .

الأم : جورجيت ، اذهبى إليه مرة أخرى . أخبريه بأنها مسألة ساعات ، دقائق . وإننى سأحصل على هذه النقود ، واطلبى منه ألا يرحل مع الآخر ، سيكون لى ، أنا . سيكون لى بكل تأكيد .

جـورجـيت : يجب أن تعترف سيدتى بفضلى فى كل هذا . فباختصار ، دونى ...

الأم : أجل ، خذى .

(تعطيها نقودا)

جـورجـيت : ليس هذا كثيرا .

الأم : خذى ثانية . وسوف أعطيك ما وعدتك به ، عندما أجد هذه العشرة آلاف فرنك .

جـورجـيت : هل أطلب منه أن يأتى إلى هنا ؟

الأم : أجل . اطلبى منه أن يأتى .

(جورجيت تخرج)

الأم : **(تبدأ بالبحث داخل قطعة أثاث ، بهياج . تسمع وهى تهمهم)**

من أجل لا شىء ! من أجل لا شىء ! من أجل لا شىء ! [١]

(شقيق الزوج ، وأخته وابنة عمه ، يخرجون مع مارك من الحجرة الملاصقة . تتوقف الأم ، وتمر أمامهم دون أن تنطق بكلمة ، وتخرج)

الأخ : لقد تعذب كثيرا .

ابنة العم : هل نتعذب كثيرا من نبات الفطر ؟

الأخ : أنا أتحدث عن العذاب المعنوى ...

(دخلوا جميعا)

مارك ، لقد عدنا إلى هذا البيت الذى لم ندخله منذ عشرين عاما ، لكى نُحيىَ الجثة العزيزة . وسنعود غدا لكى نأخذها ونصحبها إلى مثواها الأخير . كان يحبك وأنا أعرف أنك كنت تحبه أيضا . لقد كان حنانك يعزيه دائما خلال حياة الشهيد التى عاشها . إن الكلمة ليست أكبر من اللازم .

ابنة العم : كلا .

الأخ : كان يقول لنا ذلك والنحيب يختلط بصوته . ليس لى فى الوجود سواه .

(١) تقصد أنها قتلت من أجل لا شىء .

الأخـــت : ونحن .

الأخ : ونحن . بعد مواراة الجثة . لن نجتاز هذه العتبة بطبيعة الحال . ولكن يجب أن تأتى لزيارتنا .

مــــارك : أجل .

الأخ : نحن عائلتك ، عائلتك الوحيدة .

(صمت)

مارك ، كان والدك يمتلك بعض المدخرات . ففى صباح موته وكأنه كان يتوقعه ...

(ابنة العم تتنهد)

الأخ : **(ينظر إليها ويكمل)** – وكأنه كان يتوقعه ، ولما كان لا يعلم طبعا بما يمكن أن يحدث فى مثل هذه الحال ، جاء ليسألنى أن أحفظ له هذه العشرة آلاف فرنك . فقد كان يثق فىَّ ثقة لا حدود لها

إن كل ما كان يخصه يؤول إليك الآن . سأعدُّ لك هذا المبلغ .

(يخرج الأوراق المالية ويسلِّمها لمارك)

واحد ، اثنان ، ثلاثة ، أربعة ، خمسة ، ستة ، سبعة ، ثمانية ، تسعة ، عشرة ، تأكد من ذلك .

مــــارك : لقد عددتها .

الأخ : تأكد يا مارك ، فإن والدك كان يشدد على ذلك ، فقد كان شكاكا بطبعه .

الأخـــت : مسكين يا أدريان .

(صمت ، فى أثنائه يعيد مارك عدّ الأوراق بسرعة)

أما بخصوص المدفن ، فأنا لا أريد أن نتصل " بشوشارد " إن زوجته لا تحبينى كما يجب . ما رأيك يا مارك ؟

مـــــــارك : الأمر يستوى بالنسبة لى .

الأخـــــت : كان أبوك سيوافقنى ، فهو لم يكن ليرضى ألا تُقدَّم للعائلة واجبات التقدير والاحترام .

(صمت)

الأخ : كان قديسا .

ابنة العم : أجل .

الأخ : يجب أن تذكره يا مارك طوال حياتك وأن تحاول التشبه به .

(مارك لا يجيب)

أنت كبير الآن . وتعلم أى حياة زوجية عاشها مع أمك . ولقد بقى معها رغم كل شىء ، من أجلك . بقى حتى لا تقع تحت السلطة المفردة لتلك التى كانت تلطخ شرفه، وحتى يربيك طبقا للمبادئ التى ظلت دائما مبادئنا . هذه حقيقة لا يمكن أن تنساها .

(صمت)

الأخـــــت : أردنا أن نقول لك ذلك قبل رحيلنا .

ابنة العم : أجل .

(صمت)

الأخ : هل ستواصل الحياة مع أمك يا مارك ؟

مـــــــارك : طبعا

الأخـــــت : بعد كل ما قاساه منها .

مـــــارك : لقد قاسى . ولكن أنا قاسيت كذلك . وهى أيضا بلا شك .

الأخـــــت : لا تحنَّ لها ، يا مارك . فكر فى ذلك الذى يرقد إلى جوارنا . لقد خانته بطريقة تبعث على الخجل . بلا حياء . كانت تتعلق بأذرع الرجال . وذات مرة شاهدوها مع أحد عمال الميناء .

مـــــارك : أجل .

الأخ : لقد أعيته بشرورها اليومية ، تلومه على أتفه متعة ، بينما تنفق هى نقود البيت فى تقديم الهدايا لعشاقها .

مـــــارك : أجل .

الأخ : ورغم هذا كله كانت لا تكف عن الرد على اتهاماته بمثلها ... لقد كانت توجه إليه التهم طول حياته . دون أن تدرك ، مع أنانيتها الفظيعة ، إنه كان قديسا . لأنه بقى معها ! سامحنى . إن الغيظ يقطع كلامى . كان أولى به أن يطردها . أن يضربها بالسوط . أه لو كنت أنا .

الأخـــــت : لقد كنا نحب أباك ونحترمه يا مارك . كان أخانا الأكبر . وهو الذى كان يقوم مقام والدنا .

ابـنـة الـعـم : كان دائما طيبا ، دائما رقيقا .

الأخـــــت : لقد علَّمنا القراءة ، وعلمنا كيف نكون شرفاء مثله .

الأخ : وكنا مضطرين أن نراه يقاسى طوال حياته مع هذه المرأة . أولم تقاسى أنت فى حياتك ، مما كان يقاسيه ؟

مـــــارك : بلى ، بل لقد كرهتها بسبب ذلك . فى سن السادسة عشرة . أما الآن فقد أدركت أنها كانت امرأة مسكينة هى الأخرى .

الأخ : امرأة فظيعة ! امرأة متوحشة !

الأخت : مارك ،لا ينبغى أن تبقى معها . ما دام قد مات الآن بسببها . فيجب أن تلقى هى فى النهاية جزاء ما أذاقته له من عذاب. يجب أن تتركها يا مارك .

مارك : لم أعد أستطيع أن أتركها .

الأخ : هل تظن أنها ستصلح ؟ إن هذه المخلوقات لا تصلح أبدا . سيكون بوسعها بعد ذلك أن تعيش حياتها ، تلك الحياة الشهيرة التى طالما أرادت أن تحياها .

الأخت : نحن نعلم أن هذا أمر عسير بالنسبة لك يا مارك . واعلم أنها لم تكن أمك فى يوم من الأيام ! إنها لم تعش إلا لعشاقها ، إن " أدريان " هو الذى كان يصحبك للنزهة يوم الخميس ، وهو الذى يرعاك حينما كانت تخرج فى المساء . وهو الذى كان يجعلك تؤدى صلاتك ، ويرقدك وينومك حتى لا تبكى لغيابها ، لم تكن شيئا بالنسبة لك . لقد اقتصر دور الأم بالنسبة لها على تمشيط شعرك وإلباسك سروالا جميلا لكى تصحبك معها تتمشيان فى الطرق المظللة بالأشجار .

مارك : (**يتوسل إليها**) أنت تكذبين .

الأخت : اذكر الليالى والكوابيس التى كنت تعانيها ، ومخاوفك إذ كنت طفلا ... أى وجه كنت تراه منعطفا على وجهك ؟

مارك : وجهها ! لأننى كنت أنتظره دائما . كنت دائما أريد أن أراه !

الأخت : أجل ، هو ذاك ، وجهها فى الحلم . ولكن فى الحلم فقط . فشفتاها اللتان كانتا من المفروض أن تعزياك بدلا من أيدى الخادمات الخرقاء . كانت فى ذلك الوقت تهبهما لرجل .

مارك : (**يتوسل إليها**) اسكتى .

الأخ : لو كنت تشعر بأقل حنان نحوها ، لما كلَّمناك بهذه الطريقة . فأية أسباب تجعلك تحبها ، ما دمت قد عرفت حقيقتها .

(مارك لا يجيب)

الأخت : ثم إننا لا نخبرك بشىء لا تعرفه مسبقا . إن واجبك واضح .

مارك : كلكم ضدها .

الأخ : لقد عادت الجميع . وسخرت من جميع القيم ومن كل الواجبات .

مارك : ربما كانت تحبهم .

الأخ : لم تكن حتى تحبهم ! وأنت تعلم أنها تسببت فى فضائح كثيرة . فلا يمكن للمرء أن يعيش مثل هذه الحياة بلا عقاب. عندما كانت تحين اللحظة كانت تضحى بهم بالقسوة نفسها التى كانت تضحى بها بأبيك . إنها وحش .

(مارك لا يجيب ، رأسه بين يديه)

الأخ : مارك . سأحدثك كما كان سيحدثك ذلك الذى لم يعد له وجود . ففى صباح اليوم الذى مات فيه ، جاءنا – كانت هذه آخر فرصة له ، ذلك المسكين – جاء ينقل إلينا خبر

هذا الزواج العظيم الذى عهدت إليه بسره . هل تعتقد أن أصهارك الجدد سيعترفون بهذه المرأة ، بهذه الفاجرة ، بهذه ...

مارك : اسكت .

(صمت . ينهضان)

الأخ : كما تحب ، يا بنى .

مارك : أعرف أنكم على صواب ، غير أننى مع ذلك قد رأيتها ، فى الصور وهى فى تلك السن التى جاء يطلبها فيها من والدها . كانت فتاة فى السابعة عشرة تفيض بالحياة ، رقيقة . يمكن أن تجعلها تؤمن بكل شىء وتحب كل شىء ...

الأخت : فى ذلك الوقت ، لم يخطر ببالنا ما كانت ستصبح عليه !

مارك : كان قديسا ، كان زوجا رائعا ، ولكن هل سألتم أنفسكم مرة عما قدَّمه لها عوضا عن الحلم الذى كان يداعبها فى الحياة ؟

الأخ : لقد قدم لها الفرصة لكى تكون امرأة شريفة .

(جورجيت تمر ، ارتدت معطفها استعدادا للخروج ، ترمقه بنظرة وهى تصلح من هندامها فى أثناء عبورها أمام المرآة . ينظر إليها وهى تخرج)

مارك : ليس بوسعكما أن تدركا ذلك .

الأخت : أخشى فى الواقع ألا تكون لغة حديثنا واحدة .

الأخ : المسألة الآن بالنسبة لك مسألة حياة أو موت . فإما أن تصبح رجلا وتتركها لمفاسدها ، وإما أن تبقى شخصا خائبا فاشلا تدور فى فلكها .

مــــــــارك : من الفظاعة أن نقتل شخصا لكى نعيش .

الأخ : إنك شاب ، أنت .

مــــــــارك : أجل .

الأخـــــــت : لا تشفق عليها ، فهى لم تشفق على أحد ... وعندما تحتاج إلى النصيحة فاذكر عائلتك الحقيقية .

(تقبله . يتوجهان ناحية الباب)

ابنة العم : **(مذعورة)** واللآلئ ؟

الأخ : صحيح . لقد رأيت ، بدل الزهور الطبيعية التى تذبل وتكلف غاليا ، أنه يجب أن نضع فوق قبر " أدريان " شيئا يدوم . لقد أوصيت " بريجو " بإحضار إكليل من اللؤلؤ ، تتقاسم ثمنه كل العائلة . كان المرحوم سيوافقنى على ذلك .

(يخرجان . يظل المسرح خاليا لحظة. الأم تدخل ، تسرع إلى إحدى قطع الأثاث ، تبحث . تكرر كالطفلة)

لابد من أن أعثر عليها . لابد من أن أعثر عليها .

الأم : **(تمر لحظة . تعتدل وقد فترت همتها ، تمرر ذراعها فوق جبينها)**

من أجل لا شىء ! يا إلهى ! من أجل لا شىء . أجل من أجل شىء .

(تذهب إلى قطعة أثاث أخرى)

لقد أغلقها .

(تجرب بعض المفاتيح . تشد . تنفخ . تخدش أصابعها . تُسمع وهى تتأوه ...

تأخذ سكينا وتحاول فتح المزلاج بالقوة .
بسرعة ، بسرعة ، بسرعة ... آى !

(تجرح أحد أصابعها ، تمصه ، تلفه بمنديل وتعاود الكرة . وفجأة ينفتح الدرج . تطلق صيحة فرح ، وتنقب . تلقى بأوراق فوق الأرض فى هياج وأخيرا تسقط آخر خطاب ، تظل بلا حراك . تنظر حولها)

لا يوجد شىء بالمرة .

(تتداعى، وتجلس القرفصاء، وتبدأ فى جمع الأوراق واحدة واحدة . وفجأة تعثر على صورة فتنظر إليها مليا ، تداعبها بأصابعها ، تسوى شعرها ، وتمسح عينيها تبتسم لها)

مارك ، حفظتها ؟ حفظت هذه الصورة ! ومع ذلك فقد بحثت عنها ولم تشأ أن تخبرنى أنك تحتفظ بها هنا مع خطابات شبابك ، كأنها صورة صديقتك ...

(لحظة)

صديقة ، أكمام ثوبها منتفخة عند الأكتاف . هل تكن لى إذن بعض الحب ، يا صغيرى ؟

(صمت)

هذا ممكن مع تلك ، أما أنا ؟

(تذهب إلى المرآة ، تتطلع إلى نفسها دون أن يتحرك على وجهها . وفجأة تمزق الصورة دون أن تنظر إليها . وعندئذ تبتسم فى المرآة ، تمط شفتيها تدير رأسها قليلا . تدلك تجعيدة)

لماذا ؟ لقد كنت نحيلة ، تبدو علىّ البساطة . كنت كذلك !
ما أسهل ما كنت أعتقد فى الأمور ... والآن ؟

(تضع ذقنها على قبضتها ، تنظر إلى نفسها ، تبدو عليها القسوة . تهز كتفيها . يدخل مارك)

مـــــــارك : ماذا كنت تفعلين هنا ؟

الأم : كما ترى . أنظر إلى نفسى .

مـــــــارك : إنه وحيد تماما .

الأم : أجل لقد كنت فى أغلب الأحيان تتركنى وحيدة ، أنا التى على قيد الحياة .

(يهز كتفيه ويهم بالانصراف . يرى الصورة الممزقة . يجمعها)

مـــــــارك : لماذا مزقت هذه الصورة ؟

الأم : لا أحبها .

مـــــــارك : ولكن أنا أحبها ، لماذا ؟

الأم : هذا من حقى . إنها صورتى . أليس كذلك ؟

مـــــــارك : **(يصرخ)** كلا !

(صمت ، ينظر كل منهما للآخر)

الأم : **(بتؤدة)** ولذلك فقد مزقتها .

مـــــــارك : **(يعود فجأة إلى ركن المنضدة . يعيد تكوين الأجزاء . ويدمدم . موجها كلامه إلى الصورة)**

أماه ...

الأم : إننى أبغض نفسى فى هذه الصورة ! كنت أفضل لو لم أكن فى يوم من الأيام تلك الفتاة البلهاء الوادعة التى وافقت على الزواج منه .

مـــارك : أماه .

الأم : **(تتحدث إلى الصورة التى يمسكها مارك حتى لا تمزقها ثانية)** ألم تكونى ترين إذن ، أيتها البلهاء ، أنه خرقة بالية ؟ كانت أسنانك بيضاء وكان جسدك غضا . وكان بوسعك أن تعثرى على شاب فى العشرين قوى يجعلك تعيشين الحياة . ولكنك كنت غبية ، ولم يكن فى بطنك شىء ! ولماذا لا أكون شابة الآن ؟

(صمت طويل)

إننى لم أصبح بعد على درجة كبيرة من القبح ، أليس كذلك يا مارك ؟

مـــارك : **(يتحدث إليها الآن فى رفق)** كلا يا أماه .

الأم : سترى الآن ، عندما أرفع رولات الشعر ، طبعا أنا فى هذا المئزر أبدو كالمجنونة . يجب أن أشترى ثيابا وردية بمجرد أن ينقضى هذا الحداد، وأحصل على أشياء بديعة . سنقوم ببعض التضحيات . أما بخصوص الحفل ، فقد أوصيت على معطف عند " لانجلوا " .

مـــارك : أجل ، يا أمى .

الأم : بصراحة يا صغيرى مارك ، لو كنت شابا آخر ، هل كنت أروقك ؟

مـــــــــارك : ولكن ... لست أدرى يا أمى .

الأم : دعك من هذا أيها الأبله ! يجب أن نكون الآن صديقين كبيرين . يحكى كل منا أسراره للآخر . مارك أنا لست عجوزا ، أليس كذلك ؟ سيعود حتى لو لم أعطه هذه النقود ؟

(مارك ، وقد ضغط أسنانه ، لا يجيب . الأم تبتسم لنفسها وتواصل الغنج أمام المرآة)

إننى أبدو كالمجنونة لأن أعصابى هائجة . لقد أرسلت إليه جورجيت وقد تأخرت .

مـــــــــارك : هل أرسلت جورجيت ؟

الأم : ومن ترى أن أرسل ؟

مـــــــــارك : ولكن هذا مستحيل يا أماه . فلن يلبثوا أن يعرفوها . لقد انتهيت ...

الأم : وأنا أيضا أنتهى إذا لم يأت .

(جورجيت تدخل)

الأم : **(تقفز نحوها)** – آه ، إنها هى ! هل رأيته ؟ أين هو ؟

جـــورجـيـت : لقد رحل يا سيدتى ، ولم يترك عنوانه .

الأم : أين رحل ؟ هل ترك أسياده ؟ هل غادر المدينة ؟

جـــورجـيـت : لم يترك عنوانه . وقد أخذ معه حقيبته .

الأم : ولم يترك خبرا ؟

جـــورجـيـت : أبدا .

الأم : هل أنت متأكدة ؟

جـورجـيت : مادمت أقول لك ذلك ؟

(تظـل الأم بـلا حـراك . وبدون أن تقـول شـيئـا . مارك لا يتـحـرك أيضـا ولكنه يتنفس بعمق . عـلامة فـرح تغـير وجهه شيئا فشيا . وفجـأة يسرع فـى السير كالمجنون خلال الحجرة . يذهب إلى النافذة ، يفتحها على سعتها ، يستقبل الهواء والشمس اللذين يدخلان .)

جـورجـيت : لم تـأت أمس . ومـع ذلك فلـم يكن هنـاك مـــا يمكن أن يضايقنا .

مـــــــارك : **(وهو يكـاد يصـرخ فـيـهـا)** – لـن آتـى أبـدا ! لن آتى ما حييت . إننى أهرب منك أنت أيضا ، اغربى عن وجهى .

(يلقى بهـا خـارجـا ، ثـم يعـود إلى سـيـره . إنـه فى سن العشرين . سيعيش مع تلك الفتاة الجميلة التى يحبها ، ينبغى أن يقول هذا لشخص ما ، يهـم أن يقوله . يحجم .)

مـــــــارك : أماه ... أماه ... أماه ...

(يمسكها من كتفيها ليعلنها بهذه الفرحة العظيمة ، ينظر إليها ، يتوقف . صمت)

سامحينى يا أمى .

الأم : **(بسأم بالغ)** – ماذا كنت تريد أن تقول لى ؟

مـــــــارك : **(بصوت خـفـيض)** – كنت أريد أن أقـول إننى سـعيـد . سامحينى .

(يتواجـهـان ... لا يجرؤ أحـدهمـا على النظر للآخـر. تأتى حركة سوقية مألوفة لديها لتجفف يديها فى مئزرها . وهو

يلومها عادة على ذلك . يأتى حركة لا يكلمها . كلمة لا تخرج من بين شفتيه . تشمشم ، تذهب إلى الزجاجة وتصب لنفسها كأسا تشربها ، ثم تصب كأسا أخرى .)

مـــــارك : أماه .

(تواصل الشرب دون أن تجيب)

أماه ، لا يجب أن تشربى بهذه الطريقة .

الأم : **(نافرة)** – دعنى !

(تواصل الشرب ، وتذهب لتجلس بعيدا . صمت) ومع ذلك فكان لابد أن يحدث هذا .

مـــــارك : لا يجيب ...

الأم : **(بقسوة ، وبحركة من كتفيها كما فعلت قبل قليل)** – دعنى !

(صمت آخر)

أما هذا فلم يكن إلا من أجل المال. أما الآخرون فربما للحصول على امرأة لأننى لم أكن أطلب منهم شيئا . لأنه كان من الأسهل الذهاب إلى البيوت . كان هذا سهلا . كان الوضع دائما لا يختلف ، ومع ذلك فهذه المرة ، هو الأخير . أنا الآن عجوز . لن يرغب فىَّ أحد ، حتى ولو كان ذلك أسهل . حتى البائعين المتجولين بين القطارات يجب أن أدفع الثمن .

(تقف أمام المرآة)

فلأدفع نقدا حتى يرغبوا فى هذه العجوز .

(تمسح شفتيها بطرف كمها ، كالمجنونة)

بلهاء ! بأحمرها وورولاتها لكى تكون جميلة . لم أعد الآن فى حاجة إلى "رولات " لم أعد فى حاجة إلى فرد شعرى .

(تنزع رولاتها وتلقى بها فى الحجرة)

آه ! أيتها الخصلات الجميلة !... آه ! أيتها الصبغة الإيطالية الشقراء التى تصبحين حمراء لأنك رخيصة الثمن . تستطيع خصلاتى أن تصبح كما تشاء الآن .

مـــــــارك : إن الشعر الأبيض جميل يا أماه .

الأم : أما شعرى فأصفر . أصفر قذر . ويمكنه أن يظل أصفر بشعا ويتدلى كما يحلو له فوق تجاعيدى .

(تدعك وجهها)

فلا أحمر ، ولا أبيض ، ولا أسود . كعجوز ، عجوز دميمة قذرة يتركونها فى ركن من الأركان دون أن يقولوا لها شيئا .

(تلتفت)

فلتسعد الآن . هكذا كنت تريد أن ترانى ؟

مـــــــارك : أماه .

الأم : (تمسك بالزجاجة) سأكون أكثر هدوءا . سأصنع لنفسى أطباقا صغيرة وسأشترى مشروبات روحية أحبها . وسأقرأ الطالع .

مـــــــارك : إنك تعذبيننى يا أماه !

الأم : لا ينبغى ذلك . ربما كنت أنت على حق ، فقد كانوا يسخرون منى ، ولم تكن بى رغبة شديدة تدفعنى إليهم. كان هذا نوعا من العادة ، كعادة الشرب.

(تأتى على كأسها دفعة واحدة)

مـــــــارك : إنك تسرفين فى الشرب .

الأم : دع لى هذا على الأقل . كنت تفضل أن أكون عجوزا ، تحب الحلوى كما يفضل غيرى . وربما كان هذا أليق بى .

مـــــــارك : لماذا تقولين هذا ؟

الأم : سأحاول أن أحب الحلوى وأحيك الجوارب حتى تكون مسرورا ... سأربى دجاجا وأرانب ، وأصادق عجائز مثلى ، أذكر معهن الآخرين بالسوء .

مـــــــارك : إن كل ما تقولين يبعث على السخرية .

الأم : أجل ، أجل . سأحصل على هذا كله . وإذا تزوجت أنت ، مادمت تريد أن تتزوج ، فسأكون خادمة لزوجك ، سأنزه أطفالك لو قبلت هى أن تقوم أنت بإيوائى ...

(تنهار فجأة وهى تنتحب)

أوه ! ليس هذا صحيحا ... ليس هذا صحيحا . ماذا فعلت إذن طوال هذه الفترة ، ماذا جنيت حتى ينتهى ذلك الآن ؟ ليتنى أملك ذكرى لحظة من السعادة الحقه . لحظة من الحب أو الحنان . ولكن لا شىء ! لا شىء غير حركاتهم ، وأيديهم ، وشفاههم يفتر تلهفها عاما بعد عام ! حتى ذلك الذى ذهب مع امرأة أخرى ، لأننى لم أستطع أن أعطيه هذه النقود ...

(لحظة)

مارسيل ، هو الأخير . يجب أن أتذكر هذا الاسم . مارسيل !

(**صمت**)

لقد فزت يا مارك . أنا عجوز ، وليس لى عشاق . وسأصبح امرأة كريمة فلا تستمر فى هذا العناد . وليكن أحدنا على الأقل سعيدا ...

مــــــــارك : لماذا يجب أن يكون أحدنا سعيدا ؟

الأم : (**بعد صمت . بصوت خفيض**) - لأنك تبغضنى .

مــــــــارك : إننى أحبك يا ماه .

الأم : أنك تبغضنى وتخيفنى منذ اليوم الذى لم تعد فيه طفلا صغيرا ، يقول لى كل شىء . إننى أذكر ذات مساء . كنت فى الحادية عشرة . وكنت قد عدت من المدرسة بادى الإصرار . رفضت أن تلعب معى ومع الكلب كالعادة . كنت وادعا و رزينا طوال المساء والأيام التى أعقبته ، ولكنك كنت تقبلنى وشفتاك مضمومتان .

مــــــــارك : إن ذاكرتك قوية . إنه ذلك المساء .

(**لحظة**)

فاتنى موعد دخول المدرسة . فقابلتك مع رجل فى الطريق .

(**صمت طويل**)

الأم : هل شقيت لذلك ؟

مــــــــارك : هل تسألييننى ؟

الأم : لم كن أدرى ، لقد كنت صغير جدا .

مــــــــارك : لقد كنت دائما تظنين أننى صغيرا جدا . حتى بعد ذلك .

الأم : وأنا أيضا كنت بائسة بسبب شفتيك المضمومتين . وبدأت أخشاك .

مـــــــارك : وبدأت لا أقول لك شيئا .

الأم : كنت أعتقد أنك تكرهنى . وأنك تفضل أباك على . آه ! لماذا لم تخبرنى فى ذلك اليوم بما كان يشقيك ؟

مـــــــارك : كنت أشعر أن الأطفال لا يستطيعون أن يتحدثوا فى هذا الأمر إلى أمهاتهم . وفضلا عن ذلك فلم أكن أدرى معنى ذلك بالضبط . ثم حتى لو كنت أخبرتك كنت ستظنين أننى طفل . وكنت ستستمرين فى ذلك الطريق .

الأم : لم أكن أحبهم .

مـــــــارك : وذات مرة ، رأيتك مع رجل تشيكىّ يسكن عندنا . رأيتك ، فاهمة ، رأيتك داخل حجرتك .

الأم : مارك ...

مـــــــارك : ولابد أن ذلك كان السبب الذى جعلنى أخشى الحب زمنا طويلا .

الأم : مارك ، وهذا أيضا لم أكن أحبه . كان يضربنى . ولم أكن أحبهم ، لم أكن أحب سواك. ولكنك لم تكن تتحدث معى أبدا ، كنت تتركنى وحيدة مع أبيك الذى كان يبغضنى وأبغضه . لو أنك كنت تقول لى كلمة واحدة ...

مـــــــارك : لقد كنت تحبين الجنس .

الأم : ربما ليس ذلك أيضا .

(لحظة)

كنت بكل بساطة أخشى أن أظل بالقرب من ذلك الميت . كان دائما على صواب وكان يضحى دائما . ولكنه كان

ينغص حياتى كل يوم بمسائل نقوده ... كان لابد أن أهجره ، وأن أستمع إلى صوت آخر وأن أشعر بذراعين وجسد يفيض حياة بالقرب منى ، جسد يضحك ، ويتعذب ، ويتكلم وينفق نقوده ، باختصار جسد يتحرك ... ألا تفهمنى ؟ ألا تفهم أننى كنت ميتة تريد أن تمسَّ الأشجار والدواب والأحجار الدافئة ؟

مـــــارك : **(بعد لحظة صمت ، ورأسه بين يديه)**

بلى ، إننى أفهم .

الأم : لم أكن أذهب معهم فى أغلب الأحيان إلا لكى يكون أحد إلى جوارى ، لكى أفر من ذلك الجسد الهزيل ، من ذلك الصوت الأجوف ، من تلك الحسابات التى كان يقوم بها حتى خلال أحلامه . الحب ؟ أوه أجل - لكم كنت أتق فيه وأنا صغيرة ...

مـــــارك : ألم يحبك أحد فى حياتك ؟

الأم : أبدا. كنت أبحث . كنت أبحث عن رجلى بين جمع هؤلاء الرجال ، ولكننى طبعا لم يكن بوسعى أن أجده بينهم ... لو لم تعد ذات مساء بجبين بادى الإصرار ، ولو أنك تحولت بكل وداعه من طفل صغير إلى رجل بين ذراعى ، فلربما بقيت بالقرب منك . فلابد وأن الأخريات يفعلن ذلك . ولكنت أصبحت جميلة فى نظرك . ولأبكيتنى ، ولأسعدتنى ولما شعرت بحاجة إليهم .

(لحظة)

وكـانوا مع ذلك يتشـاجرون مـعى بسـببك ، فـقـد كنت أدعوهم باسمك عندما أكون شاردة الذهن .

مـــــــارك : صحيح ؟

الأم : وعندمـا كنت تمرض ، كنت لا أقـابلـهم حـتى ولو توسلوا إلىَّ . وعندما كنت تسرف فى البكاء ، كنت أعود بسرعة . انظر ، لقد كنت أفعل كل مـا أستطيع .

مـــــــارك : (**يكاد يبتسم**) - كل ما تستطيعين .

الأم : لماذا تبتسم ؟

مـــــــارك : لماذا لم أوت القـوة التى أستطيع بهـا أن آخـذ بين ذراعى هذه الطفلة الكبيرة، هذه الطفلة العجوز ؟

الأم : تسخر منى ! ليس هذا لطيفا منك .

مـــــــارك : كلا ، إننى أنصت إليك . إننى أتصـور أنك أمـى وأشـعـر أننى عجوز .

الأم : لم تكن أبدا مثل الآخرين . فـعندما كنت صـغـيـرا ، كنت رزينا وواثقا من نفسك كالرجال .

مـــــــارك : كان ينبغى ذلك . هل كنت ، أنت ، واثقة من نفسك ورزينة يوما واحدا فى حياتك ؟ هل كان هو رجلا مرة واحدة ؟

الأم : (**تنتفض**) - لا تحدثنى عنه . هل تعتـقـد أنه تعـذب يا مارك ؟

مـــــــارك : لقد قال الطبيب ذلك .

(تذهب إلى المرآة . تنظر إلى نفسها ، تجذب خصلاتها فوق عينيها)

الأم : هل عثرت على نقوده فى منضدة السرير ؟

مـــــارك : لقد عهد بها إلى أخيه . ولقد أعطانى إياها قبل لحظة .

الأم : آه !

(صمت . لاتزال تنظر إلى نفسها فى المرآة . فجأة تسرع إلى مارك . تتعلق به ، تركع وتتشبث بركبتيه)

لن تهجرنى يا مارك ؟ لن تهجرنى ؟ لن تدعنى وحيدة تماما ؟

مـــــارك : أعدك بذلك

الأم : إننى أريد أن أكون عجوزا ، ولكننى لا أريد أن أكون عجوزا وحيدة فى بيت ، تعيش مع أفكارها . لابد لى ممن يتحدث معى ، ويثير الضوضاء من حولى ، ولكن لا ينبغى أن أترك وحيدة ، ولو للحظة واحدة .

مـــــارك : لسوف نكون كثيرين حولك يا ماه . وقد يصبح هناك أطفال يثيرون الضوضاء .

الأم : أوه . ولكننى لن أستطيع أن أراها ، هى ! فلسوف تكرهنى .

مـــــارك : كلا . سوف تحبك . إنها تعلم كل شىء .

الأم : ولكننى دميمة ضخمة . قبيحة لا أهتم بنفسى ، كما تعلم .

مـــــارك : سنشترى لك أثوابا تليق بك ، سننظم كل شىء هنا . فيجب أن تكونى فى هيئة حسنة .

الأم : كنا سنصير على ما يرام وحدنا . لماذا تريد أن تذهب معها ؟

مـــــــبـارك : لأنها هي أول من بين لى أنه من الممكن أن يجد الإنسان كتفا يستند عليها ويستريح . وأنه من الممكن ألا نظل أبدا ننقذ الآخرين. ونفكر فى الآخرين .

الأم : لا أريد أن أراها .

مــــــــــارك : قد أنغص عليك بدورى قليلا ، ولكننى أريد أن أقول لك هذا . لقد عذبتنى وأخجلتنى وجعلتنى أحبك وأبغضك كامرأة . لقد كنت بالنسبة لى امرأة تزوجتها منذ مساء أكتوبر ، وتخوننى . لقد حللت مكان جميع النساء . لم أستطيع أن أكون غرا معهن مرة واحدة ، وأن أسعد لكونى غرا . كن يتعجبن أن يرين شابا فى العشرين يعرفهن إلى هذه الدرجة الكبيرة . أما وضعى مع " جاكلين " فكان على النقيض من ذلك ، فقد اكتشفت معها هذه القوة الهادئة ، هذه الطيبة البسيطة التى يستطيع الإنسان أن يخبئ فيها رأسه ، فى المساء ، حينما يستولى عليه الشر أو يتملكه الجبن الشديد . إننى أتمنى لو تفهميننى : إننى أحبك ولكننى أعاملك على أنك طفلة أتوقع منها دائما نزوة لا تلبث أن تشقينى . طفلة لا أستطيع أن أؤنبها لأننى لا أملك الشجاعة . لكى أراها تبكى ... إننى معك عجوز حزين . أما معها فعلى النقيض من ذلك ، أستطيع أن أكون طفلا ، أنا، لأول مرة فى حياتى .

(يقف . يصيح بهذه الكلمات الأخيرة بسعادة بادية على وجهه ، كما حدث قبل لحظة . صمت . الأم تنقبض ، تعيد شعرها على عينيها . تجاعيدها تغور)

الأم : إننى أكرهها .

مـــــارك : لا ينبغى ذلك يا أماه . لسوف تحبينها ، أنا واثق من ذلك فهى جميلة .

الأم : وأنا قبيحة ، أنا !

مـــــارك : إنها طيبة ، تعرف كل شىء . ولسوف تساعدك على الخلاص .

الأم : وأنا شريرة . لا أريد لأحد أن يخلصنى .

مـــــارك : ستكون وادعة صبورة . إنها تعرف العبارات والنظرات التى نجهلها والتى تقتل الشكوك والأفكار الخبيثة .

الأم : أريد أن أظل فى ركنى كما أنا . مادمت تخجل منى ، مادمت وحشا ، أريد أن أظل هنا ، لا أقوم أبدا ، ولا أتحرك أبدا ، ولا أفكر أبدا وبخاصة لا أفكر أبدا .

مـــــارك : ماذا بك ؟

الأم : لا أريد أن أراها ، تلك التى تتمتع بجميع الخصال الحميدة . فسأخفيها .

مـــــارك : لماذا تريدين أن تعذبينى مرة أخرى ؟ سترينها . سنكون سعداء معا وأنا واثق أنك ستكونين جدة طيبة .

الأم : **(ساخرة)** أنا جدة ؟ ...

مـــــارك : لماذا تتخذين هذه الهيئة البغيضة . إنك تحبين الأطفال الصغار .

الأم : (ساخرة) لقد قتلت منهم الكثيرين .

مارك : أماه . أتوسل إليك . يجب أن تكونى سعيدة معى ، لكى تمنحينى الحق فى أن أكون سعيدا أنا أيضا .

الأم : أنا ، جدة ... حينئذ ستكون لدى قصص جميلة أحكيها لأولادك ، قصص تميتهم من الخوف .

مارك : أماه ...

الأم : إننى أطلب منك ألا تمسنى .

مارك : لماذا ؟

الأم : فإننى أنفرك . وأخجلك وأبعث على اشمئزازك !

مارك : ولكنك مجنونة يا أمى . أقسم لك أنك لن تبعثى على اشمئزازى أبدا .

الأم : (تصرخ فيه) – لو قلت لك ...

مارك : ماذا ؟

الأم : لو قلت لك . وغفرت لى لأصبح كل شىء ميسورا .

مارك : ولكن ، ماذا ؟

(صمت)

الأم : لا شىء . أنا مجنونة . أنت على حق .

(صمت آخر)

مارك : إننا لا نستطيع أن نظل على هذه الحال ، وهذا الحرج يقوم بيننا . ماذا كنت تريدين أن تقولى ؟

الأم : يبدو لى أنه قد يتوقف عن تحريك ساقيه وإدارة عينيه ، لو كنت معى. كان هذا يحدث دائما . فما إن كان يشعر بك معى ، حتى يخاف .

مـــــــارك : عمن تتحدثين ؟ وممن تريدين أن أحميك ؟

الأم : منه .

مـــــــارك : ولكنه الآن ميت .

الأم : أجل إنه ميت .

(صمت)

مـــــــارك : فماذا ؟

الأم : لا شيء يا مارك . إننى لا أدرك ما أقول .

(تشرب . ينظر إليها دون أن يقول شيئا . صمت طويل)

الأم **(تهم بالخروج)** سأذهب لأرتدى ثيابا أليق من هذه .

مـــــــارك : **(يوقفها)** – أمـاه .

الأم : ماذا تريد ؟

مـــــــارك : لقـد كنت تكرهينه ، ومـع ذلك فـإن تلك الحـيـاة الطويلة المشتركة قد خلقت بينكما نوعا من العادة ؟

الأم : ربما

مـــــــارك : حينما كان يتعذب ،حينما كان يصرخ أمس فى سريره ، هناك ، كنت ...

(ينظر إليها)

إننى مجنون .

الأم : أجل ،إنك مجنون ، دعنى .

(تتقدم خطوة)

مـــــــارك : أمـاه .

(تتوقف)

كنت تكرهينه ، ولكنك فى الواقع كنت لا تتـــمنين له مكروها ؟

الأم : لست أدرى .

مــــــــارك : ففى تلك الكراهية ، كان هناك جانب من التبرم ، من الحقد على حياتك الفاشلة ، وليس عليه هو ؟

الأم : كلا ، عليه هو ؟

مــــــــارك : ومع ذلك . فحينما كان يمرض كنت تعنين به فى كل مرة .

الأم : صحيح ! لقد اعتنيت به . إن مكافحة الأمراض ،عملية انعكاسية ،لا إرادية .

مــــــــارك : كان من الممكن أن تكرهيه . ولكنك لم تكونى تتمنين له هذه الآلام المبرحة التى قاساها .

الأم : الآلام ، لا .

مــــــــارك : ولا موته أيضا .

الأم : كلا . لقد كنت دائما أتمنى له الموت .

مــــــــارك : ليس هذا صحيحا يا أماه . وإلا لما اعتنيت به فى كل مرة كنت تفعلين ذلك وحينما كان يتأخر فى الرجوع مساء ، كنت تشعرين بالقلق فى بعض الأحيان . فقد كنت تخشين أن يقتل نفسه من الإرهاق .

الأم : **(بابتسامة رهيبة)** لأننى كنت أخاف من الدم ، من الجثث . ولكننى كنت أتصور الجنازة ثم الحرية ... حريتى !

مــــــــارك : أوه ! إنك فظيعة .

الأم : لقد قلت لك ذلك .

مـــــــــارك : ولكن أية مصلحة ، وأية سعادة يمكنك أن تنتظريها من وراء موته ؟ فقد كنت حرة وكان بوسعك أن ترحلى منذ زمن بعيد .

(لا تجيب)

من الممكن أنك كنت تتمنين موته كما كنت أتمنى أنا موت عشاقك . دون أن نؤمن بذلك كثيرا .

الأم : **(تمرر يدها فوق جبينها)**

أجل ، ربما . دون أن نؤمن بذلك كثيرا .

مـــــــــارك : انظرى ، ما كان ينبغى ذلك . لقد جاء الموت من تلقاء نفسه ، والآن تشعرين بالخوف لأنك كنت تتمنّينه .

الأم : أجل .

مـــــــــارك : **(يمسكها)**

أيتها الأم العجوز المسكينة ! لا ينبغى أن تشعرى بالخوف ، فربما كان هو أيضا يتمنى موتك . يجب أن تحاولى أن تكونى سعيدة . بلا أفكار شريرة .

الأم : أجل . بلا أفكار شريرة .

مـــــــــارك : إنك بالقرب منى . لا تخشين شيئا ؟

الأم : ألن تهجرنى يا مارك ؟

مـــــــــارك : نعم لن أهجرك ، يا أماه .

(صمت)

الأم : هل صرحوا بدفنه ؟

مـــــــــارك : أجل . منذ لحظة . لماذا تسأليننى عن ذلك ؟

الأم : أبدا . كنت أريد أن أعرف . فلما كانت هناك حالة تسمم ، فقد كان بوسعهم أن ...

مـــــــارك : كان بوسعهم ... ماذا ؟

الأم : لا شيء . إجراء تحقيق .

مـــــــارك : لماذا ؟ لقد عثروا على أثار نبات الفطر الذى تسبب فى الوفاة إنه أصفر صغير ، ومفعوله مدمر . الحالة واضحة ؟

الأم : أصفر صغير ؟

مـــــــارك : أجل . أصفر صغير . مسكين والدى العجوز كان يعتقد أنه من المستحيل أن يصاب بنبات الفطر .

الأم : كان دائما يعتقد أنه لا يُهزم . كان يلقن الآخرين دروسا عن كل شيء .هو الذى لم يكن قادرا على شيء ... كان يُذعر عندما نقترب من حصاده . ومع ذلك . فكان يجب فى كل مرة أن أقوم أنا بتنقيته . ياللغباء .

مـــــــارك : هل قمت بتنقيته أول أمس ؟

الأم : كلا . لم أفعل ذلك أول أمس . كنت ثائرة الأعصاب . بل إننى لم أدخل المطبخ . ويمكن أن تخبرك جورجيت بذلك .

مـــــــارك : ومع ذلك ، فإنى أتذكر الآن أنها جاءت تبحث عنك لكى تطلب منك أن تقومى بتنقيته . وكانت تقول إنها غير متأكدة من جمعه .

الأم : لا أذكر ذلك . لابد وأنك مخطئ .

مـــــــارك : حينما جاءت تبحث عنك . ذهبت أنت معها .

الأم : أنا لم أدخل المطبخ .

مـــــــارك : **(يصيح فجأة)** – ولكن لماذا تقولين ذلك ؟ لقد نزلت أنا بعد ذلك .
فرأيتك بعينى فى المطبخ ...

الأم : مادمت لا تريد أن تصدقنى ، فلا تصدقنى .

مـــــــارك : ولكننى أريد أن أصدقك يا أماه . أريد ذلك بكل قواى . ينبغى أن أصدقك ، ولكن لا تقولى كذبا ، كذبا لا يجدى .

الأم : إننى لا أقول كذبا .

مـــــــارك : لا تلحى ، أتوسل إليك . إن الأمر بسيط جدا . فلماذا هذه الكذبة التى يمكن أن تجعلنى أظن الظنون الخاطئة ؟

الأم : لم أكن فى المطبخ ، قلت لك .

مـــــــارك : ولكننى رأيتك يا أماه ! مررت من باب الحديقة ، واجتزت الحجرة ، كنت أسرع وكنت أنت هناك . عن يمينى .
(يصيح)
أماه لقد كنت أمام المنضدة ! إننى أستعيد منظرك الآن .
كنت تقومين بتنقية نبات الفطر هذا ؟

الأم : أنت تكذب .

مـــــــارك : ولكن لا تقولى هذا ! الأمر بسيط بكل تأكيد . وأنت تعلمين تماما أننى لا أفكر فى اتهامك بشىء ... من الممكن جدا أن تكونى قد انتقيت نبات الفطر شأنك فى المرات الأخرى ، ولم تعرفى الفاسد منه . هو ذاك ، أليس كذلك؟ هو ذلك ؟ أنت لا تعرفين .

الأم : أجل ، أنت على حق لم أكن أعرفه .

مـــــــارك : هو ذاك ،هو ذاك . فـأنت لم تشـاهديه . لقـد أخـبـرنى الطبيب أنه يوجد منه كمية ضئيلة جدا فى الإقليم . وأنه يوجد بنوع خاص فى مناطق الألب . فى مسقط رأسك . فإذا كنت رأيتيه فلم يكن ذلك إلا هناك ، فى الماضى . إنه صغير أصفر ، صغير جدا ...

(يتوقف ، مذهولا . ينظر إليها . صمت طـويل جدا . لا يكاد يهمهم)

لقد قلت لى قبل برهة إنه أصفر صغير . إذن فقد رأيته ؟ كنت تعرفينه ومع ذلك فلم تتعرفيه . لقد أسـأت تنقـيـة نبـات الفطر ، ولذلك فـأنت تشـعـرين بالخـجل ... كنت مريضة ، شاردة ؟ ولكن أجيبينى ، أجيبينى بـ " أجل " !

الأم : لم أعد أدرى ، يا مـارك . إننى أفـقـد صـوابى أمـام هذه الأسئلة التى توجـهـها إلى . لا تسـألنى عن شىء . إننى فى غاية الشقاء ، فى غاية الضياع . صحيح إننى طفلة ، إننى طفلتك الصغيرة بدورى . فدونك أكون وحيدة تماما . أنت الذى كنت دائما تنقذنى من كل شىء . فـخـذنى بين ذراعيك كما فعلت قبل لحظة . أتوسل إليك .

(تجلس القرفصاء عند ركبتيه)

مـارك ! أريد أن أكون جدة كمـا وعدتنى . أريد أن أكون عجوزا طيبة ، مستقيمة . جدة لها حفدة. لن يخافونى ، أقسم لك . سـوف أضـحـكهم ولسـوف ألعب مـعـهم لعبـة الطبلة والكلب ، كما كنت أفعل معك حينما كنت صغيرا .

ماذا تريد أن تسألنى ؟ لماذا أسئلتك تخيفنا نحن الاثنين ؟
مارك ، أريد أن أكون سعيدة كما وعدتني ولا أفكر في شيء .

مــــــارك : لماذا لم تحسنى تنقية نبات الفطر ؟

الأم : لم أعد أذكر . لقد قمت بتنقيته كالمرات الأخرى . أؤكد لك .

مــــــارك : لماذا لم تلقى بالفاسد منه ؟

الأم : لأننى لم أكن أعرفه يا عزيزى ! هذا أمر بسيط . ماذا تريد أن تعرف أكثر من ذلك ؟ صدقنى .

مــــــارك : أريد ذلك يا أماه . أريد أن أصدقك . ولكنه نبات فطر من مناطق الألب . وكنت فتاة فى ذلك الريف . وقد رأيته .

الأم : أقسم لك أننى لم أره .

مــــــارك : أنت ترين جيدا أننى لا أستطيع أن أصدقك ! فقبل برهة ، قلت لى إنه كان أصفر صغيرا .

الأم : قلت ذلك ، أجل . ولكن ذلك لأننى لابد وأننى سمعت الطبيب يقول ذلك . أجل هو ذاك ، هو ذاك . لقد سمعت الطبيب يقول ذلك . لا داعى للبحث لا داعى أبدا للتساؤل . مارك ، خذنى بالقرب منك ... تبحث ثانية ؟ ماذا إذن تريد أن تعرف ، لكى نتعذب نحن الاثنين ؟

مــــــارك : الحقيقة . وسأعرفها : ولو كانت أرهب حقيقة .

الأم : لا ينبغى ذلك يا مارك ، لا ينبغى !

مــــــارك : (**ينادى**) جورجيت .

الأم : مارك . أتوسل إليك . إن حياتنا يمكن أن تصبح سعيدة لو شئت ... أقسم لك إنك أخطأت ، نحن ضحيتان

لملابسات فظيعة ، لأسرار لا نعرف كيف نهرب منها .
لا يجب أن تسأل أكثر من ذلك .

مــــارك : جورجيت .

الأم : مارك . كلا . يا مارك ، أنت شاب ، طيب . وستحصل على هذه الفتاة الجميلة التى تشبهك كثيرا . فاسعد ، ودعنى أنتهى فى هدوء ، دون أن تسألنى عن شىء . فما جدوى ذلك الآن ؟ قل ما جدوى ذلك ؟

مــــارك : جورجيت .

(تدخل)

جورجيت . أنت . ألم تكونى متأكدة من نبات الفطر الذى جمعه والدى أول أمس ؟

جــورجــيت : كلا ، يا سيدى مارك .

مــــارك : هل قمت بتنقيته ؟

جــورجــيت : أنا لا أفهم شيئا .

مــــارك : وسيدتك هل قامت بتنقيته ؟

(جورجيت لا تجيب)

أجيبى .

(جورجيت تنظر إلى الأم)

الأم : أجيبى يا جورجيت ! فقد كنا معا . كما تذكرين . وقد تخلصت مما اعتقدت أنه فاسد .

جــورجــيت : لقد ألقيت ببعضه . هذا صحيح .

مــــارك : هل لاحظت بعضا منه كان أصفر صغيرا فى الطبق الذى قدمته إلى والدى ؟

جـورجـيت : زهور سقوط .

مـــــارك : زهور سقوط ؟

جـورجـيت : هكذا نسميها فى بلدتنا .

مـــــارك : هل كنت تعلمين أنها سامة ؟

(صمت)

الأم : **(تندفع نحوها)**

جـورجـيت ، أظن أنك لن تكذبى الآن ؟ وتقـولى إنك أخبرتِنى بذلك . ليس هذا صحيحا !

مـــــارك : دعينا .

(يدفعها بحركة عنيفة)

لو سمحت ، أجيبى ، هل كنت تعرفين ؟

الأم : كلا ! لم تكن تعرف !

مـــــارك : هل كنت تعرفين أيتها الفاجرة ؟

(يلوى رسغها)

جـورجـيت : آى !... إنك تؤلمنى .

مـــــارك : سأظل ألوى حتى تجيبى !

الأم : ولكن لماذا تريد أن تجيبك ؟ ستكذب .

جـورجـيت : آى ! آى ! آى ! أجل . كنت أعرف .

(يتركها . صمت طويل . الأم ، منبطحة تكرر آليا)

الأم : إنها مجنونة ... إنها مجنونة ... إنها مجنونة ...

مـــــارك : لماذا قدمته له مادمت كنت تعرفين ؟

جـورجـيت : **(تصمم فجأة)** – إنها سيدتى التى أمرتنى بذلك . قالت لى إنها ستعطينى خمسمائة فرنك حينما تحصل على العشرة آلاف فرنك .

(مارك لا يتحرك . الأم تصبٌ لنفسها لكى تشرب دون كلام)

جـورجـيت : **(تدعك رسغها)** – لقد أخبرتك أنت بذلك . ولكننى سأسكت من أجل الشرطة . إنه الآن سر بيننا نحن الثلاثة .

(صمت آخر)

لن أذيعه أبدا ، بكل تأكيد . كل ما هناك أنه يجب إعطائى الخمسمائة فرنك . ويجب أن يكون سيدى مارك لطيفا معى .

مـــارك : **(يصرخ فجأة كالمجنون)**

جاكلين ! جاكلين ! أنقذينى .

تسدل الستارة

الفصل الثالث

الديكور نفسه

(مارك فى فراشه . نائم . الصباح . الشيش مغلق . شعاع من الشمس . الأم تجلس القرفصاء أسفل السرير . تتطلع إلى مارك دون حراك . هناك إحساس بأنها فى هذا الوضع منذ فترة طويلة. صمت طويل . مارك يتقلب فجأة وهو نائم ، ينكشف ، تغطيه ، ينكشف مرة أخرى)

الأم : تغط إذن . مالك تضطرب ؟ لابد أنك تحلم أحلاما مزعجة . والذنب ذنبى.

(مارك يمرر ذراعه على جبهته عدة مرات)

أطرد هذا الكابوس ، اطرده ... آه تبتسم الآن ، لابد أنك لم تعد تفكر فىَّ . هذا أفضل .

(تشرب وتعود إلى حلمها)

أنت جميل وأنت نائم . كم ستكون سعيدة معك ، تلك الفتاة . أنت تعرف كيف تسوِّى أمورك بكلمة واحدة وتتغلب على كل المشكلات . تنفذ كل شىء بنظرة

أو بإيماءة . ما أجملك وأنت نائم . لم أكن أدرى يا حبيبى ، لم أكن أدرى . كنت أبحث كالبلهاء بين الرجال . لو كنت أعرف ...

(صمت طويل . يتحرك)

هذه أخر مرة تنام فيها فى سريرك الصغير . أصبحت تفزع منى وستذهب إلى حال سبيلك . آه ليتك توافق على البقاء هنا معنا . قليلا فقط ... حتى لا يكون عثورى عليك وفقدك فى يوم واحد .

(صمت)

إنك حتى لا تجرؤين على أن تطلبى منه ذلك ، أيتها الأم البلهاء. أم جميلة .

(تشرب)

بهذه الكئوس الصغيرة وهذا البرنس .

(جورجيت تدخل)

(الأم تشير لها بألا تحدث ضوضاء)

ما يزال نائما .

(صمت)

جورجيت : ومع ذلك فعليك أن تصلحى من هندامك قليلا ، وأن تنظفى نفسك على الأقل ، وتمشطى شعرك .

الأم : فيم يفيد ذلك ؟

جورجيت : هكذا تستطعين الإبقاء عليه .

الأم : لم أعد أملك طريقة للإبقاء عليه . ولم أوت طريقة على الإطلاق . لوكان صغيرا ، فربَّما حاولت أن أتحدث إليه ، أما الآن ...

جـورجـيت : ومع ذلك فيستحسن أن تنظفى نفسك وأن ترتدى ثوبا .

(لا تجيب . تشرب)

وألا تشربى بهذه الكثرة .

الأم : لا تضايقينى ، أنت الأخرى ؟

جـورجـيت : ومع ذلك فليس هذا أمرا عاديا ، أن تهمل امرأة نفسها وتشرب بهذه الطريقة .

الأم : دعينى وشأنى .

جـورجـيت : إذا أردنا أن نثير إعجاب الرجال فعلينا بالنظافة . هذا هو الشرط الأول .

إننى أعرف تماما أن هذا أمر ليس مسليا دائما ... ثم إنك تستيقظين متأخرة عنى . فلديك الوقت .

الأم : لا أريد أن أثير إعجاب الرجال .

جـورجـيت : هذا كلام .

الأم : لقد انتهى الأمر.

(صمت)

جـورجـيت : والسيد مارسيل هذا – كان مع ذلك يبدو محبوبا .

الأم : ربما . لست أدرى .

جـورجـيت : كان حسن الهيئة . ليس كسابقه . وحينما كنت ترسليننى إليه برسالة كان يحاول أن يقترب منى . الرجال كلهم متشابهون . أنا لا أقول ذلك لكى أغضبك .

الأم : ليتك تعلمين أن هذا لا يهمنى .

جــورجــيت : أما بخصوص السيد مارسيل فقد كان الأمر مفاجئا . ومن شأن هذا أن يحدث صدمة حينما تكون الواحدة منا متعلقة .

الأم : يحث صدمة ، أجل . وبعد ذلك نكف عن التفكير فيه .

جــورجــيت : يجب أن نبقى عليهم دائما . فما إن نتركهم حتى يذهبون . إن منهم من يسهل الإبقاء عليهم .

(تنظر إلى مارك بقسوة)

الأم : إنه جميل ، أليس كذلك ؟

جــورجــيت : (**ببرود**) أجل . ولكنه يؤلم . إنه ماجن . ثم إن الأمر معه لم ينته .

الأم : (**بالقرب من السرير**) وأنت أيضا يا صغيرى تعلم أن الأمر لم ينته ؟

جــورجــيت : علما بأننا لو كنا نصده فى تلك الأوقات ، لقتلك .

الأم : (**تكرر**) لقتلك ... ولا تريد أن تصفح عنى ...

(صمت . تنظر إليه)

إنه جميل . أليس كذلك ؟

جــورجــيت : (**كما فعلت قبل برهة**)

أجل

الأم : سيرحل غدا . يريد أن يعود إلى الأخرى .

جــورجــيت : كلا . سيرحل بمفرده .

الأم : هل أخبرك بذلك ! متى ؟

جــورجــيت : هذه الليلة .

الأم : هل كنت هنا ؟
جورجيت : أجل .
الأم : هل استبقاك ؟
جورجيت : أجل .
الأم : هل كان يرغب فيك ؟ هل كان ...
جورجيت : أجل .
الأم : وأخبرك ! وأخبرك بما سيفعله ؟ إذن فهو يثق فيك ؟ إذن فهو يحبك ؟
جورجيت : **(تهز كتفيها)** إننى أعجبه . وسينقضى ذلك .
الأم : لو أنك ، يا جورجيت ، تجعلينه يبقى ؟
(تهز كتفيها)
مادام يريد أن يرحل بمفرده . مادام لن يعود إلى الأخرى ، فهذا ممكن .
جورجيت : ربما .
الأم : جورجيت ، أنك تستطعين أن تجعليه يبقى إذا كان يرغب فيك . اجعليه يتعلق بك أكثر . اجعليه لا يستغنى عنك . حينئذ لن يقوى على الرحيل .
لماذا لا تردين على ؟
جورجيت : إنه شبه مجنون . إنه يعذبنى .
الأم : ولكنك سعيدة معه . هل تحبينه ؟
جورجيت : كلا .
الأم : سأعطيك مالا إذا أبقيت عليه .

جـورجـيت : كلام . إنك حتى الآن لا تستطعين أن تعطينى الخمسمائة فرنك .

الأم : سأبيع بعض الخواتم . سأعطيك إياها .

جـورجـيت : إنه يعذبنى .

الأم : ذلك لأنه يحبك ،أيتها الصغيرة البلهاء. جورجيت . إذا رحل فعلى السلام، إننى وحيدة مع جثة الآخر الذى يلاحقنى . وأنا الآن غير قادرة على حب الرجال الآخرين . إنه هو الذى كنت أنتظره يا جورجيت . إنِ احتفاظنا به ، وعدم بقائنا وحيدتين فى هذا المنزل ، أمر يرجع إليك أنت . ألا يهمك هذا الذى أقوله لك !

جـورجـيت : أنا أستطيع العثور على آخرين .

الأم : ليس فى جماله ولا فى طيبته .
(تصرخ)

جـورجـيت : حذار . فستوقظينه .

الأم : (برقة) ليس فى قوته ، ليس فى رقته ...

جـورجـيت : إذن ، يجب أن تزيدينى . فقد عرض على أكثر .

الأم : سأزيدك . أعدك بذلك .

جـورجـيت : تزيديننى مائة فرنك ؟

الأم : أجل . مائة فرنك .

جـورجـيت : ثم إن العمل هنا شاق .

الأم : ستنزلين متأخرة . وسأصحو أنا أولا . وسأقوم بالأعمال التى تضايقك إذا بقيت .

جـورجـيت : **(بارتياب)**
ستغسلين الآنية ؟

الأم : أجل ، سـأغسل الآنيـة . انظرى إليـه ، أيتـهـا الصـغيرة البلهاء . أتظنين أن بوسعك أن تعثرى على عاشق آخر كهذا ، أو يحبك مثله ؟

جـورجـيت : إننى كما تعلمين أفضل لو أحبنى أقل من ذلك ...

الأم : لا تقولى هذا ! إنك بلهاء . هذا لأنك طفلة . لابد من أنـك تعرفين كيف تسعدينه وتصبحين سعيدة . يجب أن تعرفى . تضايقينه ، تعذبينه ، يكون فى قبضتك .
(صمت ، تمرر يدها فوق جبينها)
سأعلمك .

جـورجـيت : أجل ، فأنت تجيدين ذلك ، أنت .

الأم : **(دون أن تسمعها)** - ما فائدة ذلك ؟ المهم أن يبقى ... سأعلمها .

جـورجـيت : كل مـا هناك أنه يجب عليك أن تسـاعـيدينى . فلو أنك دفعته إلى الرحيل كلما نظر إليك ، فإننى لا أضمن شيئا .

الأم : سأصلح من هندامى .

جـورجـيت : إذا كان يحبك عجوزا ، فلا يجب أن تقاومى . فإننى أتركه يفعل بى ما يشاء . لا ينبغى أن نتعب أنفسنا فى محاولة الفهم .

الأم : أنت على حق . سأفعل ما يريد . سأمارس التمرينات الرياضية .

جـورجـيت : الشرب هو الذى يزيد وزنك .

الأم : لن أشرب أبدا .

جـورجـيت : هناك أشياء كثيرة فى هذا البيت لا تعجبه . فأنا أعرفه .

الأم : سنقوم بعلاجها كما تريدين .

جـورجـيت : أجل . يجب طاعتى فى كل أمر إذا كنت تريدين أن ننجح فى الإبقاء عليه هنا .

الأم : سأنفذ كل ما تريدين .

جـورجـيت : حسن . سأسخن لك ماء . أولا سأحمل هذه الزجاجة .

الأم : خذيها .

(جورجيت تخرج)

سأعلمها يا مارك كيف تصنع . وسوف ترى . ستكون سعيدا . ستبقى يا حبيبى . وحينما تملها سنبحث لك عن أخرى . لكى تبقى معنا ...

(لحظة صمت ، تتأمله)

مـــــارك : **(يفيق من النوم)**

أنت هنا ؟

الأم : نعم .

مـــــارك : **(فى اللحظة التى لا نذكر فيها شيئا)**

جـورجـيت : أولا، يجب أن تكونى نظيفة . وأن تتركى هذا المئزر. وأن تلبسى جوارب.

(تلمس بطنها)

تقللى وزنك .

مـــــــارك : صباح الخير يا أماه . كنت أحلم .

الأم : صباح الخير يا صغيرى ...

(تهم بالاقتراب)

مـــــــارك : **(بقسوة)** آه ! اعتقدت أننى كنت أحلم . هل أعددت حقيبتى ؟

الأم : ليس بعد .

مـــــــارك : سأقوم وأعدها بنفسى .

الأم : ثم خمسة دقائق أخرى وسأعدها لك ، كما أعددتها لك حينما ذهبت لقضاء الخدمة العسكرية .

مـــــــارك : كلا .

الأم : هبنى هذه المتعة يا مارك . فما عسى يكلفك هذا ؟

(يسقط على السرير من جديد ، تبدأ هى)

هل ستأخذ جميع المناديل ؟

مـــــــارك : أجل ، جميعها .

الأم : وجميع القمصان ؟

مـــــــارك : أجل .

(صمت)

الأم : ألن تعود إذن ؟

مـــــــارك : بلى .

الأم : سترحل معها ؟

مـــــــارك : لا تكلمينى .

(صمت)

إننى مضطر لأخذ نصف هذه النقود لكى أعيش فى انتظار أن أجد عملا .

وسأرسل إليك بها . أما الباقى ففوق المدفأة ، تحت إناء الزهر ويمكنك أن تفعلى به ما تشائين .

(صمت)

الأم : أنت تكرهنى ؟

(مارك يهز كتفيه)

قبل أن تعرف بخمس دقائق ،كنت تأخذنى بين ذراعيك ، وكنت تحبنى .

هذا لأنك عرفت ذلك .

(صمت)

لو أنك قرأت هذا فى قصه ،لأفزعتك تلك المرأة التى تقتل لكى تعيش مرة أخرى .

(لا يجيب)

كلا، أليس كذلك ؟ طالما سمعتك تقول هذا لأصدقائك . لا يجب أن نحيا إلا للحب ، يجب أن نحطم كل شىء ، وأن نتغلب على كل شىء . إيه حسن . فهذه هى الحياة للحب كما ترى .

(لا يجيب . صمت)

وعندما تكون امرأة عجوزا فإننا لا نغفر لها .

مـــــارك : لا تكلمينى .

الأم : أوه ! دعنى على الأقل ، أكلمك ، دون أن تجيبنى . فعندما سترحل سيقضى على بصمت أبدى .

مــــــــارك : تكلمى إذا شئت .

الأم : **(بعد أن عملت لحظة فى صمت)**

أنت على ما يرام فى سريرك الصغير ، أنت تعرف جميع أركانه الآن لقد اشتريناه معا من مدخرتنا رغما عنه ، فقد كان يريد أن تحتفظ بسرير عمك القديم المصنوع من الحديد . قبل زمن بعيد كنا نتآمر معا .

مــــــــارك : قبل زمن بعيد . أجل .

الأم : وأمس . حينما تحادثنا ، رأيت أن ذلك يتكرر مرة أخرى . لطالما تمنيت أن تعطينى الفرصة لأشرح لك قبل أن ترحل .

مــــــــارك : كلا ، لم أعد أريد أن أفكر فى ذلك . أريد أن أمحوه من حياتى بوجهه الأخضر ويديه اللتين فوق بطنه ، وأمحوك من حياتى ، أنت أيضا وأصبح بعد ذلك يتيما ، يتيما بلا ذكريات .

الأم : كنت أرجو فقط أن تعرف كيف حدث هذا بسرعة . لقد كنت دائما أتمنى دون أن يخطر ببالى أننى سأقتله . وفى ذلك اليوم رأيت نبات الفطر الأصفر الذى لم أكن متأكدة منه . فأنا لم أجمعه . بل إننى حتى لم أحاول أن أعرف إذا كان ساما فعلا . لقد تركته ، هذا كل ما فى الأمر .

(صمت . تنظر إليه)

إنك تستطيع أن تغفر لى ، أنا أعرف ذلك . ولكنك تعرف هذا الظمأ، وهذا الضباب الذى يغطى العيون ... تعرف أننا من الممكن أن نخاطر بحياتنا فى لحظة واحدة .

(**لا يجيب**)

هل تريد مع ذلك أن تأخذ الصورة ؟ الصورة التى كنت تحبها . لقد لصقتها من جديد .

مـــــــارك : هاتها .

(**تخرجها من صديريتها**)

الأم : لقد لففتها فى ورقة حتى لا تتهلهل .

(**صمت . تنظر إلى الصورة . تحلم**)

أمر فظيع أن يكون ذهابك الآن بالذات وقد كان كل شىء قد بدأ يصبح جميلا . " لا مجال للتوافق والمبادلة " . ربما أحببتنى أنت ، حينما كنت أذهب معهم . كنت تتألم ، وكنت أتغابى . آه ! لو كنت تعلم ماذا كانوا ، وماذا أخذت منهم ... لقد فات الآوان . " لا مجال للتوافق والمبادلة " إنها أغنية كنت أسمعها حينما كنت شابة .

(**تحاول أن تغنى**)

" ومع ذلك فلا مجال للتوافق والمبادلة "

" يذهب الحب حينما يأتى الحب " .

إننى أغنى نشازا . بين الأمهات والأبناء فى العادة ، يكون ثمة توافق ومبادلة . وبعد ذلك فأنت شاب ، يجب أن تعيش . وأنا عجوز .

(**تجلس القرفصاء كما فعلت قبل برهة بالقرب من السرير . تتناول كأسها التى كانت فوق الأرض وتأتى عليها**)

لن تمنعنى بعد ذلك من الشرب . لقد أرادت جورجيت قبل برهة أن تقدم لى الموعظة . طلبت منى أن أغتسل ، وأن أصلح هندامى حتى لا أنفرك كثيرا ، وتتولى هى الباقى ، هى . هل تحبها ؟

مـــــــارك : كلا .

الأم : إنك ترغب فيها . إن ظمأك ليس إلا لها ، ولكنك أكثر منى مكرا وأكثر منى تدبيرا . فلن تبيع حياتك بثمن بخس نظير فعلة . لسوف تتزوج من فتاتك الجميلة . وسيكون لك أطفال على قدر من الجمال . ولسوف تخرس كل هذه الأصوات القذرة التى تصرخ فينا داخل بطوننا ... أنت على حق . يجب أن يكون الإنسان جادا شريفا . ولابد من أنه بذلك يصبح سعيدا .

(تشرب)

أما أنا فقد فات الأوان ، حتى لكى أصبح جدة . وأما أنت فوضعك أفضل . إن ما أريده هو ألا تسرف فى بغضى . لقد كنت قاسيا – كما تعلم – لا تتنازل عن حقك فى بعض الأحيان كوالدك ، كالآخرين ...

أنت ! وربما لو كنت مددت إلىَّ يدك لكنت تعلقت بها .

(صمت)

مارك ، حتى لو كنت أثير اشمئزازك الآن ، فإننى أود أن تعدنى بأن تترك فترة من الزمن تنقضى ، ثم بعد ذلك تفكر بطريقة أفضل . لو أعرف أننى لا أنفرك فمهما

أصبحت ، يلوح لى أن ذلك سيجعلنى أشعر أننى لازلت شابة .

(صمت)

ألا تجيبنى ؟ ومع كل فإننى أجد متعة فى أن تتيح لى فرصة الكلام . أعتقد أنها أول مرة أتحدث فيها إليك . وأقول لك جانبا مما يجثم فوق قلبى . إننى لا آمل طبعا أن أجعلك تدرك أنه كان لى مع ذلك دور صغير ، صغير جدا لدرجة أننى كنت أفقده من آن لآخر . ولا آمل أن أجعلك تدرك أننى إذا كنت أما سيئة - كما لابد من أنهم أخبروك - فإننى مع ذلك أحبك على طريقتى الخاصة ...

(صمت)

مــــــــارك : يجب أن أنهض !

الأم : أى قطار ستأخذ ؟

مــــــــارك : لست أدرى . الأول .

الأم : ألن تراها ، هى ؟

مــــــــارك : تظنين أننى أستطيع أن أراها ، الآن ؟

الأم : لست أدرى ، أنا . فأنا لست على علاقة كبيرة بالتقاليد العالية .

(تضحك قليلا بعصبية)

مــــــــارك : **(ينهض ، يهزها)**

ماذا بك ؟

الأم : لا شىء . لا تهزنى هكذا ! فقد أصاب بالمرض . ربما أسرفت فى الشرب .لازال الوقت مبكرا . لقد أخذت منى

زجاجتى قبل لحظة . ولكننى هنا منذ الثالثة صباحا . صحوت لكى أنظر إليك . كنت أخشى أن ترحل دون أن تقول لى شيئا .

مـــــارك : لا يجب أن ترتدى مثل هذه الثياب . هذا فظيع .

الأم : دعنى .

مـــــارك : يجب أن تتــركى هذا المئـــزر . وتصلحى هندامك . وتمشطى شعرك .

الأم : ما الفائدة ؟ لمن ؟

(تتداعى فوق الأرض)

مـــــارك : لنفسك ... لى ...

الأم : أنا ، أنا عاهر .

مـــــارك : أماه .

الأم : وأنت ذاهب . إذن ...

مـــــارك : لابد لك حتما أن تذهبى وترقدى ، وتعتنى بنفسك .

الأم : عندما ترحل ، بعد لحظة . أما الآن فإننى لا أريد أن أفقد دقيقة واحدة . كما تعلم . يجب أن أراك حتى النهاية ، ليكن ذلك زادا لى خمس سنوات أو ست حتى الموت ...

مـــــارك : أماه ...

جـورجـيت : **(تدخل مذعورة)** - سيدى مارك ، الفتاة .

مـــــارك : ماذا ؟

جـــاكلين : **(تبعد جورجيت)** - أجل ، أنا . دعينى أدخل .

(تتوقف)

ما معنى هذا يا مارك ؟

مـــــارك : كما تريد . إننى أقوم من النوم .

جـــاكلين : لا تسخر منى . ما معنى هذا الخطاب الذى كتبت لى فيه أنك لن ترانى بعد ذلك ؟

مـــــارك : هذا يعنى أننى ذاهب .

جـــاكلين : مع من ؟ وإلى أين ؟

مـــــارك : ليس مع أحد ، ولا إلى أى مكان ...

جـــاكلين : لماذا ؟

مـــــارك : لقد منعتك أن تأتى لتسألينى عن ذلك .

جـــاكلين : إننى أحبك وواثقة من أنك تحبنى . من حقى على الأقل أن أعرف هذا .

مـــــارك : أجل ، أننى أحبك ، ولكننى راحل . ولن تعرفى شيئا .

جـــاكلين : اخرج معى !

مـــــارك : كيف ؟

جـــاكلين : أخرج الآخرين إذن

مـــــارك : كلا . أريد أن يبقوا .

جـــاكلين : أخرج على الأقل هذه الصغيرة التى تنظر إلى وكأننى جئت هنا لكى أسرق شيئا .

مـــــارك : كلا ستبقى .

جـــاكلين : حسن . سأتحدث أمامها ، فإننى لا أشعر بأى خجل ، أنا

مـــــارك : لو شعرت بالخجل لكنت مخطئة . إنك فى هذه اللحظة أجمل ما كنت بهذا الغضب وهذا الحب اللذين يمتزجان .

بوسعك أن تقولى أى شىء أمامهما ، فى هذه الحجرة التى تسودها الفوضى ، لهذا الشاب الأشعث الأغبر . ستكونين جميلة مع ذلك . وستكون جميع حركاتك بالضبط كما يجب أن تكون ...

جـــاكلين : إنك لا تحبنى فى هذه اللحظة .

مــــارك : بلى ، يا جاكلين .

جـــاكلين : يوجد نبرة حقد فى صوتك .

مــــارك : صحيح . إننى أعجب بك بحقد . أنت بالغة الجمال ، وكل ما هنا بالغ القذارة ، بالغ الفقر ، بالغ الفشل .

جـــاكلين : لماذا تخبرنى بهذا اليوم ؟ لقد جئت هذه الحجرة قبل ذلك .

مــــارك : ها أنت تقتحمينها مرتين .

جـــاكلين : سامحنى يا مارك . كان ينبغى أن أتحدث إليك

مــــارك : **(يصرخ فيها)**

ستقولين لى إنك تحبيننى ؟

جـــاكلين : أجل .

مــــارك : وأننى احبك ؟

جـــاكلين : أجل .

مــــارك : وأنك ستسعديننى ؟ وأنك ستمحين جميع الأوساخ وجميع الآلام التى تطبع وجهى ؟

جـــاكلين : أجل ، يا مارك .

مــــارك : وأننى مجنون ، أختلق الآلام ؟ انظرى ، إننى أعرف كل ما ستقولين ، فاذهبى .

جـــــاكلـين : **(بحزن بالغ)**
سـأرحل طبـعـا إذا أردت ذلك . ولكن دعنى أحـصـل على كلمـة ، عـلـى الأقـل حـتـى لا أصـاب بالجنــون ... لماذا يا مارك ؟ لماذا ؟

مـــــــارك : أتريدين أن تزيدى من شقائى قليلا بإرغامى على إخبارك ؟ ما الفائدة اذهبى إذن مادمت أريد ذلك .
(تنصـرف دون أن تنبس بكلمـة وهـى تتـرنـح . وكلمـا ابتـعـدت ، غير الألـم وجـه مـارك . ولا تكاد تخرج حتى يصرخ فيها)
أحـبك ، يا جـاكلين . أحـبك ! أقـسـم لك . ارحلى وأنت تعلمين ذلك .
(تلتفت شاردة . يجرى ويركع أمامها)
ما أجملك ! ما أجملك ! ياللطيبة ، وياللنور فوق وجهك ! دعينى أنظر إليك مرة أخرى . مرة أخيرة .

جـــــاكلـين : مستحيل يا مارك . لن يلبث هذا أن ينتهى ، ولن نلبث أن نفيق .

مـــــــارك : كلا . قد تظنين أننـى أضـحـى بـك فـى سـبـيـل غـرور ، أو خوف غامض ......
إنه سر واضح ،لا يرحم ، ذلك الذى يفصل بيننا .

جـــــاكلـين : تستطيع أن تخبرنى بكل شىء ، فأنت تعرف ...

مـــــــارك : بكل تأكيد ...

(ينهض ويسير كالمجنون وقبضتاه فوق عينيه . ينفجر ضاحكا)

إننى أعرف ، أجل . أعرف حتى إننى أستطيع أن أخبرك
بكل شىء . ستعرفين كل شىء ، وستغفرين كل شىء !
أجل أستطيع أن أقدمهما إليك هاتين المرأتين . وأقول لك
إننى ابن هذه وصورتها الصادقة .

(يهز جورجيت)

وأقول لك إن تلك جاءتنى هذه الليلة فى الفراش ،
ولم أطردها ...

جورجيت : اتركنى !

مارك : أظهرى نفسك ! أظهرى نفسك ! انظرى . إنها فاجرة
جميلة ، هيه ؟
إننى لا أحبها . وهى لا تحبنى !

(يهزها)

جورجيت : دعنى إذن ،إنك مجنون !

(تخلص نفسها وتهرب)

مارك : ليست لديها الشجاعة لمواجهة الموقف . لقد رأيتها !
وستكونين رائعة كعهدى بك دائما . أجل إننى أحبك .
أجل ، أنت الأجمل ، وأنت الأرق ومع ذلك فإننى فى
حاجة إلى هذه القردة الصغيرة .

جاكلين : مسكين يا مارك ...

مارك : ترثين لى . لقد فهمت ، لأنك قادرة على فهم كل شىء .
أليس كذلك ؟
وهذا الفهم العجيب لابد من أنه جزء من تربيتك الممتازة .

جـــــاكلـين : مسكين يا مارك . أهذا هو السبب ؟

مــــــــارك : ليس هذا وحـــسب ! انتظرى ، إنك لم ترى كل شـىء .
هناك الفصل الآخير! انظرى هـناك بالقرب من السرير .
فوق الأرض . إنها أمى . أتسـمعين ! أنت التى اطلعتنى
على صـورة أمك البـاسـمـة المعلقـة على جدار حـجـرة
استقبالك ، تلك السيـدة الجميلة التى ترتدى الدنتيـلا،
وسط أصدقائها فى يوم من أيام الاستقبال الحافل .

مــــــــارك : هذه أمى ! وعندها هى الأخرى يوم استقبال . هو اليوم .
هيا انهضـى . سلمى . انهضـى ! سلمى . على الآنسة .

الأم : ماذا بك ؟ أهذه هى يا مارك ؟

مــــــــارك : يجب أن تعذريها . فهى لا تعرف كثيرا كيف تحيى الناس .

جـــــاكلـين : أوه ! مارك . أتوسل إليك ...

مــــــــارك : هل أنت مسرورة ؟ هذه التى كنت تريدين رؤيتها ؟
(يدفع أمه ، تكاد تسقط فوق الأريكة)
انظرى ،إنها تسقط حينما نتركها ، ينبغى أن أسر إليك
إنها أسرفت فـى الشرب .

جـــــاكلـين : مارك ، ماذا بك ؟ إننى خائفة . أنت مجنون .

مــــــــارك : لأنها تشرب ! إنك لم ترى شيئا بعد ! يجب أن تشاهديها
وهى تشرب ، أين زجاجتها ؟ صحيح لقد أخذوها منها .
ولكننا سنفتح لها أخرى . فدائما يوجد زجاجات هنا !
(يفتح زجاجة)
هيا . اشربى . اشربى .

الأم : مارك ، أنت مجنون .

مـــــارك : أقول لك اشربى .

الأم : ولكنك ستخنقنى أنت مجنون . أنت مجنون .

جــــاكلين : مارك ، أنا لا أحب ذلك ! إننى أمنعك ! ...

مـــــارك : (**يدفعها**) . دعينى . اشربى . اشربى إذن !

الأم : (**تضحك قليلا وهى تشرب**) - أنت مجنون ، يا صغيرى أمام الناس ، أمام خطيبتك ...

مـــــارك : لأننى نسيت ذلك . إنها خطيبتى ...

(**يصرخ**)

خطيبتى . وليمة الخطبة . زهور الخطبة . تعارف الخطبة . أمى . أمك فى المستقبل . هيا ،الانفعال . الانفعال . عشاقها المختلفون ليسوا موجودين . اعذريهم فقد احتجزتهم أعمالهم أو بعض الواجبات الاجتماعية . . ولكنهم كثيرون . على الأقل اثنا عشر . سنقدمك إلى أولئك الذين سنستطيع أن نجدهم منهم .

الأم : ولكن ماذا بك يا مارك ؟

مـــــارك : ومع ذلك فإنك تعرفين أحدهم . آخرهم وأجملهم . السيد مارسيل ! السيدمارسيل ، يا ترى فى أى ناد قابلته ؟ ألا تذكرين جيدا ؟ إنه سائق والدك . السائق الذى سرق ، وقمتم بطرده . وها أنت ترين أن لنا أصدقاء مشتركين . فأمى كانت عشيقة لسائق والدك . والآن ماذا تفعلين هنا ؟

(**ينهار من الإعياء . صمت طويل**)

جـــــاكلين : **(مخاطبة الأم)** سامحينى . إننى سأرحل . إننى لا أفهم شيئا . لو يسمح لى بالبقاء لحظة ، وبالتحدث إليه .

الأم : **(ضجرة ، ورأسها على الأريكة)**
أوه ! افعلى ما تريدين ... فأنا الآن قد فقدته .

جـــــاكلين : **(تضع يدها فوق كتفه)** – مارك ...

مـــــــارك : إننى أبله . دعينى يا جاكلين . إنك أعظم من هذا كله وأكبر .

جـــــاكلين : كلا ، يا مارك .

مـــــــارك : دعينى ، مادمت أطلب منك . فأنت تعرفين تماما أننا لا ننقذ الناس رغما عنهم .

جـــــاكلين : أريد أن أنقذك رغما عنك ، يا مارك . أنك أعظم من الحقد الذى يعتمل فى نفسك ، ومن هذا المشهد الرهيب ، ومن كل شىء . كنت أعرف هذا كله . فقد كنت أشك فيه منذ فترة طويلة . فالصغيرة مثلا ، أول يوم جئت فيه هنا ، أدركت أنها عشيقتك ، وأنها تحبك .

مـــــــارك : إنها لا تحبنى . أنا أدفع لها الثمن .

جـــــاكلين : وأدركت أيضا ، منذ فترة طويلة ، أنك تتعذب بسبب أمك . سا محينى يا سيدتى ، ولكن يجب أن نتكلم الآن بمنتهى الصراحة .

الأم : مارك . دعنى أخرج . فما عشاها ستقول ؟

مـــــــارك : أبقى ، يا أمى .

جـــــاكلين : لا تخافى . فلن أقول شيئا يخجلك ، أو يضايقك . لقد تعذب مارك بسبب حياتك . بسبب استهتارك . ولكننى

أعتقد أنك كنت بائسة شقية ،أليس كذلك ؟ فإذا شئتما ساعدتكما ، حتى هذا الحقد الذى يقوم بينكما ، يبدو لى أننى أستطيع أن أقضى عليه .

الأم : دعنى أذهب يامارك ...

مـــارك : كلا .

جـــاكلين : سنذهب لنعيش فى الريف . أنا غنية . من المخجل أن أقول هذا ، ولكنكما ستريان أن كل شىء يصبح سهلا بقليل من المال . إن مارك يحبنى وأنا أحبه ولسوف يحب بعضا بعضا .

الأم : **(تتوسل)** – دعنى أذهب يا مارك .

مـــارك : ابقى يا أمى !

جـــاكلين : لماذا تريدين أن تذهبى ؟ هل أبدو غبية خرقاء فى نظرك ؟ ربما يكون فى كلامى ما يجرحك . يجب أن تسامحينى ! إننى أشعر برغبة شديدة فى إسعادك ، مارك ! لم هاتان اليدان فوق وجهك ، مادمت ترى أن كل شىء ممكن ...

مـــارك : لا شىء ممكن . اذهبى .

جـــاكلين : أهى تكرهنى ؟ ألا تريد أن تأتى معنا ؟

مـــارك : بلى ، هو ذلك .

جـــاكلين : ربما سأكون قاسية . ولكننى لا أقول ذلك من أجلى ، وإنما لأننى أحبك يا مارك ، عليك أنت الآن أن تحيا ! إنك لا تستطيع أن تبقى هنا يوما آخر . فأنت من جنس آخر . وأن الترف والمال والمجد وغيرها من الأشياء التى لا معنى لها بين يدى الآخرين ، إنما هى من أجلك أنت .

مـــــــارك : **(بمنتهى البساطة)** ليس هذا هو كل شىء يا جاكلين .
فإن أمى لكى تحصل على خمسمائة فرنك تعطيها لعشيقها ، قتلت أبى قبل ثلاثة أيام .

جـــاكلين : ماذا تقول يا مارك ؟

مـــــــارك : **(يصرخ فيها)** أقول لك إنها قتلت أبى ! أتجدين لذة فى سماع هذه العبارة مرتين ؟

جـــاكلين : ولكنك لا تدرى ما تقول ؟

مـــــــارك : إننى أدرى ، بكل أسف .

جـــاكلين : أبوك مات ؟

مـــــــارك : دفن بالأمس .

جـــاكلين : وكيف مات ؟

مـــــــارك : لقد تسمم من أكل نبات الفطر .

جـــاكلين : ماذا ؟

مـــــــارك : نبات فطر سام قدمته له أمس . عمدا . هل فهمت الآن ؟
(صمت)

الأم : **(تهمهم)** - لا يجب أن تخبرها يا مارك ..

جـــاكلين : **(تنظر أمامها فى ثبات)**
(صمت آخر ، تسأل فجأة)
وأنت ، هل كنت تعلم ؟
(لا يجيب)
لم تكن تعلم . أنا واثقة من ذلك . سنهرب من هذا الكابوس ، ونصبح سعيدين . ستهيئ لها حياة رغدة

وهدوءا ، حيث تريد . وسنرحل إلى الطرف الآخر من العالم . قل ، لم تكن تعلم ، يا مارك ؟ فلا يمكن أن تتحمل عبء هذا الذنب . يجب أن تتركها ، وتأتى معى ، أنا التى أحبك ، وسأنقذك .

مارك : **(بعد صمت ، وجها لوجه)**

نعم ، كنت أعلم .

الأم : مارك .

مارك : لقد ساعدتها ...

الأم : أنت مجنون يا مارك ، لماذا تقول هذا ؟

(صمت آخر)

جاكلين : ولكن ماذا تتقول ؟

مارك : **(يسير نحوها وهو يصرخ كالمجنون)**

لقد ساعدتها . لقد أعددت نبات الفطر . هل تسمعين ؟ قدمته بهاتين اليدين ، ورأيته وهو يأكله . وكنت أنظر إليه وهو يتلوى ويخضر لونه فوق الفراش ، بعينى هاتين ... هل أدركت الآن ؟

جاكلين : **(تتراجع وتدمدم)**

بواسطتك أنت يا مارك ؟ لماذا ؟

مارك : لست أدرى سببا . إننا هنا لا ندرى شيئا من الأسباب . من أجل النقود . من أجل الحصول على الصغيرة . من أجل لا شىء . إن هذا يخيفك ، فاذهبى . لست هنا فى بيتك ... هذه المرة لا تستطعين أن تفهمى . كلا . لا أريد

أن أحبك ! كلا ! لا أريد أن أذهب معك ! كلا ، لا أرغب فـى شـفـقـتك . ولا أرغب فى حبك . أريد أن أبقى هنا وسط قذارتي ... معها .

(يسشير نحوها رافعا قبضته . تخرج وهى تجرى ، يظل لحظة مشدوها . ثم يذهب فيسقط فوق سريره . الأم تقترب فى خشية)

الأم : لو شئت ، وضعت المنضدة الصغيرة ، وتناولت إفطارك فى سريرك ، كما كنت تفعل حينما كنت تتمارض لكى لا تذهب إلى المدرسة . ستكون على ما يرام .

(صمت)

انظر ، لقد تلاقينا بعد سنوات طويلة من الفراق . سنكون على ما يرام . فلن يخجل أحدنا من الآخر عندما نكون بمفردنا . لا يجب أن نرى الآخرين . هذا كل ما فى الأمر .

(تحوطه بذراعيها)

تغط يا عزيزى !

تخيل أنك صغير ، وأننى لست تلك العجوز الشمطاء . وإنما الأم الجميلة التى فى الصورة ، التى تحبها . سنتناول إفطارنا معا ، ولن نفترق ، أليس كذلك يا مارك ؟

مـــــارك : **(والدموع تسيل فوق وجهه)**

بلى !

الأم : ستبقى ! إنك تريد أن تبقى مع ذلك ! أوه ، إذن لم يضع كل هذا الوقت وكل ما فعلت . لم يضع ما دام كان لابد منه لكى نتلاقى ! صغيرى مارك! رجلى الصغير !

(لجورجيت التى تدخل)

سيبقى ، سيبقى ، يا جورجيت . سنكون على ما يرام نحن الثلاثة . لن نطلع أحدا على أسرارنا . انظر كم هى جميلة ، هذه الصغيرة ستكون لك كل يوم وستقوم على خدمتك . ستسعدك ، ولسوف ترى . أليس كذلك يا جورجيت .

جورجيت : (بابتسامة وضيعة)

أنت تعرف ذلك تماما يا سيدى مارك .

(ينظر إليها بذعر . وفجأة ينهض ويرحل وهو يجرى كالمجنون)

الأم : (تظل بلا حراك . ثم تصرخ وهى مكانها)

مارك ! مارك ! مارك !

(تنظر إلى الباب لحظة ، لا تزال مشدوهة ، ثم تتداعى فوق الأرض وتجلس القرفصاء بالقرب من السرير وذراعاها حولها ، كما لو كان أصابها البرد فجأة . تهمهم)

لقد رحل .

(التى لم تتحرك)

جورجيت أجل . ولكن يجب إعطائى الخمسمائة فرنك إذا أردت ألا أقول شيئا .

(الأم لا يبدو عليها أنها سمعت)

تسدل الستار

نهاية جيزابيل

مجهولة آراس

مسرحية من ثلاثة فصول

أرمان سالاكرو

عرضت مسرحية « مجهولة آراس » لأول مرة يوم الجمعة الموافق ٢٢ نوفمبر ١٩٣٥، على مسرح الشانزليزيه ، من إخراج " لونيى بو " وديكور " موليز" وموسيقى "ديلانوا ". وقد أدرجت المسرحية ضمن عروض " الكوميدى فرانسيز " كما عرضت فى قاعة مسرح لوكسوبرج من إخراج " جاستون باتّى " ، وذلك فى الحادى عشر من يناير ١٩٤٩

آرمان سالاكرو

ولد فى رووان عام ١٨٩٩ ، درس الصيدلة والطب . هجر التخصص وتوجه إلى المسرح وهو فى الرابعة والعشرين من عمره ، اتخذ إنتاجه منذ البداية الطابع السريالى الذى لفت إليه المبدعين . كان صديقا لاثنين من كبار مخرجى العصر هما لوينى بو وشارل دولان .

يجمع فى مسرحية بين الفودفيل والدراما الطبيعية ، ومسرح البولفار (مسرح الشباك) والمسرح الفكرى .

يرى سالاكرو أن العمل المسرحى ما هو إلا نوع من التأمل فى الوضع الإنسانى ، فجاء إنتاجه حافلا بألوان العذاب والشقاء والمعاناة التى تحل بالإنسان دون أن يدرك لها سببا أو مغزى .

بدأ يعرف النجاح عام ١٩٣٤ مع مسرحيته " امرأة حرة " . ثم جاءت مسرحية "مجهولة آراس " ١٩٣٥ لتجعل منه أحد أعمدة الطليعة ، وهى أعظم أعماله . وهى تسجل لحظة الاستنارة التى يتوصل إليها الإنسان وهو على مشارف الموت . وقد أثارت المسرحية إعجاب السرياليين وكتاب المسرح المعاصر ؛ لما يغلب عليها من طابع التفكك الذى هو من سمات الأحلام ، عالم السرياليين . وقد اعتبرها المخرج

الشـهير لـويني بو " منشـور المسـرح المنتظر " ولخّصـهـا قائـلا: " مـجـهولة آراس تسـتمـد قيمتـهـا بنوع خاص من الطريـقة المبتكرة فى عرض دراما الإنسان الداخلية .

بعد مجهولة آراس كتب سالاكرو العديد من المسرحيات من أهمها :

رجل كالآخرين - الأرض كروية – ليالى الغضب – قبيلة لونوار .

الشخصيات

أوليس
نيقولا
الأب
الجد
ماكسيم ، ٣٧
ماكسيم ، ٢٠
مدير المدرسة
صبى المقهى
الشحاذ
يولاند
مادلين
المجهولة
بيت
الأم فينو

الفصل الأول

* الدقات الثلاث .

* أغنية بصوت امرأة بينما يفتح الستار على ظلام . ثم نميز فى الركن الأيسر كرسىٌّ فوتوى ومنضدة صغيرة ومصباحًا ... هذا الديكور يمثل نهاية حجرة استقبال أو بداية شرفة مساء يوم من أيام الصيف . نسمع طلقة مسدس شديدة جدا . الأغنية تتحول إلى صراخ . رجل يحتضر فى الفوتوى .

* صوت المرأة المنزعجة ، يتساءل : " انتحر ؟ انتحر ؟ "

* خادم يظهر . يرى الجثة . يخرج من ناحية اليمين بسرعة فى الديكور الذى بدأ ينير ويتشكل . الخادم يصرخ " النجدة ! " . هو الآن فى الشارع . سلم يصعد فى العمق يتصل بشارع آخر مرتفع به منازل .

* الضحية ما يزال فى الفوتوى ، وتصل المرأة .

* الأغنية وعملية الانتحار والصراخ وجرى الخادم ودخول المرأة ، كل ذلك لم يستغرق خمس عشرة ثانية (ربع دقيقة)

يــــولانـــــد : سامحنى ! سامحنى !

نيــــقــــولا : (**من أعلى**) النجدة ! النجدة !

يــــولانـــــد : لا ! مستحيل ! (**ثم تمس بإصبعها صدر زوجها وتقرر :**)
هذا دم ! النجدة !

نيــــقــــولا : (**يكرر كالصدى**) – النجدة ! (**ثم صارخا :**)
سيدى قتل نفسه ، لأن سيدتى كانت سيئة .

يــــولانـــــد : (**كمن تحدث نفسها**) – أنا كنت دائما طيبة .

نيــــقــــولا : (**مواصلا**) ... وأنانية ... وطائشة ... وكسولة (**تتبل**)

يــــولانـــــد : وأنت كنت طيبا . كنت تحبنى كثيرا . صحيح أننى
ضحيت بكل شـــىء فى سبيلك . .

نيــــقــــولا : (**ما يزال يواصل وهو أعلى الشارع**) ... وكذابة !

يــــولانـــــد : . شبابى .. وجمالى ، .. وسحرى ...

نيــــقــــولا : سحرها ؟... جمالها ؟... صحيح ، حينما كانت تريد هدايا
أو تريد السفر .

يــــولانـــــد : (**وهى تنتحب**) – لن أنساك أبداً .

نيــــقــــولا : وتبكى . ولكنه قتل نفسه لأن هذه المرأة أرادت ذلك !

يــــولانـــــد : (**تنتصب**) – لا تصدقوا هذا ! ... لا أحد يصدق هذا .
(**مخاطبة الميت**) حبيبى . الحقيقة أنا تصورت أنك كنت
تمثل علىَّ كعادتك دائماً .

نيــــقــــولا : (**ساخطا**) يمثل ! إليكم ما حدث : سيدى ، شاب فى
الخامسة والثلاثين من عمره ، كانت سعادته الوحيدة
فى الحياة هى حبه لهذه المرأة ... سيدى هذا قرأ قبل

قليل رسالة موجهة منها إلى أحد أصدقائه تبدؤها بعبارة "حبيبى" وحبيبها هو الرجل الآخر . هذه أشياء تقع كل يوم ونقرؤها فى الصحف (**الجمهور**) ولكن حينما عرض عليها سيدى هذه الرسالة وهو فى قمة الأسى والحزن ، هل تعرفون ماذا فعلت هذه المرأة – وهو ما قد لا تفعله زوجاتكم - لقد راحت تضحك وتغنى .

يولاند : (**للميت**) تصورت أنك كنت تبكى لكى تثير حنانى وشفقتى . وربما أيضا لكى تحفظ ماء وجهك وتحافظ على كرامتك .. وأنك كنت تبكى مراعاة للأعراف الاجتماعية ، ولكى أثبت لك أننى لم أكن مخدوعة بدموعك ، فقد غنّيت .. بالرغم منى أيضا ، لأننى كنت مع ذلك منزعجة قليلا . ولكننى ينبغى أن أعترف بالحقيقة ، لقد غنّيت فعلا .

نيقولا : " احكى لى عن حبك

احكى لى وعيدى ، (**إلخ**)

(**تغنى**)

نيقولا : (**بصوت خفيض**) – حينئذ ، تناول سيدى المسدس . وهو الآن بموت (**عاليا**) وزوجته تغنى ، ما تزال تغنى . اسمعوها !

يولاند : (**تفاجأ بأنها ما تزال تغنى**) غنيت بكل بلاهة . ولكن كان ينبغى عليك أن تفهم . صحيح أنك لم تفهمنى أبداً

نيــــقــــولا : وليس من المستبعد أبداً أن يسمع سيدى كل هذا الكلام . ما أبأس ميتة الرجال !

يــــولانــــد : ردَّ علىَّ يا حبيبى . شاور لى بجفونك التى ما تزال مفتوحة ... هل تسمعنى ؟ أوه ! نيقولا ! جفونه تتحرك ! بسرعة ! جرَّاح بسرعة ! سيدك ربما لم يمت تماما . بسرعة ! (للميت) إذن ، هل تسمعنى ؟ الحمد لله ! إذن هل تستطيع أن تقول كلمة ؟ طمئنى يا حبيبى !

نيــــقــــولا : لا تفكر إلا فى نفسها .

يــــولانــــد : طيب قل اسمى .

نيــــقــــولا : الفاجرة !

يــــولانــــد : اسمى الذى كنت تحبه كثيرا : يولاند .

نيــــقــــولا : سيدى يتعذب . يتعذب أكثر لأنه يعرف أن هذا هو آخر عذابه . ومع أنه يبدو ساكنا ، ككل الموتى الشبان ، إلا أنه يصارع كالمجنون . تُنتزع منه عاداته القديمة ويدخل غريبا فى السر الكبير . إنه يختنق وهو أعمى وأصم فى مجال يتقلص من حوله ويضيق . وهى ، هل سمعتموها ؟ تريد منه أن يطمئنها ! هى ! تريد منه أن يقول لها اسمها ! أوه !

يــــولانــــد : يقولا ! إنه يتحرك ! يهتز ! سيتكلم ! حبيبى ! حبيبى ! ردَّ علىَّ . (**بصوت محايد ، تلاحظ**) إنه ينهض ! إذن ، تلك الطلقة النارية ... هذا الدم ... ما هذه التمثيلية إذن ؟ أنت لم تمت ؟ إذن تكلم ! ا شعورك ؟ كيف حالك ؟

أولـــيـــس : **(الميت ، على عكس كل التـوقـعـات ، يرد قـائلا :)** في منتهى العظمة ...

يـــولانـــد : **(ترتعد من الخوف)** – نيقولا !

أولـــيـــس : ... ومندهش .

يـــولانـــد : **(كالسابق)** – نيقولا !

أولـــيـــس : يبدو لي أن كل شيء يجرى بسرعة جنونية ، لكن تفكيرى ما يزال أسرع . لذلك ، لدى انطباع ببطء غريب .

يـــولانـــد : نيقولا !

نيـــقـــولا : **(بالقرب منها ، وبكل بساطة)** سيدتى ؟

يـــولانـــد : **(تنتفض مذعورة)** لقد أفزعتنى **(ثم هامسة)** سيدك يهذى .

نيـــقـــولا : من المذنب ؟

أولـــيـــس : لا تناقش يا نيقولا . ما يحدث ، كنت أتوقعه . وأنا حى ، كانت تريدنى ميتا . وأنا ميت تريدنى حيا .

يـــولانـــد : **(فى قمة الفزع)** أنت وهو ، هل أصابكما الجنون ؟

نيـــقـــولا : **(ببساطته السابقة)** أبدا ، يا سيدتى .

يـــولانـــد : إذن الحزن أصابنى بالجنون ؟

نيـــقـــولا : أوه ، كلا ، يا سيدتى ، كل ما هناك أنك هنا زيادة .

يـــولانـــد : **(التى لم تفهم)** – زيادة ؟ كيف أنا زيادة ؟

نيـــقـــولا : **(بكل رقة)** انصرفى !

يـــولانـــد : أنصرف ؟

نيـــقـــولا : أوه ! ستعودين ، للأسف . ولكن حينما يحين دورك .

يـــولانـــد : دورى ؟

نيـــقـــولا : فى المشـهد الأخـيـر (**إلى يولاند التى تصـرخ**) لماذا تصرخين هكذا عاليا ؟

هل قرصك أحد ؟ ولكن ، لا ، يا سيدتى أنت لا تحلمين .

يـــولانـــد : إذن ، ما هـذه التمثيلية التى تمثلانها علىَّ أنتما الاثنان ، عقابـا لى على جريمة لا أعرفـها ؟ (**لزوجها**) لكن ، مـادمت تنظر إلينا وترانـا ، تكلم . أو إذا كنت تصـر على السكوت ، فأغلق عينيك (**صمت**) ولكن مـاذا يجرى هنا ؟

نيـــقـــولا : سيدى أطلق على نفسه الرصـاص قبل قليل . هل تعرفين ؟ لا ؟ لابـد أنك خيـر من يعـرف ذلك ، مـادمت أنت سـبب هذا الجنون .

يـــولانـــد : لا ! لا ! لا أريد أن يتكرر هذا مرة أخرى .

نيـــقـــولا : ربما ، اليـوم . ولكن بعد سـتة أشـهر ، سـتبدئين بكل فخر واعتزاز تقصِّين أحداث هذه الدقيقة القاضية المميتة - وبعد عـام سوف تقـذفين بذكرى هـذه الطلقة النـارية بين سيـقـان الرجـال مـثل الصـاروخ لكـى ترتعـد فـرائصـهـم أمـامك .

يـــولانـــد : حبيبى إذا كنت تسمع هـذا الرجل ، فلا تصـدقه ، فـقد كان دائما يكرهنى .

نيـــقـــولا : على أية حـال : الطلقـة خـرجت من المسـدس . وسـبق السيـف العذل كما يقولون . ولا يمكن الرجـوع فى ذلك . سيدى سيموت بعد قليل .

يولاند : لا ، لا أريد ذلك ، لا أريد ذلك .

نيقولا : إذا كان ندمك صادقا ، فلا تسمِّمى عليه آخر لحظات حياته . وطبقا لقواعد الانتحار الكلاسيكية ، تعرفين أنه ينبغى عليه أن يسترجع حياته كلها ؟

يولاند : يسترجع حياته كلها ؟

نيقولا : وقد بدأ هذا فعلا !

(موسيقى)

يولاند : إذن ، دعنى وحدى مع سيدك .

نيقولا : لا . ليس لدينا وقت نضيِّعه : ثلاثة وثلاثون عاما عليه أن يسترجعها فى جزء من الثانية ! انصرفى ، بسرعة !

أوليس : **(الذى لا يريد أن يسترجع حياته)** – كلا ، لا أريد .

يولاند : **(لنيقولا)** – أرأيت ، هو لا يريد أن أنصرف .

أوليس : لا أريد شيئا

يولاند : ولكننى لا أستطيع أن أنصرف هكذا ، يجب أن أشرح لك

أوليس : **(الذى لا يفهم شيئا)** تشرحين لى ؟

يولاند : **(وهى تخر على ركبتيها)** – صدقنى . ليس ذنبى وحدى . إذا كنت تعرف ...

أوليس : لا أريد أن أعرف شيئا . لقد أردت أن أموت . وها قد بدأ كل شىء من جديد .

نيقولا : إذن ، أسرع يا سيدى . ما إن تمر مرحلة التعذيب حتى ترتاح إلى الأبد .

أوليس : ولكن لماذا تريد منِّى أن أستعرض أيام حياتى من جديد ؟

نيـــقــــولا : أولا ، لأن هذه هى القاعدة .

أولـــيـــس : ولكن لا فائدة من ذلك .

نيـــقــــولا : كلا ، يا سيدى . تصرفات حياتك كلها اكتسبت منذ قليل معناها النهائى .

أولـــيـــس : ألا يكفى أن نعيش مرة واحدة ؟

نيـــقــــولا : وهل هذه حياة تلك التى عشتها ؟ كما يعيش البشر جميعا ... الأيدى مبسوطة نحو الدقائق التى تولد ... نحو الساعة الآتية ... الأيدى مرتعدة على مشارف اليوم الذى يشرق ، كأعمى ، يحاول أن يتنبأ ويخمن قدراً أو مصيراً لا ينفك يولد بصفة دائمة وبلا انقطاع ؟ (**متابعا أوليس الذى يحاول أن يهرب منه**) آه ! سيدى ، لقد عشت كما يعيش الناس جميعا حياتك بأسرها على أطراف مستقبلك .

يـــولانـــد : (**وهى تمسك أوليس**) – حبيبى ! أنا امرأة أفكارك ، حبك الأخير ، حبك الوحيد .

نيـــقــــولا : (**مواصلا**) ... أما الآن ...

أولـــيـــس : الآن ؟ ماذا الآن ؟

نيـــقــــولا : كل شىء قد تغير ،لأن كل شىء فى مصيرك أصبح اليوم فى مكانه النهائى . كل الرؤى والتطلعات قد انتهت . أنت الآن رجل مكتمل ، لم يعد له مستقبل .

أولـــيـــس : (**صائحا**) – أريد منكما أن تلزما الصمت أنتما الاثنان .

(بهذه الصيحة ، الموسيقى التى كانت خافتة ، تعلو وتتضخم . وتتحول إلى طنين متصاعد)

أوليس : (**بشىء من القلق**) ما هذه الضوضاء التى فى رأسى !

نيقولا : اسمع ...

أوليس : ماذا ؟

نيقولا : انظر !

يولاند : ما هذه السحابة ؟

(الإضاءة التى كانت واضحة ، تظلم)

نيقولا : (**مخاطبا أوليس**) - هذا هو الوصول ... هذا مرور جميع الألفاظ التى نطقت بها خلال حياتك . جميع الكلمات ، جميع الجمل التى شكلتها شفتاك ، تعود حولك وستشاهد الآن العرض .

أوليس : جميع هذه الألفاظ المنسية ستنفصل لكى تمر أمامى الواحدة تلو الأخرى ؟

نيقولا : نعم .

أوليس : إذن ، سنسمع كلاما لا قيمة له .

نيقولا : نعم يا سيدى ، وهو ليس الكلام الذى نأسف عليه .

يولاند : ولكنها عاصفة !

نيقولا : تصوَّرى جميع الألفاظ التى يمكن أن ينطق بها إنسان طيلة خمسة وثلاثين عاما وتصل جميعها دفعة واحدة .

أوليس : (**بمرارة**) عاصفة حقيقية ! نعم ، لكنها عاصفة بلا برق !

نيــــقــــولا : لا تكن قاسيا هكذا فى الحكم على نفسك .

أولـــيـــس : يا إلهى ! لماذا كنت ثرثاراً إلى هذه الدرجة !

يــــولانـــد : (**مخاطبة أوليس**) مادمت تحبنى . تحبنى حتى الموت ، تعال ... اجلس هنا ... وكلمنى عن الحب . قل لى ...

أولـــيـــس : (**عنيفا**) - آه ! لا ! (**مخاطبا نيقولا**) اطـرد كل هـذا الذبـاب الصغـير الثرثار ... اسحق ألفاظى ...

نيــــقــــولا : (**وهو يطرد السحـابة**). إلى الوراء ! اختـفى ! بست ! قلت لك إلى الوراء ! ولكن يا سيدى هناك ألفـاظ من كل لون ، وأخرى جميلة جدا . أوه ! هذه مثلا ... لقد اختفت ! يالى من أخرق ! كنت أود أن أقتلها ، هذه الكلمة !

أولـــيـــس : لماذا ؟

نيــــقــــولا : كلمة قلتها لى ذات يوم وأنت ظالم ومتوتر الأعصاب .

أولـــيـــس : ما هى إذن ؟

نيــــقــــولا : هذه ... ألا تسمعها ؟ مازال صوتها يدوى فى أذنى قلت لى " يا غبى " .

أولـــيـــس : أنت تذكرها أنت أيضـا . لكم ندمت على هذه الكلمـة . لماذا لم أحدثك عنها مرة أخرى . أنا أعتذر لك يا نيقولا .

نيــــقــــولا : للأسف يا سيدى أنت قلتها وإلى الأبد .

أولـــيـــس : (**يرفع يده نحو الظلمة**) - ألا يمكن أن نمسك بها ؟

نيــــقــــولا : الأسف أو الندم الذى نبديه ليس سوى عملية شطب على الكـلام . والشـطب لا يمحـو الكلمـة . إن الإنسـان ، وبلا لحظة واحدة من الراحة أو التوقف ، يبدع أشياء نهائية .

أوليس : (**جزعا**) هذه إذن كل الضوضاء التى عملتها فوق الأرض . كل ما قلت وأنا ألقى أشعار فيرجيل - وصراخى حينما أجروا لى عملية جراحية دون تخدير فى أثناء الحرب . وجميع الألفاظ التافهة وانفجارات الغضب وهمسات المتعة ، كل ذلك اللغو العقيم ...

يولاند : انظر يا حبيبى ، إلى العبارات التى كنت تعبر لى بها عن حبك ...

نيقولا : هذا نهاية العرض ...

يولاند : حبيبى . تعال ! لنبق وسط ضوضاء حبنا .

أوليس : (**مخاطبا يولاند**) فاجرة ! فاجرة ! فاجرة !

نيقولا : نعم ، هذه يا سيدى آخر كلمة قلتها بشفتى رجل حى : فاجرة . هذا هو آخر آخر العرض . انظر ، لقد راحت .

(أوليس يجرى وراء كلماته ويسقط وسط المنصة)

الصوت : فاجرة !

(صمت)

نيقولا : جميع الكلمات التى كان من المفروض أن تقولها فوق الأرض قيلت .

أوليس : فعلا ؟

نيقولا : للأسف !

يولاند : حبيبى ...

أوليس : اسمع !

نيقولا : هنا .

يــــولانـــــد : ماذا ؟

نيـــقـــولا : ألا ترى هذه الكلمة التائهة التى تدور ؟

أولـــيـــس : ماذا تقول ؟

الصـــــوت : شكرا

نيـــقـــولا : حاجة بسيطة ... اسمع ...

الصـــــوت : شكرا .

أولـــيـــس : شكرا ؟ أى " شكرا " ؟ فى أى تاريخ قلتها ؟ ولماذا ؟ ولمن ؟

الصـــــوت : شكرا !

أولـــيـــس : الإنسان يقول " شكرا " كثيرا فى حياته ... ربما كان ذلك من أجل الخبز .

الصـــــوت : شكرا .

أولـــيـــس : ... من أجل دليل أو إعلان فى شارع . وقد يكون من أجل خدمة أداها لنا صديق . ـ ، ربما كان ذلك لتلك السيدة التى أحرق دمى من أجلها فوق الأرض .

الصـــــوت : شكرا .

أولـــيـــس : كلمة مسكينة تائهة . هذا كل ما خلفتُه ورائى . كلمة " شكرا " مجهولة الهوية تدور حول نفسها فى ضوء السماء .

يــــولانـــــد : ولكن هاهو ذا العرض يعود من جديد .

نيـــقـــولا : لا !

يــــولانـــــد : ولكن انظر !

نيـــقـــولا : (**مـخـاطبـا أوليس**) -- هذه المرة ، هذا العرض لجميع الألفاظ التي سمعتها أنت . منذ أول يوم في حياتك حتى آخر يوم .

يـــولانـــد : جميع الألفاظ التى تخصنى هنا ؟

نيـــقـــولا : اطمئن ! تلك التى قلتَها لها والتى سمعتها منها فقط وليست الأخرى .

أولـــيـــس : ما أجمل نظام الأبدية والخلود .

نيـــقـــولا : أنت لم تصبح بعد من الأبدية والخلود . أنت تتصارع مع ذاكرتك . هذا كل ما فى الأمر .

أولـــيـــس : اطردها ! اطرد هذه أيضا ! أنا أفضِّل الألفاظ التى قلتها أنا على الألفاظ التى سمعتها .

نيـــقـــولا : نعم ، الناس جميعا يفكرون على هذا النحو . حتى أولئك الذى يستمعون الآن إلى الألفاظ التى قلتَها لهم .

أولـــيـــس : ما أغبانا جميعا .

نيـــقـــولا : هل شاهدت فى حياتك زوجا من الجمبرى ، ذكرا وأنثى ، يحاول كل منهما أن يداعب الآخر ، ثم يسيران " أنجاجيه " يتأبط كل منهما ذراع صاحبه كأنهما فى عرس ؟ شىء مقزز ، أليس كذلك ؟ هذا التقزز نفسه هو ما يثيره اثنان من جنسنا البشرى ، يحاول كل منهما أن يلاطف الآخر ويعبر له عن حبه .

أولـــيـــس : كنت دائما أظن أنك فتى يتحلى بالذوق الرفيع ورقة المشاعر .

نيـــقـــولا : هس ! اسمع !

أولــــيــــس : لا ! هناك ألفاظ كثيرة أود ألا أسمعها بالمرة .

الأصــــوات : شكرا يا سيدى .

أولــــيــــس : ماذا ؟

الأصــــوات : بهذه السيارة القوية ...

أولــــيــــس : ماذا ؟

الأصــــوات : لكى أعلِّمك الأدب ستـأتى يـوم الخـمـيس لتـقـضى فى الحبس من الثانية حتى الرابعة .

أولــــيــــس : الطفلة المسكينة !

الأصــــوات : آه ! طيب ! لقد بدأ الصيف ينتهى !

أولــــيــــس : أى صيف ؟

الأصــــوات : قذر ! قذر !

أولــــيــــس : ليس هذا صحيحا ؛ يا نيقولا ! لقد أخطأ .

الأصــــوات : أحبك .

يـــولانـــد : نعم ! يا حبيبى !

نيـــقـــولا : اسكتى ! هذه امرأة أخرى تتكلم .

أولــــيــــس : ماذا ؟

يـــولانـــد : لا يمكن أن أتصور أن موت إنسان يسبب كل هذه الجلبة .

نيـــقـــولا : لماذا تريـدين أن يكـون مـوت الإنسـان أكـثـر هـدوءاً مـن حياتــه ؟ فالموت والحياة وجهان لمصيبة واحدة .

يـــولانـــد : مصيبة ؟

نيـــقـــولا : نعم . حينما يقابل رجل مثله امرأة مثلك .

يـــولانـــد : اسمع يا أوليس ! سأعترف لك . أنا مذنبة... كان بودى أن أقـول لا ، لأننى أحبك ولأنك تتعـذب . ولكن كـيف أستطيع أن أنكر ؟ أنت تعرف أننى مذنبة ...

أولـــيـــس : نيقولا ، لمـاذا لم تطـرد هـذه الكلمـة ؟ يا نيقـولا ، أنا ما زلت أفكـر فيها بمعاناة الرجل الذى يريد أن يموت ، الذى يتناول المسدس ويطلق منه الرصاصة .

نيـــقـــولا : ارحميه الآن وقد مات .

أولـــيـــس : فاجرة ! فاجرة ! فاجرة !

يـــولانـــد : هل يمكننى أن أتصور أنك من الغباء بحيث تقتل نفسك .

أولـــيـــس : نعم ، هذه روحك ، أليس كذلك ؟

نيـــقـــولا : سيدى لقـد قـاسيت كـثيرا فـى خدمتـك بسبب طبـاعك وأنت على قـيد الحـياة ، فـأرجـوك ألا تجـعل خـدمـتى لك مسـتحـيلة قبل أن تفـارق الحـياة تمـامـا . دعنى أصـحب سيدتى إلى مكانها .

يـــولانـــد : (**مخاطبة نيقولا**) إذا لمستنى سأصفعك على وجهك . مـنذ أسـابيع وأنا أريد أن أصفعك .

أولـــيـــس : لقد لاحظت ذلك .

نيـــقـــولا : حـذار إذا كان يهمـك رأيه النهائى الذى سيكوِّنه عـنك . إننا ماثـلون فى ذاكرته بتصرفاتنا المميزة ، ذات المغزى .

أولـــيـــس : (**مخاطبا يولاند**) لماذا خنتنى ؟

يـــولانـــد : كأن الزوجات يعرفن دائما لماذا يخنَّ أزواجهن .

أولـــيـــس : أخبرينى بالحقيقة .

يــــولانـــد : أنا أحبك . يا حبيبى . أنت كنت دائما متشدداً أكثر من اللازم ، متزمتا أكثر من اللازم . لم تكن تعمل حسابا للأشياء ... لقد شاء القدر العاثر أن تأخذ هذه القصة مأخذا مأساويا . ولكن جميع الرجال المخدوعين فى الدنيا لا ينتحرون .

(صمت)

أولـــيـــس : نيقولا ، أخبرنى : الأزهار أو الحيوانات الصغيرة التى كنت أحبها ، هل ستشارك فى العرض مع ذكرياتى القديمة ؟

نيـــقـــولا : بكل تأكيد .

أولـــيـــس : لكنها لن تتكلم ؟

نيـــقـــولا : لا ، طبعا ! لماذا ؟

أولـــيـــس : أحسن . فأنا لن أستطيع أن أتحمل أن تكلمنى وردة أو ياسمينة بالطريقة المبتذلة التى تتحدث بها هذه المرأة . تصورها لو كانت تتحدث . كم من المحزن أن نسمع قرنفلة تتلفظ بألفاظ نابية !

يــــولانـــد : أوه ! هذه الروح المستفزة ! **(ثم :)** سامحنى ، يا حبيبى . أنا أخطأت . وأنا أعترفُ بذلك . كنت ضعيفة ، طائشة ، متهورة . ولكن هل هذه جريمة ؟ أنت نفسك ، من يدرى أنك لم تخنِّى .

أولـــيـــس : نعم ، أنا خنتك .

يــــولانـــد : **(كأنما أصابتها صاعقة)** ماذا تقول ؟

أولـــيــــس : أوه ! حياتى الفاشلة كانت أيضا حياة معقدة !

يـــولانـــد : (**مغيظة**) أنت خنتنى ؟

أولـــيــــس : (**بكل بساطة**) ألم تعرفى ذلك ؟

يـــولانـــد : ولديك الجرأة أن ... (**مخاطبة نيقولا**) كنت تعرف ذلك ، أنت طبعا .

نيـــقـــولا : هذا المشهد ليس وقته الآن . اتبع ترتيب سنوات حياتك . ابدأ بالبداية .

أولـــيــــس : ولعل الذكرى التى احتفظت بها من هذه المغامرات التى لا أهمية لها هى التى قتلتنى .

نيـــقـــولا : الذى يقتلك الآن يا سيدى ، هو طلقة المسدس .

أولـــيــــس : فى رأسى ، ذكريات واضحة ودقيقة لجميع تلك النساء .

يـــولانـــد : جميع تلك النساء ، شىء رائع .

أولـــيــــس : ذكريات بلا حب . تطفو فيها النساء فى أوضاع مزْرية .

يـــولانـــد : أوه ! أرجوك . دعك من التفاصيل !

أولـــيــــس : ولم أستطع أن أتصور أن رجلا آخر يحتفظ فى رأسه أو فى جسده بمثل هذه الذكرى المخزية لامرأة كانت زوجتى فى يوم من الأيام .

يـــولانـــد : نيقولا . انسحب !

أولـــيــــس : فى بيته ، نزعتِ عنكِ ثوبك ، بينما هو ينظر إليك وظهر له ...

يـــولانـــد : أنت مجنون ! لا ترفع ثوبى أمام نيقولا .

نيـــقـــولا : لا يستولى عليك الحياء إلى هذه الدرجة . هيا . الله موجود . وسيراك عارية تماما ، وبكل تقزز ونفور .

أولـــيـــس : ثم نزعتِ عنك كل شيء وضاجعك هو ...

يـــولانـــد : اسكت !

أولـــيـــس : هل كان أول عاشق لك ؟

يـــولانـــد : نعم . أقسم لك .

أولـــيـــس : وانطرحتِ أمامه على الفراش ...

يـــولانـــد : ارحمنى ، اهدأ .

أولـــيـــس : أهدأ ؟ وهل يكون الرجل هادئا حينما يتناول مسدسا ويطلق النار ؟ آه ! وشفتاك تنضم وتنفرج لكى تقول هذه البلاهات ؟ أهدأ ! تقولين لى هذه الكلمات بهذا الفم الذى لعق وسال لعابه على جسد الآخر. آه ! كان ينبغى أن أقطع شفتيك قبل أن أقتل نفسى .

يـــولانـــد : النجدة ! النجدة !

أولـــيـــس : (**الذى يضطر يولاند للركوع ، مخاطبا نيقولا**) أجبنى بصراحة .

نيـــقـــولا : أنا تحت أمرك .

أولـــيـــس : أنا فى الجحيم ، أليس كذلك ؟

نيـــقـــولا : لا ، يا سيدى ، أنت ما تزال مع ذكرياتك .

أولـــيـــس : هذا هو الجحيم .

يـــولانـــد : دائما يريد أن يعرف أكثر من الآخرين .

أولـــيـــس : (**مخاطبا يولاند**) أخبرينى بالحقيقة .

يـــولانـــد : ثانية ؟

أولـــيـــس : وكونى صريحة ، مادمتُ بعد لحظة ، سأعرف الحقيقة ، حتى لو كذبتِ علىَّ .

يـــــولانـــــد : ومن يستطيع أن يخبرك خيراً منى ؟

أولـــيـــس : من يدرى ! إذا كنت فى هذا العالم الذى أنا مقبل عليه لن أعـثر على أثـر لجميع تصرفاتك ، ضجيج كل أفكارك ، حتى الأفكار التى تخجلين منها .

يـــــولانـــــد : يا للفظاعة !

أولـــيـــس : حتى الأفكار التى ، التى نسيتها أنت اليوم ...

يـــــولانـــــد : لا أريد .

أولـــيـــس : نعم ... الإنسان منا يعيش دائما كأنما الآخر لن يعرف كل شيء يوما مـن الأيام .

يـــــولانـــــد : أنا أمنعك أن تسأل أى شخص كان - ولو كان الله تعالى .

أولـــيـــس : ولعلها إحدى كوارث الموت ، أن نكتشف الأفكار الخفيـة للأشخاص الذين كنا نحبهم .

يـــــولانـــــد : ولكن ، ألم تعرف كل شىء فعلا ؟

أولـــيـــس : تلك الرسالة ، يا نيقولا ، أين هى ؟ أين هى ؟

نيـــقـــولا : فى هذه اللحظة ، أنت طفل وليد ، ثم تشاهد وأنت تعيش حياتك ، وتواصل أيامك ولياليك . بعد ذلك ، وفى النهاية ، وبعد مغامرات كثيرة ، نصل إلى هذه الرسالة .

يـــــولانـــــد : لماذا يولد طفل من جديد، ثم يكون شابا وكل ما بقى حتى النهايـة ، ينبغـى أن يصل إلىَّ أنا ، إلى حبى ، إلى حبنا .

أولـــيـــس : لو أننى كنت أعلم الغيب فى مطلع حياتى وعلمت مسبقا بما سيكون من أمـر عـلاقـتى بك ، لالتـزمت الجـمـود منذ البداية حتى لا أصل إليك - حتى لا أعرفك ...

يـــــولانـــــد : ومن يستطيع أن يخبرك خيراً منى ؟

أولـــــيـــــس : من يدرى ! إذا كنت فى هذا العالم الذى أنا مقبل عليه لن أعـثر على أثـر لجميع تصرفاتك ، ضجيج كل أفكارك ، حتى الأفكار التى تخجلين منها .

يـــــولانـــــد : يا للفظاعة !

أولـــــيـــــس : حتى الأفكار التى ، التى نسيتها أنت اليوم ...

يـــــولانـــــد : لا أريد .

أولـــــيـــــس : نعم ... الإنسان منا يعيش دائما كأنما الآخر لن يعرف كل شىء يوما مـن الأيام .

يـــــولانـــــد : أنا أمنعك أن تسأل أى شخص كان - ولو كان الله تعالى .

أولـــــيـــــس : ولعلها إحدى كوارث الموت ، أن نكتشف الأفكار الخفية للأشخاص الذين كنا نحبهم .

يـــــولانـــــد : ولكن ، ألم تعرف كل شىء فعلا ؟

أولـــــيـــــس : تلك الرسالة ، يا نيقولا ، أين هى ؟ أين هى ؟

نيـــقـــولا : فى هذه اللحظة ، أنت طفل وليد ، ثم تشاهد وأنت تعيش حياتك ، وتواصل أيامك ولياليك . بعد ذلك ، وفى النهاية ، وبعد مغامرات كثيرة ، نصل إلى هذه الرسالة .

يـــــولانـــــد : لماذا يولد طفل من جديد، ثم يكون شابا وكل ما بقى حتى النهاية ، ينبغى أن يصل إلىَّ أنا ، إلى حبى ، إلى حبنا .

أولـــــيـــــس : لو أننى كنت أعلم الغيب فى مطلع حياتى وعلمت مسبقا بما سيكون من أمر علاقتى بك ، لالتزمت الجمود منذ البداية حتى لا أصل إليك - حتى لا أعرفك ...

يـــولانـــد : لا تنكر الأوقات السعيدة التى قضيناها معا ...

أولـــيـــس : نيقـولا ، الرسـالـة – رسالة زرقـــاء -- تبـدأ هكـذا :

" حبيبى ... " أنا قرأتها .

(مخاطبا يولاند) كنت أعتقد أنك كتبتها لى لنا " حبيبى " كانت طريقة كتابتك توحى بأنها لى ، تماما . ولكننى وأنا أقرؤها عرفت أن رسالتك تخص شخصاً آخر ، كتبتها بخطك ، باسمك ، لشخص آخر .

نيـــقـــولا : سيدتى ، أنت المسئولة ، ليس فقط عن موته ، وإنما عن كونه يموت ميتة صعبة .

أولـــيـــس : إنك حتى لم تغيرى اسمك ، لم تغيرى خطك ، ورسالتك كانت هناك ، كقطعة الأثاث ، كالشجرة ، كالحجر ، تقول لك :" أنا من أنا ولا أستطيع أن أكون شيئا آخر

يـــولانـــد : نيقولا ، مادام لم يعد هناك فوق الأرض سواك بينى وبينه ، وأنك وحدك الذى تستطيع أن تغلِّب كفة الأصوات ، قل لسيدك إنه أنانى وأننا لا نترك زوجة فى مثل هذه الحالة إذا كنا نحبها ! ماذا سأقول لأصدقائه غداً ؟ أصدقاؤه الذين لا يحبونه ، الذين لو استطاعوا لما ترددوا فى النوم معى، نعم ، كلهم ، أنا أعرف ذلك ؛ إن الفتاة الصغيرة تدرك مثل هذه الرغبات . ولكنهم ، غدا سيتباهون باحتقارى – سينقمون علىَّ لكى يقنعونى أنهم كانوا يحبونه !

أوليس : أريد أن أرحل .

نيقولا : نعم ، تعال بسرعة

يولاند : لماذا لم تعطنى الفرصة لمواساتك ؟

أوليس : تحدثينى حديث المربيات .

يولاند : مع الوقت ، كنت ستنسى .

أوليس : أنسى ؟

يولاند : نعم هناك أمثلة كثيرة مشهورة .

أوليس : أنا لا أريد أن أنسى .

يولاند : إذن لماذا لم تعطنى الفرصة لكى أندم ؟ كنا سنتقدم فى السن مثل الآخرين .

أوليس : وفضيلتى تغرق فى العادات ؟ كلا ! لقد أردت حياةً من نار .

نيقولا : تنتهى بطلقة من نار .

أوليس : من نار ؟ هل سأظل إلى الأبد فى هذا الجحيم ، وأمامى هذه الرسالة الزرقاء ، وهذه الزوجة الفاسدة ؟ يا إلهى ! ولكننى قبل أن أكون رجلا ، كنت طفلا صغيرا سعيدا – وقبل أن أكون طفلا ، لم أكن سوى رغبة فتيَّة لوالدىَّ – إلهى ، أسألك العودة إلى تلك الحقبة التى لم يكن حتى لأبوى فيها وجود . إلهى ، استرد روحى ، استرد جسدى ، هبنى القدرة على أن أمحو أثر مرورى على الأرض ، بل وعلى تدمير ذكرى المغامرات الكبرى التى كنت أحلم بأن أكون بطلا لها .

(يخر راكعا)

نيـــقـــولا : لابد وأنه كان يحب رغباته وأحلامه وأعماله التى لم تتم ، حتى إنه ليتعذب كثيرا لانتزاعه منها .

أولـــيـــس : نيقولا ، ما هـذه المعجـزة التى تجعلنى أتعـذب كل هذا العذاب من هـجر ما كـان من الممكن ألا أعـرفه ؟ إلهى ، قيِّض لى أن أنسى أفكارى الحاضرة .

(ضوضاء هائلة فى الكواليس)

نيـــقـــولا : **(من أعلى الشرفة)** – هـل يشـك سيدى أن طلقـة نارية يمكن أن تحـرك أشياء كانت لا تتحرك؟ المنزل يتعرض للغزو الكامل، لقد امتلأ بمعارف قديمة ، وأثاث قديـم ، والبقية تأتى . لقـد امـتـلأ الشـارع ! من كـان يظن أن سـيـدى لديه كل هذه الذاكرة ؟ سيكون هناك ناس أقل فى جنازتك .

يـــولانـــد : حبيبى ، هل تذكر أنك كنت تحبنى أكثر من أى شىء فى الدنيا ؟

أولـــيـــس : ومازلت أحبك أكثر من أى شىء فى الدنيا ، للأسف .

يـــولانـــد : فلنحرق هذه الرسالة .

أولـــيـــس : **(لنيقولا الموجود فوق)** فى هـذه الفوضـى ، ابـحث لى عـن يـوم أمـس ، سـنقـوم بالقضـاء عليـه ، بإحـراقـه **(ليولاند)** ذلك اليوم الذى انطرحت فيه عارية من أجل رجل آخر ...

نيـــقـــولا : سـيـدى ، سـيـدى ، آنيـة قـديمـة ، وصـور بـلا أطـر ، ومـصـاصـات ، ولعـب مكعـبـات ، ورجل مـسن يعـرج فى

مشيته ، وعربة بحصان تتقدم تحت ضوء القمر ، وأنت بداخلها تغط فى النوم – وجميع تلك النساء ! أوه ! أوه !

أوليس : ماذا ؟

نيقولا : هذا لم يعد طلقة من مسدس ! بل دوىً جرس رائع !

يولاند : (**وهى تحاول أن تمسك أوليس**) – حبى الكبير !

نيقولا : سيدى . كل شىء قد حضر . حياتك بأسرها ! الرجال والنساء والأثاث والأولاد والبنات والكتب وأشياء أخرى من كل صنف ، بدءًا من المولِّدة التى أخرجتك إلى الدنيا حتى بائع السلاح ! فيما عدا احترامك ، تعرض كلها فى لمحة عين مع جميع ملحقاتها . عمرك البالغ ثلاثة وثلاثين عاما كأنه سوق خردة أو جراج للروبابيكيا .

يولاند : حبيبى . أغمض عينيك ، ابق بين ذراعىَّ .

نيقولا : أكثرهم هياجا ، كرسى فوتوى بالقطيفة الحمراء ذراعه اليسرى ملطخة بحبر أخضر .

أوليس : ماذا تقول ؟

نيقولا : ويوجد فوقه طفل صغير يبول .

أوليس : هذا أنا . (**ليولاند**) أنا رويت لك ذلك . هذا أوليس الصغير .

أصوات رجال ونساء : أوليس ! أوليس ! أوليس !

يولاند : (**وهى تمسك أوليس**) لماذا لم تحاول أن تفهمنى فى عواطفى الكبيرة كما فهمتنى فى نزواتى الصغيرة ؟

نيقولا : سيدى ! أمطار جليدية تسقط ، وأنت تلعب بهذا الجليد ، أول جليد فى حياتك .

أوليس : هل معى قطتى الصغيرة تحت إبطى ؟

نيقولا : لا ! لقد هربت قبل قليل ، وهى تهز قوائمها على إفريز النافذة .

يولاند : كن عادلا : لقد عشت معى فترات صمت طويلة ، فترات غياب طويلة .

أوليس : (**شاردا**) وقد عرفت كيف تستغلينها !

نيقولا : سيدى ! تلك القطة الصغيرة ، أنت تقوم بدفنها فى الحديقة فقد ماتت منذ ساعة

أوليس : اسكت يا نيقولا ، إن قلبى ثقيل تغشاه الكآبة .

يولاند : حبيبى !

أوليس : فى صدرى ، صدر الطفل ، قلبى تغشاه الكآبة ؛ هذه القطة الصغيرة لن تعود للحياة أبداً . وحتى لو صرت شيخا طاعنا فى السن كأمثال أصدقاء والدى ، فإننى لن أستطيع أن آمل منها أن تأتى ذات صباح ، صباح واحد ، فتوقظنى كما كانت توقظنى وهى تقفز فوق فراشى .

يولاند : أنت طفل صغير .

أوليس : كان عمرى ثمانية أعوام ، وكنت أعيش مع ميتة .

نيقولا : لكنها هنا يا سيدى ، تنتظرك .

الأصوات : أوليس ! أوليس ! أوليس !

يولاند : (**لأوليس**) - يولاند هنا يا حبيبى ، بين يديك .

أوليس : أخبرينى . هذا الرجل هل كنت تحبينه ؟

يـــــولانـــــد : لا ، بل ظننت أنى أحبه .

أولـــيـــس : وخلال تلك الساعات ، كان الأمر بالنسبة له وبالنسبة لك كأنك كنت تحبينه.

الأصـــوات : أوليس ! أوليس !

أولـــيـــس : وخلال تلك الساعات ، أين كنت أنا ... أنا الذى كنت أفقد سعادتى ؟

نيـــقـــولا : سيدى ؟ هل لى أن أقول شيئا معقولا ؟ هل تسمح لى بأن أذكرك بأنك انتحرت لكى تنسى هذه المرأة ؟

(الأم " فينو " وهى عجوز نحيفة من عامة الشعب تتقدم الذكريات)

الأم فـــينو : من هنا ...

الأصـــوات : أوليس !

يـــولانـــد : هاهم أولاء ! لن أتركك بعد الآن . تعال !

الأم فـــينو : أسرعوا ! إنه ينصرف ...

الأصـــوات : أوليس !

أولـــيـــس : يولاند - بإمكانى الآن أن أكون حيا بين ذراعيك الحيَّتين ، وأعتقد فى السعادة .

يـــولانـــد : أحبك ! تعال .

(تسحبه ويخرجان)

نيـــقـــولا : **(إلى الذكريات)** لا تتدافعوا !

مـــادلـين : حاسبوا !

المجـــهـــولة : أود أن أستلقى وأنام .

نيقولا : هدوء ! أولا هو ليس هنا !

المدير : **(داخلا)** أوليس !

المجهولة : **(مشيرة إلى مدير المدرسة)** من هذا الشخص ؟

مادلين : هذا رجل سمج **(ثقيل الظل)** . حذار ! إن لديه حكاية حول كل كلمة .

المجهولة : ماذا ؟

مادلين : **(صارخة ، متوترة)** أسرٌ إليكم أن هذا بائع بيانوهات .

المدير : بهذه المناسبة ، أنا مدين له بأجمل إجابة أدلى بها إليَّ طالب خلال مدة خدمتى الطويلة كرجل تربوى مغمور .

مادلين : آه لقد بدأ !

المدير : ذات يوم سألت التلاميذ : ما أجمل آلة موسيقية ؟ أنا أعترف بأن هذا السؤال مع أنه خارج المقرر ، إلا أنه ليس أكثر ذكاءً من غيره من الأسئلة. المهم ، زملاؤه فى الفصل رفعوا أصابعهم قائلين : سعادة المدير ... البيانو !

المجهولة : **(إلى مادلين)** برافو !

المدير : وآخرون أجابوا قائلين : لا ، لا ، إنها الكمان . إنها الكنترباس ، إنها البوق . وقال فنان شاب : إنها القيثارة . أما هو وحده ، فقد أجاب قائلا : سيدى المدير . إنها صوت الإنسان .

مادلين : حقا ؟ طز !

(صيحات)

الأب : **(بلهجة أهل مرسيليا)** – أفسحوا لى حتى أدخل ، يا إلهى ، قلت لكم إنى والده ، أنا أبوه !

(يبدو عجوزًا بلحية بيضاء)

النســـــاء : **(باحترام)** أبوه !

الأب : لم أره منذ ثلاث سنوات . لقد فارقت الحياة . لكنه فى هذه اللحظة يفكر فىَّ .

أنا أشعر به . إنه يبحث عنى . سأذهب لاستقباله وآتى به إليكم .

(يخرج)

مــــــادلين : بسرعة ، هه !

الأم فـــــينو : لماذا تطلبون منه أن يأتى بسرعة .

مــــــادلين : حتى ننتهى بسرعة .

الأم فـــــينو : سيداتى ، بادئ ذى بدء أود أن أعبر لكن عن عميق احتقارى .

مــــــادلين : ولماذا أيتها الساحرة الشمطاء .

الأم فـــــينو : أنا أعرف مع من أتحدث . أنا أتحدث مع زمرة من الفاجرات . هس ! نحن النسوة يعرف بعضنا بعضا بسرعة . الرجال يطلبون منا النصائح لتكوين رأى معين . أما نحن النساء ، فيكفى أن تنظر إحدانا إلى الأخرى لكى تكوِّن رأيها ، لكى تحكم عليها .

المجـــهـــولة : أنا لا أسمح لك ...

الأم فـــــينو : يؤسفنى أن أقول لَكُنَّ إن ذكريات أوليس الصغير ليست هى الذكريات التى يستحقها . ولكن – صبرا !

مـــــادلـين : (**مشيرة إلى ثوبها**) أوه ! إننى أضيق بهذه الثياب . أولا ، انظرن كيف أبدو فى هذه الثياب العتيقة. شىء فظيع أن تتغير المودة فى عشر سنوات .

المجـــهـــولة : وأنا ! قدماى مبتلتان . لكى يتذكرنى هذا الغلام ، كان عليه أن يختار يوما آخر - يوما آخر أكون فيه أكثر استعدادا - وقدماى جافتان .

مـــــادلـين . وأنت ما اسمك ؟

المجـــهـــولة : لا أعرف .

مـــــادلـين : كيف ، لا تعرفين ؟

المجـــهـــولة : لا أذكر شيئا على الإطلاق . لا أعرف من أين أنا آتيه ، ولا أعرف إلى أين أنا ذاهبة . لكن قدمىَّ مبتلتان . ويستولى علىَّ حزن غريب يذكرنى بمصيبة وقعت ، أو ينذرنى بمصيبة ستقع .

الأم فـــينو : وأنت ، ألم تتمكنى من كسب ودِّه ؟ لقد قلت لك إنك لم تكونى تحبينه .

مـــــادلـين : وهل تعرفين أنت معنى الحب ؟ إيه تكلمى إذن . أنا أسمعك ... لا ، دعك من الشتائم ! أنا جريت وراء رجال كانوا يهبوننى المتعة ... لكن لم يكن هذا هو الحب . وانتظرت ، بكل عرفان وامتنان، رجالا أعطونى المال ، حين كنت فى حاجة ماسة إليه ، وبذلك منعونى من ارتكاب كثير من الحماقات . ولكن لم يكن هذا هو الحب . واستمعت لشبان ظرفاء وأنا مغمضة العينين - ولكن

لم يكن هذا هو الحب . ورحلت مع رجل صحبني في رحلاته . وشاهدت معه بلادا كثيرة ، ومدنًا ، ومقا هي وجبالا ، وبحيرات وقرى وفلاحين ، وكان هذا الرجل يضربني . وقد انتقلت معه في البلاد سنوات ، ولكن لم يكن هذا هو الحب . بعد ذلك ، ولما تعبت من السفر ، فضلت أن أستقر في بيت لا أغادره . وهناك ، عرض عليَّ رجال كثيرون ، وكانوا يعودون لرؤيتي مرة أخرى . لم يكونوا يفكرون إلا في الحب - ولكن لم يكن هذا هو الحب أبدا ، أبدا .

المجهولة : بكل تأكيد ! بعد الرجل الأول ، ينتهي الحب ! ولكن هذا الأول يجب أن نحبَّه لكي نهب له أنفسنا ... نعم ... أنا أذكر ...

مادلين : الأول ؟ كنت أريد أن أتعلم ... كان مجرد فضول ، لم يكن حبا .

(بيت تدخل)

بيت : أوليس ؟

مادلين : إيه ، ماذا عن أوليس . هيا ، تكلمي . أنا أسمع لك .

بيت : (**وهي تفك أزرار ثوبها**) - انظري !

المجهولة : هذه رصاصة ؟

بيت : نعم .

مادلين : هل قتلك ؟

بيت : أوه ! لا ! أنا التي أطلقت النار .

مـــــادلـين : قتلتِ نفسك من أجله ؟

يــــيـــت : كلا ! لقد أخطأتُ التصويب : وقضيتُ ثلاثة أسابيع فى المستشفى . هذا كل ما فى الأمر .

مـــــادلـين : ولكنك كنت مجنونة يا حبيبتى .

المجـهـولة : كنت تحبينه لدرجة أن ...

يــــيـــت : نعم .

مـــــادلـين : وهو ، هل كان يحبك ؟

يــــيـــت : أعتقـد . لست أدرى . لكننى مازلت أحبه ... أحبه . وسأظل أحبـه إلى الأبد .

(تبكى)

مـــــادلـين : وماذا قال لك ، بعد ذلك ؟

يــــيـــت : أنا لم أره بعد ذلك . أبـدا . ومع ذلك وأنا أعيش حياة عادية . مرَّ بعض الوقت ، وقابلت شابًا طيبًا ، تزوجته وعندى منه طفلان . والآن أعيش فى الريف فى هدوء .

(تصل يولاند وتحاول أن تشق لها طريقا وسط مجموعة من النسوة يردن الدخول أيضا)

يــــولانـــد : دعننى أدخل . أريد أن أدخل ! يا إلـهى ، يالـهن من سوقيات ! غريبة ! نساء أخريات هنا ! سيتضايق أوليس جدا لأنه وضعنى وسط هؤلاء !

مـــــادلـين : (بلهجة هجومية) ماذا ؟

يــــولانـــد : أسأل نفسى كيف أن امرأة مثلك يمكن أن يكون لها مكان فى ذاكرة زوجى.

نيــــقـــولا : هيا . لا عليكن . لقد أحببتكن الواحدة تلو الأخرى .

مـــــــادلين : وليس فى بيت واحد بطبيعة الحال !

يـــولانـــد : حينما نرى أنفسنا جميعا هنا ، ألا ترين أن ذاكرة الرجال من نوع ردىء للغاية ؟

الأم فـــينو : لا تذكُرْن أوليس بالسوء ، إنه فى الخامسة من عمره . وشعره أشقر جميل ، وأنفه صغير يرتفع نحوى . ويداه طويلتان . أبحث عنه فأجد مكانه نسوة مضطربات لا تشبه إحداهن الأخرى !

(النساء مغتاظات . الأم مرهقة فتجلس)

(يصل شابان . الأول هو ماكسيم ، والثانى شاب فى زى عسكرى يعود إلى عام ١٨٧٠)

ماكسيم ٢٠ : إذن فأنت لا تعرفه ؟

الجــــــــد : لا . ولاحظ أننى جده !

ماكسيم ٢٠ : جده ؟

الجــــــــد : كل شىء يصبح واضحًا إذا علمت أننى مت وأنا فى العشرين من عمرى فى " جرافيلوت " . كانت زوجتى حاملا فى شهرها السادس . كانت تنتظر طفلة . أوجينى الصغيرة التى لم أراها أبداً

ماكسيم ٢٠ : أنت مت وأنت فى سن العشرين ؟

الجــــــــد : فى سن العشرين !

ماكسيم ٢٠ : عفوا لفضولى وسؤالك ؛ فى مثل هذه الظروف ، ماذا تعمل هنا ؟

الجـــــــــد : أنا جـــئـت مع أثـاث الصـالون . فى الإطـار الذى شـاهدنى فيه أوليس كثيرا وهو راكع فوق أحد الكراسى لكى يرانى عن قرب . أنا آسف للحديث كثيرا عن نفسى . أنت أحد أصدقاء حفيدى ، أليس كذلك ؟

مـاكسيم ٢٠ : أنا أعـز أصدقائـه . وقـد تصافحنا آخـر مـرة أمس فقط ، هنا بالضبط ، وبالمصادفة البحتة .

- " صباح الخير يا صديقى العزيز

- " كيف حالك يا صديقى ؟ "

لا شىء أكثر من ذلك ، لا تتصور شيئا آخر. أقسم لك . مثل هذه الدناءة لم تكن جالت بفكرى بعد .. فضيحة ، يا سيدى ،...

الجـــــــــد : ماذا بك ، يا سيدى ؟

مـاكسيم ٢٠ : أقسم لك : لم أكن أعرف أنه سينتحر . ثم كـان كل منا قد غاب عن صاحبه فترة من الوقت . أولا ، أنا متزوج وعندى ثلاثة أبناء . وأنـا أعمل مهندسا للطرق والكبارى ، وحاصل على وسام " جوقة الشرف " . إذن لم يكن لدينا شىء مهم نقوله .

الجـــــــــد : **(مندهشا)** - مهندس ، متزوج ، وثلاثة أبناء ؟

مـاكسيم ٢٠ : نعـم ، قـد أبدو أمامك صغيرا إلى حد مـا . ولا أدرى لذلك سببا ، لأننى فى الحياة حاليا لى شارب كبير أسود وبطن كبير إلى حد ما . عجيبة . ومع ذلك فعمرى سبعة وثلاثون عاما .

الجـــــــد : صحيح ؟

ماكسيم ٢٠ : وقبل قليل وعلى حين فجأة ، عدت إلى مطلع شبابى دون أى تفسير .

الجـــــــد : ربما بسبب حفيدى ؟

ماكسيم ٢٠ : ربما . ثم علينا أن نجد لأنفسنا الأعذار . فلا يمكن أن يظل الإنسان منا فى العشرين من عمره إلى الأبد .

الجـــــــد : بلى . أحيانا ، للأسف !

ماكسيم ٢٠ : كيف ذلك ؟

الجـــــــد : انظر إلىَّ ، أنا سأظل فى العشرين إلى الأبد .

ماكسيم ٢٠ : شىء عجيب .

الجـــــــد : لا . هذا يحدث كثيرا . ولكن الآخرين لا يفكرون فيه . هذا كل ما فى الأمر ...

(يدخل الأب والابن)

أولـــيــــس : لن أسمح بأى عتاب أو توبيخ .

الأب : لعلك تريد من أبيك أن يهنئك ؟

نيـــقـــولا : آه ! سيدى ، لقد بحثت عنك تحت جميع قطع الأثاث ، بين النساء ...

أولـــيــــس : رأسى فى دوامة من ضحك الأطفال والهرج والمرج السعيد ...

نيـــقـــولا : سعيد ؟ ماذا كنت أقول لك ؟

أولـــيــــس : أعرف بأى ألفاظ ينضج هذا المزاح السعيد .

الجـــــــد : (**مخاطبا ماكسيم**) - والآخر - العجوز ذو اللحية ، من يكون ؟

الأب : (**إلى أوليس**) ستستمع الآن إلى أبيك العجوز .

الجـــد : هـذا الشـيخ ... صـغـيـرتى أوجينى ! ؟ أوجـيـنـى ؟ ! يا للفظاعة !

أولـيـس : (**لنيقولا**) – كل هذه الذكريات انقضت عليَّ أشد وأعنف من مائة امـرأة غيور .

الأم فـينو : (**للجد**) – نعم ، هذا الشيخ ، هو أملك فى طفلة صغيرة !

أولـيـس : حـينمـا يكـون المرء مـنا على قـيـد الحـيـاة ، ويفكر فى ماضيه ، فإن النسيان يجعلنا نختصر أشياء لم تكن فى الحسبان ... لم أكن أتصـور أن حيـاتى طويلة إلى هذا الحد وحافلة بالأحداث ...

الأب : أريد منك أن تبرر موقفك ...

أولـيـس : الذى أدهشنى هو عـدد الدقـائق والساعات الضـائعـة . دقائق الانتظار ، كـم هى طويلة وكثيرة ... كأنها علامات على الطريق ... السـاعـة الثـانية إلا خـمس دقائق... ننتظر حتى الساعة الثانية ! خمس دقائق لا يحدث خلالها شىء سوى أن ننتظر حـتى الثـانيـة ... ننتظر امـرأة . ننتظر الحافلة . ننتظر تحرك القطار – ننتظر السـاعة حتى تدق ... تصـور (**إلى الأب**) فى حـياة طويلة مـثل حيـاتى ، أنا متـأكد أن الدقـائق التى ضاعت فى الانتظار وحدها يمكن أن تشكل حيـاة بشرية بأكملها ، أقصـر من حـيـاتى ، ولكنها قد تكون رائعة .

الأب : (**بشىء من الضيق**) آه ! الموت لم يغيرك !

نيـــقـــولا : لكنه ما يزال حيا يا سيدى ! الوقت اللازم لإنهاء هذه الرحلة .

أولـــيـــس : لا . أنا قررت أن أجلس هنا ، وألا أسمع شيئا وألا أرى شيئا .

(إلى نيقولا) عفوا يا صاحبى ، أريد أن أبقى وحدى .

الأب : الطفل الذى بذلنا من أجله أعظم التضحيات !

الأم فـــينو : **(للجد)** – هيا ! إنه ينتظرك أنت .

(تصحبه)

أولـــيـــس : جدى !

الأم فـــينو : واسمه أوليس ، مثلك .

أولـــيـــس : أنت ... ! أنت ! ... أنت !

(يعانقه ويبكى)

الجـــــد : أنا أدرك انفعالك وتأثرك – وأنا نفسى ...

أولـــيـــس : جدى ، أودُّ ... أن أدعوك " جدى " كنت دائما أفكر فيك بهذا الاسم ...

الأم فـــينو : **(وهى تسحب الجد)** – وذو اللحية البيضاء هذا . ألا تقبله ؟ إنه ابنك .

(موقف صعب عسير)

الأب : **(للأم)** تعرفين أن هذه أول مرة نلتقى فيها .

الأم فـــينو : حسنا . حاول أن تكون أقل عبثا من الموقف . على أية حال هو أبوك .

أولـــيـــس : **(للجد)** – لقد حاولت دائما أن أستخلص السمات التى انتقلت إلىَّ منك ، الصفات التى عاشت منك فى

شخصى . وحينما بلغت العشرين وأربعة أشهر وسبعة أيام - أنت قتلت فى هذه السن ، ظللت طوال الليل أرتعد . أنا أيضا كنت جنديا فى الجيش ، فى الشمال . وكم كان غضبى شديدا حينما كانت تشرق الشمس بعد تلك الليلة التى تمثل موعد موتك فى حياتى .

الجـــــد : عزيزى أوليس !

أوليـــس : كنت أعيش فى الجبهة - كانت المرة الأولى التى أدركت فيها كم كانت حياتك قصيرة فوق الأرض . كنت أقول لنفسى : " فى مثل عمرى ، كان كل شىء قد انتهى بالنسبة له . "

الجـــــد : ولكن ، لماذا إذن ترتكب هذه الحماقة اليوم ؟

الأب : أرأيت ، حتى جدك يقول إنها " حماقة "

الجـــــد : لماذا ؟ هل كنت فقيرا محتاجا ؟

أوليـــس : فقيرا ؟ لا . ياله من سؤال غريب !

الأب : بابا مثلى ، يريد أن يفهم . ولكنك تضيع وقتك . من المستحيل أن نفهمه. تصور ، لقد تطوع فى الحرب ...

الجـــــد : هل كانت الحرب ما تزال مستمرة ؟

الأب : نعم .

الجـــــد : ضد بروسيا ؟

الأب : طبعا .

الجـــــد : مرة أخرى ؟

الأب : نعم .

الجـــــــد : ولكن ماذا كان مصير حربنا نحن ؟

الأب : خسرتموها .

الجـــــــد : وحربكم ؟

نيـــقـــولا : كسبناها .

الجـــــــد : ما أسرع الأحداث !

أولـــيـــس : فى كتب التاريخ ، هذا صحيح .

الأب : بعد الحرب التى خسرتموها كنا أسعد حالا مما كنا بعد الحرب التى كسبوها ! صحيح أنها استمرت ! استمرت ! كانت مستمرة حتى ثلاث سنوات مضت حينما تطوع فى الجيش بدلا من أن يدعنى أعيش شيخوختى فى هدوء مع حبى الأبوى .

الجـــــــد : ثلاث سنوات .

الأب : لقد استمرت أكثر من أربع سنوات .

الجـــــــد : لا تقل هذا يا صغيرى .

الأب : لم يركن للهدوء أبدا .

أولـــيـــس : هدوء فى العالم الذى قدمه جيلكم للأطفال فى مثل سنى ؟

الأب : (**مغيظا**) - هل ستحملنى مسئولية الحرب ؟

(يدخل مدير المدرسة)

أولـــيـــس : آه ! سيدى المدير ! تفضل يا سيدى المدير .

نيـــقـــولا : (**بكل لطف وكياسة**) هل من جديد ، يا سيدى المدير ، غير الإنذارات الليلية وقصف القنابل ؟ آه ! الحزن الذى يخيم ليلا على صوت صفارات الإنذار داخل المخابئ والكهوف .

المـــــديـــــر : يا صغيرى أوليس ، أنت فخر مدرستى . ستذهب بعيدا وسترفع إلى أعلى عليين .

أولـــيــــس : لا أعرف إذا كنت سأصل بعيدا ، لكن من المؤكد أننى سأرتقع إلى أعلى عليين لأننى سأعمل طياراً .

المـــــديـــــر : أنت ! البارع فى فقه اللغة اللاتينية !

أولـــيــــس : وهل اللغة اللاتينية تتعارض مع الملاحة الجوية ؟

المـــــديـــــر : طيار ؟ لماذا ؟

أولـــيــــس : أمام حروبكم العصرية ، لأن المرء لم يعد بإمكانه أن يصبح جنرالا فى سن العشرين ، هل بقى لنا شىء آخر سوى المعارك الفردية التى يخوضها المرء برشاشه وحظه ؟

المـــــديـــــر : ولكن تلاميذ فصلك لم يُستدعوا بعد للتجنيد .

أولـــيــــس : إن فخر مدرستك ينبغى أن يكون من الذكاء بحيث يتخذ لنفسه موقعا فى حرب عالمية . ليس أمامى إلا أحد احتمالين : أن أتطوع أو أن أهرب من الخدمة .

المـــــديـــــر : أنت مجنون . لكى تهرب من الخدمة يجب على الأقل أن ننتظر حتى يتم استدعاؤك للخدمة العسكرية ... وأبوك الذى كان يقول لى بالأمس إنهم تنبئوا لك بمستقبل باهر .

أولـــيــــس : حسنا ، إن حربا عالمية يبدو لى أنها مستقبل باهر لشاب مثلى فى سن الثامنة عشرة .

المـــــديـــــر : ولكن العلوم ؟ والفنون ؟ وشعراءنا ؟

أولـــيــــس : **(ساخرا)** – مدافع ! ومؤن وذخيرة !

المــــديـــــر : الحــرب يمكـن أن تنتـهـى غـدا . من الواجب عليك أن تنقـذ روحك . إن وطننا العـزيز سيكون فى حـاجـة إلى شبان مثلك ، غدا أيضا .

أولــــيـــــس : غدا ، هذا بعيد جدا .

المــــديـــــر : سـتكون جنديـا كـالآخـرين ، فـى حـين أننى أرى أنـك موهـوب ومـؤهل لكى تصبح فخرًا للفكر المعاصر .

أولــــيـــــس : سيدى المدير ، لا تقدم لى اختيارًا غير محدود لمصائر كبرى .

المــــديـــــر : من السهل أن نسخر من شيخ طاعن فى السن .

أولــــيـــــس : بالضبط . غـدا حينما أصبح شـيخا عجوزا ، ويسألنى أبنائى عن الحرب ، أجيبهم قائلا : " أنا لم أسمع شيئا ، فقد كنت أقرأ أشعار فيرجيل . " ؟ كلا !

المــــديـــــر : أتمنـى لك أن تنجو مـن الحــرب ومن حـمـاسـتك . أى بُنىَّ ، إن الأشـخـاص الذين فى مـثل سنى يعـيـشـون شيخوخة صعبة . أنا أقوم بتربية تلاميذى وأكن لبعضهم معزَّة خـاصـة ، ثم يُنتزعون منى جـميعا .إننى بثـقافتى الإغريقـية واللاتينية أحدثهم وهم ينصـتـون لى وغدا تسـمع آذانهم أصـوات المدافع . إن أنت يومـا تذكـرت مديرك العجوز الذى يحبك فلربما استطعت أن تفهم .

أولــــيـــــس : سـوف أتذكـرك يا سـيدى المديــر ، مـادمت تعـدنى بـأن أكـون فـخـر العلوم والفنون والسـعـادة فى الخـامـسـة والثلاثين .

المـــديـــر : **(ضيقا ساخطا)** - يجب أن أنصرف . عطلة سعيدة يا بنى .

أولـــيـــس : لا توجد عطلات فى زمن الحرب . أنت نسيت أنه منذ ثلاث سنوات ، أننى استبدلت بلعبة القزم الأصفر لعبة أعلام صغيرة من بحر الشمال حتى البحر الميت ، كما استبدلت بتلاوة الصلاة اليومية ، قراءة بلاغ يوقظنى كل صباح بضجيجه ، ضجيج المعركة .

المـــديـــر : حاليا ، نحن الذين نكسبها .

أولـــيـــس : إذن ، هم الذين يخسرونها . أنا أود أن يكون مصير الحرب بالنسبة لى سواء ، حتى أشعر أكثر بفظاعتها وهولها .

المـــديـــر : وتريد أن تتطوع ؟

أولـــيـــس : كمتفقِّه فى اللغة اللاتينية لا يشق له غبار ! لكى أواجه الخطر مع زمنى وعصرى . ولأننى أريد أن أحيا ، بلا تحفظ ، حياة بطولية .

المـــديـــر : أدَّخر قواك يا بنى . ستحتاج إلى طاقة عظيمة لتدعم حماساتك .

(المدير يختفى بعد ذلك)

نيـــقـــولا : سنرى إلى أين سيقودنا حب المغامرة هذا

أولـــيـــس : ما قيمة الحياة إن لم نولد لكى نصبح أبطالا ؟

نيـــقـــولا : هل تحب أن أحضر الميداليات التى حصلت عليها فى حياتك والإشارات باسمك فى الجيش وحتى فى البلاغ .

(موسيقى ، أجراس ، فرقعات ، صراخ - ثم يدخل جنديان)

الأول : انتهت الحرب !

الثانى : انظروا ! اسمعوا الأغانى !

أوليس : **(بمرارة)** - إنهم يسكرون !

الأول : هل تريد دموعًا لتروى بها الهدنة ؟

أوليس : ما أعظم فرحة الشعوب يوم يبدءون الحرب ويوم ينهونها . ما أحوجهم إلى الرزانة و الوقار .

الأب : **(للجد)** واستولى علينا الخوف شهوراً عديدة ، لأننا كنا نفكر فيك وفى الكارثة التى وقعت لك فى جرافيلوت .

الجد : نعم ، كارثة .

الأب : أما هو ، فحينما كان يأتينا بإذن كان يقول : " أنا أخوض الحرب لكى أُقتل "

أوليس : **(عنيفا ، يقبل على الأب والجد)** - لعلك كنت تريدنى أن أخوضها لكى أضحك وألهو ؟

الأب : هو يرى أن الحرب مبعث عار .

الجد : أنا أيضا .

الأب : هو يخوض الحرب مثل المتمردين الذين يشعلون النار فى المنزل .

أوليس : كنت مثل عصرى ، عنيفا وسافلا .

نيقولا : لماذا تتحدث على هذا النحو أيها العقيد ؟

الأب : **(للجد)** - كانت تلك وصفته خلال الحرب .

الجـــــــد : وما معنى " طيار " .

الأب : لا شيء . سأشرح لك .

نيــقــولا : **(للآخرين)** - كان بطلا ، وقد قيل .

أولــيــس : كنت أجيد التصويب . هذا كل ما فى الأمر . ولكن هل أدركتم الخوف الرهيب الذى كان يعتصر بطنى ؟ لا أدرى لماذا كنت أخاف مع أننى لم أكن أهتم بشيء أو أحرص على شيء . كنت أشعر بالخوف مثل الأشخاص الذين لا يحبون أن يتناولوا الطعام ومع ذلك فهم يشعرون بالجوع . وكنت أفكر فيك يا جدى مع أنى لم أعرفك ، ومع أنك مت فى "جرافيلوت " والدم على سروالك الأحمر وأنت فى العشرين من عمرك .

الجـــــــد : كنت أصرخ من الألم واليأس طول الليل .

الأب : **(لأبيه)** - كنت بطلا .

أولــيــس : لا ! الحرب حل فى غاية السهولة . فى حين أنهم وعدونى بحياة مجيدة ، فإن الحرب لأغراض بطولية ، لم تكن سوى مصنع لإنتاج الملابس الجاهزة . لماذا تتطلعون إلىَّ هكذا ، أنتم الثلاثة ؟

الجـــــــد : يا بنى ، أنا لا أفهم شيئا مما تقول .

أولــيــس : أنت لا تفهم يا جدى ؟

الجـــــــد : لا !

الأب : أرأيت !

أولــيــس : ولكن أنت الذى مت فى مقتبل العمر ...

الجـــــــد : أنا لم أفعل ذلك متعمداً .

أولـــيـــس : هل ندمت على حياتك ؟

الجـــــــد : وما زلت أندم عليها .

الأب : أسمعت ؟

الجـــــــد : ولو أمكننى أن أحيا ، لحييت .

أولـــيـــس : وماذا تعرف عن الحياة ، أنت الذى لم تعشها ؟

الجـــــــد : ولكننى ظللت أصرخ طول الليل ، وبطنى يتمزق . كنت أصرخ . كنت لا أريد . آه ، يا أبنائى ، قلبى على أولئك الذين يموتون فى سن العشرين فى ساحة القتال .

أولـــيـــس : أنت لا تعرف الحياة يا جدى .

الجـــــــد : للأسف .

الأب : **(بلهجة من يتحدث بين أفراد أسرته)**- أن يموت المرء فى مقتبل العمر وهو زوج وأب لطفل لم يولد بعد .

أولـــيـــس : نعم . والطفل جاء إلى الدنيا . ونبتت لحيته وقد فارق الحياة

الأب : ما أشد عناد هذا الطفل !

أولـــيـــس : لا أعرف كيف أعبر عن وجهة نظرى ، ولكننى لا أفهم سببا لندمكم لأنكم لم تعرفوا طفولة هذا الرجل الذى لم يعد حتى شيخا عجوزا على قيد الحياة. إن عقم الحياة ، حتى ولو كانت سعيدة ، لم يبدُ لى بمثل هذا الوضوح والبداهة .

الجــــــــد : لكنه ختم حياته هو ، فى حين أننى باق بغير نهاية فى مستقبل غير مؤكد، مع حنين لمستقبلى . كيف تسنى لك يا بنى العزيز أن تقتل نفسك بنفسك ؟

أولـــيـــس : لأنك لم تعرف هلاك الحياة ودمارها .

الأب : فى سن الخامسة والثلاثين .

أولـــيـــس : العار الذى تشعر به لأنك لست أكثر من إنسان .

الجــــــــد : ماذا تريد أن تكون أكثر من ذلك ؟

أولـــيـــس : آه ! أريد أن تفهمنى . ألا يكفيك أن ترانا هنا نحن الثلاثة بمصائرنا الشخصية فى هذا اللقاء غير العادى ، لكى تقتنع ؟

الجــــــــد : أقتنع بماذا ؟

أولـــيـــس : كيف أشرح لك ؟ أنا مشرف على الموت ، وجسدى أنتن وروحى تنشر رائحة ألعن .

الجــــــــد : اهدأ واشرح لى ما تقول .

أولـــيـــس : (**لنيقولا**) – دع ذكرياتى تدخل .

(نسمع أغنية يولاند)

أولـــيـــس : نيقولا . لا . لن أستطيع . اعرض عليهم أنت حياتى يوما بعد يوم ودعنى أرحل .

نيـــقـــولا : يجب أن تبقى يا سيدى .

الجــــــــد : ماذا هناك ؟

أولـــيـــس : ليس لدى الشجاعة لكى أبدأ من جديد .

الجــــــــد : وهل واتتك الشجاعة لكى تقتل نفسك ؟

نيقولا : بالضبط .

الجد : أنت تتعذب كثيرا يا بنى .

أوليس : حينما ترى هذه السيدة .

الجد : أية سيدة ؟

الأب : لقد انتحر من أجلها .

الجد : ولم تستطع نسيانها ؟

أوليس : نسيانها ؟ لم يكن فى حياتى سواها . إنها كالشمس فى الصحراء .

(تدخل يولاند)

يولاند : هل تنادينى ، يا أوليس ؟

الجد : ما أجملها !

أوليس : لو كنت تعلم يا جدى !

الجد : ولكن على أية حال ، لا شىء يستحق أن نقتل أنفسنا من أجله .

أوليس : ربما أكون شخصا يبعث على السخرية ، ولكن لعل السخرية أصبحت شكلا جديدا أو عصريا للعظمة ، عظمة مائلة بعض الشىء ، تتردد بين السماء والأرض .

نيقولا : مثل برج بيزا ، الذى ينتظرك هنا أيضا ، مع ذكرياتك .

أوليس : جدى . أريد أن تفهم . بعد قليل سنلتقى فى رهان رهيب . بعد قليل ، ستناولنى أنت المسدس الذى سيحررنى . لا أريد أن أرحل قبل أن تعطينى أنت هذه القبلة التى طالما انتظرتها . قبلة الكرب والأسى التى

يمكن للرجل فقط أن يعطيها للرجل حينما يدرك كل منهما أنهما ضائعان .

الجـــــد : أنت تشعر بمدى حبى لك .

أوليـــس : ولأنك فى العشرين من عمرك ، فستفهمنى الآن حالا . يا نيقولا ، أعط الكلمة لجميع هذه الأشباح ، جميع هؤلاء الفارين من ذاكرتى . دعهم يتكلمون ...

يـــولانـــد : **(بحنان بالغ)** أوليس !

أوليـــس : أريد أن تفهمنى يا جدى ، من أجلك ، سأراها ، للأسف وأموت مرتين .

الجـــــد : لسنا بصدد أن تموت ، وإنما أن تحيا .

أوليـــس : انتظر يا جدى ، - انتظر .

ســتار

الفصل الثانى

(الديكور نفسه)

الأم فينو تتكلم أمام يولاند وماكسيم **(فى سن السابعة والثلاثين)**

الأم فينو : لقد عثرت على صغيرى أوليس .

يولاند : ولكن أنا أيضا كنت طفلة ، أناس أيضا كنت فى الثالثة والرابعة والخامسة .

وكان لى شعر معقوص وابتسامة مازالت أمى تتحدث عنها ...

ليست كابتسامة أوليس ! كان طفلا ذكيا وكان يحبنى

الأم فينو : ويقول لى : " غنى يا أمى فينو " وكنت أغنى .

على جسر نانت
حفل راقص ...

(تتوقف وتنصت)

لا يفكر فى الغد أيامه لا تتصارع فيما بينها . طفل صغير سيد نفسه ، سيد العالم .

ثم يهبط الليل ...

في المرة الثانية
عثرت قدمه

... ستبكى ... ما أطيب قلبك يا حبيبى أوليس ، حينما ...

(تغنى)

في المرة الثالثة
انهار الجسر

(تجلس . يسمع فى المساء شدو طيور وصراخ أطفال . ثم صوت طفل : " غنى ثانية يا أمى فينو " (حينئذ ، وبدون تحرك ، تستأنف الأم فينو أغنيتها)

يولاند : **(تهمس لمكسيم ٣٧)** – هى أجنٌ مما تتصور . إنها تسمُ أوليس . ألم يحدثك عنها أبدا ؟ تلك العجوز التى كانت جارة لأبويه وماتت وهو فى الرابعة من عمره . لقد نسى ملامح وجهها . لم يبق منها فى ذاكرته سوى ثوب أسود وشعر أشيب قذر . كانت تظهر له فى بعض الصور الثابتة فى طفولته . كيف ؟ أنت صديق عمره ، ألم يرو لك أبدا قصة الأم فينو ، تلك التى قالت ذات يوم لبعض جاراتها : " أوليس ، ذكى جدا ، فى الثالثة والثلاثين من عمره سيصبح رئيسا للجمهورية ؟

ماكسيم ٣٧ : **(ينفجر ضاحكا)** رئيسا للجمهورية ؟

الأم فينو : **(وهى تفيق من نومها)** تضحكان ، أنتما الاثنان ؟ بئس الصحبة ! لا تقترب يا بنى . هذه المرة لن تأخذوه منى ! أنا قادمة إليك ...

(تخرج)

ماكسيم ٣٧ : وفى سن الثالثة والثلاثين ، رئيسا للجمهورية ؟

(تسمع أغنية " جسر نانت ")

يـــولانـــد : نعم . والأسرة أيضا كانت تضحك . لكن الطفل أوليس كان يبدو رزينا أمام هذا الكلام الذى كان لا يدرك معناه ، والذى لن يلبث أن ينساه لكى يذكر فقط أن امرأة عجوزاً تنبأت له بغزو العالم . ثم ، وفى سن العاشرة ، بدأت هذه التفاهات الشائهة تتخذ طريق الأسطورة التى ستوحى له بحنين غامض لمصير عظيم . للأسف ، نحن لا نستطيع دائما أن نلزم الصمت أمام الأطفال ، ولكن فالكلام الذى ينبغى أن نقوله حتى لا نصبح مسئولين فيما بعد ، عن بؤسهم ؟

ماكسيم ٣٧ : هل هذه هى القصة البارعة التى تتعشمين أن تهدئى بها أوليس حينما يأتى بعد قليل ليسألك الحساب عن بؤسه وشقائه ؟

يـــولانـــد : مازلت لا تفكر إلا فى نفسك .

ماكسيم ٣٧ : أنا أفكر فيك أيضا – وفيه .

يـــولانـــد : الوقت تأخر الآن قليلا .

ماكسيم ٣٧ : يولاند ، هل تشعرين بوخز الضمير ؟

يـــولانـــد : وأنت ؟

ماكسيم ٣٧ : نحن أمام موقف جديد ...

يـــولانـــد : أهكذا تسمى انتحار أوليس ؟

ماكسيم ٣٧ :... جديد ومفاجئ .

يـــولانــــد : لا . ليس مـفـاجـئـا . يبـدو لى الآن أننى كنت أعــرف أوليس بما فيه الكفاية لكى أتنبأ بقراره . أنا لا عذر لى . لا أستحق الصفح .

ماكسيم ٣٧ : لا .

يـــولانــــد : ... وأثير السخرية .

ماكسيم ٣٧ : السخرية ؟

يـــولانــــد : حينما أتصور أننى كتبت إليك أنت رسالة أقــول لك فيـها " حبيبى " !

ماكسيم ٣٧ : ألم تكونى تحبيننى ؟

يـــولانــــد : ما أعمى النساء حينما يردن بأى ثمن أن يتخذن عاشقا .

ماكسيم ٣٧ : لكنك أحـبـبـتـنى ، يا يـولاند . أمس فـقـط كنت عـارية بين ذراعى ...

يـــولانــــد : أوه ! لو كنت تــدرى كيف أن مـصـيبـة يمكـن أن تغـير عواطفنا على حين فجأة .

ماكسيم ٣٧ : هــنـاك كلمـات نلفظـهـا فـى لحظات مـعـيـنــة وحـركــات صادقة تعتبر أدلة على الحب ، ولا تستطيعين إنكارها .

يـــولانــــد : أنا أنظر إليك جيدا وأكتشف أنك دميم وغبى - ولم أعد أفهم نفسى .

ماكسيم ٣٧ : لن أسمح لك أن تقولى ...

يـــولـــنـــد : ونفـسـك وضـيـعــة ، مــادمت خنت مــعى أخلص وأعــز أصدقائك .

ماكسيم ٣٧ : أأنت التى تلومييننى على خيانة أوليس ؟ لست أنت التى تتحدثين الآن ؛ يا يولاند . كلا . أنت الآن لست إلا مجرد ذكرى بين ذكريات أوليس . وأوليس هو الذى يوحى إليك بهذا الذى تقولينه .

يولاند : ليس صحيحا . إنه يعرف أننى أفكر فيما أقول فعلا .

ماكسيم ٣٧ : دعك من هذا . إن أوليس يمكن أن يتنازل عن نصيبه فى الجنة لكى يسمع الكلمات الصريحة التى ستقولينها لى حينما نلتقى حقا .

يولاند : ولكننى لم أعد أريد أن أراك ثانية . لن نلتقى ما حييت . وأرجو ألا تحضر جنازة زوجى .

ماكسيم ٣٧ : هذا فعلا ما يسائل به أوليس نفسه . لكننى ، حفظا للأعراف ولسمعتى وسمعتك ، سأكون مضطرا للمشاركة فى الجنازة ، ثم ، أنا كنت فعلا أحب أوليس . وأخيرا فأنت نفسك ستشاركين فيها !

يولاند : لا ! أنا ، بعد كل هذه الانفعالات ، سأكون مريضة .

ماكسيم ٣٧ : يا يولاند ، منذ تزوجت أوليس قبل أربع سنوات ، كانت لدى الفرصة لكى أدرسك جيدا . وهذه الأسابيع الأخيرة التى أحببنا فيها بعضنا ، قد ختمت هذه الدراسة وأكملتها .

يولاند : وأسلوبك أسلوب بيروقراطى ! آه ! لو أن كلمة " أحبك " هذه ، ليست كلمة جاهزة ، ويضطر الرجال فى كل مرة أن يبتكروا كلمات الحب الذى يشعرون به ، لكان فى ذلك منجاة للكثير من النساء !

ماكسيم ٣٧ : أنت الآن فى حالة يأس وخيبة أمل . ولست أنا السبب فى ذلك .

يـــولانـــد : من إذن ؟

ماكسيم ٣٧ : أوليس ! أوليس الذى انتحر من أجلك ، والذى يقضى آخر ثانية فى حياته بين ذكرياته الغريبة عنك .

يـــولانـــد : هو مضطر لاستعراض مرحلة شبابه . ولكنه فى النهاية سيعود إلىَّ لكى يموت ، للأسف ، فماذا أقول له ؟

ماكسيم ٣٧ : لو كنت أفهمك جيدا ، فإن يقينك من أن أوليس سينتحر هو الذى يمنعك أن تصبحى عشيقتى ؟

يـــولانـــد : نعم .

ماكسيم ٣٧ : إذن ، فأنت لم تكونى تحبيننى حقا .

يـــولانـــد : ليس إلى هذه الدرجة .

ماكسيم ٣٧ : إذن ، فقد انتحر أوليس بلا طائل حقا . ولكننى لا أصدق ما تقولين . أنت أحببتنى . ومازلت تحبيننى حتى هذه اللحظة ، وفى جسدك الحقيقى ، وأنت تصرخين من الرعب بجوار أوليس الذى يموت .

يـــولانـــد : لا ، لا ، لا .

ماكسيم ٣٧ : غدا ستقولين لى كلاما آخر لن يسمعه ، ولن يستطيع أن يسمعه أبدا . وهو، إن كان قد أحبك حقا ، لما أطلق الرصاصة التى تصل إلى مخه فى هذه اللحظة .

يـــولانـــد : إن أوليس أيضا هو الذى يوحى إليك بالكلام الذى تقوله .

ماكسيم ٣٧ : هو يعرف أننى أفكر فعلا فيما أقول .

يـــولانـــد : وزوجتك ؟

ماكسيم ٣٧ : ماذا عن زوجتى ؟

يـــولانـــد : وأبناؤك ؟

ماكسيم ٣٧ : ألم تكونى على علم بأن لى زوجة وأولاداً حينما أصبحت عاشقة لى ؟

يـــولانـــد : كنت أعتقد أن ضعفى سيظل سرا . وهاهو كل شىء يتحول إلى حدث تاريخى . لابد من تبرير . والآخرون ، وحتى اليوم الذى سيجدون فيه أنفسهم فى وضع مماثل ، سيصرون على ألا يفهموا وسيلقوننا بالحجارة كأنهم ذاهبون فى رحلة صيد بريَّه .

ماكسيم ٣٧ : أنا سأدافع عنك .

يـــولانـــد : أنت مع ذلك كنت ستطاردنى - لأنك فعلا طاردتنى - لو كنت توقعت حدوث المأساة .

ماكسيم ٣٧ : هل تشكين فى ذلك يا حبيبتى ؟

(يصل ماكسيم فى سن العشرين)

ماكسيم ٢٠ : كذاب !

ماكسيم ٣٧ : **(وقد شعر بالإهانة فى البداية)** كذاب ؟ **(ثم ، ملتفتا)** أوه ، هو مرة أخرى !

يـــولانـــد : من هذا ؟

ماكسيم ٢٠ : أنا هو للأسف .

يـــولانـــد : كيف أنت هو ؟

ماكسيم ٢٠ : أنا هو حينما كان فى العشرين من عمره .

ماكسيم ٣٧ : نعم ، حينما كنت فى العشرين ، كنت أشبه هذا المجنون .

يولاند : أوه ! لقد عرفتك ! **(إلى ماكسيم ٢٠)** لقد أرانى أوليس صورة فوتوغرافية لك فى سن العشرين . لم أكن أعتقد أننى فى يوم من الأيام سأسمعك تتكلم بصوت شبابك .

ماكسيم ٢٠ : أوليس يخلط بينى وبينه فى ذاكرته . فبالنسبة له ، نحن الاثنان " صديقه "، صديقه ماكسيم . أنا ماكسيم ، وهو ماكسيم . نحن شخص واحد : انظرى ماذا صنع بى ، بعد سبعة عشر عاما .

ماكسيم ٣٧ : أصبح لى كرش صغير ، طبعا ...

ماكسيم ٢٠ : الكرش فقط ؟

ماكسيم ٣٧ : وبعض التجاعيد ؛ ووسام جوقة الشرف .

ماكسيم ٢٠ : أيها الخائن . تخون مرتين . تخون صديقك ، وتخوننى أنا . تستغل ما كنت عليه يوما ما – ما أنا عليه الآن – لكى ترقى إلى مؤثر ومحرك لم تعد تستحقه . لو كنت تتنبأت بالمأساة لأخلدت إلى الهدوء يا زير النساء ! أنت تريد أن تعتذر عن خيانتك بحب قاهر بحيث يقاوم ويتغلب على فكرة موت صديقك . لكن الحقيقة أنك ترتعد خوفا لأنهم أخبروك بموت أوليس منذ قليل . ورحت تردد فى ذعر " يا إلهى ، لو كنت أعلم ! ولكنى أيضا ، ما أغباه ! إن المرء لا ينتحر من أجل امرأة مثلها ! "

يولاند : **(هائجة)** – ماذا يقول ؟

ماكسيم ٣٧ : لا شيء . اغفرى له شبابه . أنا أعرفه أكثر مما يعرفنى هو .

ماكسيم ٢٠ : ما هذا التهديد ؟ تعال معى إذا كانت لديك الشجاعة . وقل لأوليس إن حبك لزوجته كان من القوة بحيث لم يقاوم فكرة موتك ، بل ولم يقاوم فكرة أن صديقك سيموت بسبب هذا الحب . هيا . تعال واعتذر يا كاشف العورات يا سارق زوجة صديقه لأن ذلك أيسر وأسهل .

ماكسيم ٣٧ : أسهل وأيسر ! أبدا . والدليل : انظر ما نحن فيه من ورطة !

ماكسيم ٢٠ : أنت تذكر أننى و أوليس نشأنا معا وكبرنا معا وأننا كنا نستحم معا فى النهر عريانين ، وأن كلينا يعرف جيدا جسد صاحبه .

ماكسيم ٣٧ : وبعد ؟

ماكسيم ٢٠ : وأنه اعترف لى بأسراره الغرامية الأولى ، وأننا اعترفنا له بأسرارنا الغرامية .

ماكسيم ٣٧ : وبعد ؟

ماكسيم ٢٠ : هل انحدرت نفسك إلى هذه الدرجة بحيث إنك لا تدرك أن هذه المكاشفة تزيد من عذاب أوليس ؟ فهو يعرف جسد وعادات جسد الرجل الذى سلبه زوجته التى يحبها . بل إننى أتساءل ، وأنا أرى جبنك اليوم ، إن لم تكن قد أخذت زوجة صديقك ، لأنه لم يعد يصارحك بهذه الأسرار ، وأنك كنت مازلت تريد أن تعرف ، كما يفعل الآخرون حينما يتنصتون على باب حجرته ، أو يتطلعون

من ثقب الباب . (**إلى يولاند**) حينما ضمك بين ذراعيه - وهما ذراعيَّ فيما مضى - ألم يطلب منك الإدلاء بأسرار معينة عن حبك لأوليس ؟ (**يولاند لا تجيب**) أوه ! إنني أشعر بالخجل !

ماكسيم ٣٧ : أنت تشعر بالخجل لأنك عرفتني جيدا ؟

ماكسيم ٢٠ : لا أفهم ما تلمح إليه .

ماكسيم ٣٧ : صحيح ؟

ماكسيم ٢٠ : أنا أجهل ما صرت أنت إليه - لكن هل نسيت أنت ما كنت أنا عليه ؟

ماكسيم ٣٧ : لا طبعا .

ماكسيم ٢٠ : هل نسيت أنني و أوليس كنا نحب بعضنا كما تحب جذور الشجر التربة : كنا نعيش بآمال وطموحات ممتزجة . كان كل منا يحب صاحبه أكثر مما كان نرجس يحب نفسه .

ماكسيم ٣٧ : نعم ... كالحب فى سن الخامسة عشرة . سهل جدا فى مثل هذه السن .

ماكسيم ٢٠ : هل نسيت أننا أردنا أن نرحل معا حاملين حقائبنا على ظهرينا لنفر من الناس المضطربين فى دوامة الحياة ، سعيدين لأن كلينا كان فخوراً بصاحبه ؟ ... ماذا تعمل فى الحياة ؟

ماكسيم ٣٧ : أنا مهندس فى الطرق والكبارى .

ماكسيم ٢٠ : أيها البائس الشقى .

ماكسيم ٣٧ : أقوم بإنشاء طرق يحلم أن يرحل خلالها مجانين آخرون مثلنا . ثم أنت كنت تعرف جيدا أنك لن ترحل .

ماكسيم ٢٠ : أنا أمنعك أن تتحدث عنى فى سن العشرين . أنت لم تعد تدرى شيئا عن روحى فى مرحلة الشباب . سيدتى ، أنا لا أدرى شيئا . لا أعرفك . ولكن حينما يحب المرء أوليس كما أحببته أنا فى سن الخامسة عشرة ، لم يكن من حقكما أنتما الاثنان ... لم يكن من حقكما ...

(يبكى)

يـــولانـــد : (**لماكسيم ٢٠**) كان أوليس يقول لى دائما إنك كنت صديقًا لا مثيل له.

ماكسيم ٢٠ : وربما ، بسببى أنا ، أحببت أنت نفايتى هذه (**يشير إلى ماكسيم ٣٧**)

يـــولانـــد : من يدرى ؟

ماكسيم ٢٠ : كنتما تتحدثان عنى ؟

يـــولانـــد : نعم ، هو يذكر شبابه بكل خير .

ماكسيم ٢٠ : لم أكن أستحق أن أجد نفسى يوما فى هذا الهجران - ماذا صنعت بمستقبلى ؟ ماذا فعلت بشبابى ؟

ماكسيم ٣٧ : شبابك لم يكن بهذه الدرجة من الطهارة .

ماكسيم ٢٠ : ماذا صنعت بصديقى ؟ أنت لم تكونى موجودة بعد يا سيدتى ، ولكن ...

ماكسيم ٣٧ : ومع ذلك فأنت كنت تشعر بالغيرة منه فى بعض الأحيان . ألا تذكر ذلك الحلم الذى ما نسيته أنا حتى الآن والذى رحت أنت فيه تسلب جميع باقات الورد التى كانت تبيعها بائعة الزهور التى كان يحبها أوليس ؟ وذلك اليوم الذى سرقت منه موضوع التعبير الفرنسى لكى يعاقبه المدرس وتكون أنت الأول ؟

ماكسيم ٢٠ : ألا تشعر بالخجل وأنت تحاول اليوم أن تعتذر عن جريمة بالتنقيب فى أشياء تافهة فى شبابى ؟

ماكسيم ٣٧ : أنا أضع الأشياء فى نصابها .

ماكسيم ٢٠ : ولكن ماذا صنعت أنت بطموحاتى التى كنت أحلم بها ؟ طيور حياتى كلها أخرست ولم أعد أسمع سوى صراخ حيوانات عجماء على الطرق التى تشيِّدها من أجل شيخوخة الناس . عد إلى ورشتك ، يا أيها الأمل المحطم ! إن شبابى بأسره يحتقرك ويطردك . اذهب ! اغرب عن وجهى ، أيها الشقى ! **(ماكسيم ٣٧ يخرج)**

وأنت يا سيدتى تخونين أوليس من أجل حقير كهذا ؟

يـــولانـــد : أمامك ، وبالمقارنة بك ، يبدو إنسانا خاملا ، ولكن حينما لم تكن أنت هنا ، كان يشبهك كثيرا . ولقد أدركت الآن سر جاذبيته .

ماكسيم ٢٠ : هو متزوج على ما يبدو ؟

يـــولانـــد : نعم .

ماكسيم ٢٠ : ومن تكون تلك المرأة التى زوجنى منها ؟

يـــولانـــد : أوه ! امرأة عادية ، عـادية جـدا . لا تسـتحقـه ، أقصـد لا تستحقك .

ماكسيم ٢٠ : ولدينا أطفال ، كما يقولون ؟

يـــولانـــد : نعـم . ثلاثـة أطفـال ظـرفاء . الأخير الذى فى السابعة من عمره يشبهك كثيرا .

ماكسيم ٢٠ : حينما أتصور أن أبنائى لن يعرفونى أبدا .

يـــولانـــد : أوه ! حقا ، أنت خير منه .

ماكسيم ٢٠ : وذلك الشارب المزرى الذى ألصقه بوجهى ...

يـــولانـــد : أرأيت ، أنا أيضا كنت أريد أن يحلق شاربه ...

(فى ضـوضـاء شديدة ، تدخل كل من مـادلين وبيت والأم فينو والجد)

مـــــادلين : **(مهددة ، مشيرة إلى يولاند)** هاهى ذى ! هاهى ذى !

الجـــــــد : اسكتن جميعا ! آسف لأننى أحدثكن بهذه الطريقة الفظة مع أنى سعيد جدا بصحبتكن ، كانت معرفتى بالنساء قليلة خلال حياتى القصيرة ولم أكن أعرف أن النساء على هذه الدرجة من السحر والجاذبية .

مـــــادلين : **(مشيرة إلى يولاند)** حتى هذه ؟

الجـــــــد : إذا كنا سنعقِّد ذكريات أوليس بمشاكلنا الشخصية وصراعاتنا ، فلن نصل إلى شىء . صدقونى : هو الآن غائب ، علينا أن ننتهز فرصة غيابه هذه لكى نضع شيئا من النظام فى هذه المغامرة . أريد أن أجد لى مكانا فيها . أريد أن أفهم ما يدور .

يـــيـــت : وما فائدة ذلك ؟

مـــادلين : ألن تعودى إلى بكائك ؟

يـــيـــت : ألم تروا أوليس حينما مرَّ أمامى ولم ينظر إلىَّ ولم يعرفنى ؟

(يولاند تنطلق فى ضحكة رضا وغبطة)

الجـــد : كنت أول من تساءل إذا كان حفيدى له قلب أم لا .

يـــيـــت : أوليس له قلب ، أعرف ذلك ، ولكننى لا أعرف أن له ذاكرة .

مـــادلين : لديه ذلك ، مادمنا هنا . لكن ذاكرته خائنة .

يـــيـــت : وهذا أسوأ نوع من الخيانة . الوحيدة ، الحقيقية . لقد أحبنى ، وكل ما أرجوه منه أن يذكرنى . لم يعد يحبنى ، ولكن هل من حقه أن ينسى أنه أحبنى فى يوم من الأيام ؟

يـــولانـــد : **(فى تعال وتكبر)** - أوليس اعتقد أنه يحبك . معذرة يا سيداتى فقد أغيظكن بكلامى ، ولكن الأحداث تقول ذلك . أوليس انتحر من أجلى . ولكى يطلق عيارا ناريا على نفسه ، لا تعرفن ...

يـــيـــت : **(مقاطعة)** - أنا أعرف .

يـــولانـــد : **(فى قلق)** - هل حدث من أوليس ، قبل أن ينتحر من أجلى ، أن حاول الانتحار من أجلك ؟

مـــادلين : لا . بل هى التى حاولت الانتحار من أجله .

الجـــد : أوليس الذى طالما شكى من الآخرين ، مذنب .

مـــــادلين : هو رجل ، هذا كل ما فى الأمر . لقد نسيها . وأنت (**إلى بيت**) بعد فشلك فى الانتحار ، ألم تتزوجى من تاجر فى الريف ؟

يـــيـــت : بلى ، تزوجت .

مـــــادلين : أنجبت منه البنين والبنات . وحاليا ، وفى الوقت الذى يمر فيه أوليس ، ألا تعيشن حياة هادئة ، ربة أسرة فى إحدى المدن الصغيرة ؟

يـــيـــت : هادئة ؟ تقولين هادئة ؟

الجـــــد : ألا تحبين زوجك ؟

يـــيـــت : نعم لا أحبه .

الجـــــد : لماذا إذن تزوجت منه ؟

يـــيـــت : كان لابد أن أواصل الحياة .

مـــــادلين : ليكن – ولكن بقى معك الأولاد .

يـــيـــت : أولادى غرباء عنى . مادام أوليس لن يعرفهم أبدا . ماداموا لن يعرفوا الرجل الذى أحببته . إن حياء الأمهات يشوهن .

مـــــادلين : حال يرثى لها .

يـــيـــت : فما بالكم إذا تضاعف خجلى . هل أستطيع أن أمحو ما حدث ؟ إذن أزيلوا هذه الندبة إن كنتم تستطيعون .

مـــــادلين : أصبت نفسك فى هذا المكان ؟ شىء مؤسف .

يـــيـــت : ثم كان أن وضع ولداى ، كل فى دوره ؛ رأساهما فوق هذا الجرح – لأننى مع ذلك أردت أن أرضعهما . أردت

أن أحبهما ... ذات صباح ، ابنى الصغير بولس قفز فوق فراشى وهو يلعب فدس إصبعه فى هذه الندبة ... هنا ... وقال لى : " أوه ، ماما ... واوه ؟ هل تؤلمك ؟ " ولم أعرف كيف أردٍّ على سؤاله . لم أجد سوى هذه الإجابة ! نعم ، كثيرا يا بنى " لم أكن قد عرفت أن أوليس قد نسى حتى ذكرى حبنا " .

(يظهر أوليس أعلى ، يتبعه نيقولا . الذكريات تحت ، تنفض)

أوليس : نيقولا !

نيقولا : سيدى ؟

أوليس : قل لى ، حينما يموت المرء ميتة عادية كما يموت الناس جميعا ، هل يضطر أيضا لاستعراض حياته ؟

نيقولا : لماذا هذا السؤال ؟

أوليس : لأننى لو كنت توقعت هذا العذاب لكنت لقَّحت نفسى بحمى التيفود .

نيقولا : حتى النهاية ، ستحتفظ يا سيدى بطبعك العسير .

أوليس : عسير ؟ ولكن هل وجد على هذه الأرض إنسان أكثر منى رقة وحنانا ؟

لقد رأيت بنفسك كم كنت طفلا محبوباً . كم ستصبح حياة الناس أفضل إذا استطاعوا أن يحتفظوا بذكريات طفولتهم بشكل دقيق . لماذا ذكريات طفولتى على هذه الدرجة من السحر والجاذبية ؟

نيـــقـــولا : ألم تكن طفولتك كذلك ؟

أولـــيـــس : كانت ، على ما يبدو لى ، تتسم بالتردد والتنوع .

نيـــقـــولا : كل شىء يتغير يا سيدى ، حينما يتجمد كل شىء ويتوقف . الاحتمالات والتوقعات تثبت . فى الماضى ، كنت لا تعرف . يوما بيوم ، أين يمكن أن تحط قمم سعادتك وهوّاتها . والآن تستطيع أن تزور ماضيك بكل الثقة والتمكن الذى يتوافر لعالم جغرافى عليم .

أولـــيـــس : وما جدوى ذلك ؟ إحدى العبارات النادرة التى كنت أسمعها منك فيما مضى ، تقول : " ما حدث لا يمكن أن يحدث مرة أخرى " وكنت أعزِّى نفسى أحيانا فى شقائى بهذه العبارة العميقة : ولكن هانحن نجد أن " ما حدث يحدث مرة أخرى " .

نيـــقـــولا : ألا توجد فى ماضيك ذكريات جميلة تحب أن تراها مرة أخرى ؟

أولـــيـــس : ما جدوى ذلك مادامت قد مضت وانقضت. لا سعادة إلا السعادة الخالدة .

نيـــقـــولا : ولكنك يا سيدى لست سوى إنسان .

أولـــيـــس : وهذا هو السبب الذى يجعل هذه المغامرة بلا طعم ولا رائحة بالنسبة لى.

نيـــقـــولا : ابحث جيدا . ألا يوجد شىء ، امرأة ، أو دقيقة تحب أن تراها مرة أخرى .

أولـــيـــس : لا .

نيــــقـــولا : تعوزك الصراحة .

أولـــيـــس : أتسمح لنفسك ...

نيــــقـــولا : منظـر طبيعى لمحته ... طعم فاكهـة يومـا مـا ، ثم لم تذقه بعد ذلك أبدا ؟

ولا لقاءات ضـائعة ، لقاءات بلا توابع ؟ المصادفة تضـعك أمـام زهرة تمد يدك لكى تقطفـهـا فـإذا بالريح تحـمل الزهرة ولا تنسى لونهـا الفـريد طيلـة حيـاتك . لقـاء فى شـارع ... نظرة ... ونهـاية – لكن الذكرى تظل ملتصـقـة بندم يعجز عنه التعبير .

أولـــيـــس : هل أستطيع أن أرى شخصًا لا أعرف حتى اسمه ؟

(أجراس آراس تدق)

نيــــقـــولا : نعم .

أولـــيـــس : هل تسمع هذه الأجراس ؟

صـــوت المجـهـــولة : أوليس !

أولـــيـــس : وصوتها !

صـــوت المجـهـــولة : أوليس !

أولـــيـــس : أخيرا ، سأعرف من هى ... ولكن فلتدخل ... فلتأت ...

(تدخل المجهولة)

أولـــيـــس : أخيرا ، ألقاك هنا :

المجـــهـــولة : أوليس !

أولـــيـــس : أخيرا ، ستشرحين لى كل شىء .

المجـــهـــولة : ماذا تريد أن أشرح لك ؟

أولـــيـــس : صحيح . أنت تجهلين ما حدث بعد ذلك .

المجـــهـــولة : ماذا حدث يا فارسى الجميل ؟

أولـــيـــس : هل تذكرين لقاءنا ؟ كنت غليظا معك . سامحينى .

المجـــهـــولة : لم تكن غليظا .

أولـــيـــس : أجل ! أجل ! اسمع يا نيـــقـــولا . حـــدث ذلك فى ضـواحى آراس . كنت قـد نجـحت فى إسـقـاط طائرة للعدو . وكنت أشعر بكرب شديد . هل هذا هو كل المصير الرائع الذى ينتظرنى ؟ كنت خلف رشاشى وأمـام هدفى لا أفكر فى شىء . ولكننى مـا إن عدت إلى الأرض حتى انتابنى الخوف . كنت أشعر بالبرد . كنت وحدى ضائعا فى يأس غريب . عندئذ قابلتك .

المجـــهـــولة : لا ، أنا أغريتك وقمت باصطيادك .

أولـــيـــس : أنت أغريتنى وقمت باصطيادى ؟ لا ،لا ، أنا أسف . هـذا فعـلا ما ظننتـه فى بادئ الأمر – ثم تبعتك .

المجـــهـــولة : كنت ترتعد .

أولـــيـــس : وصحبتك إلى أحـد المنازل المهـجورة . أنت أيضا كنت ترتعدين . فخلعتُ معطفى المبتل وطرحتك فوق الفراش .

المجـــهـــولة : فقاومت – فاندهشت أنت وتركتنى .

أولـــيـــس : كان الجـو باردا والليل مظلمـا . ومن بعـيـد كنا نسـمع قـصـف المدافع . وكـانت بعض الأنوار تلمع فى السـمـاء وتحط على وجهك – ثم انفجرت فى البكاء .

المجـــهـــولة : لا ! لا ! اسكت !

أوليس : وفى تلك الساعة كان الشفاء وحده يمكن أن يحركنى .

المجهولة : لماذا لم تضربنى ؟ كان يجب أن تضربنى .

أوليس : نعم شعرت بالرغبة فى ضربك ، بل وربما فى قتلك .

المجهولة : **(مرعوبة)** آه !

أوليس : كنت أستطيع أن أفعل ذلك . كنا وحدنا فى تلك المدينة وسط الحرب . وكان الموت سهلا ميسورا ، انتابتنى رغبة مجنونة فى أن أنتقم من حياتى كجندى ، وذلك بقتل امرأة ، بخنق امرأة تبكى . وسألتك بكل بساطة إذا كنت تحاولين اصطياد الضباط رغبة فى إظهار دموعك لهم وحسب .

المجهولة : **(كما فعلت فى الماضى)** أنا وصلت هنا ، منذ ثلاثة أيام ، أبحث عن أختى التى كانت تعيش هنا ، وقد تم إخلاء المدينة . وقد ناديتك لأننى كنت أشعر بالجوع والخوف .

أوليس : يا حبيبتى المسكينة !

المجهولة : كنت فى غاية الطيبة معى .

أوليس : لا .

المجهولة : لقد غطيتنى بمعطفك... ثم أردت أن تنصرف لتبحث عن طعام ، فأردت أن أشكرك فقدمت لك شفتىَّ وقبلتنى ، وأنت تميل على الفراش .

أوليس : وكانت رائحة الخمر تفوح من فمك . كنت مخمورة .

المجهولة : نعم . فرحت تشمنى وتعنفنى . بل لقد لكمتنى بقبضة يدك .

أولــــيـــس : **(وهو يضرب قبضة يده)** آسف . آسف .

المجــهــولة : ثم رحلت وتركتنى .

أولــــيـــس : أتدرين ماذا حدث بعد ذلك ؟

المجــهــولة : لا .

أولــــيـــس : همت على وجهى فى المدينة بحثا عن محل بقالة . واشتريت بعض البسكويت ، والشيكولاته ، ونبيذا ، - ونبيذا ثم عدت إليك ، - عازما على اغتصابك ، لكى أتأكد أنك فتاة بكر ، لكى أتأكد أنك لم تكذبى علىَّ . وعثرت على المنزل ، وكنت أنت ما تزالين هناك ، نائمة كانت الدموع تسيل على خدك . وشعرت أمامك بالهدوء والحنان . وتركت لك الطعام الذى اشتريته والزجاجة . ثم كتبت لك كلمة أرجوك فيها أن تنتظرينى حتى الظهر . وخرجت . وعلمت أن بعض الجنود مرُّوا فى الصباح . ثم قصفت المدينة بالقنابل فى الحادية عشرة . وتمكنت من العودة فى حوالى الواحدة كالمجنون . وكان المنزل الذى كنت تنامين فيه ما يزال قائما . فاطمأن قلبى وصعدت السلم فوجدت الطعام قد اختفى ، وكذلك الكلمة التى كتبتها لك ، وبحثت عنك فى جميع الحجرات فلم أجد أحدا . وانتظرت فى المساء . ولكنك لم تعودى . ثم بحثت عنك ثلاثة أيام فى جميع الشوارع . وبعد شهرين ، عدت إلى المدينة فوجدتها مدمرة تماما . اللهم إلا ثلاثة منازل . وكان منزلنا سليما لم يمس . فصعدت السلم وأنا أرتعد .

وكان الفراش ما يزال فى مكانه والأغطية منكوشة كما تركتها أنت . فانتظرت مرة أخرى كالمجنون ، يومين كاملين ، داخل المنزل . على أمل أن أراكِ تعودين ، على أمل أن تظهرى .

المجهولة : حبيبى !

أوليس : وخضت الحرب لا أفكر إلا فيك . من يدرى لعلى طول حياتى لم أحب سواك ؟

المجهولة : أوليس !

أوليس : أنت يا من كنت أبحث عنك دائما ، وأخيرا ، أعثر عليك ، أيتها المجهولة العزيزة .

(يتعانقان)

أوليس : (**وهو يخلص نفسه بعنف**) آه ! ما تزال رائحة الخمر تفوح منك .

المجهولة : أقسم لك أننى أقول لك الصدق . أنا فتاة عذراء تبحث عن أختها ، ولست كما تعتقد .

أوليس : هذه المرة ، سأتمسك بك ولن أتركك أبدا .

المجهولة : أنا أغريتك ، ولكن لأننى كنت جائعة وخائفة . أرجوك أن تصدقنى .

أوليس : اسكتى ! أولا ، لماذا لم تنتظرينى ؟

المجهولة : لست أدرى .

أوليس : أين كنتِ حينما كنت أبحث عنك فى كل مكان ؟

المجهولة : لست أدرى .

أوليس : الجنود الذين مرُّوا فى الصباح هل اعتدوا عليك ؟

المجهولة : أى جنود ؟

أوليس : لا تتغابى . وأجيبينى ؛ لقد نسيت أن أسألك عن اسمك . ما اسمك ؟

المجهولة : أنت تعرف جيدا أننا لا نعرفه .

أوليس : ولكنك أنت تعرفينه .

المجهولة : أنا الفتاة المجهولة فى ضواحى آراس .

أوليس : أنا أريد اسمك .

المجهولة : لا أعرف .

أوليس : نيقولا ! ألست أحلم ؟ هل كلامى يخرج فعلا من فمى كالأشياء الصغيرة؟

نيقولا : أنا لا أعرف هذه الإنسانه . فقد عملت فى خدمتك ميكانيكيا بعد ذلك بسبعة أشهر .

أوليس : أجيبينى : هل كنت فتاة أم عاهرة تمثلين علىَّ ؟

المجهولة : علمى علمك . أنت تعرف ذلك مثلى .

أوليس : واليوم ، لماذا تفوح منك رائحة الخمر ؟

المجهولة : كيف تريدنى أن أتغير ؟

أوليس : من كنت ؟ وماذا أصبحت ؟ ومن أين تأتين ؟ وإلى أين تذهبين الآن ؟

المجهولة : كل ما أعرفه أننى أقف أمامك .

أوليس : لقد أحببتك كثيرا فلا تسخرى منى .

المجهولة : دعنى !

أولـــيـــس : أجيبى !

المجـهـولة : دعنى أنام .

أولـــيـــس : (**يلكمها بقبضة يده**) قذرة !

المجـهـولة : آه !

أولـــيـــس : (**مشدوها**) وألكمها بقبضة يدى ! كما حدث فى الماضى ... وهى ترحل .

نيـــقـــولا : نعم . لقد انتهى الأمر بالنسبة لها .

أولـــيـــس : ولكننى أحلم ...

نيـــقـــولا : كلا . أنت تستعرض حياتك من جديد ، وأنا لا أستطيع أن أقدم لك إلا ما عشته فعلا .

أولـــيـــس : ولا أستطيع حتى أن أناديها ... إذن لن أعرف اسمها ما حييت ؟

نيـــقـــولا : لم تعد تشك الآن أنك بين ذكرياتك ؟

أولـــيـــس : اتركونى وحدى .

المتـســول : (**داخلا**) آه ! الوحدة رهيبة أيضا .

أولـــيـــس : من هذا الرجل ؟

المتـســول : أنت على حق يا سيدى . الحياة صعبة : حسنة من فضلك !

أولـــيـــس : أنا لا أذكره . ماذا يعمل هنا ؟

نيـــقـــولا : أنت كنت تشعر بخوف شديد من أن تصبح فقيرا !

أولـــيـــس : (**فى تشكك**) – أنا !

نيـــقـــولا : كما أن الفقر كان يجتنبك ويستهويك : فى بعض الأحيان كنت تود أن تزهد فى كل شىء . الصحراء ، الدير ،

الطريق ... كل ذلك تتصوره وأنت جالس فوق الكرسى الفوتوى .

أوليس : ماذا تقول ؟

نيقولا : أشياء متناقضة . إن حياتك ، كحياة جميع الأشخاص العاديين ، حافلة بالمتناقضات . تارة نعم ، وتارة لا . آه ! سيدى إننى أرثى لمن سيتولى كتابة تاريخ حياتك . فإذا حاول أن يضع نظاما فى إبداعه فإنه سيبتعد عن الحقيقة . وإذا هو تتبعك خطوة بخطوة ، فى ذكرياتك ، كان التِّيه الذى يضل فيه .

المتسول : حسنة ، من فضلك !

أوليس : (**مغيظا**) لماذا لا تنفك تقول : " حسنة ! ... حسنة ... "

المتسول : لأن هذه هى العادة . نقول " حسنة ! " فاهم ! الحسنة هى نقود ...

أوليس : والنقود ؟

المتسول : نبيذ .

أوليس : والنبيذ ؟

المتسول : سعادة .

أوليس : والسعادة ؟

المتسول : أنت تعرف معنى هذه : المرء يكون سعيدا ، ثم يمضى كل شىء وينقضى!

أوليس : وإذن ؟

المتسول : إذن ، أبدأ من جديد فأقول : " حسنة ، من فضلك ! "

أوليس : هنا المتسول لا يطاق . قذر ، كريه الرائحة . لا يدرك شيئًا ممًّا أعانى .

المتسول : لو كنت تشعر بالجوع ... لو كنت تحتاج إلى خبز ...

أوليس : لا تقترح علىَّ هذا الوضع بهذه الحماسة .

المتسول : عفوا ؟

أوليس : إن الحاجة إلى الخبز، فى حد ذاته ، هى أيضا وضع الراهب فى الصحراء ، كما أنها وضع العامل العاطل . أنا أريد لمصيرى إرشادات أكثر دقة .

المتسول : أنا جائع .

أوليس : أقضى عمرى فى تقديم الخبز للجوعى ؟ ما رأيك فى ذلك ؟

نيقولا : لو رحت تتناقش مع الجوعى الذين يفكرون ، فهيئ نفسك لكل أنواع المغامرات .

المتسول : واللانشون والنبيذ والأحذية ...

أوليس : أعمال خيرية فى حى للفقراء ؟ أليس كذلك ؟

المتسول : لو كنت مكانى ...

أوليس : ولم لا ؟

نيقولا : كم من الوقت ؟

أوليس : الوقت الكافى للانتهاء من الدروس الأخلاقية المرتبطة بهذا الموقف .

نيقولا : وبعد ذلك ، هل تسترد نقودك ؟

أوليس : أنا أكسبها بلا مزاح ولا فخر . لقد هبطت من سماء من نار . آه ! لو كنت تدرك حياتى ؛ آخر أسبوع فى

الحرب : كنت ألعب لعبة الاستخفاء مع الموت ، ولا أريد أن أموت . بل كان ذلك لكى أعيش حياة أفضل . أنا لا أفسر ولا أشرح فأنا لست عالما نفسانيا ، أنا أروى فقط . وهذا ما ادخرته لى مدن السلام : زيادة جميع جراجات باريس والضواحى لبيع كربيرتير طراز جديد .

نيقولا : كنت دائما تطلب من الله تعالى معجزة يومية وشخصية صغيرة .

(**إلى المتسول**) يحتاج إلى عنايات إلهية خاصة .

المتسول : أنا ، جوعان .

أوليس : هو على حق . الناس مثلنا لا يشعرون بوخز الضمير الكافى حينما يأكلون فى ساعة محددة .

نيقولا : على أية حال ، هذا اللقاء فى غير محله . أنت تجعله بعد الحرب . لكنه حدث وأنت فى الخامسة عشرة تقريبا .

أوليس : كلا ! إنه لقاء يقع لى كل يوم فى حياتى .

نيقولا : إذن ، لماذا لم تكن محسنا ؟

أوليس : لأننى اتَّبعت عرف العصر الذى عشت فيه .

المتسول : سيدى الطيب ...

أوليس : ومع ذلك فهو لا يهم . ولكن الآخرين ... الذين لا نكتشفهم إلا إذا انتقلنا إليهم ، الذين يعيشون فى بيوت تسقط فيها الأمطار ، فى حجرات فيها دلاء الماء فوق الكراسى والأطفال يفترشون الأرض... خليط من القذارة والبؤس ...

نيقولا : أنت ذاهب إذن إلى هؤلاء الناس الفقراء ؟

أوليس : نعم ، ثلاث مرات أو أربع .

نيقولا : ولماذا ثلاث مرات أو أربع فقط ؟

أوليس : لأن مستقبلى يدفعنى ويشدنى .

المتسول : حسنة ، لو تكرمت ...

أوليس : خذ ، هذه عشرون قرشا . أنت مزعج .

المتسول : شكرا يا سيدى الكريم .

نيقولا : سيذهب من فوره إلى الخمارة .

أوليس : طبعا . بعشرين قرشا لا يستطيع أن يذهب إلى ملهى ليلى .

(الديكور يظلم . الأشخاص يتفرقون فى أماكن مختلفة من المنصة ، على مستويات مختلفة من الارتفاع – عليهم ضوء خفيف)

نيقولا : سيدى يجهل إلام ستقوده هذه الألفاظ : " ملهى ليلى " ما أغرب ذاكرة الإنسان . إن أكبر الذكريات تدخل دائما من أضيق الأبواب . لقد قلت لك : مادلين تقترب (**ما يزال يتوجه بالحديث للجمهور**) وهى لم تعد مادلين التى عرفتها . أبدا . ستعود الآن وقد تغيرت تماما . ليست كما كانت ، ولا كما أصبحت – ، وإنما ك ... هس ! هاهى الأزهار قد سبقتها !

مادلين : (**إلى أوليس**) شكرا ، يا حبيبى ، على زهورك الجميلة هذه .

أولـــيـــس : آه ! هاأنت مرة أخرى ! وأنا فى العشرين من عمرى .

مـــــادلـين : وشكرا لأنك تذكرت أنى أحب السوسن الأبيض .

أولـــيـــس : أوه ! لن تستطيعى أن تعرفى إلى أى حد كنت قد نسيت ذلك !

مـــــادلـين : أشك فى ذلك . ولكن أشكرك لأنك تذكرته أول مرة : لقد التقينا فى بار" الكاتب " هل تذكر ؟ وبلا سبب قلت لك ، قلت لك : أنا أحب السوسن الأبيض – وفى اليوم التالى تلقيت منك هذه الباقة الرائعة . حبيبى !

أولـــيـــس : حسنا ! اذهبى ونسقيها فى وعاء زهر فى بيتك، ولنكف عن الكلام عنها .

مـــــادلـين : فى وعاء الزهر اللبنى الذى كنت تحبه كثيرا

أولـــيـــس : تصورى لقد نسيت هذا أيضا . ثم إن هذا كله لم يعد ذا أهمية . ولم يكن له أية أهمية . فقبلى رجال آخرون قدموا لك زهوراً ذبلت فى هذا الوعاء . ثم جاءت زهور غيرها .

مـــــادلـين : ولكنك لست الرجل الوحيد فى الخليقة . يجب أن تعترف بهذا يا عزيزى وتسلم به .

أولـــيـــس : لا تتصورين إلى أى حد أنا مسلِّم بهذا .

مـــــادلـين : أنت مخطئ . فأمام زهور بهذا الجمال ، أشعر بسعادة بالغة .

(تذهب إلى الناحية الأخرى لتنسق الزهور فى وعاء زهر لبنى)

الجـــــــد : (**يقترب من أوليس**) هـل أسعدك الحظ وأحبّتك هذه المرأة الجميلة أيضا ؟

أولـــيـــس : (**متشككا**) أحبتنى ؟

الجـــــــد : نعم . هل أحببتها أنت ؟

أولـــيـــس : أبدا . (**يتوقف ويسأل نيقولا :**) ما رأيك ، يا نيقولا ؟ (**حركة ساخرة من نيقولا . أوليس يستطرد :**) شويه ، ربما ، على الماشى.

الجـــــــد : ولكن على الماشى هذا دام طويلا ؟

أولـــيـــس : لـم أعـد أدرى ... عـدة شـهـور ... أعرف أن اسـمـهـا مادلين . اسم ضمن أسماء أخرى فى حياتى .

(**مادلين تعود حاملة حقيبة سفر**)

أولـــيـــس : ماذا تحملين ؟

مـــــادلـين : خطاباتك التى لم أجد فرصة لإعادتها إليك .

أولـــيـــس : (**ساخرا**) - وهل تحتاجين لحملها إلى حقيبة سفر ؟

مـــــادلـين : غريبة ! إن فيها أكثر من خمسمائة رسالة .

أولـــيـــس : هل أنت مجنونة ؟

مـــــادلـين : انظر. أنت كنت تكتب لى كل يوم تقريبا - وقد دام حبنا أكثر من عامين.

أولـــيـــس : عامين ؟

مـــــادلـين : عامين وشهرين .

أولـــيـــس : مستحيل

مـــــادلـين : (**بحنان**) ألا تذكر الصيفين اللذين أمضيناهما معا ؟

أوليس : أذكر .

مادلين : والشتاءات الثلاثة فى باريس ؟

أوليس : (**سعيدا بتذكره**) الأول ، نعم ...

مادلين : ثم كان الثانى ، - ثم الأخير الذى انتهى نهاية سيئة ، الثالث .

أوليس : نعم ، أذكر . حيث لم نعد نشعر بالحب .

مادلين : هل أسفت على فقدانى ؟

أوليس : (**لطيفا بقدر الإمكان**) - كلا !

مادلين : أحيانا ، فى المساء ، اسمى لم يكن يخطر ببالك ؟ تتساءل : " ترى ، كيف أصبحت مادلين ؟ "

أوليس : كنت أتصور نهاية مصيرك ، كل شىء صار مبتذلا ، شكلك كان يزداد سوقية ...

مادلين : حسنا . أشكرك .

أوليس : حقا ، ماذا أصبحت ؟

مادلين : كما ترانى ، أمامك ، بهذه الزهور التى هى زهورك ، والثوب الذى كنت تحدثنى عنه دائما فى الماضى . هل تتذكر هذا الثوب ؟

أوليس : نعم. التقينا لأول مرة عند أصدقائك ، يوم أحد ظهراً فى الريف ، والشمس على أشدها ... كنت تشعرين بالحر ، وكانت ذرات من العرق فوق شفتيك ... شفتيك الحمراوين ... كم كنت جميلة ... كنت أقول لنفسى : لن أستطيع ما حييت أن أقول لمادلين إنى أحبك .

مـــــــادلـين : كنا قد تعارفنا منذ قليل .

أولـــيـــس : وثوبك الذى طالما تمنيت أن أتحسَّسه . دعينى أتحسس هذا الثوب الذى أراه لأول مرة بعد ذلك اليوم الذى أحببتك فيه .

مـــــــادلـين : أنت تذكر أن المودة كانت قد تغيرت ، حينما التقينا للمرة الثانية بعد عام .

أولـــيـــس : أوه ! فى ذلك المقهى الكئيب كما هى جميع مقاهى باريس بلا شمس .

مـــــــادلـين : **(كما فى الماضى)** – " صباح الخير يا سيدى ، ألا تعرفنى ؟ "

أولـــيـــس : أوه ! بلى ! أعرفك – كنت قد انتقلت إلى سكن آخر مما جعلك تتكلمين عن الشقة وهكذا عرفت عنوانك . وفى اليوم التالى ، أرسلت إليك أزهار السوسن . هل توجد هنا جميع خطاباتنا .

مـــــــادلـين : نعم .

أولـــيـــس : هل توجد بينها أول رسالة لك ؟

مـــــــادلـين : طبعا .

أولـــيـــس : **(يبحث ويقرأ مطلع الرسائل التى تقع فى يده مصادفة)** – " معبودتى الحبيبة ... " كلا ، ليست هذه " صغيرتى مادلين ... " كلا ، ليست هذه أريد رسالتك الأولى ... " هذه الرقة والعذوبة ... " كلا ، رسالتك الأولى **(ثم يقول من الذاكرة مطلع الرسالة :)** سيدى ، أكتب إليك وأزهارك البيضاء بين ذراعى – وأريجها ... "

(مادلين تذهب وتحضر أزهار السوسن – وتمثل أمامه والأزهار بين ذراعيها)

مـــــادلـين : هاهى ذى ، مع ثوبى الأول وجميع خطاباتى .

أولـــيــــس : عزيزتى مادلين .

مـــــادلـين : وتناولنا العشاء معا فى المساء نفسه . هل تذكر ؟

أولـــيــــس : وصبى المطعم الأبله !

(يدخل صبى المطعم فجأة وهو أحول ويتهته فى الحديث)

الصـــــبى : لا ، لا أريد أن يسخر أحد منِّى .

أولـــيــــس : صبى المقهى العزيز !

الصـــــبى : هل ستبدأ من جديد ؟

مـــــادلـين : **(لأوليس)** هل رأيت عينه ؟ ينظر كما يتكلم .

الصـــــبى : هل أنا أعاتبكما لأنكما تتعانقان فى كل مرة أصل فيها بالأطباق ؟

نيـــقـــولا : **(من الباب)** أهذا هو الذى ستطلقه ؟ لأن هناك أكثر من سبعة آلاف ينتظرون .

الصـــــبى : أعرفهم تمام المعرفة .

نيـــقـــولا : شىء لا يصدَّق ، عدد رهيب ، عدد صبية المقاهى الذين يمكن أن يراهم الإنسان طوال حياته . إنهم موجودون كأنهم أشباح قذرة ، لا ملامح لهم .

أولـــيــــس : **(للصبى)** لا تغضب . اجلس هنا .

الصـــــبى : وأنتما تشكوان لأن الكشك المظ كان من النوع المحفوظ فى المعلبات . كان فى الشتاء ...

أوليس : أنت جزء من المشهد . وجهك ، وجه البهلوان يرتبط بمغامرة حب عجيبة **(إلى مادلين)** لأننا سنحب بعضنا ؟
مادلين : يالك من طفل !
أوليس : كنت أحبك منذ عام ، لكننى لم أكن آمل أن أستطيع يوما ما أن أصارحك بحبى . ليكن . ليحدث ما يحدث . ستضحكين منى إذا أردت . كل ما أرجوه منك ألا تغضبى : لا أستطيع أن أقاوم الفرحة التى أشعر بها وأنا أقول لك ، لك أنت : " مادلين ، أنا أحبك "
(يتعانقان)
الصبى : بمجرد انتهائهما من تناول المشهيات ، لا يتوقفان .
مادلين : تعال .
أوليس : (حائرا) إلى أين نذهب ؟
مادلين : ألا تذكر ؟ لقد ذهبنا إلى بيتى لنرى كم ستكون أزهار السوسن البيضاء جميلة فى وعاء الزهر اللبنى .
(أوليس يرى ذكرياته من حوله)
أوليس : لا تدْخلوا هكذا بسرعة أنتم الآخرون . ابقى يا مادلين حتى النهاية ، لا تتركينى بعد الآن . أما أنتم ، فانصرفوا . فأنا لا أعرفكم . لا أعرف من تكونون . كل ما أعرفه أننى تعذبت كثيرا حتى الموت ثم عثرت فى آخر ساعة على لحظة من الراحة . مادلين ، ينبغى أن أنام نوما لا أحد يعرف أحلامه . وحتى أروح فى هذا النعاس ، ابقى بجوارى وحدثينى فى الحب .

مـــــادلـين : كنت رائعا . ظللنا متعانقين طول الليل من غير نوم . ولما بـدأت الشمس تشرق ، بدأنا ننام . ثم عندما أفقنا وجدناها فى كبد السماء ، شاحبة صافية ، شمس شتاء جميلة . وكنا نشعر بالجوع .

أولـــيـــس : ونحن اللذان كنا عشيتها لا نعرف بعضنا جيدا ، رحنا نرتدى ملابسنا ونحن نضحك .

مـــــادلـين : سنتان من السعادة .

أولـــيـــس : كل هذه الفترة ، تعتقد ؟

مـــــادلـين : سنتان ، مر الزمن سريعا ، يوما بعد يوم .

أولـــيـــس : وهذه الأيام ، حينما تتوالى فى الذاكرة ، كم تتقلص وتصغر وتكاد تتكدس داخل أحد الأدراج . وأنت متى تذكرتنى ؟

مـــــادلـين : فى إسبانيا ، فى مالاجا ، وفى الفندق ذى الأزهار التى كانت تنزل فى المياه الزرقاء ، والليالى التى كانت تضيؤها النجوم الزاهرة ، وأنت معى تردد على مسامعى : " أحبك يا مادلين ، أحبك . "

أولـــيـــس : نعم ... ومن حولنا ذلك الطنين من اللغات الأجنبية وصهيل الجياد المجروحة ، والدماء الحمراء ، والرجال الذين يقتلون الحيوانات وهم يرقصون – أو يعرضون أنفسهم للقتل وهم يصيحون قائلين : " برافو ، أيها الثوار . " أحبك يا مادلين ، أشعر أننى ولدت لأكون سعيدا .

الجـــــــد : (**متدخلا**) هـذه التى تـزعم أنهـا امرأة بلا أهميـة ؟ اسم ذهب طى النسيان ، خمسمائة رسالة غرامية ! رحلات وقبل تحت النجوم الساطعة - سعادة أنا لم أصادفها فى حياتى .

أولـــيـــس : أنت تباغتنا هكذا كوخز الضمير ... ولكننى يا جدى لم أكن تعيسا فى جميع ساعات حياتى ودقائقها ، ولم أنتحر سوى مرة واحدة .

الجـــــــد : عظيم . فلنواصل !

أولـــيـــس : لا . لن أواصل . الآن وقد تقدمت فى السن وتعذبت وأعثر على سعادة كنت قد نسيتها ... لقد نسيت ... مادلين أننا كنا سعيدين .

مـــــادلـين : حبيبى أوليس .

أولـــيـــس : ولكن ، من الذى فرَّق بيننا ؟

مـــــادلـين : لست أدرى .

أولـــيـــس : أنت لم تكونى مخلصة فى حبك .

مـــــادلـين : فى البداية ، كنت مخلصة .

أولـــيـــس : فى البداية ؟ وتخرجين دائما وحدك ، الآن ، وتعودين فى قمة السعادة أو فى قمة الحزن ، ودائما متعبة .

مـــــادلـين : وأنت ؟

أولـــيـــس : وأنا أيضا .

مـــــادلـين : ومع ذلك فنحن سعيدان .

أولـــيـــس : هل تعتقدين ذلك ؟

مـــــادلين : نحن صديقان صدوقان .

أولـــيـــس : صدوقان ؟ لا يا مادلين . كل منا يكذب على صاحبه وأنت تكذبين عليَّ .

مـــــادلين : أقسم لك ، يا صديقي ...

أولـــيـــس : أقسمي لي فقط بأن تذهبي لتحضري حقيبتك التي تركتها في المدخل ، أن تحضريها لي دون أن تفتحيها وأن تتركيني أفتحها بنفسي .

مـــــادلين : حالا .

(تخرج)

الجـــــــد : ماذا جرى ؟

أولـــيـــس : هذه عاهرة !

الجـــــــد : ماذا ؟

أولـــيـــس : كيف كانوا يطلقون على أمثالها في الماضي ؟ قطَّاعة ... إنها تعيش على حساب رجل غني يغير من اسمه دائما

الجـــــــد : ألم تكن تعرف ذلك يا عزيزي ؟

أولـــيـــس : كانت تقول لي : " لا ، هذا غير صحيح . " وكنت أصدقها لأنني كنت أحبها كثيرا .

الجـــــــد : ومنذ قليل ، وعلى حين فجأة ، عرفت جزئية جديدة ؟

أولـــيـــس : لا . ولكن القرف جاء مع الملل . إنها من جنسك يا جدي . تحتاج إلى نقود .

الجـــــــد : في بعض الأحيان ، ...

أولـــيـــس : حسنا ! أنا لن أبيع نفسي ، حتى ولو للسعادة . لن أخضع أبدا .

(صفق باب)

نيـــقـــولا : سيدى ، الآتية رحلت قبل قليل .

أولـــيـــس : ماذا ؟

نيـــقـــولا : ترددت وهى تأخذ حقيبتها ، ثم قررت دفعة واحدة .

أولـــيـــس : لكنها ستعود ؟

نيـــقـــولا : حاليا ، هى مقتنعة بأنها لن تعود أبدا .

نيـــقـــولا : أرضيت ، إذن ؟

أولـــيـــس : الحياة ليست ببساطة رهان يا جدى ؛ إننا لا نحصر مصيراً بين لفظتى نعم ولا . وبخاصة مع امرأة مثل مادلين . نيقولا ، أين هى ؟

نيـــقـــولا : لا أعرف يا سيدى .

أولـــيـــس : اذهب وابحث عنها .

الجـــــــد : وهل سترضى أن تعيش مع امرأة حاجتها للمال تفرض عليها نوعاً معينا من الحياة ، كنت تقول عنه ...

أولـــيـــس : حتى بعض الرجال المتعاظمين يمكن فى بعض الأحيان أن ينزلقوا إلى غراميات مؤثرة . حينما صادفتها ، كنت عائدا من الحرب . كنت بطلا ، بطلا ضائعا ...
(يدخل ماكسيم ٢٠) أوه ! أنت يا صديقى ستفهمنى .

ماكسيم ٢٠ : للأسف ، حينما علمت بخبر هذه الخيانة التى لا تغتفر ، والتى أنا منها برىء ...

أولـــيـــس : لقد طردتها . أردت أن أقوم بدور الرجل القوى ، وأنا وحيد وضعيف . إن جسدها غض . أخبرها أننى صفحت . بل إننى امتثلت .

ماكسيم ٢٠ : ما أروعك يا أوليس إذ تستطيع أن تصفح ! وما أعذب كلامك هذا الذى ينزل برداً وسلاماً على قلبى .

أوليس : ألا تسىء الظن بى ؟ ألست فى نظرك جبانا ؟

ماكسيم ٢٠ : أنا أريد سعادتك ، إذا كانت ما تزال هناك فرصة لكى تكون سعيدا .

أوليس : حينما علمت أنها تخوننى ...

ماكسيم ٢٠ : باسم صداقتنا ، اسكت . لشد ما أشعر بالخجل .

أوليس : ماذا تريد ... أنا فى حاجة إلى أن أكون قريبا منها . اعمل كل جهدك لكى تجعلها تعود . أريد أن أعيش ؛ وأنا لا أقوى على العيش دونها .

ماكسيم ٢٠ : لكى تعيش يا أوليس ، أنا أعطى ...

أوليس : ولكن لعلها لا تريد أن تعود ؟ أين هى ؟

ماكسيم ٢٠ : سأذهب إليها ، وأتوسل إليها ، بل وأحضرها بالقوة إذا لزم الأمر !

أوليس : هل تعرف أين تختبئ ؟

ماكسيم ٢٠ : نعم .

أوليس : إذن ، ابذل كل جهدك ...

ماكسيم ٢٠ : مادمت قادرا على الصفح يا أوليس ، فلعل كل شىء لم يضع . ولعلك تستطيع أن تواصل الحياة .

(يخرج)

نيقولا : **(للجد)** – ينتظرها . ولكن مادلين لن تعود أبدا .

الجد : وهو يعتقد أنه لم يحبها ...

نيــــقـــولا : هس ! إنــه فى ذكــرياتــه ... نـعـم ، الرجـال على هــذه الحـال من التناقض والتذبذب ... قبل عشر سنوات ، كان يعتب عليها أنها هجرته ... والآن ، أنت سمعت المشهد : هو الذى كان قد طردها ...

(ماكسيم ٢٠ يصل بسرعة)

ماكسيم ٢٠ : عزيزى أوليس ! هاهى ذى ! هى أيضا تصفح عنك .

أولـــيـــس : صديقى

(تدخل يولاند)

يـــولانـــد : أخيرا ، تنصفنى يا حبيبى ...

(صمت)

أولـــيـــس : (**شاردا**) - من تكون هذه المرأة ؟

يـــولانـــد : (**فى اندهاش وعنف**) - أوليس !

أولـــيـــس : أعـرف ، يا إلهى ، أن اسـمى أوليس ! نيـقـولا ! جـدى ! كل شىء يختلط ، يتعقد ، ذكرياتى تتحول إلى كابوس . لا تفرح يا جدى . لا تقل إن حالى لم يرثى لها . لا تقل إن الحياة كانت كريمة معى . لا تقل إن " الحظّ " وافانى وأحببت . اليوم ، فـهـمت كل شىء . ليس المهم أن يحب المرء . وإنما أن يكون مـحبوبا . إن العمر يتقدم بى وأنا فى حاجة لمن يحبنى . اطرد هذه المرأة .

يـــولانـــد : أوه ! لكننى سأعود إليك !

(تخرج)

الجـــــــد : أنا أحبك يا بنى .

أوليس : أعـرف ذلك . ولكنك لست سـوى صـورة . وأنا أفكـر فيك دائما وأعرف أنك كنت ستحبنى . ولكنك لست قريبا منى على الأرض . وأنا لن أستطيع أن ألقاك إلا فيما بعد فى اللقـاء الذى يضربه الموت للأحـيـاء . لذلك أخـذت موعدا ، لأن أحداً لم يحبنى فوق هذا الأرض ، ولا حتى زوجتى .

(بيت تقترب)

بيت : ليس ظريفا أن تتحدث هكذا يا أوليس .

أوليس : (**وقد فوجئ**) من تكونين أنت ؟

بيت : إذا كنت تسألنى من أكون ، فأنا لست شيئا .

أوليس : لماذا تمسكين بهذا الشريط الأزرق فى يدك .

بيت : رجل اشتراه لى ذات صباح وأنا أعتقد فى السعادة

أوليس : مسكينة !

بيت : نعم .

أوليس : وسعادتك لم تدم طويلا ؟

بيت : كلا !

أوليس : أين قـابلتك ؟ اعـذرى لى نسيـانى، لكننى لا أعـثـر على نفسى فى أى مكان . أين عرفتك ؟

بيت : أنت لم تعرفنى .

أوليس : إذن ، ماذا تصنعين هنا ؟

بيت : هذا ما أحاول أن أعرفه .

أوليس : ما اسمك ؟

يـــــيـــــت : نسيت حتى اسمى ؟

أولـــيـــس : هات هذا الشريط ... هذا الشريط ... يا بيت !

يـــــيـــــت : أوليس !

أولـــيـــس : وكنت هنا ... قريبة ...

يـــــيـــــت : هل تتألم ؟

أولـــيـــس : أوه ! عفوا ! عفوا !

يـــــيـــــت : مازلت أحبك . لا تسألنى العفو .

أولـــيـــس : نعم ، أريد أن يكون آخر موقف لى فى الحياة عند قدميك ، أريد أن أتجمد فى وضع صلاة من أجلك أنت . التى أحبتنى .

يـــــيـــــت : حبيبى أوليس .

أولـــيـــس : نيقولا ! لا تزعجنا بعد الآن . إلا أن يشاء الله .

نيـــقـــولا : ولكن يا سيدى ، الآلهة هنا منذ زمن طويل .

أولـــيـــس : الآلهة ؟ هل هم كثيرون ؟

نيـــقـــولا : حوالى خمسين .

أولـــيـــس : ماذا تقول ؟

نيـــقـــولا : من جميع الأعمار . والألوان . الصفر والحمر والسود . يوجد بوذا من الجبس ، فوق مدفأتك ! إذا كنت طالبا هناك أيضا يسوع الصغير الذى تعلقه والدتك فى رقبتك يوم مولدك والذى ستمصه بشفتيك حينما تؤلمك أسنانك وهى تنبت .

أولـــيــــس : آه ! هـذه آلهـتى ! لقـد سـقطت كمـا سـقطت أسـنانى الأولى . يمكـن أن تحـرقـهـا . ولا تعـد إلى إزعـاجنا . أريد أن أتوقف عند هذه اللحظة .

(**يعود إلى بيت**) لأننى لا أريد أن أرى نفسى مرة أخرى وأنا أهـجـرك . لـم أعـد أريد أن أسـمع بكاءك ، ولا أن أتذكر الأعذار التى انتحلتها فى طبيعتى المتقلبة ، لكى أهجرك وأجعلك تتعذبين .

يـــيـــت : لا تعجل بالحديث عن هذا من الآن .

أولـــيــــس : بيت . أخبرينـى ، حينمـا أطلقـت أنـت الرصـاص علـى نفسـك ، هــل استعرضـت حياتك ، أنت أيضا ؟

يـــيـــت : لا . أنا لم أر سواك ، أنت الذى من أجله أردت أن أموت .

أولـــيــــس : وبعد ذلك ؟

يـــيـــت : أفقت من حلمى ، فوق سرير بالمستشفى وكنت أنت غائبا . لم يكن لى أن أراك ثانية إلا هذا المساء ، حيث أنا أخيرا بين ذراعيك .

أولـــيــــس : يا حبى الغالى .

يـــولانـــد : (**تقـتـحم المكان**) وأنا ! أنا ! مـاذا يصنع بى فـى هـذه القصة ؟

(أوليس يتقدم ، وقد أصابه الرعب ، بطيئا نحو يولاند . موسيقى عرس تصدح .)

ســتار

الفصل الثالث

(الديكور نفسه)

الجـــــد : لن يستطيع أن يقنعنى بأن حياته كانت لا تطاق . لقد خسر الرهان .

نيـــقـــولا : انتظر .

الجـــــد : (**للأب**) - ما رأيك أنت ؟

الأب : أنا أنتظر .

الجـــــد : ولكن أنت الذى مت عجوزا طاعنا فى السن ، هل تفهمه أكثر منى ؟

الأب : إيه ! كلا . أوليس كان دائما مجنونا .

الجـــــد : ولكن أنت الذى مت طاعنا فى السن، هل كنت تستسلم للموت عشية موتك؟ (**صمت**) ماذا كنت ترغب يوم موتك ؟

الأب : عشر سنوات أخرى هادئة لكى أتأمل حياتى المنتهية .

الجـــــد : أوليس لا يحب أن يتأمل ؛ إنه يفور ويغلى . لقد لاذ قبل قليل بالفرار تحوطه النسوة والرجال وسط ديكور من المناظر الطبيعية والمدن التى تختلط وتنفصل ثم تتلاقى . أوليس كان فى غاية السعادة .

نيــــقـــــولا : (كئيبا حزينا) – فلنتهيأ أيها السادة للبكاء .

الأب : لماذا ؟

نيــــقـــــولا : لأنه مـع قمة السعادة التى كان فيها ، هرب ، بكل أسف ، إلى آخر يوم فى حياته . وعما قليل سيقابل " يولاند " ويعلم بأمر الخيانة التى ارتكبتها فى حقه هذه المرأة التى كان يعتقد أنه يحبها . أكثر من نفسه ، ثم يطلق عدة صرخات ، ويتناول مسدسه و ... حينئذ ينتهى كل شىء .

الجـــــــد : أنا سأمنعه عن ذلك .

نيــــقـــــولا : كلا . فى الحياة كل شىء فريد : التجارب مثل الثوانى التى تمر . شعور بوخز الضمير لا يحل محل تصرف معين . وشعور بالندم لا يمحو أثر كلمة معينة . ما قد قيل سيتكرر مرة أخرى . كم سيكون المشهد مؤلما !

الجـــــــد : أين هو الآن ؟

نيــــقـــــولا : هـو يسـتعد ، سيأتى ليحدثنا عن الوحدة التى ملكت عليه حياته ، وكيف أن أصدقاءه ابتعدوا عنه وحماسته تخلت عنه . سيتحدث عن مـدى طهـارة هـذه الفتـاة . ثم يقـرأ مـرة أخـرى الرسـالة الزرقـاء التى مطلعـهـا : "حبيبى" وأخيرا المسدس والناس الذى يستولى عليه ... أوه ! ...

الجـــــــد : وهل ستكون اللحظات الأخيرة فى حياته بهذه الأهمية ؟

نيــــقـــــولا : بالنسبة له ، طبعا . فهذه آخر مرة يستعمل فيها كلاما بشريا يعبر به عن قلق ربما يكون عاما وشائعا .

الأب : ابنى حبيبى !

نيــــقـــولا : بما أن المشـهد النهائى سيبدأ بعد قليل ، فعلينا أن ننتهز فرصة هـذا الهدوء لكى يودع كل منا الآخر .

الأب : ألن تتركونا معه وحدنا ؟

نيــــقـــولا : عند إطـلاق الرصـاص ، علينـا أن نفـترق . أنـت ، وأنـت - لكى تغـيبـا فى نسْـيان أرضى نهـائى - فلقـد كـان أوليس آخـر شـخص على الأرض يفكر فـيكمـا ؛ وأمّـا أنا فلكى أعود إلى جسدى ، جسد الكائن الحى لأننى - وهذه خاصية أتمسك بها كثيرا - سأواصل الحياة (يعيِّن مكان المشهد الأول) هنـا ، وحيث لا أرى نفسى ، وحيث ترتعد فرائصى أمام سيدى الذى يحتضر مع أفكاره .

الجــــــــد : وهكذا سوف تعود أنت إلى مغامرات تجهل نهايتها ؟

نيــــقـــولا : نعـم . وبطبيـعة الحـال ، سـتكون الأيـام الأولى صـعبـة بالنسبة لى ... فمن وصـول الطبيب الذى يواسى سيدتى ، وإلى الشـرطة ، إلى إجراءات الدفن وفراق سـيدى الذى كنت أحبـه . (يبكى) كما ينبغى أن أبحث لى عن مكان آخـر . أليس من الغـبـاء أن يقـتل المرء نفـسـه من أجل عاهـرة كتلك ؟

الجــــــــد : ولكن ما رأيك أنت فى هذه القصة ؟ لماذا خانته زوجته ؟

نيــــقـــولا : وهــل تعـرف لـمـاذا ترتكب النسـاء الحـمـاقـات ؟ إنـهن يتـصـرفن بالعكس كمـا تحطم الطبـاخات الأوانـى. إنهن يسـتوحين مـثل هذه السـخـافات من مـصـادر شـخـصـية تخيِّب كل الظنون والتوقعات .

الأب : (**للجد**) – ولكن ما الموقف الذى سنتخذه حينما يصرخ من الألم ؟

الجـــــــد : بالنسبة لى ، قمت باستدعاء طبيب ، وممرض ، ونقالة ، والصليب الأحمر ... ولما لم أجد أحداً . حاولت أن أنتظر طلوع الشمس ... وجعلت أعد ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦ حتى ٦٠ ثم أكرر من جديد ؛ كان الليل بارداً وكان البرد يتسرب إلى ساقىَّ . وأنا أعد ٥٨ ، ٥٩ ، ٦٠ ، ١ ، ٢ ، ٣ ،٤، ... هذا كل ما أعرفه .

الأب : ولكن أوليس لم يوافق على استعراض حياته إلا من أجلك أنت . سيتعذب بسببك مرتين .

الجـــــــد : ولكنك كنت متفقا معى ...

الأب : على أن انتحاره شىء مؤسف ...

الجـــــــد : وهل تعرف الآن الأسباب ؟

الأب : لماذا كل هذه الغطرسة ؟ أنت نفسك غيرت رأيك – وأصبحت تشاركنى الرأى .

الجـــــــد : أى رأى ؟

الأب : لكى نقتنع بأن موته كان ضربا من الغباء ، نحاول أن نجعله يموت مرة أخرى . مسكين ابنى ، مسكين .

نيـــقـــولا : آه ! أسمعه الآن وقد بدأ فعلا يردد اللازمة " لماذا خنتنى؟... لماذا خنتنى ؟ ... سأقتل نفسى ... "

(يدخل أوليس ، وحوله بيت ومادلين والمجهولة)

الجـــــــد : (**فى غاية الانفعال**) أى بنى ... ابنى المسكين ...

أولـــيـــس : آه ! جدى ، يالها من رحلة رائعة ...

الجـــــــد : **(مندهشا)** - ماذا تقول ؟

أولـــيـــس : أنت مت وأنت شــاب ، هـذا مـفـهـوم ... ولكن ليس من الضرورى مثل هذه الخبرة الطويلة بالنساء لكى نعرف أنهن غيورات فيما بينهن ولا يتَّفقن على رأى واحد . انظر إلى صديقاتى ، ألا تراهن رقيقات ناعمات ؟ تحب كل منهن الأخرى كما أحبهن أنا . ونحن نتبادل أجمل ذكرياتنا . لعبة جميلة ، لعبة أجمل ذكرى .

يـــيـــت : وهذه الذكرى : رائحة البطاطس المحمرة والقواقع التى أكلناها فى ذلك المطعم الصغير صبيحة اليوم الأول . وذكرى أخرى أجمل : ذكرى ابتسامة الساقية التى كانت تبتسم لنا لأننا كنا نتبادل القبلات .

مـــــادلين : ومحطَّة أورسى ، وتذاكرنا فى جيوبنا ، مبكرين ، هادئين ، ننتظر على راحتنا السفر إلى إسبانيا ...

المجـــهـولة : أما أنا ، فكم كنت سأكون سعيدة لولا ذلك البلل فى قدمىَّ .

أولـــيـــس : فى كل خطوة كنا نسمع نزع الماء ، والهواء الذى كان يتسرب بين الشراب والنعل كان له صوت حزين يصاحب نزهتنا الوحيدة .

المجـــهـولة : كان الماء باردا ، قذرا . ولكن كم كنت أنت جميلا ، يا فارسى الجميل !

أولـــيـــس : بابا ، خلال حياتك الطويلة ، هل أحببت نساءً غير أمى ؟

الأب : حتى مع الأخذ فى الاعتبار الوضع الراهن ، فأنا أرى أنك تتجاوز الحدود المسموح بها فى عدم التحفظ العائلى .

أوليس : كنت أود أن أعرف إذا كانت النساء المحبوبات يقمن بمثل هذه الدورة الجميلة فى ذاكرة جميع الرجال . نعم (**إلى مادلين :**) أنت التى أحببتنى لأننى أحببتك ... (**إلى بيت :**) أنت التى أحببتك لأنك كنت تحبيننى ... (**إلى مادلين :**) ألا تشعرين بالغيرة حينما أقول لبيت إنى أحببتها أكثر مما كانت تعرف ؟

مادلين : وهل يبدو علىَّ ذلك ؟

أوليس : (**إلى بيت**) أكثر مما كنت أعتقد أنا نفسى . وأنت ، يا بيت ، هل مازلت تريدين أن تموتى لأننى أحب مادلين أيضا ؟

بيت : أنا لم أكن فى حياتى بهذه الدرجة من السعادة .

أوليس : (**إلى المجهولة**) - وأنت ، يا من التقيت بك ساعة فى حياتى ، ولا تفارقينى أبدا ، ولا أستطيع أن استغنى عنك ... أنت بالضبط حركة فى شارع ، نظرة بلا تفاوتات ، وجه محدد وبلا اسم ... وداعة كاملة كنت أهم بمعرفتها وأفلتت منى - ، كلا ، وداعة عرفتها وتصاحبنى .

(تدخل يولاند عنيفة)

يولاند : هل من الإنصاف إهانة امرأة بهذه الطريقة الوقحة ؟

نيقولا : (**إلى الأب والجد**) هاقد وصلنا !

أوليس : (**بكل أدب**) - هل تعرف كل منكن الأخرى ؟ طبعا ! ما أغبانى ! هذه مادلين ...

يـــولانـــد : (**مقاطعة**) – تشــرفنا ! حقـا تشـرفنا ! المـرأة سيـئة السمعة التى تعيش مع الرجل الغنى ، أليس كذلك ؟

مـــــادلـين : وأنت طبعا سيدة المجتمع ، حسنة التربية ؟

يـــولانـــد : عفوا . أنا أكرز جملة قالها زوجى .

أولـــيـــس : (**لمادلين**) هـذا صـحـيـح . ولمـاذا وأنا أتحـدث عنـك فيما مضى ، لم أحتفظ إلا بهذه الجزئية من الصورة ؟ يولاند ، حينما كنت أحدثك عنها ، كنت قد نسيت أشياء كثيرة ...

يـــولانـــد : إذن ، لم يكن هذا من التحفظ ؟

أولـــيـــس : وهذه بيت ...

يـــولانـــد : هذا يكفى . أنا أتصور يا سيداتى ، أنكن جميعا تعرفن سبب وجودكن هنا؟

(حركة جهل من النساء)

نيـــقـــولا : كنت على يقين مـن أنـها لن تتبـع قاعـدة اللعب ، المهزلة نفسـها فى الحيـاة العـامة . مثـلا : هى لا تقبل أن تقوم الطباخة وحدها بالذهاب إلى السوق .

يـــولانـــد : أكرر سؤالى : أتصور يا سيداتى ، أنكن جميعا تعرفن سبب وجودكن هنا؟

يـــيـــت : لا . نحن سعيدات ولا نسأل عن شىء آخر .

يـــولانـــد : أوليس ! كم من الوقت ستجعلنى أنتظر أيضا ؟

أولـــيـــس : أجعلك تنتظرين ؟ تنتظرين ماذا ؟

يـــولانـــد : أليس من المفــروض ، يومـا بعــد يوم ، أن تصل إلى أيامنا – ثم إلى يومنا الأخير ؟ أنا على عجلة من أمرى لأبرر موقفى ، وأشرح لك .

يـــــيـــت : (**تضحك ضحكة عالية ، ثم بجدية :**) نحن لم نعد نعيش بترتيب الأيام .
نحن ندور . نحن نكرر الكلام نفسه بالفرحة نفسها .
شريط أزرق ! أوليس! شريط أزرق ! وهي تأتي بأزهارها ، أزهار السوسن البيضاء . نحن لا نملك ، تحت أيدينا ، سوى عدد محدود من الحركات أو التصرفات ، ولكن يمكن أن نظل نكرر ونُعيد إلى ما لا نهاية .

أولـــيـــس : يولاند ، ولكن أنت في العشرين من عمرك ! هذا ثوب عيد ميلادك . أنت متحفظة ، كتومة وأخالك رقيقة وديعة ...

يـــولانـــد : (**ترتمي على قدمي أوليس**) سامحني !

مـــادلـين : آه ! هذه هي حركتها !

يـــولانـــد : سامحني ! لم يكن من حقي أن أنسى أنني حبك الوحيد .
(**ضحك النساء**)

أولـــيـــس : لماذا تطلبين مني أن أسامحك ؟

يـــولانـــد : فليخرجوا جميعا .

أولـــيـــس : فليخرجوا ؟ لماذا ؟

يـــولانـــد : (**هامسة**) - أنا لست مذنبة . لست مذنبة تماما .

أولـــيـــس : أي ذنب ؟

يـــولانـــد : يا أوليس ، تلك الرسالة التي عثرت عليها ...

أولـــيـــس : (**ببساطة بالغة**) نعم ، لقد أعدنا قراءتها معًا .

يـــولانـــد : معقول ! هل سمحت لنفسك ...

أولـــيـــس : إنهم لا يفارقونني أبدا ، قلت لك ...

يـــولانـــد : **(وقد شعرت بالإهانة)** - رسالتى ! ... أمام كل هؤلاء المجهولين ، أوه !

(تشعر بالخجل ، هائجة ، عاجزة)

أولـــيـــس : حبيبتى . لا داعى لاضطرابك هذا . مادلين كتبت أسوأ منها فى الماضى .

وانظرى مدى السعادة التى نحن فيها اليوم .

يـــولانـــد : **(عاجزة)** أسوأ منها ؟

أولـــيـــس : أكثر من ذلك ، رسائل تسخر فيها منى **(إلى مادلين)** تلك الرسالة ، لماذا فعلت ذلك يا مادلين ؟

مـــادلـين : لأنك كنت مدعاة للسخرية .

أولـــيـــس : **(يضحك سعيدا)** هذا صحيح !

يـــولانـــد : **(متوترة)** لكن أنا خنتك !

أولـــيـــس : وهى أيضا . بالمناسبة ، أخبرينى الآن ، لماذا خنتنى ؟

يـــولانـــد : لا أعرف . لم أعد أعرف ...

أولـــيـــس : أرايت ؟!

يـــولانـــد : أنت لم تعطنى الفرصة لكى أشرح لك ...

أولـــيـــس : حسنا ! فلنبحث معا ! هل تريدين أعذاراً معقولة ؟

يـــولانـــد : أنا فى منتهى الخجل والحياء من أن أحدثك فى مصيبتى إذا لم تأخذها مأخذ المأساة . هل يمكن للمرء أن يعترف بذنبه دون صراخ ودموع ؟

(صمت)

أولـــيـــس : أنا أسمعك .

يـــولانـــد : فى هــذا الهـدوء ، كلامى يتفاقم ويجعلنى أحمر خجلا ... أنت تستمع إلىَّ هكذا - وتنظر إلىَّ - وتبتسم ...

أولـــيـــس : كنت فى غاية السعادة وأنا معك .

(تسمع موسيقى عرس مشهورة)

يـــولانـــد : حاول أن تذكر !

أولـــيـــس : هذا كل ما أفعله .

يـــولانـــد : أنت أحببتنى لأننى كنت فتاة طاهرة .

أولـــيـــس : اضطراباتك الأولى كانت تفتننى .

يـــولانـــد : كنت تحبنى لأننى كنت سأصبح صاحبتك الوفية حتى آخر ساعة .

أولـــيـــس : ساعتى الأخيرة حانت مبكرا بعض الشىء ، ولكن حتى آخر ساعة من سعادتى ، ألم تكونى صاحبتى الوفية ؟

يـــولانـــد : أنت تتطلع إلىَّ وأنا فى الثوب الأبيض ، والكنيسة مليئة بالشمس ، والأصدقاء المهنئين ، والأغانى الرائعة - وذات يوم ، وذات يوم حل ، سأخونك .

أولـــيـــس : ساعدونى جميعا : لماذا تخون المرأة الرجل ؟

يـــولانـــد : أنت بشع !

أولـــيـــس : ربما لم تعودى تحبيننى ؟

يـــولانـــد : لا ، لم أكن أحب سواك .

أولـــيـــس : من بينكن جميعا فى تمثيلنا هذا ، تحتفظ لها بدور المرأة البلهاء قليلا - أليس كذلك ؟

يـــولانـــد : (**حانقة**) - عما قليل ستحين لحظة تكف فيها عن السخرية منى .

أوليس : لأنك ستقولين لى لماذا خنتنى .

يولاند : ... وبين ذراعيه كنت أحدثه بلا كلفة بصوتى الذى تغير .

أوليس : كم مرة خنتنى ؟

يولاند : عدة أسابيع .

أوليس : هل نمت معه عارية ليلة كاملة ؟

يولاند : مرة ، نعم ، رآنى نائمة فأيقظنى وهو يقبلنى .

أوليس : ولكن لماذا ؟

يولاند : لا أعرف .

أوليس : لماذا تعلقين كل هذه الأهمية على حركاتك وكلامك ؟ لو كنت شعرت باليأس ، فذلك لأننى وجدت نفسى وحيدا معك على حين فجأة .

يولاند : أنت وحيد معى لأنك لا تحب سواى . انظر ، ما يزال الحبر على إصبعى.
أنت تذكر ، أول أمس ، حينما عدت ، أننى أسرعت بإخفاء رسالتى وأن الحبر ما يزال رطبا على إصبعى ... انظر هذه البقعة . أوليس ، من كل هذا الحب ستسطّر كلمات حب من أجل آخر .

أوليس : ومن سيمحو كل رسالة الحب هذه المجتمعة على إصبعك ؟

يولاند : ومن أجل أعز أصدقائك . ولن تتحمل أنت ذلك ، أيها المغرور .

ييت : ربما لن يتحمله ، بالذات لأنه أحبك ؟

مادلين : حذار يا أوليس ، إنها تريد أن تعذبك ، تعزلك فى عذابك ، لكى تطردنا جميعا .

أوليس : على أية حال ، هى على حق . فقد كنت مغرورا بدرجة رهيبة . غروراً يا جدى ، أعترف بأنه حملنى فى بعض الأحيان على أن أحتقرك ...

الجد : **(مذعورا)** ماذا تقول ؟

أوليس : سامحنى . أنت أولا كنت صورة ، الفتى الهمام بطل " جرافيلوت " الذى كنت أشعر بالفخر به فى المدرسة فى أثناء دروس التاريخ ، ثم أصبحت سؤالاً مقلقا ...

يولاند : أوليس ، لا أظن أنك ستنسانى .

أوليس : خففى من صخبك قليلا ، يا امرأة أفكارى . يا أصدقائى ، أنا معكم لأخرج من نفسى ، للأسف . ـ وإذا كنتم فى بعض الأحيان توحون بشىء من السخرية ، فذلك لأننى أحب أن أسخر من نفسى . ولكن فى هذه اللحظة التى أترككم فيها ، فإننى قد ألتقى ، على الجانب الآخر من الخط ووراء الدموع والتنفس، بالقصة الحقيقية لجميع الذين أحبوا بعضهم بعضا منذ قرون طويلة ، لكى يولد لهم طفل يترعرع ويكبر ويصبح أوليس . أين أنتم يا أجدادى ويا آباء أجدادى ، يا من تنتشرون فى كل جيل ، أربعًا أربعًا ، تنتشرون وتنتشرون حتى تحيطونى بأفق من الأسلاف ؟ تُرى من كان الشخصان اللذان فى كل ربيع من الأجيال ، كل عشرين عاما ، منذ آدم وحواء ، أنجبا للدنيا فتاةً كان ينتظرها فتى لكى ينجبا يوماً ما هذا الولد الصغير ؟

يـــولانـــد : أوليس !

أولـــيـــس : آه ! يا جميع آباء وأمهات حياتى ، أنتم يا من تبلغون العشرين كل العشرين عاما ، منذ أجيال وأجيال ، يا من تحدثتم لغات لا أعرفها ، يا من عرفتم جميعا ، على ما أظن ، كل أنواع العذاب والفرح ، تعالوا واستقبلونى فى آخر يوم وأعينونى ، وأنا الذى أدخل فى هذه الأرض دون أن أترك أحدا خلفى .

(الأب والجد يسندان أوليس)

الأب : أى بنى !

أولـــيـــس : أنا لم أستطع أن أسأل سواكما ...

الجـــــد : وبعد ؟

أولـــيـــس : مغامرتك لم تساعدنى كثيرا ! على العكس !

الجـــــد : ولكنك قلت ...

أولـــيـــس : أوه ! شىء مثير للغاية بالنسبة لطفل صغير أن يكون فى أسرته بطل ، لكن الطفل الصغير يكبر .

الجـــــد : ليتك تشرح لى .

أولـــيـــس : لقد عرفت عنك الكثير .

الجـــــد : (**قلقاً**) - منذ متى ؟

أولـــيـــس : منذ الحرب . حينما كنت أبيع الكاربيراتير الطراز الجديد فى الجراجات.

الجـــــد : ولكن من حدثك عنى ؟

أولـــيـــس : ليس عمال الجراجات طبعا .

الجــــــــد : **(الذى يريد أن يخرج من الحرج)** أنا حتى لا أدرى ماذا تقول .

أولـــيـــس : ولكننى من خلال تجميع بعض العبارات التى صدرت عن بعض العجائز فى الأسرة وأجزاء من رسائل، وحسابات بعض موثقى العقود ، اكتشفت شيئا فشيئا وأعرف الآن أنك ، يا بطل جرافيلوت ، قد بعت نفسك بعد أن حسبتها جيدا ، بلا حب وبلا عاطفة .

الجــــــــد : **(مغلوبا على أمره)** مادمت قد عرفت ! لكن أنا - لو كنت أعرف !

أولـــيـــس : **(للآخرين)** لقد تزوج فى سن العشرين من آنسة جافة ، لأنها كانت غنية ، فقط لأنها كانت غنية .

الجــــــــد : أنا أعترض ! لقد توصلت إلى أن أحببتها لأنها كانت غنية . كنت أحب فيها الغنى ، كما يحب غيرى فى زوجاتهم الوجه الجميل أو الروح الطيبة .

أولـــيـــس : ولكنك كان من الممكن أن تختارها غنية وأقل نحولا .

الجــــــــد : لقد قمت بهذه التضحية لأؤمن حياتى فى سن الخمسين . غبى !غبى ! غبى! **(مادلين تطلق ضحكة عالية)** اضحكى ! اضحكى ! ولكن من يستطيع أن يصف اليأس الذى يصيب الغزاة المجهولين لأنهم يموتون قبل تحقيق الغزو ؟ لو كنت أعلم أنى سأموت فى سن العشرين . فهل كنت تزوجت ، قبل موتى بستة أشهر ، فتاة متغطرسة ومزعجة من أجل (**صداقها**) غناها؟

أولـــيـــس : مسكينة جدتى !
الجـــــــد : هل ستحكم علىَّ من شعرها الأشيب ؟
الأب : هى أمى .
الجـــــــد : بالنسبة لى ، لم تكن سوى زوجتى . كنت أريد أن أترك لكم جميعا ثروة آه! افهمونى . كنت واثقا من أننى سأصبح غنيا ببضعة مئات الآلاف من الفرنكات . لذلك تزوجت أمك . واشتريت الأراضى .
مـــادلـين : سامحونى جميعا إذا قلت لكم إنه على المرء أن يثق تماما من أنه لايساوى شيئا لكى يقيل أن يبيع نفسه .
أولـــيـــس : عزيزتى مادلين . لماذا تذكريننى بهذه الجملة البشعة التى أندم عليها ؟
الأب : لا تستطيع أن تلوم نفسك على آنك عشت حياة صعبة لأنك وأنت تتزوج نسيت أن تتنبأ بحرب عام ١٨٧٠
الجـــــــد : متى بعت هذه الأراضى ؟
الأب : عام ١٨٧٥ .
الجـــــــد : بكم ؟
الأب : بمائة فرنك المتر .
الجـــــــد : الهكتارات الثلاثين ؟
الأب : نعم .
الجـــــــد : يعنى ثلاثين مليون فرنك !
الأب : نعم .
الجـــــــد : وماذا صنعت بالأموال ؟

الأب : أمى ضيعت أراضيها .

الجـــــــد : أوه ! أوه ! أوه ! ولم تدافع أنت عنى ؟

الأب : كما تعلم ، أنا كنت فى الرابعة من عمرى فى ذلك الوقت .

الجـــــــد : الرابعة ...

الأب : (**حزينا**) أمى اضطرت ؛ لإنقاذ ما تبقى ، أن تتزوج ابن موثق العقود .

الجـــــــد : أىّ أبنائه ؟ لم يكن عنده سوى صبى وقح بسروال قصير وبأنف قذر .

الأب : كبر بعد ذلك . كان أصغر من أمى بخمس سنوات . وكان يحب الجنوب والهدوء . لذلك فقد رحلنا جميعا إلى هناك . والحقيقة أنه لم يكن إنسانا سيِّئا . وهو الذى قام على تربيتى .

الجـــــــد : وماذا أصبح بعد ذلك ؟

الأب : مات هو أيضا . منذ فترة طويلة .

(صمت)

الجـــــــد : أنت على حق يا أوليس ! إذ تحتقرنى .

أولـــيـــس : لا ، يا جدى . أنا لم أعد أحتقرك . ثم إنك عشت حياتك أيضا . فى يوم زواجك ، واعتمادا على ثروة زوجتك ، ألم " تنتهز " فرصة شبابك ؟ ويوم اشتريت الأراضى ، ومع اطمئنانك بالنَّصر ، ألم تكن تعيش تبعا لنزواتك ورغباتك ؟

الجـــــــد : لكننى لم أحقق رغباتى .

أوليس : لا أحد يحقق كل رغباته بالكامل .

يولاند : أوليس ، مازلت فى انتظار لومك وعتابك .

أوليس : ولماذا اللوم والعتاب؟ أنتِ كنت معى فى غاية الرقة والوداعة وكنت أشعر بسعادة بالغة معك .

يولاند : ماذا ؟ هل فقدت الذاكرة ؟

أوليس : كلا ؛ بل أنا استعدتها ، يا فتاتى العزيزة ، الغضة الهادئة الطاهرة ...

يولاند : إذن ، أنت تذكر أول مساء كنا وحدنا . تحدثنى فيه عن طفولتك ، وأنت طفل رائع واسع العينين . تقول لى إن المرء كلما تقدم فى السن صغر حجمه لأن الأفق من حوله يضيق . دوائره تصْغر كل عام . أولا أنت تنسى نجومك والأرض نفسها تصبح غاية فى الاتساع لنظرتك . وذات يوم امتزج أفقك بحدود وطنك حيث تدور الحرب ، وتراكمت عليك السنون ، وظللت تتقدم فى السن واستمرت الدوائر تقترب شيئا فشيئا حتى عزلتك حتى عن أصدقائك . حينئذ راحت ذراعاك الصغيرتان ، ذراعا الطفل ، اللتان كنت تفتحهما على العالم ، تنحسران حولى . وتضاءل العالم ليصير فى حجم الفراش الذى أصبح عالمك .

ييت : (**شاعرة بالإهانة**) ومع ذلك خنته ؟

يولاند : ابق وحدك معى .

أولـــيـــس : لماذا ؟ مـن المسـتـحـيل علـيَّ الآن أن أسـتـمـع إليـك فى حضـرتـهم . لا تخـشى شـيـئـا . سـوف يسـاعـدوننى فى الصفح عنك . بل أستطيع أن أقسم لك أننى صفحت عنك .

يـــولانــــد : ولكنك لا تستطيع أن تصفح عنى .

مـــــادلـين : لعلك وحيدة نسجك ؟

يـــولانــــد : نعم ، على الأقل ، بالنسبة له .

مـــــادلـين : لا . لقد تعذب من أجلك ، كما تعذَّب من أجلنا .

يـــولانــــد : أنسيتم أننى الأخيرة ؟

أولـــيـــس : لم يعد هناك أولى ولا أخيرة .

يـــولانــــد : ذكريات رائعة ، حقا .

أولـــيـــس : **(جادا)** نعم .

يـــولانــــد : **(مـشـيـرة إلى بيت)** هـذه المرأة مـتـزوجـة . وفـى هذه اللحظة بالذات ، ربما تكون بين ذراعى زوجـهـا ، ـ وأنت تلاطفها أيضا .

أولـــيـــس : لا تتركونى وحدى مع هذه المرأة .

يـــولانــــد : آه ! يا له مـن وسـط جـمـيـل لـذكـرى رجـل مـتـوسـط ! وهكذا وهو يهجرنـا ، يحملنا ويحتفظ بنا .

الجـــــــد : **(فى غاية الرقة)** – أوليس !

يـــولانــــد : ولا تنسى أننى أيضـا ، فى ذاكرة رجل آخر ، أُعتبر الآن ذكرى .

أولـــيـــس : عاهرة !

يـــولانــــد : تحت أمره وطوع إرادته .

أولــــيـــس : عاهرة !

يـــولانـــد : إذن فأنت ما تزال تحبني ؟

(أوليس هائج . ينقض عليها . هي تصرخ وتنادى)

حبيبى ! حبيبى !

(ماكسيم ٣٧ يسرع . دخوله يهدئ أوليس . صمت)

ماكسيم ٣٧ : أنا أحبها - يا أوليس .

أولــــيـــس : لا أريد ! لا أريد !

ماكسيم ٣٧ : هـذه كارثة لنا جميعـا وكان ينبغى أن أعترف لك بها قبل ذلك . أنا أحب يولاند .

أولــــيـــس : هذا ليس صحيحا ! أنتم جميعا تريدون تعذيبى . كيف تجرؤ وتقول لى إنك تحب امرأة تحبنى وهى أملى الأخير ؟ افهمنى ! هذه فتاة أنا أحببتها وأصبحت زوجتى وصاحبتى وأنت صاحبى وصديقى .

ماكسيم ٣٧ : منذ عدة أسابيع ، ألتقى بها دائما فى غرفة نظل فيها وحدنا ساعات كاملة ثم تعود إليك . وأنا حينما أصافحك ، أصافحك بهذه اليد التى داعبت جسدها .

أولــــيـــس : مستحيل ، فى حلقى غصة كأننى فى كابوس . ليس هذا أكثر من كابوس .

يـــولانـــد : أول مرة ، حينما رفعتُ ثوبى ، كان يتطلع إلىَّ وهو يرتعد **(تشير إلى ساقها)** لأول مرة رأى ساقى **(أوليس ينقض على الثوب ، يخر على ركبتيه باكيا)** واليوم هو يعرف جسدى كله .

أولـــيـــس : وعما قليل ستخاطبينه قائلة " حبيبى " ، وتخلعين عليه جميع عبارات الحب الأخرى المنقوشة على بقعة الحبر فى أصبعك . من ذا سيمحو هذه البقعة ؟ من ذا سينسينى هذه الساعة ؟ لماذا تكون جميع الساعات التى نعيشها خالدة ؟

الجـــــــد : أوليس ، أودُّ أن أحولِّك عن قدرك ومصيرك . ولكن كم نحن عاجزين عن تخفيف آلام أعزّ من نحب ! نحن هنا جميعا نحبك وأنت تفرُّ منا . تتسرب منا . أنت تهوى فى شقائك يا أوليس .

يـــولانـــد : وهذه الشامة التى كنت أجهلها ، والتى اكتشفتها أنت فى اليوم الثالث بعد زواجنا والتى كنت سعيدا لأنك الوحيد الذى تعرفها – هو يعرفها ، وهو أيضا يحدثنى عنها .

مـــــادلـين : **(تواسى أوليس)** أوليس ، أنت صرخت أيضا من أجلى .

أولـــيـــس : نعم .

مـــــادلـين : ليال بأكملها . ثم نسيتنى إلى حد أن تحب بكل هذا العنف هذه المرأة الأخرى .

أولـــيـــس : نعم .

مـــــادلـين : **(باسم النساء الأخريات)** ... التى لا تساوى ما نساوى ، التى هى أقل منا شأنا .

أولـــيـــس : نعم .

مـــــادلـين : إذن ، فأنت على يقين من أن امرأة أخرى سوف تواسيك غدا ؟

(يولاند تضحك)

مـــــادلـين : **(بعد لحظة يأس أمام أوليس الذى لا يسمع سوى ضحك يولاند)** - اسمعنى أنا أيضا ...

أولـــيـــس : غدا ؟ غدا ؟ ماذا يعنى الغد حينما تكون هذه المرأة أمام عينىَّ ؟

(نيقولا يحضر منضدة صغيرة بدرج)

يــيـــت : ما هذا ؟

نيـــقـــولا : الدرج الذى سيأخذ منه المسدس .

الجـــــد : أى بنى ، ماذا باستطاعتى أن أصنع من أجلك ؟

أولـــيـــس : أن تقـول لى ما العلاقـة التى يمكن أن تقوم بيـن رغبتى فى الحياة بطموح كبير ، وبين بقعة صغيرة مختفية فى إحدى ثنايا جسد هذه المرأة .

يـــولانـــد : انظر يا أوليس وهو يعـانقنى . **(إلى مـاكـسـيم ٣٧)** عانقنى يا حبيبى !

(ماكسيم ٣٧ يقترب من يولاند وهو يرتعد)

أولـــيـــس : **(يلقى بنفسه بين أذرع النساء الثلاث)** صـديقاتى ! صديقاتى ! خذننى فى أحضانكن !

الجـــــد : حقا ، لقد تعذبت كثيرا ! سامحنى .

أولـــيـــس : **(شاردًا)** على ماذا ؟

الجـــــد : كنت أعـتـقـد أننى عرفت الكرب الأكبـر ، لكننى لم أكن أعرف النساء .

ماكسيم ٢٠ : **(داخلا فجأة)** عفوا ، يا أوليس !

أولـــيـــس : أنت أيضا ! ...

نيـــقـــولا : **(على حدة)** – ما أشد رقتنا مع الأموات !

أولـــيـــس : آه ! حينمـا انزلقـت فى البحيرة وأنت فى السابعة من عمرك ، لماذا ألقيت بنفسى فى الماء لكى أنقذك ؟ كان ينبغى علىَّ أن أتركك تغرق . لكننى أردت أن ألعب لعبة الأخ الأكبر ، لعبة البطل ، فقد كنت أجهل ما يخبئه لى المستقبل .

ماكسيم ٢٠ : ولكن أنا برىء .

أولـــيـــس : **(ساخرا)** – نعم !

ماكسيم ٢٠ : ولم أحب سواك فى الدنيا

أولـــيـــس : أنت أكثر من يعذبنى اليوم .

ماكسيم ٢٠ : لست أنا . أنا ليت لى علاقة بذلك الذى أصحبتُه **(ويشير إلى ماكسيم ٣٧)** أنا الوحيد الذى يفهم هنا . أقولها لك على الملأ : لا تندم على حياتك العاطفية .

الأب : دعنى أقل لك يا سيدى ، إذا كانت العاطفة تعد فضيلة شخصية ، فهى كارثة عائلية مقدسة .

ماكسيم ٢٠ : أنت أحسنت صنعا حينما لم تذعن لوضاعة قدرنا . أحسنت صنعا حينما عرضت بكل عنف دناءة الحياة اليومية . لو كنت مكانك ، لكنت فضلت أنا أيضا الموت .

أولـــيـــس : ولكنك للأسف لم تمت .

ماكسيم ٢٠ : هل كان بوسعى أن أتنبأ بهذه الخيانة ؟

مـــادلين : صحيح ، دائما ندرك بعد فوات الأوان .

ماكسيم ٢٠ : أنت التى تنصحينه اليوم ؟

مـــادلين : أنا أحببته أكثر مما أحببته أنت .

ماكسيم ٢٠ : لم يكن حبك مرحلة من أمجد مراحل حياتنا .

مـــادلين : المجد ! المجد ! تواضعوا قليلا أيها الرجال .

أولـــيــس : نتواضع ؟ حينما كنت أحلِّق مع الموت فى أثناء الحرب والسماء مليئة بالنجوم ، حينئذ كنت رجلا متواضعا . لكننا لم نعد نرى النجوم فى سماء المدن ، – والناس يركضون فى الشوارع تائهين شاردين . النجوم لا ترشد الملاحين فقط : فهى تذكر الناس بأنهم فوق الأرض بين أراضٍ أخرى . كارثة المدن الكبرى تكمن فى أنها لم تعد فيها سماء . وشقائى الحقيقى يتمثل فى أننى عشت معزولا عن النجوم .

(نجوم تضىء مع أن الوقت ليس ليلا)

ماكسيم ٢٠ : وأمام مشهد بهذه العظمة تأخذ دروسا فى الجبن والتخاذل ؟

أولـــيــس : بل فى التواضع !

ماكسيم ٢٠ : أنت تخضع إذن لوضاعة الحياة ؟ وأمام الرجل الذى كنته ، ألا تشعر بمذلة مخزية ؟

أولـــيــس : كلا . أنا كنت أتطلع إلى مصير مجيد . ولكن لماذا ؟ وباسم ماذا ؟ تأمل والدى بجوارى وهو يلزم الصمت إنه يتعذب فى قرارة نفسه بسبب آلام شخصية .

الأب : لا .

أوليس : أنا أعرف كل شىء عن داخلك ، مادمت وحدى الذى أجعلك تتكلم . إن جدى يشعر بخيبة أمل فظيعة بسبب برودك الذى قابلته به هنا فى أول لقاء لكما .

الجد : كيف لا أفزع وأنا ألتقى لأول مرة وفى مثل سنى ، بابنى فى مثل هذه الحال ؟

الأب : (**للجد**) لقد ظللت طيلة أيام حياتى أفكر فيك وأقول : " لو كان أبى هنا ... لو كنت عرفت أبى ... "

الجد : (**وهو يبكى**) نعم ... بطل " جرافيلوت " – ، أعرف .

أوليس : أنت لا تقول كل شىء ، يا جدى .

الجد : قبيل موتى ، وحينما تطرّق الحديث إليك ، ألم تخبرك أمك بأننى كنت أحب ابنى الذى كان سيولد حتى قبل أن يولد ؟ وأننى كنت أتوقع أن يكون المولود أنثى ؟ لقد متُّ مع أجمل ذكريات طفلة قادمة . ثم كنت أنت المولود .

أوليس : ذكرياتى ، علينا بالتواضع أمام هذه اللوحة الجميلة : طفلة أحلام ، تتحول إلى رجل همام يلقى حتفه ، وسط بطلين .

ماكسيم ٢٠ : أوليس ، أنت لم تعد كما كنت .

أوليس : بالعكس ، فمع كل هذه الذكريات ، أنا كما أنا لم أتغير قيد أنمله .

ماكسيم ٢٠ : وطموحاتك الكبرى ؟ وآلامك المبرحة ؟

(ماكسيم ٢٠ يتهكم)

أوليس : تتهكم لأننى أتساءل لماذا لم أدرك قبل الآن أن عظمة الإنسان الحقيقية هى فى أن يعرف أنه أقل من عادىً ، وألا يذعن لذلك وإنما يجد فيه القانون الذى يحكمه ؟

ماكسيم ٢٠ : أنت الذى كنت تحتقر الحياة ، لأنها ليست خالدة .

أوليس : أنا اليوم أحبها بالذات لأنها عابرة فانية .

ماكسيم ٢٠ : وهى تمضى مثيرة للسخرية .

أوليس : مثيرة للسخرية ، نعم ، ولم أكن فى حياتى أكثر سعادة من الآن .

مادلين : **(إلى أوليس)** – أوليس ، أخيرا . أنت وصلت إلى الغد ...

أوليس : إلى الغد ؟ فلتشرق الشمس سريعا ! **(يهبط الليل ، مخاطبا يولاند :)** ادخلى ، يا ملاكى العزيز .

يولاند : لقد أحببتك كثيرا ، يا أوليس .

أوليس : يا لها من سعادة !

ماكسيم ٢٠ : كيف تستطيع الآن أن تتعلق بأى أمل ؟

أوليس : أى إنسان على الأرض يعش بلا ذكريات ، فهو إنسان ضائع . وأنا استعدت ذكرياتى منذ قليل . فلتشرق الشمس ، أريد أن أعيش !

ييت : **(إلى نيقولا)** – دع المسدس ! فقد نجا من الموت .

نيقولا : للأسف ! لقد أُطلقت الرصاصة ولا شىء فى الدنيا يمكن أن يمنعها من الوصول إلى الهدف .

ييت : ولكن الله تعالى ، يمكن أن ...

نيقولا : الإنسان حر – ورضى بأن يتحمل المسئولية .

يــــولانــــد : ظللت أحبك ثلاث سنوات باستثناء هذه الأيام الثلاثة الأخيرة . لماذا تكون الأيام الثلاثة أرجح وزنا من ثلاث سنوات ؟

أولــــيــــس : عندى لك سؤال واحد أرجو أن تجيبى عليه : لماذا كنت تغنين ؟

يــــولانــــد : فعلت ذلك لكى أحقق لنفسى شيئا من التوازن والتماسك .

أولــــيــــس : ولماذا هذه الأغنية بالذات ؟

يــــولانــــد : لم أفكر فى ذلك كثيرا : شعرت بالرغبة فى أن أبكى ، أن أصرخ ، كنت أشعر بالخوف ، كنت أريد أن أتمرغ عند قدميك - وولّيتك ظهرى ورحت أغنى بكل بلاهة ...

(يولاند تهم بالغناء)

نيــــقــــولا : لا ! لا تغنى . فهذه إشارة الموت بالنسبة له .

أولــــيــــس : انظر يا نيقولا ، كيف أنظر إلى يولاند دون أن ترتعد أوصالى . تأمل كيف تغيرت من حال إلى حال .

نيــــقــــولا : المرء لا يتغير ، إن لم يكن التغيير هو ألا يكون ما كان .

أولــــيــــس : أنا لم أعد كما كنت . أولا ، معذرة يا جدى .

الجــــــــد : علام المعذرة يا بنى ؟

أولــــيــــس : على هذا المسدس . لم أعد أريد الآن أن أكون قاتل نفسى . وبذلك فقد فزت أنت برهانك الرهيب .

نيــــقــــولا : **(إلى يولاند)** لقد أمسك بالمسدس ، يمكنك أن تغنى .

أولــــيــــس : كم سنكون سعداء . لقد بدأت أعيش لتوِّى . تعرفون جميعا أن هناك سبع خطايا . وحياتى كما رأيتم كانت

بسيطة : لم يتسع الوقت لى لكى أكون بخيلا ولا حسوداً ولا كذَّابا ...

الأب : **(للجد)** – هل تعذبت وأنت تموت ؟

الجـــــــد : كنت أنتظر عربة الإسعاف ، وأنت ؟

الأب : أنا ، كان الطبيب موجوداً .

أولــــيــــس : **(إلى يولاند)** – ولكن أخبرينى مع ذلك ، لماذا كنت تغنِّين ؟

يــــولانـــد : ... بكل بلاهة .

" كلمنى عن الحب " ... إلخ

أولــــيــــس : **(صارخا)** – أنا أتعذب .

الأب والجـد : أى بنى المسكين ، حبيبى !

أولــــيــــس : ولكن أريد أن أحيا . لماذا لا أواصل الحياة مادمت قد بدأت ؟

يــــيـــــت : أوليس ، لقد فات الأوان .

الجـــــــد : لا تحاول أن ترفع صوتك على الخالق لأنه يميتك ، فأنت الذى أردت لنفسك الموت .

نيــــقــــولا : لقد سبق السيف العذل . اللعبة تمت وإلى الأبد .

أولــــيــــس : مادلين !

مــــــادلـين : أحبك .

أولــــيــــس : ييت !

يــــيـــــت : **(باكية)** شريط أزرق ! شريط أزرق !

أولــــيــــس : هناك أشياء كثيرة أريد أن أعرفها . وأسئلة كثيرة أريد أن أوجِّهها . هذا سؤال من بين ألف سؤال :

العرقى ، أريد أن أعـرف ما هـو مشـروب العرقـى ...
لن أموت قبل أن أعرف ما هو ...

المجـهـولة : أنا سأقول لك .

أولـيـس : أنت ... أنت ... يا مجهولة آراس الصغيرة ...

يـولانـد : عفوا ، سامحونى جميعا ، فأنا يجب أن أغنى .
" كلمنى عن حبك ... "

أولـيـس : (**بصوت خفيض**) – وغدا ... دونى – ، الشمس ...

(طلقة نارية – إظلام – ضـوء الفصل الأول – الأغنية مستمرة)

نيـقـولا : النجدة ! النجدة !

يـولانـد : (**تصل كما حدث فى الفصل الأول**) – أوليس ! أوليس !

نيـقـولا : لقد مات يا سيدتى !

يـولانـد : كأنه يريد أن يتكلم .

نيـقـولا : الله وحده الذى يعرف ماذا كان يريد أن يقول .

يـولانـد : سامحنى ، يا حبيبى . لم أكن مذنبة لهذا الحد .

نيـقـولا : لا أستطيع أن أصدق أن سيدى قتل نفسه من أجل هذه المرأة .

ستـار

لعبة الحب والموت

رومان رولان

رومان رولان

ولد عام ١٨٦٦ ، طفولة تعسة فى أسرة فقيرة وحى متواضع ، فى أحضان أم مغلوبة على أمرها ، لم تستطع أن تقدم للطفل إلا المثل الأعلى فى الخلق القويم ونظرة التشاؤم للحياة والناس .

- أستاذ فى تاريخ الفن فى السوربون .

بدأ بالمسرح ، فحاول أن يكتب سلسلة من المسرحيات عن الثورة الفرنسية ، كتب منها أربع مسرحيات هى : الذئاب ١٩٩٨ ، دانتون ١٩٠١ ، انتصار العقل ١٨٩٩ ثم ١٤ يوليو ١٩٠٢ .

لم يستطيع أن يفرض نفسه على الحركة المسرحية ، فتحول إلى العمل الضخم الذى حقق له الشهرة العالمية وهو رواية جان كريستوف من عشرة مجلدات . هذا العمل الذى يذكرنا بحياة بتهوفن وحياة الكاتب نفسه وحلمه بأن يرى أوروبا موحدة ، حصل بفضله الكاتب على الجائزة الكبرى لمجمع اللغة الفرنسية عام ١٩١٣ .

لم يصرف ذلك عن مواصلة مشروع قديم بكتابة سلسلة من تراجم العظماء : حياة بتهوفن، حياة ميكل أنجلو ، حياة تولوستوى .

ثم عاد رومان رولان إلى المسرح وكتب رائعته الأثيرة إلى نفسه لعبة الحب والموت عام ١٩٢٥ ، وأعياد الفصح المزهرة عام ١٩٢٦ ، ثم ليونيد أو الأسديات عام ١٩٢٨ وأخيرا مسرحية روبسبيير عام ١٩٣٩ .

جميع أعمال رومان رولان تنم عن سعيه الدءوب وراء الصدق والصراحة المطلقة نحو نفسه ونحو الآخرين ، والرغبة الشديدة فى الاستمساك باستقلالية الفكر وعدم الانحياز ، مما أثار حوله الريبة التى وصلت إلى حد توجيه اللوم .

تحت العناوين المختلفة التى تصدرت أعمال رومان رولان الروائية أو المسرحية ، نجد الدعوة إلى الوفاق بين الشعوب والسلام بين الأمم . وقد ظل طول حياته فى بحث دءوب عن بطل يجمع بين فلسفة نيتشه وأفكار تولوستوى ، بطل يسعى دون عنف أو قسوة إلى أن يفهم كل شىء ، لكى يحب كل شىء .

فى لعبة الحب والموت نشاهد فنون الحب المختلفة (الحب العاطفى ، حب الوطن ، حب الأصدقاء ، حب الأزواج ... إلخ) تتعرض لامتحانات عسيرة أمام أحداث الثورة الفرنسية وتوابعها التى شابت لها رءوس الشبان قبل الشيوخ ، قبل أن يأتى الموت الذى لا يفرق بين أولئك وهؤلاء .

فى عام ١٩١٦ حصل رومان رولان على جائزة نوبل .

الشخوص

چيروم دى كورفوازييه	عضو لجنة الميثاق	٦٠ سنة
صوفى دى كورفوازييه	زوجتــه	٣٥ سنة
كلود فالليـه	نائب چيروندينى منفى	٣٠ سنة
لازار كارنو	من لجنة السلام العام	٤١ سنة
دينى بابيو		٦٥ سنة
أوراس بوشيه		٢٥ سنة
لودوييسكا سيريزييه		٢٥ سنة
كلوريس سوسى		١٧ سنة
كرابار	مندوب لجنة الأمن	
تيموليون / دوسان / بودان	مفتشـون	

تقع أحـداث المسـرحيـة فى باريس ، فى منزل كورفـوازييه حـوالى نهاية مارس ١٧٩٤ .

عرضت هذه المسرحية لأول مرة فى باريس على مسرح الأوديون القومى فى ٢٩ يناير ١٩٢٨ وأدرجت بعد ذلك فى برنامج فرقة " الكوميدى فرانسيز " فى ٥ يوليو ١٩٣٩ ، وذلك فى ذكرى مرور مائة وخمسين عاما على قيام الثورة الفرنسية .

حجرة استقبال من طراز لويس السادس عشر ، ذات فتحات زجاجية واسعة ، فى الدور الأرضى الذى يرتفع بمقدار ثلاث درجات عن الحديقة .

فى وسط الحاجز القائم فى أقصى المسرح ، باب زجاجى مفتوح على سعته يوصل إلى الحديقة بواسطة الدرجات الثلاث . الحديقة الصغيرة تتلألأ فى ضوء الشمس . فى محور الباب المفتوح بالضبط ، نرى زنبقة مزدهرة ، زرقاء موردة ، وفى أقصى الحديقة ، يوجد الحائط الذى يفصلها عن الشارع . هذا الحائط ليس عاليا : لو تسلَّقه طفل عند الركن الأيمن لاستطاع – من فوق القمة – أن يرى الشارع . فوق الحائط ، تتورد سماء المساء ، وتشحب فى بطء .

داخل حجرة الاستقبال

١- إلى اليسار : بابان ، أحدهما بالقرب من الدرابزين ، والآخر بالقرب من الحديقة . عندما يفتح الباب الآخر ، نلمح ركنا من الحجرة ، وهى حجرة نوم . بين البابين ، وسط الحائط الأيسر ، مدفأة عالية من المرمر ، فوقها تمثال نصفى لفولتير . فى الخلف ، مرآة كبيرة . إلى اليسار المدفأة ، مكتب طراز لويس السادس عشر . إلى يسار المكتب ،

بين المكتب والباب الداخلى القريب من الدرابزين ، أعدت جزيرة صغيرة من المقاعد المنخفضة من أجل التحدث على حدة . بروز المدفأة ، والمكتب وبارافان من الطراز الصينى تحجبها عن الأنظار المتجهة من الحديقة .

٢- إلى اليمين : باب يواجه باب الحاجز الأيسر ، القريب من الحديقة . عندما يكون مفتوحا نلمح بير سلم دائرى ، وركنا من صحن السلم ، والدرجات الأولى التى تنزل بالدور الأرضى وتفضى إلى الشارع . فى مواجهة المدفأة المرمرية ، نافذة تطل على الشارع . إلى يمين ويسار هذه النافذة صورتان طراز القرن الثامن عشر يمثلان رب وربة البيت : أما الزوجة فهى فى سن العشرين ، فى رمز أسطورى دعائى ، وأما السيد فهو مرسوم على نحو صورة "ديدرو" ، فى ملابس المنزل ، الرقبة مكشوفة ، منديل عنق حول الرأس ، فى حالة عمل ، يتحدث إلى مستمعين غير موجودين . الصورتان تبدوان وكأنهما متناسقتان مع تمثال فولتير النصفى ، الذى يبتسم فوق المدفأة الكائنة فى الجهة المقابلة .

معزف كبير ، تحت صورة مدام دى كورفوازييه (وهى أقرب الصورتين من الدرابزين) يهيئ خلوة أخرى من أجل التحدث على حدة .

الشعور السائد هو شعور بوسط راق ، مع آثار واضحة من ضيق الحال والفوضى والإتلاف . المدفأة الأثرية فارغة : سوف يشعل فيها ، فى النهاية ، لهب ضئيل . المكتب والمنضدة مزدحمان بالأوراق التى نرى وسطها فنجانين للقهوة . الثريا عارية (جرداء) . قنديل واحد سيستخدم بعد قليل فى إنارة المسرح .

المشـهد الأول

يرفع الستـار عن جماعة قليلة العدد - امرأتان شابتـان (**صوفى دى كورفوازييه و لودوييسكا سيريزييه**) . فتـاة (**كلوريس سوسى**) ، ضـابط شـاب (**أوراس بوشـيـه**) ، ورجل مـسن (**دينى بايو**) - يمـسك أفرادها بعضـهم بعضـا من أيديهم ، ويلفـون حـول الزنبقة المزدهرة وهم يغنون أغنية جريترى الوطنية الراقصة : " البراءة تعود . "

دينى بايو (**لاهث الأنفاس يحاول أن يتخلص من الرقصة**) - الرحمة ، يا شباب ! كلوريس ، لودوييسكا ، أوراس - كلا ، كلا ، دور آخر !

(العجوز ، الذى خلص إحدى يديه ولا يزال ممسوكا من الأخرى ، يعود إلى المسرح ، وهو يجر وراءه الشلة الصغيرة التى تواصل الغناء . يسقط جالسا فوق أحد الكراسى ، وفيما هو يلهث ، يبدأ الشبان الثلاثة حوله - وهم يتضـاحكون - أغنية راقـصة جـديدة سـاخرة ، على لحن جريترى : " من أجل غرس شجرة الحرية . "

(كلوريس تضع ، وهى تغنى ، فوق رأس العجوز غصن زنبقة ملويا على شكل تاج .)

كلوريس ، لودوييسكا ، أوراس **(وهم يغنون)**

" لمظهره الرقيق ، عودى للحياة
أنت يا من جمدتك الشيخوخة ...

انظرى إلى أبنائك وهم يعصبون
من هذه النقوش المزهرة جباهك المبيضة ... "

صوفى : صديقى العجوز ، لقد جئت لكى أخلصك . هيا ، أيها المجانين الصغار ، دعونا نتنفس ! ارقصوا ، دوروا ، لفوا ! أما نحن فإننا نخرج من التيار ، نحن معشر المسنين ...

دينى : إننى أحتج ! ليس فيكم مسن غيرى .

صوفى : أيها الأنانى !

أوراس ولودوييسكا : إننا نحتج جميعا ! هذه نكتة !

صوفى : لقد قطعت الآن نصف الطريق . **(مخاطبة دينى بايو)** مهما تحتج ، فأنا فى جانبك .

دينى : حظ سعيد ! لن أقول كلمة بعد ذلك .

لودوييسكا : أما نحن ، فإننا لن ندعه يسلبك منا ! كلا ، كلا ، أنت منا . أنت الأصغر سنا !

صوفى : **(وهى تكشف فوق صدغها عن جديلة بيضاء)** انظروا إلى هذا الشعر الأبيض !

لودوييسكا : ما أجمله ! إن كلاًّ منا ، لو بحث جيدا فى رأسه لوجد مثله .

أوراس : عندى منه ، أنا أيضا .

لوبوبيسكا : وأنا .

كلوريس : وأنا .

الجميع : **(ضاحكين)** لا ؟

كلوريس : صحيح ! عندى واحدة .

(تظهرها)

صوفى : إنها شقراء .

كلوريس : إنها بيضاء .

أوراس : ومن ذا الذى لا يكون عنده شعر أبيض ، بعد كل ما قاسيناه منذ خمسة شهور ؟ !

لوبوبيسكا : خمسة شهور ! قل الضعف !

كلوريس : قل ثلاثة أضعاف .

أوراس : كلا ، علينا ألا نتحدث إلا عن هذا الشتاء ! أما الباقى ...

دينى : نعم ، الأفضل أن نسكت .

كلوريس : آه ! كل ما قاسيناه !

لوبوبيسكا : بلا نارٍ لمدة أسابيع كاملة .

دينى : بلا خشب ، ولا خبز !

كلوريس : أوه ! أما أنا فقد كنت أشعر بالبرد لدرجة أننى كنت أجد الشجاعة الكافية فى الصباح ، لكى أغادر فراشى .

لوزوبيسكا : أما أنا ، فكنت أتجمد فى فراشى . لقد أصبح الآن كبيرا جدا !

أوراس : **(بغمزة)** لابد من ملئه .

ديـــــنــــى : ذات مرة ، قضيت ست عشرة ساعة فوق رصيف بيرسى ، بين السابعة مساء والحادية عشرة صباحا ، فى مهب الريح الشمالية الباردة ، وأنا أنتظر توزيع جوال من الخشب وربع كيلو من الدقيق ، تحتَّم على بعد ذلك أن أجرها على عربة يد بعجلة واحدة فوق الجليد. ولقد سقطت مرتين .

صــــــوفى : أيُّهما الأقوى ؟ الجوع أم البرد ؟

أوراس ولودوييسكا : أوه ! الأسوأ ، هو البرد !

أوراس : كلا ، الجوع .

لودوييسكا وكلوريس وصوفى : البرد ، البرد ، البرد !

أوراس : الجوع ، الجوع ، الجوع !

لودوييـــسكا : أيها الشره !

كـــلـــوريـــس : أوه ! إننى أفضل مائة مرة ألا يكون لدى ما آكله وأستطيع فقط أن أدفئ قدمىَّ خمس دقائق .

لودوييـــسكا : أما أنا ، فإن ذلك يبكينى ! (**أوراس يضحك**) تضحك أيها المتوحش ... أوه !
أنت ، أنت لا تعرف شيئا !

أوراس : فى جيش موزيل ، نمت فوق الجليد ... صحيح أننا كنا نحرق كوخا صغيرا فى بعض الأحيان لكى نستدفئ

ديـــــنــــى : والذين كانوا بداخله ؟

أوراس : لم نكن نهتم بالنظر إلى ما بداخله .

كـــلـــوريـــس : أما أنا ، فعندما كان يبلغ بى البرد أشده ، كنت أفضل ، أجل ، أجل ، كنت أفضل أن أحترق !

لودوييسكا : ويصفون جهنم بأنه مكان نُحمى فيه .

أوراس : إن جهنم هى أن نذهب إلى العدو ببطون خاوية .

أوراس ولودوييسكا : البرد !

أوراس : كلا ، الجوع !

صوفى : لقد قاسينا من الاثنين . هيا ، لا مجال للغيرة !

كلوريس : يا إلهى ! كم كان الوقت طويلا! ذلك الشتاء ، ذلك الشتاء الذى لم يكن يريد أن ينتهى !

صوفى : لقد انتهى الآن . فلا نتحدث عنه بعد ذلك . ولنتمتع بالشمس الجميلة !

دينى : أول يوم جميل من الفصل الشاب.. صديقتنا الساحرة ! يا لها من فكرة جميلة أن تقومى بدعوتنا للاحتفال به فى حديقتك !

لودوييسكا : تمجيدا للربيع ، الذى يُبعث فى زنبقتك المزهرة !

صوفى : هل كان بوسعى أن أحتفظ به لنفسى ؟ فى زمن المجاعة هذا ، يجب على كل منا أن يتقاسم مع أصدقائه فتات سعادته .

لودوييسكا : نعم ، إن السعادة أصبحت نادرة !

دينى : السعادة ؟ لقد أصبحت بالنسبة لنا كلمة غريبة .

كلوريس : ما أطول الزمن الذى مضى دون أن نضحك ! أوه ! يا إلهى !

(تجهش بالبكاء)

صوفى : حبيبتى ،حبيبتى ، ماذا بك ؟

كلوريس : هل من حقنا أن نضحك ؟

ديني : نعم ، فقد تألمنا أكثر من اللازم .

صوفى : (**مخاطبة كلوريس**) ولكننى أعتقد تماما أن هذا من حقنا يا حبيبتى ، بل من واجبنا .

كلوريس : وكل من فقدناهم .

لودوييسكا : زوجى .

كلوريس : وخطيبى .

ديني : وابنى .

صوفى : صه ! صه !

أوراس : (**مخاطبا لودوييسكا**) وأولئك الذين سنفقدهم ، ألا تهتمون بهم ؟

لودوييسكا : أولئك الذين معنا ، أحتفظ بهم . لا أريد أن أفقدهم . كلا ، لا أريد ذلك !

أوراس : إذن ، علينا ألا نفكر فى الآخرين ! ولنرقص !

لودوييسكا : فلنرقص ، أيها الخبيث !

أوراس : (**مخاطبا كلوريس**) وأنت أيضا ،يا صديقتى الصغيرة .

(كلوريس تتردد وتنظر إلى صوفى)

صوفى : هيا ، يا صغيرتى .

أوراس : هيا ، فلنستأنف الرقصة !

(الشبان الثلاثة يخرجون إلى الحديقة ويبدءون من جديد فى الغناء والرقص . دينى وصوفى ظلا فى حجرة الاستقبال ، جالسين إلى اليسار ، بين المكتب والباب الداخلى ، بالقرب من الدرابزين)

ديــــنـــى : كل يفكر فى أحزانه : هذه فى خطيبها ، وتلك فى زوجها ، وأنا أفكر فى ولدى ،الذين ماتوا ... ولكن الحياة أقوى ...

صـــوفـى : حتى عندك ، يا صاحبى العجوز ؟

(طوال هذه البداية من الفصل ، تحتفظ صوفى بهدوء لطيف باسم ، يتميز عن الاضطراب الذى يموج فيه الآخرون)

ديــــنـــى : حتى عندى ... إننى أشعر بالخجل .

صـــوفـى : لستم وحدكم . اسمعوا !

(من الجهة الأخرى لجدار الحديقة ، يسمع فى الشارع مرور أصوات تغنى . كمان ، ناى ، طبلة ، صيحات فرح)

ديــــنـــى : نعم ،هذا الحشد الذى يمر وهو يغنى طربا ،لا يوجد فيه واحد لم يلق نصيبه من المعاناة ، وقسطه من التضحية فى الحرب أو الثورة ، لا يوجد واحد غده ليس مثقلا بالقلق كما كان أمسه مثقلا بالعذاب .

صـــوفـى : لذلك فهم يغنون : حتى يكفوا عن التفكير فى ذلك .

ديــــنـــى : لأنهم يفكرون رغم كل شىء . انظرى !

(الرقصة توقفت فى الحديقة)

أوراس : ماذا تسمعون فى الخارج ؟ ... فلننصت ...

(يصمتون لكى يسمعوا ، فى الخارج ، صوت بائع الجرائد)

أوراس : **(مكررا)** " بريد المساواة ... معركة كبرى فى ... العدو على ... "

(يجرى نحو الجدار ، يتسلق الحافة ، يمد يديه من فوق القمة ، ينادى البائع)

بست ! ... أيها المواطن ... شكرا ! .

(يعود بالصحيفة . تسرع المرأتان وتلتفان حوله ، لكى تقرأها)

أوراس : قوات الملوك يعيدون تكوين صفوفهم ، من نهر الموز حتى الراين .

الجمهورية يجب أن ترد عليهم بمجهود ضخم . شمس الربيع تضرم السعير . سيتحتم عليَّ أن أعود إلى هذا السعير.

لودوييسكا : كلا ، كلا ! لا أريد ذلك !

دينى : ماذا نحن لكى نقول : " أريد " أو " لا أريد " ؟

أوراس : نعم ، إن الوطن يريد ذلك .

كلوريس : الوطن ؟ بل قل : " هؤلاء الرجال المرعبون ! ...

لودوييسكا : نعم ، اللجنة العليا .

(صوفى تضع أصبعا فوق فمها . الجميع يخفضون رءوسهم)

أوراس : إنها على صواب .

دينى : **(يسعل)** إنها هى الأقوى .

كلوريس : إنها كالغول وستلتهمنا جميعا .

لودوييسكا : **(تختم بيدها على فمه وتخاطب أوراس)**

ولكن ، على الأقل ، ليس الآن فورا . أوراس ، لن تذهب الآن فورا ؟

أوراس : كلا ،على ما أعتقد ،اللهم إلا إذا صدر أمر مفاجئ .

لودوييسكا : كم من الوقت أمامنا ؟

أوراس : ربما شهر .

لودوييسكا : أوه ! شهر ... بل هو الأبد ...

ديني : ياللشباب السعيد ! ما الذى لا نقبله نظير شهر من السعادة .

كلوريس : وأنا أيضا ،أنا شابة . ولم أتمتع به ،لم أتمتع به ... أوه ، بل إننى ما كنت لأطلب شهرا كاملا ... ولكن يوما ، يوما من السعادة !

صوفى : هدئى من روعك ، يا حبيبتى ، فستتمتعين به ، وبكثير غيره ؛ فالحياة أمامك لاتزال طويلة .

كلوريس : كلا ، كلا ، الحياة قصيرة .

صوفى : إن عمرى ضعف عمرك .

كلوريس : نعم ، على عهدك ... آسفة ! ... ولكن ، اليوم ، لم تعد الحال كما كانت .

فمن ذا يضمن الغد ؟

لودوييسكا : أنا . أضمن اليوم .

(تنظر إلى أوراس)

أوراس : **(وهو بالقرب منها ، يتناول يدها ، ويهمس لها)** هذه الليلة ...

(كلوريس ، وقد سمعت الجملة ، تحدجهما بنظرة حاقدة)

لودوييسكا : **(تلاحظ ذلك فتقبل باسمة نحو كلوريس الجالسة فوق ركبتى صوفى وتحاول أن تداعبها)** حبيبتى الجميلة !

كـلــوريــس : (**وهى تخلص نفسها فى غضب**) كلا ،لا تلمسينى
(**تفر إلى الحديقة**)

لودوييــسكا : ماذا بها ؟

ديــــنـــــى : (**بشىء من العتاب**) أنت تعرفين السبب جيدا .

أوراس : إنها تحسدنا .

ديــــنـــــى : إنها ليست الوحيدة .

صـــــوفـى : (**مبتسمة لدينى و أوراس**) اذهبا لمواساتها !
(**مخاطبة لودوييسكا**) كلا ،أنت لا ، أيتها الأنانية ، ابقى هنا !
(**دينى وأوراس يخرجان . تبقى صوفى و لودوييسكا وحدهما . لودوييسكا ضاحكة ، سعيدة ، تلقى بنفسها على ركبتى صوفى الجالسة وتضمها بين ذراعيها**)

لودوييــسكا : نعم ، أنا كذلك ، أنانية ، أنانيــة ، أنانية ! ولا أحب ألا أن أكـون كذلك ، عندما يكون جميلا أن نكون كذلك !
عنفينى ! عنِّفينى !

صـــــوفـى : (**مبتسمة**) لن يجدى ذلك شيئا .

لودوييــسكا : أوه ! أجل ! إن هذا يزيد من متعتى ... كلا ، لا تحقدى علىَّ ! فلطالما ، لطالما قـاسيت ! ... زوجى ، هكتـورى ، ينتزعه ، من بين يدى الموت اللدود!... آه ! كم بكيت !

صـــــوفـى : متى فقدته ؟

لودوييــسكا : (**ببساطة**) قبل ستة ... كلا ، قبل خمسة شهور ...
أجل ، كان ذلك فى أكتوبر . وأصبحت لا أطيق الحياة .
لقد انتهى كل شىء بالنسبة لى ... وهاك كل شىء قد بدأ ...

(مستدركة) كل شىء قد بدأ من جديد ... هيكتور المسكين ! ... أوراس العزيز ! ...

صوفى : كل أبطال العصور القديمة ...

لوبوبيسكا : أرجوك أن تسكتى ! ... يبدو لى أن الأمر يختلفُ ... إننى أمنعك من السخرية .

صوفى : إننى لا أسخر ...

لوبوبيسكا : إننى على ثقة تماما من أن هكتور يستمتع معى ... تبتسمين ؟

صوفى : وأنت أيضا .

لوبوبيسكا : كلا ... نعم ... آه ! كم يلذ لنا أن نكذب على أنفسنا ،إن حاجتى إلى التمتع بمثل رغبتى فى أن يتمتع هو أيضا . إننى أعلم تماما أنه لم يعد يشعر بشىء. ولكن ، أنا ، أنا التى أحس ، هل أنا مخطئة ، قولى ، هل أخطئ فى حقه ، إذا كنت أريد أن أتمتع بهذه البقية من عمرى التى لازلت أحياها ؟ هل تظنين أنه يمكن أن يبغضنى ؟ كلا ، كلا ، يجب أن يسعد لما يسعدنى . أليس كذلك ؟ مادام كان يحبنى ! ... ثم مادام قد مات ! ... مسكين يا هكتور ! ... آه ! الحياة ، الحياة ، شىء جميل !

صوفى : هناك حياة وحياة . الحياة بالنسبة لك ، هى الحب .

لوبوبيسكا : **(فى الحوار الودى بين المرأتين ، يوجد – من جانب لوبوبيسكا ، عندما تعجب بحكمة صوفى – نزة من السخرية ، ومن جانب صوفى ، نزة من القنوط الباسم ، وهى تتقبل ثناها)**

ليس هناك حياة إلا بالحب .. تبتسمين ثانية يا صديقتي العاقلة ،أجل ، فأنت ، أنت فوف مستوى ضعفنا . إنك تعيشين حياة جميلة ، واضحة تماما ، مترابطة تماما . ولقد عرفت كيف تحمينها من العواصف الاجتماعية ومن اضطرابات القلب . أنت محظوظة . إنك تتمتعين برباط زوجي لا تعكره سحب، لم تنل منه نزوات العواطف أبدا ، يسوده الصفاء ويكاد يكون نبويا، - بصحبة رجل عاقل - مثلك - رجل مرموق ، محترم ، تربطك به ، منذ الطفولة ، روابط حنان ورع ، سماء صافية . آه ! كم أعجب به !

صوفي : (**مبتسمة**) ولكنك قد لا تنزلين عنه مقابل سحابة من سحبك .

لودوييسكا : مقابل حبيبي أوراس ؟ كلا ، كلا ! لا أنزل عنه . لكل منا نصيبها ! لكن نصيبك أجمل .

صوفي : إنه أشبه بتلك النساء الجميلات ، اللائي يثرن إعجاب الجميع . لكننا نحب غيرهن .

لودوييسكا : اسكتي من فضلك ! إنما نتمنى أن نكون أنت . لكن ليس هناك سواك من يستطيع أن يكون أنت ...

صوفي : (**مبتسمة**) هذا بالضبط ما قلته الآن !

لودوييسكا : (**التي لم تسمع**) ... الصديقة ، موضع سر الرجل العظيم ، بل ملهمته ، الرجل العظيم الذي كان صديقا لفولتير ، وهو الآن صديق " كارنو "

ديــــنـــــى : (**الذى دخل منذ قليـل وسـمع الجملة الأخيرة**) الذى كـان مسـتشـار دائــرة المعـارف ، وهـو الآن مسـتشـار اللجنة العليا . عالم ، محب للإنسانية ، فيلسوف ، عضو فى مجمع اللغة ولجنة الميثاق ... مجد تأسس فى ظل الملك الأسبق ، وبقى ثابتا بعد سقوط الملوك ، ويرى النظم تتوالى فارضا نفسه عليها جميعا ، وظل حصينا وسط الأحزاب الهائجة التى تمزق بعضها

صـــــوفـى : يا أصدقائى ، إنكم لا تدرون على أية أسس واهية يقوم هذا الأمان

ديــــنـــــى : على أية حال فنحن نعلم أنه ليس أنانيا . فكم من مرة خدمنا مركز " چيروم كورفوازييه " تارة ليخفف عنا جانبا من بؤسنا وتارة ، ليشمل بحمايته الأصدقاء المهددين فى الساعات الحرجة

موديـــسـتا : ونحن نعلم أيضا لمن ندين بهذه الحماية ، للرفيقة المكرمة

ديـــنـــــى : صوفى مثل القديسة صوفى ، اسم على مسمى [١]

موديـــسـكا : الحورية المطمئنة

ديـــنـــــى : تلك التى نستطيع أن تحصل منه على كل شىء .

موديـــسـكا : أنا معه

(١) إشارة إلى القديسة صوفى

ديــــنـــي : وكيف لا نكون معه ؟ لقد ظل "چيروم كورفوازييه"، في هذا العصر المجنون ، الرجل الوحيد الذى لايزال يمارس دورا ملطفا ، لدى سادة الحياة والموت .

صـــــوفى : واسفاه ! إن هذا الدور ضعيف ، ويزداد ضعفه يوما بعد يوم .

لودوييـسكا : **(بشىء من الحسد)** مهما يحدث ، فأنت على الأقل في أمان ، لا شيء يمكن أن يصيبك .

كـلـوريـس : **(راجعة مع أوراس . لقد نسيت تماما الحزن الذى انتابها قبل قليل)**

أوه ! البؤساء ! البؤساء !

صـــــوفى : ماذا إذن ؟

كـلـوريـس : ذلك الذى عرفناه الآن .

(تقدم جريدة إلى صوفى)

صـــــوفى : صحيفة أخرى من تلك الصحف المخيفة . كلا . لا يجب أن نقرأ شيئا بعد الآن !

لودوييـسكا : أيتها الآمنه المطمئنة ، إننا لا نملك مثلك السبب الذى لا يجعلنا نقرأ . نحن نعرف أنه شىء مؤلم . ولذلك فنحن نمارسه .

(تناولت الجريدة)

كـلـوريـس : كلا ، اسمعوا ! إنه لشيء فظيع ! بيتيون ، وبوزو ، وفاالليه ...

صـــــوفى : **(فى هلع ، ولكن بصوت متماسك)** فااليه ! ...

(نهضت من فوق مقعدها . لا أحد من الآخرين يعير حركتها أو صرختها أى انتباه . الجميع ملتفون حول لودوييسكا التى تمسك بالجريدة)

كلوريس : فى بوردو ، وجدوهم ، قتلى ، وقد التهمت الذئاب أنصافهم ...

(وسط الاضطراب العام ، لا أحد يلمح اضطراب صوفى ، التى تسقط جالسة، دون حركة ، ودون كلمة . تغطى وجهها بيديها ولا تتحرك)

أوراس : **(يوجز ما قرأه ، لودوييسكا و كلوريس و دينى يميلون معه فى لهفة على الجريدة)** منذ شهور ، وهم يطاردونهم . والكلاب التى أطلقوها وراء الأثر قادتهم إلى كهف ، فى محجر مهجور . وقد تعرَّفوا بيتيون وقد برزت أحشاؤه من بطنه ...

دينى : ملك باريس القديم ، عمدتنا ، ورئيس المجلس الذى كانوا يتملقونه ...

لودوييسكا : **(تقرأ)** والآخر ... وقد أكل وجهه ... أوه ! أعوذ بالله ... **(تعطى الجريدة للآخرين)**

أوراس : **(مواصلا)**... وانتزع أنفه ، وشفتيه ... كانوا يشكون فى الأمر ... قالوا : إنه بوزو ... ولكن الأوراق التى كانت فوق الجثة كانت تقول : إنه فاللييه .

كلوريس : مساكين !

ديـــــنـــــى : لا تسـرفى فى رثائهم ! لقـد وجـدوا طريقـة للهـرب من المقـصلة التى صـعـد فـوقـهـا فى الأسـبـوع الماضى أصدقاؤهم ومنهم " باربارو " و " جوديه "

لودوييـــسكا : نعم ... ولكن كم تعيَّن عليهم أن يتعذبوا قبل ذلك !

أوراس : وبعد ، فالأمر سيان ..

ديـــــنـــــى : هكذا كـان من المفـروض أن ينتـهى ذلك ... ذلك التـمـرد المجنون ...

كـلـوريـس : ولكنك كنت تؤيدهم قبل فترة قصيرة .

ديـــــنـــــى : أبدا !

كـلـوريـس : لقد سمعتك تقول ...

ديـــــنـــــى : أبدا !

كـلـوريـس : كنت تعجب بهم جميعا

لودوييـــسكا : اسكتى ، أيتها الصغيرة !

(صمت قصير)

ديـــــنـــــى : **(وهو يسعل)** لقد خدعوا الجميع . كنا نظنهم الجانب الأقوى . لماذا نثور إذا كنا نمثل الجانب الأضعف ؟

(صـمت . صـوفى تكشف عن وجـهـهـا وتظل ثابتـه فى كرسيـها ، ناظرة أمامـها، وقد ذهب عنها انفعالها ، بابتسامة آلية جامدة)

كـلـوريـس : فالليه المسكين الصغير ! لم يكن بلغ الثلاثين من عمره !

لودوييـــسكا : لقـد رقصـت معـه ، فى ربيـع ذلك العـام ... لقـد كان من أصدقائك أيضا يا صوفى

(صوفى لا تجيب ولا تتحرك . لودوييسكا من الحماس بحيث لم تلحظ ذلك ، تواصل كلامها)

لودوييسكا : راقص ساحر فاتن !

كلوريس : وما كان أبرعه فى إلقاء أشعار فلوريون !

لودوييسكا : كان كذلك شجاعا باسلاً . إننى أراه على رأس كتيبه ، وهو يسير ، وقد تناثر شعره فى الهواء ، بعد مهاجمة قصر التويلرى .

كلوريس : كانت متعة لنا أن نذهب لنراه وهو يخطب فوق منصة المجلس .

أوراس : كان ساخرا وعنيفا . كانت كلماته تتسم بدهاء رهيب ، وكانت تجعل عينى روبسبيير تكثر من الرمش خلف نظارته القديمة . عندما كان يخطب أحد أعدائه كانت المنصات والصالة تموج بالضحك والصراخ ، تحت وقع القذيفة.

لودوييسكا : أما أنا ، فقد كنت أنظر إلى شفتيه

أوراس : لودويسكا ، إننى أشعر بالغيرة .

دينى : الغيرة ؟ من شفتيه المنزوعتين ؟

لودوييسكا : آه ! ياللفظاعة !.. ولكن لماذا ، لماذا راح يحترق بنار السياسة !

أوراس : إن لدينا مثل طموحه ...

لودوييسكا : الحب ، أليس أفضل من ذلك ؟

أوراس : إننا نريد أن ننقذ الوطن .

لودوبيسكا : إننى أريد أن تنقذنى أولا !... يجب على المرء أن ينقذ من يحب .

دينى : بل يجب أولا أن ينقذ المرء نفسه ...

(يصيحون دهشة)

أجل ، تدهشون !... سوف ترون ، أيها الشبان ، حينما تصبحون فى مثل سنى!... الطموح والحب ، شىء جميل ، ولكنه يزول . إن الذى يبقى حتى النهاية ، هو الفرد نفسه . والمحافظة عليه مهمة مقدسة .

أوراس : أجل ، أن ينجح الإنسان فى أن يعيش أمر أصبح فى أيامنا مهنة صعبة . ولن يتوافر لنا الوقت ، نحن أيضا لكى نتعلم ذلك .

كلوريس : ولكننى أريد ذلك ، أنا ، أريد ذلك ! **(مخاطبة دينى)** علمنى السر ...

دينى : السر هو ألا نكترث . يجب على المرء يا ابنتى أن يختار ، إما أن يرى غيره يموت وإما أن يموت هو .

كلوريس : إننى لا أريد أن أموت !

(الشلة الصغيرة : كلوريس و دينى و أوراس ، ابتعدت وهى تتحدث وتضحك. تبقى لودوبيسكا وحدها بالقرب من صوفى . المرأتان موجودتان فى الركن المحجوب عن الأنظار المتجهه من الحديقة ، بين المكتب والدرابزين)

لودوبيسكا : صوفى أيتها الصامته ، إنك تتركيننا نتحدث ، ونتحدث ، ونضطرب ، وأنت ، أنت تظلين مكانك ، متفرجة عطوفة

وغريبة بعض الشيء . ثابتة ، متكئة وكأنك متكئة على شرفتك ، تتطلعين إلى انفعالاتنا من بعيد ، بعينيك الجميلتين الرماديتين وابتسامتك الصامتة . كم أنت هادئة ، هادئة !

صـــــوفـي : **(دون أن تتحرك ، دون أن ترفع صوتها)** أجل ، الهدوء ، هدوء وألم ليس له من قرار .

لودوييـسكا : **(مأخوذة)** صوفى !...

(صمت)

ماذا تقولين ؟...

(صمت)

ماذا قلت ؟...

(صوفى لا تجيب ، لا تأتى أية حركة . لكن لودوييسكا التى مالت عليها لتتفرسها ، تندفع نحوها بشدة)

لودوييـسكا : صديقتى ، تبكين !

(صوفى تضع يدها فوق فمها ، لتشير إلى لودوييسكا بالسكوت)

(صمت)

(صوفى تبحث عن منديلها لتجفف دموعها . لودوييسكا تتناول منديلها ، وبرقة ، تجفف عينى صوفى)

لودوييـسكا : هل تتألمين ؟ أنت يا من تبدين للجميع صورة للهناء ! ... أنت يا من تملكين كل شىء . كل الخـيـر : الحب ، والشهرة ، والسلطان ، والإيمان بهذه الثورة ،التى ساهمتِ وزوجك فى إشعالها ...

صــــــوفـى : (**متماسكه**) ليس بى شىء .

توبوبيــسكا : كلا ، كلا ! لا أصدقك !

(**صوفى تشير إليها بالسكون . دينى بايو يقترب**)

ديـــنـــى : أليس من المفروض أن يعود چيروم بعد قليل من المجلس ؟

صــــــوفـى : (**تستعيد لهجة المحادثة**) لا يمكننا بأى حال أن نتنبأ بالفترة التى تستغرقها الجلسة . لقد كنت فى بعض الأحيان أنتظره طوال الليل ، حتى الفجر .

ديـــنـــى : ومع ذلك فلا يلوح اليوم أن أحداثا خطيرة ..

صــــــوفـى : فى أيامنا هذه ، من يستطيع أن يتنبأ بما سيحدث قبل وقوعه بساعة واحدة .

(**فى الشارع خلف جدار الحديقة ، يسمع مرور موكب ، وموسيقى وزمامير وطبول ، صوت عربات ، وخيول تعدو ، وصياح جماهير**)

كلـوريـس : ماذا هناك ثانية ؟

أوراس : إنها المجموعة الجديدة التى تمثل طعام المقصلة .

(**يأتى حركة قطع الرقبة**)

كـلـوريـس : (**وهى تسد أذنيها**) لا أريد أن أسمع ...

(**ترفع يديها عن أذنيها ، وتجرى ناحية الحديقة**)

أوراس ، هيا نشاهدهم :

(**تخرج مع أوراس**)

ديـــنـــى : إذن فالعربة تمر من هنا ، الآن ؟

صــــــوفـى : أجل ، إن شارع فلورنتان ، فى هذه الأيام ، منزوع البلاط .

(دينى يخرج ، يدفعه الفضول ، فى إثر الاثنين الآخرين)

لودوييـــسكا : **(وقد بقيت وحدها بالقرب من صوفى)**

صوفى ، إننى لا أصدقك !.. كنت تقولين .. منذ برهة

صـــــــوفى : دعينا من ذلك !

لودوييـــسكا : كلا ، كلا ، أرجوك ! اعتبرينى صديقة لك

(صوفى تشير لها نحو باب الحديقة)

لودوييـــسكا : أجل ، هذه الضوضاء البغيضة ..

(تسرع بغلق الباب وتعود . أصوات لحن السير السريع والصيحات لاتزال تصل الآذان ولكنها أصبحت خافتة)

لودوييـــسكا : قولى ! أخبرينى ! .. **(تتناول يديها وتقبلها)** صوفى ، أنت ظالمة . ألم تحصلى على نصيبك الجدير من السعادة ؟ وما من شىء عكّر صفو زواجك أو حبك

صـــــــوفى : **(بمرارة)** حبى ؟ لم يحبنى أحد .. لقد حملت شبابى ، وقوة أملى ، وحاجتى إلى وهب نفسى .. إلى رجل كنت أحترمه ، ولا زلت أحترمه وأعجب به

فلماذا صنع ذلك ؟ لقد ضحى بى فى سبيل عقيدته

لودوييـــسكا : أولا تؤمنين بها أنت أيضاً ؟

صـــــــوفى : إيه ! وفيم تهمنى عقيدتهم ؟ إذا كنت أحببتها ، إذ كنت أعتقد أننى أحبها ، فذلك لأنهم كانوا يحبونها .. هم ، إنهم هم الذين كنت أحبهم من خلالها .. فماذا جنيت منهم ومنى

لودوييـــسكا : **(التى تحاول أن تفهم)** تقولين هم ؟

صـــــوفـى : **(بحدة)** أقول إننى أكره هذه العقيدة ، أبغضها ... اسمعى ! ...

(يسمع على الرغم من الباب المقفول الذى يحد من شدة الضوضاء جلبة صائحين وضحكات عنيفة . ثم تخف الضوضاء ، ويخيم السكون من جديد ، وتستأنف صوفى ، بحقد مكظوم ، وبصوت خفيض :)

صـــــوفـى : إننى أكرهها ، كل هذه العقائد ، الواهية ، المهووسة التى يتهافت عليها الرجال ، كما يتهافتون على الرذيلة التى تدمر الحياة . إن الحياة ، هنا ، بالقرب منا ، فى منتهى البساطة ، فى منتهى الوداعة ! ليس علينا إلا أن ننحنى لقطفها . ولقد أصبحوا عاجزين عن تذوقها . إن عقيدتهم هوس ، سم زعاف يغرقهم فى جنون مؤقت قاصف مميت . لقد ضحوا بى فى سبيلها ... آه! وهذا أيضا ما كان يهمنى ! ...

لودوييـسكا : **(نظرتها معلقة بشفتى صوفى)** ماذا إذن ؟

صـــــوفـى : لقد ضحوا بأنفسهم .

لودوييـسكا : كيف ! زوجك ؟

صـــــوفـى : كلا ، ليس هو .

لودوييـسكا : من إذن ؟

صـــــوفـى : **(وكأنها مكرهه ، تدفعها العاطفة)** لقد سمعت ... قبل قليل ... هؤلاء البؤساء ... هؤلاء الذين حكموا عليهم بالنفى من البلاد ...

لودوييسكا : (**كاتمة صرخة**) فالليه !

(تنهض صوفى لتهرب من الإجابة . فى هذه اللحظة ، يفتح باب الحديقة من جديد وتدخل كلوريس فجأة ، وتصيح:)

كلوريس : أه ! خمنى ، خمنى ، من الذى رأيته فوق العربة !

(صوفى تلتفت ، ولودوييسكا تبعد كلوريس بحركة)

كلوريس : (**فى غاية التأثر**) كلا ! خمنى ، خمنى ، يقطعون رقبة من الآن ! ...

العقل ، عقلهم فى سان أوستاش ، عقلهم المفكر الذى كانوا يتوجهون إليه بصلواتهم ... لقد عرفته ... العقل ، العقل ! ...

دينى : (**بلهجة فلسفية**) منذ زمن بعيد ، يا ابنتى راح العقل وانصرف ! ...

كلوريس : أوه ! هلا سكتِّ ، بكلماتك الممجوجة !

(يواصلان التحدث فى أقصى حجرة الاستقبال ، إلى اليسار ، بالقرب من باب الحديقة كأنما قد شعرا بأنهما يفسدان على صوفى ولودوييسكا حديثهما . هاتان الأخيرتان انسحبتا إلى الركن المقابل ، إلى اليمين بالقرب من الدرابزين محتميتين بالمعزف الكبير الذى يحجب عنهما رؤية الباب الأيمن فوق السلم. لكنهما جالستان أمام المرآة الموجودة على الجدار الأيسر ، والتى ينعكس عليها هذا الباب)

لودوييسكا : **(تناولت يدى صوفى ولا تتركها رغم محاولات صوفى للتخلص)**

(بصوت خفيض ولحوح) إنه فالليه ؟ ... صوفى ، أخبرينى ، أهو فالليه ؟

صوفى : **(جالسة ، ويداها فى يدى الأخرى ، تحول رأسها بألم)**

آه ! لا تطعنينى مرة أخرى ، باسمه !

لودوييسكا : **(تاركة يدى صوفى ، وقد فاضت بها الشفقة)** أوه ! حبيبتى المسكينة ! هل كان بوسعى أن أتصور ؟ ... كم أرثى لك ! شيء فظيع ! .. ونحن الذين كنا ، قبل قليل ، نغمد الخنجر فى قلبك دون أن نعلم ، آسفة ، سامحينى ! ولكن من كان يخطر بباله ؟ أجل ، لقد لاحظت منذ وقت قريب .

صوفى : **(بصوت خفيض عاطفى)** كنت أحبه . وكان يحبنى . كان كل حياتى . وكنت كل حياته ... ذلك ما كنت أعتقده ، على الأقل . ولكن ذلك لم يكن صحيحا ، مادام قد راح ليموت من أجل تلك العقيدة المشئومة ... آه ! إذا كان قد ضحى بنفسه فى سبيل تلك العقيدة ، أفلم أضح أنا أيضا ، ألم أضح بنفسى أيضا فى سبيل عقيدة أخرى ؟

لودوييسكا : أية عقيدة أخرى ، يا صوفى ؟

صوفى : **(بحقد)** ذلك الشرف العائلى ، الذى حافظت عليه دائما

لودوييسكا : صوفى ، أخبرينى بكل شيء ! ... ألم تكونا حبيبين يحب كل منكما الآخر ؟

كستيغي : (بانفعال متزايد) نعم لم تكن . وهذا هو سبب شقائي اليوم . عبثا كان يتوسل إلي وعبثا كان قلبي يدفعني إلى التسليم له . كانت عظمة مبادئي والزهد الذي صنعته ، وخرافة الوفاء التي تعتبر عادة أكثر منها تعقلا للقلب . ذلك الذي نسميه فضيلة . ذلك الصنم المعبود بلا عيون . لقد ضحيت في سبيله بكل شيء ، بكل ما كنت أحبه في هذه الدنيا . والآن ، لقد مات . والآن فقدته . فماذا أفاد ذلك ؟ ماذا ؟

(الآن ، يوفروسينا هي التي تحاول تهدئة صوفي ، التي راح صوتها يكتسب نبرات ألم عاطفي . تشير إليها باتخاذ الحذر . لكن بقية الشلة التي راحت في محادثة صاخبة ، لا يبدو أنها تلاحظ شيئا)

صوفي تلزم الصمت . أودويسينا تحدثها بصوت خفيض . لم نعد نسمع سوى أصوات وضحكات الشلة الصغيرة المكونة من الأصدقاء الثلاثة الواقفين في الزاوية اليسرى حجرة الاستقبال بالقرب من النافذة المطلة على الحديقة .

المشـهـد الـثـانـى

(على حين بغتة ، يحل صمت أشبه بالموت . الباب المفضى إلى السلم فتح منذ لحظة ، فى مواجهة الأصـدقـاء الثلاثة (دينى و أوراس وكلوريس) . لكن صوفى ولودوييسكا اللتين توليانه ظهريهما واللتين يحجبهما المعزف ، لا تريان شيئا مما يحدث)

رجل دخل . فى زى الشعب ، جاكونى ، الشريط فى قبعته . يغطيه الوحل، يبدو عنيفا أشعث . إنه شاب ، نحيف ، قوى ، ذو عينين متقدتين . يبدو أن هناك من يطارده . فتح الباب بقوة ، وبمجرد أن دخل أعاد غلقه بقوة أيضا ولكن بلا ضوضاء ، وهو يرصد سكون السلم . ثم يعود ، ويستند إلى الباب فى مواجهة الشلة الصغيرة التى رأته وهو يدخل . الثلاثة تأخذهم الدهشة . تصدر عنهم حركة فزع ، ولكنهم من الانفعال بحيث لا يستطيعون أن ينطقوا بكلمة .

فى هذه اللحظة ، صوفى و لودوييسكا متحصنتان فى صمت . لودوييسكا تلتفت ناحية الشلة جهة اليسار فترى ، دون أن تدرك ، الوجوه مضطربة . صوفى ، وهى ترفع نظراتها آليا إلى المرآة الكبيرة ، فوق المدفأة ، تلمح فيها الصورة المعكوسة للرجل المستند على الباب ، تنهض مطلقة صرخة لم تُلحظ وسط الاضطراب العام . ففى اللحظة نفسها ...)

دينى وأوراس وكلوريس (يطلقون صرخة) : فاالليه !

فــــالليـــــه : (**الذى لم يكن ينتظر أن يجدهم مجتمعين)** دينى بأيو ... بوشيه .. كلوريس ... أصدقائى ...

(صوته مبحوح من فرط التعب والانفعال . يتجه نحوهم بقوة ، ويمد لهم يده فيتناولونها بارتباك وحرج . لكن عينيه تبحثان ، وراءهم ، وحولهم ، داخل حجرة الاستقبال ، عن تلك التى لم يرها . وفجأة يراها . الباقى لم يعد له وجود بالنسبة له . صوفى واقفة ، تستند بيديها من الخلف على المعزف ، تنظر إليه ، عيناها متسعتان من الانفعال ، والخوف ، والسعادة . ثم يعودا يفكران فى الآخرين . فاالليه يسرع نحوها ، باسطا لها ذراعيه . فتقبل نحوه .

فـــــالليـــــه : صوفى !

صــــــــوفى : على قيد الحياة !

(يلقى بنفسه عند قدميها ، يضم ساقيها ، يقبل ركبتيها من خلال ثوبها ، يقبل قدميها ، ثم ينتصب ، ويسند وهو راكع ، خده ، وعينيه وفمه على جسم المحبوبة التى لا تقاوم ، بل تداعب بيدها وجه الحبيب)

فـــــالليـــــه : إنها هى ! لقد وجدتها ! .. إنها بين يدى ، أمسكها ، إنها بين يدى !

صــــــــوفى : **(دون أن تخلص نفسها ، تتناول رأسه ، تنعطف على وجهه ، تسر إليه ، بصوت خفيض ، بحنان)** انهض !

(فالليه ينهض ، عيناه معلقتان بصوفى ، ولكن ، لا يكاد يقف ، حتى يترنح ، فتسنده صوفى)

صـــــــوفى : سينهار ! .. أوراس ! لودوييسكا ! ... استند على يا حبيبى ! .. ماذا بك ؟

استند جيداً ! تعال ... هنا ... فوق هذا الكرسى .

(تقوده إلى أحد الكراسى ، فى ركن الحجرة ، إلى اليسار ، قرب الدرابزين . فالليه جالس ، فى مواجهة الجمهور وقد أدار ظهره لأقصى المسرح . لا هو ولا صوفى المنحنية عليه ، يريان ما يحدث خلفهما : دينى بايو ، أولا ، يختفى ، تتبعه بسرعة كلوريس ، ثم أوراس بوشيه الذى راح ، من مدخل باب السلم ، يشير إلى لودوييسكا لكى تلحق بهم . لودوييسكا ، مترددة ومتأثرة ، تنظر بالتناوب إلى فالليه الذى تسنده صوفى وإلى أوراس . تقرر آخر الأمر ، وتجتاز الحجرة ، لكى تأخذ وشاحها الموضوع فوق أحد الكراسى فى أقصى المسرح إلى اليسار . كل هذا يجرى خلال الفترة القصيرة التى استغرقتها صوفى فى توصيل فالليه إلى الكرسى وإجلاسه عليه)

صـــــــوفى : (مواصلة حديثها مع فالليه دون أن تنظر خلفها) انك ميت من التعب

تمدد ... ألم تأكل .. كلوريس ! لودوييسكا ! ساعدونى أصدقائى . حضروا شيئا من القهوة .. هنا خذه

فنجانا من فوق المنضدة ... (**تدهش للصمت فتلتفت**)
أين أنتم ؟ ... يا أصدقائى ...

فاليه : (**ثابتا ، جالسا فوق الكرسى ، دون أن يرى ما يجرى ، لا يجد مشقة فى فهم الموقف**) ألا تعلمين أننى خطير بالنسبة لكل من يقربنى ؟

(لودوبيسكا ، الوحيدة من بين الأصدقاء الثلاثة المتأخرة بسبب البحث عن وشاحها الذى اضطرها إلى اجتياز الحجرة مرتين ، كانت لا تزال عند عتبة الباب عندما التفتت صوفى ولمحتها)

صوفى : (**ساخطة**) لودوبيسكا !

(لودوبيسكا ، متأثرة وخجلة من النداء ، تتوقف ، تلتفت ، تتردد ، ترجع بضع خطوات ناحية صوفى التى تترك فاليه وتتقدم نحوها . تهمس لها فى اضطراب)

لودوبيسكا : (**بسرعة وبصوت يكاد يكون خفيضا**) آسفة ... آسفة ... ، هذا جبن ، أعرف ذلك ... لكن اليوم ... اليوم ، بخاصة ، أريد أن أعيش ! (**الكلمة الأخيرة لا تكاد تسمع . تخرج مهرولة**)

(صوفى ، بعد لحظة ، تعود إلى نفسها ، تذهب وتأخذ من فوق المنضدة فنجانا ، تصب فيه القهوة ، وتحمله إلى فاليه مع شىء من الخبز)

فاليه : (**لم يأت حركة**) عليك أن تعجبى بقدرتى وسلطانى ! حيثما أدخل ، يدخل الخوف . هذا البائس (**يشير إلى**

نفسه) ، الذى لا يقوى حتى على الوقوف على قدميه ، يفر ، ويفرون منه . هاهى ذى خمسة أشهر وأنا أهيم على وجهى خلال فرنسا كلها ، مطرودا من كل سكن . كنا فى " دور دونى " سبعة رجال محكوما عليهم : بيتيون ، وباربارو ، وبوزو ، وجاديه ، وسال وفالادى . طرقنا أبواب ثلاثين صديقا . لم يفتح لنا واحد منهم . كنا نجر فى أقدامنا شبح المقصلة . كانوا يصابون بالرعب لرؤيتنا ، نحن وهى ، حتى إن واحدا دخلنا عنده صدفة، أراد أن يقتلنا ، ولما لم يكن هو الأقوى ، فقد هددنا، إذا بقينا ، أن يقتل نفسه .

(تندى عنه ضحكة عنيفة مريرة)

وذات ليلة ، سرنا تحت وابل الأمطار ، خلال الحقول المحروثة . إذ كنا قد اضطررنا إلى مغادرة المحاجر التى كنا نأوى إليها . بعد أن أبلغوا عن وجودنا فيها . أمل أخير كان يقودنا إلى عائلة صديقة لعائلتى منذ القدم : كنت، بصفتى محاميا ، قد أنقذت شرف أحد أفراد هذه العائلة فى قضية جنائية . كان الليل حالكا ، فضللنا الطريق . كنا نغوص فى الوحل حتى أفخاذنا . فالْتوت ساقى . وبعد ست ساعات من السير ، وصلنا ، منهكين . فطرقنا الباب . ومضت نصف ساعة من الانتظار . تحت وابل المطر والريح الباردة ، كانت أسناننا تصطك . وانفرج الباب . فصرّحت باسمى .

فأغلق الباب من جديد . ومضت نصف ساعة أخرى انتابتنى رعدة وفقدت الوعى ... وبعد ساعة من المداولة ، أجابوا خائفين بأنهم لا يستطيعون استقبالنا . مكثت مترددا فى وحل الطريق . ومن خلال ثقب الباب صاح رفاقى قائلين . " ساعة فقط ، سقف نأوى تحته ! " فكان الرد : " لا ! " فعادوا يقولون : " على الأقل كوبا من الماء وقليلا من الخل ! " فكان الرد أيضا : " لا ! " . . فاستأنفنا هربنا ... آلا لعنة الله على الإنسان !

(صوفى ، واقفة بالقرب من فاليه ، تجمدها شفقة أليمة ، تنصت له . فاليه، الذى ألقى هذا السرد ، بصوت منقبض تقطعه انفعالات حادة مكتومة ، ورأسه ثقيل ، يثبت نظرة كئيبة نحو الأرضية عند قدميه ، يلتفت بشدة ناحية صوفى، ويسألها بصوت مبحوح مشوب بالعاطفة :)

وأنت ، ألا تطردينني ؟

صـــــوفى : (مائلة عليه ، فى حنان وتقدم له الفنجان) حبيبى المسكين ، خذ ! لقد أضناك التعب !

فـــاليـــه : (دون أن يتناول الفنجان ، باللهجة اللاذعة نفسها) إننى أجلب الموت .

اطردونى إذن !

صـــــوفى : (ترفع الفنجان إلى شفتيه بينما هو يشرب) اشرب !

(يشرب بنهم ، ويريد أن يتكلم بعد ذلك)

لا تتكلم ! ... كل ! أولا ، استرح .

(لحظات صمت ، في أثنائها تنصرف صوفي إلى خدمته ، تراه يأكل ، كأنه مشوق . فالليه يتناول يدها ، يقبلها طويلا ، لا تحاول هي أن تسحبها ، تبتسم في حزن وفي حنان)

صـــــوفـي : **(بعد لحظة ، تضع يدها فوق رأس فالليه)** كيف جئت ؟
كيف استطعت أن تصل إلى هنا ؟

فـــالليـــه : اجلسي أمامي ، إذا أردت مني أن أقوى على الإجابة !
دعيني أراك ... قريبا ... هنا ، اجلسي ! .
(يجلسها أمامه ، ويتناول يديها في أثناء إلقائه)
أوه أيتها الآلهة ! إنها هي ! ... لم تعد تلك الصورة التي يستحيل إدراكها ، والتي تتراقص أمام مخيلتي منذ شهور عديده ...إنها هي ... وإنني أمسك بها ، إنني أشعر براحة يديها في راحة يدي ، ولمسات أصابعها وحرارة جسدها تذوب في حرارة جسدي ... كلا ، لا تنزعيهما مني ! لا تدعيني أسقط من جديد في الهوة التي أخرج منها ! احتفظي بي بين يديك ... مهما كلفتك أنفاسي ...

صـــــوفـي : ليت أن الله يهبهما هذه القدرة ! .. حبيبي ، قص علي لنستفد من اللحظات.
كيف نجوت ؟

فـــالليـــه : حينما منع عنا جبن الأصدقاء الرهيب دلو الماء الذي لا نمنعه كلبا جريحا يتضرع إليك ، أعادت شدة اليأس إلى أرواحنا الحياة من جديد . أعاد إلي العيط

شعورى وقوتى . فنهضت ، صائحا : " فلنفر ، فلنفر من الناس ، فلنفر إلى المقابر ! ولكن هل نظل نخفى أنفسنا عن أعين هذا الجنس القذر ! إلى الأمام ! فلنسر فوق أجسادهم ، أوْ فلنمت ! لا حل وسطًا ! " وعدنا إلى عرض الطريق . وهناك ، على الأضواء الخافتة للنهار الوليد وتحت المطر ، قبلّت أصدقائى ، وقاسمتهم شيئا من طعامى ، وتجردت من صرة الثياب التى أحملها ، من كل ما يمكن أن يعوقنى فى سيرى : لأننى كنت قد عزمت على العودة إلى باريس . ظننى أصدقائى مجنونا ، ولكن ما من شىء كان يستطيع أن يزعزع تصميمى ، ولم يحاولوا على الإطلاق . لأننا ، عندما نفقد كل شىء ، فماذا نتدبر ؟ لم يكن الأمر يتعلق بحياتى . كان المهم أن أراك مرة أخرى .

صـــــوفى : (**مأخوذة**) أنا !

فـــاليـــه : أنت . كل ما أحب . أنت ... وأنت تعلمين ذلك تماما ! لا داعى أن نمثل مهزلة المجتمع ! فلم يعد هناك مجتمع . لم يعد هناك شىء . سواك . أنت وأنا ... فى عرض ذلك الطريق الأصفر ، الموحل ، الذى كان يمتد مستقيما يتصاعد منه الضباب ، صورة تلك المرأة - أنت - برزت مثل البرق . وفجأة ، توهجت أنا مثل عود من الهشيم . واختفى كل ما عداك . فكرة واحدة استبدت بى وهى أن أراك مرة أخرى قبل العدم الأبدى ! ... كانت هذه الفكرة

بالنسبة لى جرعة من نبيذ يكوى : أسكرتنى وأصبحت مخدرا ، مبللا بالمطر ومرتعدا من أثر الحمى ، متورد الساقين ، وبعد أن كنت قبل لحظة لا أكاد أستطيع أن أضع باطن قدمى على الأرض ، وجدتنى أنهض من فورى ، ووجدتنى مدفوعا إلى الإمام . وعلى الرغم من ثقل جسدى ، أخذته على كتفى لكى احمله لك . كنت أقول فى نفسى : " إذا سقطت ، فلتعلم على الأقل ، أنه عند سقوطى ، كان وجهى متجها نحوها ! " كنت على مقربة من ريبيراك " . أحمل جواز سفر مزور تنقصه تأشيرة الدخول ، ومررت فى طريقى إلى هنا، على أكثر من عشرين مركز من مراكز المقاطعات . ولحسن الحظ فإن الفلاحين لا يعرفون القراءة . كنت أقوم بنفسى بعمل التأشيرة والتوقيعات . كان يجب على أن أتخذ التدابير لكى لا أرقد إلا فى القرى وألاّ أجتاز المدن إلا فى غفلة من الحراس المرابطين عند المداخل . أما كيف مررت ، فلم أعد أستطيع لذلك تفسيرا . فلو كنت رابط الجأش ، لما استطعت أن أفعل ذلك . لكن العهد كان يدفعنى . كل خطوة على الطريق ، كل حاجز أجتازه ، كل خطر أتغلب عليه كان يقربنى منها ، - منها - منك ! ... كان الألم قد عاودنى من جديد . كنت أشعر بآلام حادة . ومن أثر الجهد الذى كان السير يكلفنى إياه ، كنت غارقا فى العرق . وحينما كانوا يوقفوننى ليطلبوا منى أوراقى ،

كنت أعرى ساقى المتورمة كأننى من جرحى حرب " الفيندية " كنت فى كل مدينة أعلم بتعذيب أحد رفاقى أو بموته . وفى الليل . كنت أنام ، مرتديا ثيابى ، ومسدسان فى جيبى ، وحبات من الأفيون مخبأة فوق جلدى فى قفاز مهلهل . كنت قد صممت ألا ينالونى حيا ! .. كنت أصحو فى الصباح، أكثر إنهاكا من اليوم السابق . كنت أزيد من سرعتى دائما ، كمثل المطارد الذى يسمع من خلفه ، فى الليل ، وقع الخطوات ترن فوق الأرض التى يكسوها الجليد . كانت أنفاس الموت فى إثرى . كنت أشعر به . كان يتعقبنى ... ستقولين لى إنه كان يجب أن أفكر أننى أقود إليك هذا الموت ؟ ... لقد فكرت فى ذلك ... إن العاشق الشهم ، بدل أن يعرض للخطر تلك التى يحبها، أحرى به أن يعدل عن رؤيتها . أما أنا ، فلا ! إن حبى أقوى من الاهتمام بحياتك . أن أفقدك ، أن أفقد نفسى ، ليكن ! ... ولكن ليس قبل أن أراك مرة أخرى . أن أراك كما أراك الآن . أن أقول لك إننى أحبك ...

(يتناول يديها ، يتحدث إليها ونفساهما متلاصقان)

صـــــوفـى : **(دون حركة لتخلص نفسها ، كلاهما ثمل)** وبعد ؟

(يصمت كما لو كان لا يدرى شيئا)

(تستطرد)

وبعد ذلك ، ماذا سيحدث لك ؟

فـــالليـــه : لم أنظر أبعد من ذلك .

(يترك كل منهما يدى صاحبه ويصمتان ، بهما غصة من أثر العاصفة الداخلية ... صوفى تبتعد فجأة ، تنهض ، تستند على ظهر المعزف ، تنتظر ريثما تهدأ دقات قلبها . فى مواجهتها ، فالليه ، جالسا ، مائلا إلى الأمام يرمق الأرض بنظرة قاسية ينوب فيها العنف ، لم يتحرك)

صوفى : **(تملك زمام نفسها وتعود إلى فالليه :)** حبيبى . حبيبى الغالى .. إننى أشكرك

فالليه : **(رافعا رأسه فى غضب)** ليس شكرك الذى أريد

صوفى : **(بعد وقفة قصيرة)** إننى أرتعد إذ أفكر أنك موجود فى هذه المدينة ، فى هذا المنزل ، حيث يمر أناس كثيرون يمكن أن يتعرفوك

فالليه : الآن ، ماذا يهمنى ؟

صوفى : ولكن يهمنى أنا : لقد جئت إلى هنا تضع نفسك تحت حمايتى . ويجب علىّ، بل أريد أن أنقذك .

فالليه : ليس هناك من خلاص ، لم يعد على الأرض من ملجأ للإنسان الذى أراد أن يخلص الناس

صوفى : يجب أن تبلغ الحدود . يجب أن تدخر نفسك لأوقات أفضل . سوف يحتاجون إليك ، قضيتك ، وطنك

فالليه : أما أنا فلم تعد بى حاجة إليهم . ليست بى حاجة إلا إليك .

صوفى : فالليه ، أتوسل إليك ! لا تضح بحياتك ! فلنبحث عن مكان تختبئ فيه ، وطريقة لهربك .

فـــالليـــه : الهرب ! هل تتصورين أنني سأعود إلى الهرب مرة أخرى ؟
هل تعتقدين أن فى الإمكان تكرار المحنة التى مررت بها ؟
تلك الشهور الخمسة من الاحتضار ! إن العقل والقوى
البشرية لا تكفى لذلك . إننا لا نستطيع ذلك بغير عهد
كذلك الذى كان ينير لى وأنا فى طريقى إليك . فما الذى
يمكن أن يشد من عزمى وأنا أبتعد عنك ؟

صـــــوفـى : (بعاطفة) أنا !

فـــالليـــه : أنت .

صـــــوفـى : أنا ! ... يا حبيبى !

فـــالليـــه : (ناهضا) حبيبك ؟

صـــــوفـى : لن أستطيع الحياة دونك !

فـــالليـــه : تحبيننى إذن ! أنت تحبيننى !

صـــــوفـى : أنت تعلم ذلك ، فلماذا أرغمتنى على أن أقوله لك ؟

: لقد قلته ! أعيديه !

صـــــوفـى : لا يجب ذلك .

فـــالليـــه : بل يجب ذلك . أعيدى ما قلته .

صـــــوفـى : أحبك !

(يتعانقان)

فـــالليـــه : شفتاك ! آه ! أخيرا أرتوى من نبعهما ! ... ابقى !
لا تبتعدى ! لا تنفرى منى ! اغفرى لبؤسى ، لثيابى
الرثة ، ويدىَّ ، وقدمىَّ الموحلتين ، وجسدى الذى يفوح
عرقا وغبارا . إننى أشعر بالخجل ! ...

صـــــوفـى : إننى أحبك ! أحب بؤسك ، أحب حتى غبار يديك ووحل قدميك !

(تنحنى لتقبل يديه وثيابه)

فـــاالليــــه : **(يحتجزها ، يرفع رأسها بيديه ، يغرق عينيه فى عينى صوفى ، التى تستسلم، متعلقة بنظرته . بعد صمت عاطفى :)**

آه ! ما أجمل الحياة ! ... سأعيش الآن . أريد ذلك . لن ينالونى ! إذا كنت قد استطعت ، وأنا وحيد ، أن أخترق عالما من الأعداء . فما الذى لا أقدم عليه الآن وقد حصلت عليك ؟ ...

اسمعى ما سنفعله ! ... من السهل عليك أن تحصلى لى على جواز سفر مزيف ورداء للتنكر ، سترة يعقوبية . ثم آخذ العربة العامة التى توصل من باريس إلى " دول " ، ومن هناك ، أسير على قدمى ، فأنا أعرف الطرق التى توصل إلى الحدود عبر الهضاب المرتفعة . قبل اجتيازها ، سأعثر لبضعة أيام على مأوى فى أحد أكواخ الحطابين . وبعد أسبوع ، تهربين من باريس ، وتأتين لتلحقى بى فى المأوى الذى سأحدده لك . خمس أو ست فراسخ على الأقدام . الطرق يغطيها الجليد . لكنك لا تخشين السير . سنتسلق سويا منحدرات جبال " جورا " ومن فوق القمة سنرى الأرض الحرة ، سويسرا . ساعات قليلة بعد ذلك ونكون قد نجونا .

صـــــوفـى : (مأخوذة بسيل هذه الإرادة ، ولكن تحاول أن تتماك نفسها)
نحن ؟ أنا ؟ ... أنا ، أتبعك ؟

فـــالليـــه : مادمت لى !

صـــــوفـى : (فى أنين) لا أستطيع ! لا أستطيع !

فـــالليـــه : إذا كنت تريدين ، فأنت تستطيعين .

صـــــوفـى : لا أستطيع !

فـــالليـــه : من يمنعك ؟

صـــــوفـى : واجبى .

فـــالليـــه : (بمرارة) الواجب ! فى هذا العالم المشئوم ، هذه الكلمة لا تستخدم إلا فى القتل . إنما باسمها راح المنافق الكبير ، حقير أراس ، يذبح أنداده ، وراح جبن الأصدقاء يسلم الأصدقاء للجلاد . الواجب ! ما أسوأ ما نستعمل هذه الكلمة الكاذبة ! ... انظرى فى وجهى ! إن الحقيقة الوحيدة هنا فى عيوننا . أنت وأنا .

صـــــوفـى : إننى أرى أيضا زوجى . إنه مسن ، ويحبنى ، ويثق بى . إذا تركته ، أكون مذنبة .

فـــالليـــه : مذنبة ، لقد كنت كذلك ، إذ تزوجته . إنها لجريمة أن تربط الأجساد الشابة بالهرمة . لقد أعطيته اكثر من اللازم . إننى أحقد على آنانيته التى قبلت ذلك. هيا ، لا ترثى له ! إنه يستطيع أن يحيا دونك . أن لديه علمه ، ومجده ، وغروره وصداقة الطغاة . ماذا أنت فى حياته أكثر من ثمرة ، لا يستطيع حتى أن يقطفها ؟

صـــــوفـي : لقد وهبت نفسي له ، وهبتها ، بإرادتي . هل بوسعي الآن أن أسترد نفسي دون أن أحتقر نفسي

فـــاليـــه : احتقري نفسك ! ففي مثل هذه الساعة ماذا يهم الاحتقار ؟ إن كل ما حولنا يموت ، كل شيء حطام . كل الروابط والقوانين التي كانت تقيم مجتمع الناس. احترام الشقاء ، وحب الخير وطيبة القلب ، كل شيء . وسط الخرائب ، الحب وحده لا يزال يبرق . وكل ما عداه لبل حالك .

صـــــوفـي : **(يداها فوق صدرها ، بصوت خفيض ، تحرقها نشوة داخلية)**

يا أيها النور !

فـــاليـــه : **(يطوقها بذراعيه)** هل ستتبعينني ؟

(صوفي دون أن تنظر إلى فاليه ، تظل في وضع النشوة ، دون أن تجيب)

فـــاليـــه : **(آمراً)** اجيبي ! ... ستتبعينني

(صوفي تدير ببطء نحو فاليه وجهها الذي يضيئه الحب . يداها المعقودتان تحف أطراف أصابعها شفتاها الفاغرتان ، اللتان تهمان بالكلام . فجأة تخلص نفسها ، وتنصت ، وتقول على الفور :)

صـــــوفـي : شخص قادم ... يصعد السلم

(في عجل ، تدفع فاليه داخل الحجرة التي يفتح بابها إلى اليسار قرب الدرابزين)

المشهد الثالث

(يدخل چيروم دى كورفوازييه من باب السلم ، إلى اليمين، دون أن يرى صوفى ، التى لا تزال عند عتبة باب الحجرة التى دخل فيها فالليه ، يتوجه بخطوات مترنحة ومتعجلة ، ناحية المكتب إلى اليسار . إنه دون قبعة . شعره الرمادى المتطاير غير منظم ، رباط عنقه ذو العقدة الكبيرة معقود بطريقة سيئة ، هيئته ، حركاته ، تعبيره ، تدل على ارتباكه . تنفسه صعب ومختنق . يقول كلاما بلا بقية ، يصدر أنينا . يرتمى فوق أحد الكراسى أمام المكتب يتكئ بمرفقيه وسط الأوراق . يخفى وجهه بيديه)

صـــــوفـى : (مندهشة من مظهره وهيئته) چيروم !

(لا يتحرك ، ويواصل أنينه بصوت خفيض)

صـــــوفـى : (قلقة ، تذهب نحوه) صديقى ...

(لا يجيب)

(تضع يدها فوق كتفه ، تسأل باهتمام زائد) ماذا بك ؟

(يرفع رأسه نحوها ، وهو يتنفس بشدة ، ينظر إليها وينهار من جديد)

صـــــوفـى : **(مائلة ، ترفع جبينه بيديها وتقول بعاطفة يشوبها القلق :)**
هل تتـألم ؟ ماذا حدث لك ؟

(چيروم دى كورفوازييه يبذل مجهودا لكى يبتسم لزوجته ويستعيد هدوءه ، يفتح فمه ليتكلم . لا يستطيع . يقف نصف وقفة ويحاول أن يبلغ بيده شيئا يوجد فوق المنضدة الصغيرة القريبة التى توجد فوقها فناجين القهوة)

صـــــوفـى : ماذا تريد أن أعطيك !

(چيروم يشير إلى زجاجة (قنينة)

صـــــوفـى : **(تعطيه إياها)** هذه الخمر ؟ إنك لا تشرب على الإطلاق !

(چيروم يتناول القنينة ، يصب لنفسه منها كأسا كاملة ، يشربها جرعة واحدة)

چيـــــروم : يا إلهى إننى أتردى ، فى هذه الإنسانية ...

صـــــوفـى : أية صدمة استطاعت أن تفل من عزمك ؟ ... يا صديقى ، من أين أنت قادم ؟

چيـــــروم : من لجنة الميثاق .

صـــــوفـى : هل انتهت الجلسة ؟

چيـــــروم : كلا . لكننى لم أستطع البقاء حتى النهاية .

صـــــوفـى : ماذا حدث ؟ أى عنف جديد . هل هناك ما يمكن أن يفاجئك ؟ إنك تعرف طباع البشر .

چيـــــروم : إنهم لم يعودوا بشرا . إنهم قطيع من البهائم ، ذليلة متوحشة . كل غرائز الخسة والوحشية عارية تماما .

لحم مذبحة . كلاب جبّانة تزحف وتتشمم رائحة الدماء . وسط الحظيرة ، ذئاب وضباع ، تحوم . لقد خلت الحجرة الواسعة تماما . أكثر من مائتين هربوا ، ماتوا ، اختفوا . حزب اليمين أصبح خاويا . إن الذين بقوا أحياء ممن كانوا يشغلونه هربوا من أماكنهم ، وراحوا يتسلقون وهم منبطحون على وجوههم حتى قمة الجبل . حتى أكثرهم حذرا ، كانوا لا يكفون عن تغيير أماكنهم فما من مكان صار آمنا . لأننا لا نعلم على الإطلاق أين ستتجه الضربة ، إلى أعلى أم إلى أسفل ؟ إنهم يحاولون أن يظهروا وكأنهم لا شيء ، وأن يتواروا وراء ستائر النسيان . إن عيونهم التى تتذبذب ، راحت ترصد من تحتهم ، وعن شمالهم ، وعن يمينهم ، انتفاضات القطيع ورمشات الذئاب - وبخاصة جبهة روبيسبير الغامضة وعيناه الصفراوان تحت منظاره القديم ، وجبهة " بيو " المنخفضة وعيناه اللتان يخطهما الاحمرار ، وذلك الجمود فى عينى سان-جوست الزرقاوين فى محجريه ، محجرى الصقر ، سان-جوست ... إنه فوق المنصة . يتأهب للحديث . سكون . ها هو ذا برقبته المشدودة يجيل نظرته الباردة تحلق فوق هذه الظهور التى تنحنى وتحاول أن تتجنبها . إنه يحصيهم : على أيهم يا ترى سينقض ؟ ليس هناك ما يستدعى العجلة . فلديه الوقت . لن يجرؤ أحد على التحرك ... منذ ستة

شهور تزمجر فى هذه الحظيرة الأهواء المتناقضة كما تزمجر الأمواج : الجيرونديون والجبليون فى فريقين متأهبين ، يتناوآن باللفظ والحركة ، والسلاح فى أيديهم ، وفى هذه الملحمة التى يتجلى فيها رعد المنصات ألفان من الرءوس تزمجر . اليوم هو القبر . عندما يتحدث واحد من الجزارين ، فكأنما نسمع الذئب يحوم فوق الجثث . إن كل هذه الأجساد الثابتة ترتعد من الانتظار المهووس . فما إن ندخل حظيرة الماشية ، لا يدرى أحد ماذا سيفعل ، ولا ماذا سيفعل به . لا أحد يدرى إذا كانت حياته ستطلب ، ولا حياة من سيتحتم عليه أن يطلب . ما إن نجتاز العتبة ، **(ولا بد من اجتيازها لأننا لا يمكن أن نهرب ، دون أن ندل على أنفسنا)** حتى نتحول إلى أشخاص آخرين . فالزميل ، الصديق ، الذى كان قبل لحظة يشد على يدك ، يصبح غريبا عنك ... ماذا يظن بى ؟ وأنا ، ماذا أظن به ؟ ... إن كل فرد يصبح لغزا بالنسبة للآخر ... ربما بعد لحظة ، أراه ينهض ، وعيناه تتهددان، وفمه يرغى ويزبد ، فيهاجمنى عاويا ضدى ، مع سرب الكلاب ، ... أو ربما أسبقه أنا إلى ذلك ... لأنه تحل لحظة ، أعرف فيها أن زميلى سيطلب رأسى، إذا لم أبادر بطلب رأسه ، قبل ذلك ...

(قام چيروم بهذا السرد ، ويداه ترتعدان ، فى هياج مهووس . فى هذه اللحظة يتوقف ويأتى حركة ليتناول

من جديد قنينة الخمر . لكن صوفى ، فى عزم وحزم ، تبعد القنينة عن يد زوجها وتجلس بالقرب منه ، وتتحسس ذراعه فى حنان ، وتقول :)

صـــــوفى : لا تنفعل ، هدئ من روعك ! ... أخبرنى بما حدث . إننى أحاول أن أفهم ...
تقول إن سان جوست قد تكلم ؟ هل هناك أحكام جديدة بالنفى ؟ وهل فيها ما يمسك ؟

چيـــــروم : (**يقول نعم برأسه**) أحكام جديدة ، نعم .

صـــــوفى : ولكن ضد من ؟ لقد ضربوا كل أعدائهم . أعداء اليسار ، وأعداء اليمين . إن چيروند التعيسة تختم نهايتها . ومجلس العموم قد تحطم . ولم تمر ثمانية أيام منذ سقطت رءوس هيبير و شوميت و كلو . ماذا بقى لهم لكى يقضوا عليه ؟

چيـــــروم : هم . إنهم يفترسون بعضهم بعضا . فبعد أن صنعوا الفراغ حول الجمهورية ، يقتلون الجمهورية ... هذا الصباح ، فى السادسة ، قبضوا على ...

صـــــوفى : من ؟

چيـــــروم : دانتون .

صـــــوفى : دانتون ؟

چيـــــروم : لم نكن صديقين . لم أكن أحب هذا الرجل . فإن ذلك العنف الذى يرغى ويزبد وذلك السيل المحمل بالأوحال ، وذلك الشيطان المجنون ، المريد ، وتلك الغرائز الوضيعة ،

وذلك الدهاء ، كل ذلك كان يوحى إلى بالنفور والاشمئزاز منه . إن فحيحه كان يخفى وراءه فى أغلب الأحيان الاضطراب والشك . ولكن من ذا يستطيع أن ينكر الخدمات الهائلة التى أسداها بجرأته العظيمة للجمهورية ؟ ... من منا لم ير وسط الأيام المظلمة ذلك الوجه المخيف يشرئب وسط السحاب يجلله البرق وكأنه روح الثورة نفسها ؟... عندما بلغت المجلس إشاعة الأمر بالقبض عليه . تجمد كل الحاضرين من الذهول . لم يبق واحد لم يشعر بأن هذا الرجل كان مقدسا ، وأنه يخص تراث الأمة الذى لا يمكن انتهاكه. وما أقل الذين لم يشعروا بفضله ! وكم منهم - فى الأيام العصيبة - احتمى به ! قطيع كامل من العملاء كانوا يقتاتون على فتاته . لكن هذه الفئة وقد أصابها الذعر ، راحت تهمس ، ثم تلوذ بالصمت ، وقد لذت بالصمت مثلهم ...

وأخيرا ، فإن أحد أفراد حزبه ، وكان معروفا من الجميع بأنه ممن يدورون فى فلك النجم الذى هوى ، وقد شعر بأنه يتردى فى الهاوية ، حاول بطريقة لا إرادية أن يقوم بحركة من أجل الحفاظ عليه . هذا الشخص هو لوجندر ، وهو رجل سوقى ، كان ، فى ظل " دانتون " ، يتألق معه ... لقد منحه الخوف قوة، فصاح عاليا ، وطالب مزمجرا ، لكى يتشجع ، بحرية دانتون . وما إن اطمأن أغلب الحاضرين لهذه الصرخة المنبثقة من الصمت ، حتى

بدءوا يساندونه بطنينهم . وذهبت الجرأة ببعضهم فجعلوا يصفقون . بضع دقائق أخرى ، وكان من الجائز أن تجد اللجنة الشجاعة الكافية لكى لا تسلم باغتيال نفسها ... وفجأة دخل " روبسبيير " . فتجمد هدير القلوب فى الحال . وعلى طول طريقه راحت الفكرة تتعجل الارتداد والدخول تحت الوجوه . ومن جديد أحدق الصمت بالرجل الذى كان يتحدث . ورأى " لوجوندر " " روبسبير " .

وساعده اندفاعه ، لحظة أخرى ، على إطلاق الصيحات التى راحت تقع فى الفراغ . ثم ، فقد اتزانه ، وتوقف ، واستأنف ، وتلعثم ، ووسط إحدى الجمل ضرب بقبضته فوق المنصة ، وتوقف وغاص . وفى بطء راح " روبسبيير" يصعد من السلم الآخر . ودون أن يهتم بالرد على عواء البهيمة المذعورة التى كانت فى ذلك الوقت تسعى إلى الدخول فى ثنايا النسيان ، راح يقرأ بصوته الخالى من النبرات ، أمر القبض الذى أصدرته فى الليلة السابقة اللجان الثلاث. وجعل يتحدث بألفاظ جوفاء عن مكيدة كبرى . وهنأ "مجلس الشيوخ الذى استطاع أن ينتزع من داخله جميع الأعضاء غير الأكفاء الذين خانوا القضية ..." وعلى حين بغتة ، أصبح صوته مهددا ، والتفت ناحية " لوجوندر " الذى كان منزويا وراء شخص آخر ، وراح ، وهو يتظاهر بأنه لا يراه ، يهاجم المتآمرين المختفين الذين يدفعون عن الخونة سيف

القانون . فطلب "لوجوندر" ، وهو يتلعثم ، أن يرد . ولكن الآخر ، دون أن يتأثر ، تظاهر بأنه لم يسمعه وانتهى من عرض جمله المطننة الموزونة التى تتردد فيها كلمة الموت ، ثم انصرف تاركا البلطة المطوقة بالغار معلقة على رءوس أعضاء المجلس ...

كان الصمت يزداد عمقا أشبه بالهوة السحيقة . ومن الأعماق ، ارتفع مرة أخرى عواء " لوجوندر " نابحا على الموت . ولكن هذه المرة ، لم يعد لدى الكلب سوى فكرة واحدة . أن ينبطح ويجثو تحت السوط وينال العفو بلعق القدم التى كانت تركله . اعتذر والغصة تملأ صدره متعللا بأنه لم يكن يدرى ، ولم يكن يعرف ... ، دافعا باستعداده لأن يسلم صديقه أو شقيقه إذا كانا جانيين ، متنكرا للرجل المغلوب مستشهدا بجبن المجلس على نكرانه الخسيس ... حدث ذلك ودون أن يجرؤ واحد فقط على أن يبسط له يده أو تنفجر أسارير الرجل الغامض بتهديده الصامت ، وهو يتأمل الشقى الذى كان يغوص ويغرق ...

واختفى الرجل . فقد غطاه سماط من الازدراء والخوف . وعندئذ ، راح واحد من حزب المونتانى ، باسم المجلس ، يهنئ اللجان التى أحبطت بيقظها المؤامرات الجديدة . ومن جهات مختلفة فى القاعة ، انضمت إليه بعض الأصوات تؤيده . لكن "روبسبيير" ، الذى يعلم تقلب

المجالس ، لم يكتف بهذه الأصوات التى لم تصدر عن العقول . بل أراد أن تصدر اللجنة حكمها عن طريق الاقتراع بالاسم ، وأن تقر محاكمة "دانتون" – أى القضاء عليه ، لأن الحكم كان قد صدر مقدما .

صـــــوفى : واقترعت أنت !

چيـــــروم : راحوا جميعا يقترعون . كلهم كانوا يسرعون إلى المنصة ، تحت أعين أصحاب الأمر . بعضهم بظهور مستديرة ، وبصوت غير مطمئن . أما الأغلبية فقد تظاهرت بالصلابة الرومانية ، وجعل صوتها يجلجل فى القاعة ، بينما الرعب يصيح فى أحشائهم . واقترع "لوجوندر" . باع يده . كنا خمسة أو ستة ننظر فى ألم . كان كل منا ينتظر دوره فى الاقتراع . وعندما كان يأتى دور أحدنا ، كان ينهض ويذهب ، يذهب ليلقى بصوته ، يلقى بحجره على المهزوم .

صـــــوفى : وأنت ألقيته !

چيـــــروم : عندما حان دورى ، نهضت وانصرفت .

صـــــوفى : لم تقترع ! ...

چيـــــروم : كنت قريبا من باب الخروج. نادوا باسمى . وكرر شخص خلفى قائلا ، وهو يمس كتفى : " كورفوازييه ! " ... وكان هناك رجل **(من كان يا ترى ؟)** يقف أمام الباب . فنحَّيته عن العتبة ، وخرجت من القاعة . وعندما بلغت الشارع ، أصابنى دوار ، وكدت أسقط . وأقبل علىَّ عابر رآنى

أترنح ، فأخذني من ذراعي وصحبني إلى مقهى ، وسقاني مشروبا منعشا . استجمعت قواي كي لا يتفرج على الناس ، وعدت إلى المنزل ... كنت أتمنى أن أرقد فوق الأرض، في التراب وألا أنهض بعد ذلك ... تقززا ، تقززا من الناس ومن نفسي . إنسانية ، حق ، حرية ... يا لها من سخرية ! سخرية عهدي وإيماني . لقد ولد الإنسان لكي يستعبد . لقد ولد الإنسان لكي يخون . إن كل ما نفعله لتحريره ، كل ما نحاول من أجل إنهاضه ، لا يجدي إلا في إظهار حيوانيته . ماذا صنعت ؟ لقد فقدت حياتي ! ...

(يسقط من جديد فوق المنضدة ، رأسه بين يديه)

صـــوفي : **(التي أنصتت إليه بانقباض وشفقة متزايدة)** الرجل المسكين ! الرجل المسكين !

(تميل عليه تأخذ بيده) چيروم ، أي صديقي ! ... زوجي العزيز ! ... لا تستسلم ! إنني أفهمك ، وأرثي لك . إن ما قاسيته أنت أقاسيه معك ... ولكنني لا أريد لد أن تفقد إيمانك ... إيماننا ...

چيـــروم : **(يرفع رأسه ، بلهجة شك :)** إيماننا ؟

صـــوفي : إنه إيماني أنا أيضا . - لا شك أن الناس منحطون ، متوحشون ، منافقون ... وا أسفاه ! إننا ندرك تماما كم نحمل في ذواتنا من وحوش ، من أفكار وضيعة لا نجرؤ على ذكرها ، وتحط كرامتنا ' ولكن لأننا كنا نعلم

ذلك ، قمنا بهذه الثورة ، من أجل تحرير الناس ومن أجل رفعتهم . إننا لم نحاول أن نخفف عن أنفسنا لا المصاعب ولا الأخطار . ربما كل خطئنا أننا اعتقدنا قبل الآوان أننا كسبنا المعركة . ولكن فى تلك الأيام الأولى من التحرير ، كان جميلا أن نستسلم لمعانقة كل من فى فرنسا . هل لنا أن نأسف على ذلك ؟ كان لا يمكن أن يستمر ذلك . ولكن من ذا الذى لم يحسدنا ، من ذا الذى لن يحسدنا لأننا عرفنا هذه السعادة ، مرة فى حياتنا ؟ لقد قطفنا زهرتها . والزهرة ذوت. إن البهجة التى تمتعنا بها لحظة ، دفعنا ثمنها بعد ذلك . أمر شاق . ولكن كان لابد من ذلك . أنت ، يا من تعلمت فى خلال ممارستك للعلم ، الاعتراف بقوانين الطبيعة الثابتة التى لا تتحول ، أهذا سبب يجعلك تشك أو تتخلى عن موقفك ؟ لقد أتيحت لك القوة لكى تصعد عاليا لتحتضن فى نظرة واسعة الأرض وراء الجبال والنهر الذى يتعرج والذى يمثل تقدم الفكر الإنسانى . ولم تتصور يوما من الأيام ، أنه لكى يواصل مجراه ، تكفى لذلك بضع سنوات . بل كنت تتوقع قرونا مع أكثر من توقف وعودة إلى الوراء . كلا ، إننا لن نرى ، بأعيننا ، أرض الميعاد . ولكن ، أليس كثيرا أن نعرف مكانها وأن ندل على طريقها ؟ سوف يأتى آخرون ، أكثر شبابا ، فيواصلون السباق المقطوع . أما نحن ، المقيدين بالعصر الحاضر ، فلنجد

فيهم عزاءنا . يا صديقى ، فى مقابل المشهد الرهيب الذى يخنقك ، تبقى لك فى ذاتك ملاجئ كثيرة تستطيع أن تجد فيها عزاءك ! مجهودك الشخصى ، وأبحاثك واكتشفاتك ، مملكة العلم هذه ، التى هى بمنأى عن نزقات الناس وشرورهم ، والتى ستحررهم ، شاءوا ذلك أو لم يشاءوا ...

چيــــــروم : **(انتصب واقفا شيئا فشيئا ، يداه فى يدى زوجته ، لا يحول عنها عينيه)**

آه ! شىء مريح ! ... من فمك ، هذه الأفكار ... هذا الإيمان ، إيمانى ! إيمانى المفقود ، الذى يعود إلى عن طريقك ... زوجتى ! ... إذن فأنت تحبيننى ؟ ... كنت أظن عكس ذلك ! ...

(يقبل يديها)

(صوفى ، مضطربة ، تحول رأسها ، بينما زوجها مائل على يديها)

چيــــــروم : **(يرفع عينيه نحوها ، يتوسمها بعرفان ويترقب الإجابة بانكسار :)**

صوفى ، هل تشعرين نحوى حقا بشىء من الحب ؟

صـــــوف : **(محاولة الهرب)** آه ! انتابتنى رعدة قبل برهة ، خلال حديثك ... كنت أخشى ... كنت أخشى ...

چيــــــروم : **(بابتسامة حزينة)** كنت تخشين جبنى ؟

صـــــوفى : كلا ، لا تقل هذه الكلمة !

چيـــــروم : أولم أظهره بما فيه الكفاية ؟

صـــــوفـى : لقد رفضت أن تتردى فى خزى الآخرين .

چيـــــروم : آه ، كــان ينبــغى أن أتكلم . لقــد هربت . إننى رجل ضعيف ، لا يملك سوى شجاعة ضعيفة لا تجدى ...

(فالليه يظهر عند عتبة الحجرة ودون أن يلحظاه ، ينظر إليـهما فـى غيرة وحـقد . عندما تتحـول عيـونهما آليا ناحيته ، يتراجع إلى داخل الحجرة)

صـــــوفـى : (**فى ود صادق**) إنك لرجل بائس ، ضعيف ، ومن أجل ذلك ...

(تتوقف عن اندفاعها)

چيـــــروم : (**يسحبها من يديها اللتين لم يتركهما**) ومن أجل ذلك ؟ ...

(لا تجيب فيلح)

ومن أجل ذلك ؟... قولي !... تشعرين نحوى بشىء من ... من العطف .

صـــــوفـى : (**محرجة ، تفر ثانية**) وذلك ، يا صديقى ، لأنك ضعيف فإن قيمتك ترتفع إذ تخاطر بحياتك . لأنك خـاطرت بـها . لا تحقر من شأن نفسك ، بالحديث عـن الهرب .

چيـــــروم : هذا صحيح . وإننى أعلم أنهم سيطالبوننى بالحساب . فمنذ شـهرين مضـيا وأنا مـوضـع شك . جمـيع خطواتى يراقبونها ، وكل أقوالى يسجلونها ، حتى حالات صمتى . إن الوشـاة يرصـدوننى . إن منهم أصـدقـاء لنا . ولقـد استطعت اليـوم بالذات (**وكنت أنتظر حـتى أتـأكـد لكى أخبرك بشكوكى فيه**) اسـتطعت أن أحصـل على أدلة بأن العجوز دينى بايو ...

صـــــوفـى : (**مذعورة**) يا إلهى !

چيـــــروم : كل ما نقوله هنا ، ينقله ...

صـــــوفـى : كـلا ، لا أسـتطيع أن أصـدق ذلك ! ذلك الكهل ... ذلك الرجل الرقيق الهياب ... وما الدافع ؟

چيـــــروم : (**وهو يهز كتفيه**) ليشـتـرى سلامته ... ثم ، فى عصـر كعصرنا ، فإن الخسـة تنتشر كالبرص ، فنحن نرى من كرام الناس من يشعرون على حـين بغتـة بحاجتهم إلى الهبوط والتلوث ...

صـــــوفـى : (**وهى فريسة الرعب**) چيروم ! لقد كان هنا ! ...

چيـــــروم : من ؟ بايو ؟ اليوم ؟

(تشير نعم برأسها ،لا يسمح لها تأثرها البالغ بالكلام)

چيـــــروم : ماذا تخشين ، يا صوفى ؟ إننى أعرف حذرك ...

صـــــوفـى : ... كان هنا ، حينما دخل ...

چيـــــروم : حينما دخل ؟...

صـــــوفـى : محكوم عليه ، يبحث عن مأوى ... فاللييه ...

چيـــــروم : (**فى صيحة دهشة وفرح**) فاللييه ! ... حى ! جاء هنا ! ... صوفى ، هل استقبلته ؟ ألم تغلقى فى وجهه بابنا ؟ أين هو ؟

صـــــوفـى : ها هو ذا !

(تشير إلى فاللييه ، الذى جاء إلى عتبة الباب حين سماع اسمه . ولكى تخـفـى اضطرابهـا ، تخـرج من بـاب السلم ، تـاركـة الرجلين وحدهما ، كما لو كانت تريد أن تراقب المدخل)

المشهد الرابع

چيـــــــروم : **(يتقدم ناحية فالليه ، باسطا له ذراعيه)** صديقى !

(فالليه لا يتحرك . بعد توقف قصير ، چيروم يواصل التقدم نحوه)

استطعت أن تهرب ! ... كانوا يقولون ... الحمد لله ! ...

(وصل قرب فالليه ، يريد أن يعانقه ، ولكن فالليه يستدير عائدا إلى حجرة الاستقبال ، يقف على بعد مسافة)

فـــالليـــه : **(بسخرية باردة)** فلندع الله وشئونه ! إنه لا يهتم بشئوننا ! إن الله مع روبسبيير .

چيـــــــروم : **(وقد توقف فى اندفاعه العاطفى ، يستطرد بعد صمته)**

فالليه ! إننى أراك من جديد ! ... وسط الهموم والأحزان السوداء التى تجتاحنى اليوم ، يلوح لى أن شعاعا من الشمس دخل معك ...

(يتقدم من جديد بضع خطوات ناحية فالليه وفى هذه المرة يمد إليه يده التى لا يتناولها فالليه)

فـــالليـــه : **(باللهجة الساخرة الجامدة نفسها)** لا تقترب ! فقد تحترق !

چيـــــروم : (**مـأخـوذا ، يتـراجـع خطوة**) فـالليه ! أى صـديقى ! ... مـاذا بك ؟ ... ألا تريد أن تصـافـح يدى ؟ ... هل تشك فى أمرى ؟ ... إن منزلى لك . وأنا أشكرك لأنك اخترته مأوى لك . هل تشك فى صداقتى ؟ لقد ظلت وفية لك .

فـالليـه : (**بمرارة**) إننى أعـرف هذه الصـداقـات التى سلمَنا وفاؤها قبل عام إلى القتلة .

چيـــروم : (**محزونا**) فـالليه ، الواقع أننى قمت بالقليل جدا ، من أجل الدفـاع عنكـم ؛ ولكن (**إننى لا أعتـذر ، أدنِّى إذا شئت !**) ولكنك لا تعـمل حسابا لهذا الجو ، مستشفى المجاذيب ، الذى نعيش فيه سجناء ، واستحالة كلمة عقل فيه . إنـه وباء . وإن أسلم العقول لتصاب به شيئا فشيئا . أربـع سنوات من التـوتر البـالـغ ، من الخطب الجنونيـة ، من الكتـابات المحـمـومـة ، من الرعب ، من الشكوك ومن الآلام التى تشبـه آلام المسيح وخيبة الآمـال المريرة ، كل ذلك خلق جوا مـشـحـونا بالسـموم . إن التـهديد بالموت يفـسـد كل تفكيـر . والإنسـان لا يسـتطيع دون خطر أن يظل سنوات فوق حد السيف هذا : " الانتصار أو الموت " . إنه يضـرج بالدم ويتمزق غيظا . ومن يحاول إعادته إلى المشـاعـر الإنسـانيـة ، تمزقـه أسـنان هـذه النمـور ... وا أسفـاه ، إنهم أصدقاؤك ، يا فالليه ، أعضـاء حزبك ، وأنت معـهم ، الذين كنتم - بإعلانكم الحرب ضد أوروبا

وإلقاء الدولة فى الصراعات الوطنية - أول من أثار الهياج والثوره والغضب الذى راح يلتهمكم .

فاليه : (**جارحا**) لقد رفضنا التحالف مع الجريمة . أما غيرنا فقد تواطأ معها إبقاءً على حياته .

چيروم : (**مجروحا ، لكن مالكا زمام نفسه**) فوق حياتنا ، توجد منجزات حياتنا : ثورتنا الشابة . وأعداؤها كثيرون ! فعلينا ألا نضيف إليهم أحقادنا ! يجب علينا أن نضحى فى سبيلها بكل عواطفنا .

فاليه : (**بلهجة مهينة**) إن التضحية لا تكلف شيئا أولئك الذين ليست لهم عواطف ، وليس لهم سوى مصالح .

چيروم : (**الذى لا يريد أن يفهم**) إننا لا نتحدث عن هذه الفئة . فلندع النفوس الوضيعة! إن ما بيننا ، أنت وأنا ،لا يمكن أن يكون سوى ما بين الذين يعيشون من أجل الأفكار .

فاليه : هناك من يموتون من أجلها ، وهناك من يعيشون على حسابها .

چيروم : (**يصيح**) فاليه ! ... ماذا تريد أن تقول ؟ ... وأخيرا ، ماذا بك ؟ ... كأنك ناقم علىَّ ؟

فاليه : (**بعد لحظة ، بحقد**) أجل !

چيروم : (**محزونا**) فى هذه الساعة ، التى تتهدد فيها الأخطار حياتك فى كل مكان، فى باريس الحافلة بأعدائك ، ألا يجدر بك أن تقدم العرفان لرجل يحبك ، لا يشاركك أراءك ، ويحترمها ويود أن ينقذك ؟

فـــاليـــه : **(باحتداد)** لا ، إنني لا أقدم العرفان ! إن حبك كذب ! أنك لا تحب إلا نفسك. وخلاصك أعمالك الحذرة وحيادك . لعنة الله على الطغاة الذين يقتلون فرنسا ! وسحقا للمحايدين ! ...ألا فاعلم أننى أبغض "روبسبيير" ، ذلك الوحش ، ذلك الطاغية المستبد ، جلاد الجمهورية الذى باع نفسه للنمسا . إننى أتمنى أن تجىء "شارلوك كوردى" أخرى تغتاله عندئذ أقبل الخنجر الذى ينزع قلبه من صدره. ولكن حقدى هذا ليس أقل من حقدى على أهل الحذر والحيطة ، الذين يلزمون الصمت . يلعبون بالجريمة والفضيلة فى مثل هذا الصراع الرهيب، لا يكترثون بشىء ولا يهتمون إلا بدورهم الذى يشبه دور رقاص الساعة ، مستعدين دائما لخدمة هذا على حساب ذلك وخيانته فى اليوم التالى ! ...

چيـــــروم : **(متمالكا نفسه ، بالغ الهدوء ، مع ارتجاف فى الأعماق)** فاليه ، هذا الكلام لا يوجه إلى مثلى .

فـــاليـــه : **(ثائرا)** بل إليك !

چيـــــروم : **(مذعورا ، يظل لحظة دون أن يجيب)** ولكن إذا كنت تبغضنى إلى هذا الحد، فلماذا جئت فى منزلى تبحث لك عن مأوى ؟

(فـاليـه لا يجـيب ، ولكن نظرته تذهب من فـوق كورفوازييه ناحية باب السلم الذى يفتح من جديد : صوفى تعود ، يتعلق بها بواسطة إشعاع عاطفى . چيروم يلاحظ التغير المفاجئ فى تعبير وجهه . وعندما يلتفت ليبحث عن سببه، يرى زوجته مقبلة نحوه)

المشهد الخامس

صـــــوفـى : **(فريسة لانفعال حاد ، أغلقت الباب وتسرع ناحية چيروم)**
إنهم قادمون !إنهم قادمون ! ... چيروم ! ... لقد ضاع ! ...
(چيروم يلاحظ عينى فالليه ، الذى لا يبدو عليه أى تأثر لكلام صوفى ، والذى لا يخفى ابتهاجه إذ رآها . ثم يلتفت ناحية صوفى ويفحص اضطرابها. ويصرفه ذلك عن الاهتمام بمعنى ما تقول)

صـــــوفـى : **(تجذب ذراعه)** أسرع ! أسرع ! يا چيروم ! ... ألا تسمعنى ؟

چيـــــروم : من القادم ؟ ماذا رأيت ؟

صـــــوفـى : الشارع مقلوب . فرق من الرجال المسلحين يذهبون من منزل إلى آخر . وبابنا عليه حرس ... تعال ، انظر !
(تقود چيروم إلى النافذة اليمنى التى تحجبها ستائر سميكة . ترفع جانبا من الستار فيميل چيروم لكى يرى . فالليه يتبعهما ولكنه لا ينظر إلا إلى صوفى)

چيـــــروم : يقومون فى الحى بزيارات للمنازل .

صـــــوفـى : هل تعتقد أن هذا الرجل قد أبلغ عنا ؟

چيـــــروم : من ؟ دينى بايو ؟ ... كـلا ... على الأقل ، ليس بعـد . إن الأمـر فى هـذه السـاعـة يتـعلق بإجـراء عـام ، لا يـخـصـنا نحن فـقـط ... انظرى إلى هذه الفـرقـة التـى تدخل المنزل المواجه ... هذا بالطبع أمر تفتيش نظامى ، أصدرتـه لجنة مراقبة القسم ... جميع المنازل تفتش . ولكن قد يحدث ، بعد حوادث اليوم ، أن يفتش منزلنا بنوع خاص .

صـــــوفـى : (**مضطربة**) اهرب ، يا كلود !

چيـــــروم : كلود ؟ ... آه ! أجل ، فاليه ... الهرب مستحيل ... انظرى فى آخـر الشـارع ، إن الحـاجـز مـقـفل ، مـوظـف واقف هناك . لا أحد يستطيع الخروج قبل أن يتم التفتيش ... إنهم يقومون بالتفتيش صفا صفا . بعد المنزل المواجه ، يأتى دور منزلنا . أمامنا ربع ساعة .

صـــــوفـى : (**تفقد شيئا فشيئا السيطرة على نفسها**) چيروم ، يجب إنقاذه !

چيـــــروم : (**لا يزال هادئا**) عـزيزتى . إن حـيـاتنا جـمـيـعـا مـهـددة أيضا .

صـــــوفـى : (**متحمسة**) ولكن هو ، إذا وجدوه فقد هلك !

چيـــــروم : ليس وضعك أحسن من وضعه ، إذا وجدوه هنا .

صـــــوفـى : (**مدفوعة بعاطفتها**) إننى لا أهتم بحياتى ، بشرط أن أنقذ حياته .

فـــاليـــه : (**عيناه مشعتان**) لم أعد أخشى شيئا ، الآن وقد بلغت هدفى .

صــــــــوفــى : كلا ، الهدف هو أن تعيش . لا أريد أن تموت !

فـــاالليــــه : نحيا أو نموت معا !

صــــــــوفــى : (**بعاطفة**) نحيا ! ...

فـــاالليــــه : (**يفيض سرورا**) سنحيا ! ...

(لقد نسيا كل شيء ، كل ما حولهما ، الخطر و چيروم الذى يتأملهما ، وكلاهما ، يده فى يد الآخر وعيناه فى عينيه)

چيــــــــروم : (**بعد صمت ، ببرود بالغ**) إن الدقائق معدودة وإذا أردتما الحياة فلا تفقدا الوقت ، ولو أننى أرى أنكما تستفيدان كثيرا من الوقت .

(عند سماع هذه الكلمات ، تفيق صوفى ، تترك يد فااللي الذى يتراجع من ناحيته وتلتفت ناحية چيروم – لكن دون أن تجرؤ على النظر إليه مواجهة – عيناها مليئتان بالاضطراب)

صوفى ، أنت تعلمين أن فى نهاية هذه الحجرة (**يشير إلى الحجرة اليسرى قرب الدرابزين**) داخل جدار القبو ، فى الخلوة الخشبية التى صنعتها بنفسى لأضع فيها الوثائق التى لا يخلو وقوعها فى جميع الأيدى من خطر . يوجد مكان لإنسان وهو متمدد . أدخلى فيه فااللي ، وأغلقى عليه الجدار بعناية ، والغطاء . إذا اقتصر التفتيش – كما هى العادة – على مجرد زيارة عامة للقسم ، فسيمرون فقط ، وتكون لدينا فرصة للهرب .

صـــــوفـى : تعال ! فلنسرع يا فالليه !

چيـــــروم : انتظرا ! ... يجب أن نتوقع كل شىء . إذا كـان التفـتيش بأمر صادر من لجنة الأمن ، وإذا كان ذلك الرجل - بايو هـذا - قـد أبلـغ عـنا ، فـلا ركـن ، ولا جـدار سيـترك بلا تفتيش . عندئذ لا شىء يمكن عمله . شىء واحد يبقى أمامنا ... خذا .

(من ثنية في رباط عنقه العريض ، يخرج كيسا صغيرا يفتحه ويقسّم ما فيه) هذا السم أكيد المفعول . لقد أتانى من " كابانى " ... هـذا نصيبك يا فاللييه وهـذا نصيبك يا صوفى ... وأنا أحتفظ بنصيبى ... اذهبا !

(صوفى متـأثرة ، فـاللييه مـضطرب ، كـلاهمـا نهب لعواطف متناقضة ، ينظران إلى چيروم الذى لا ينظر إليهما ويذهب ناحية النافذة . يخرجان من باب الحجرة ، إلى اليسار قرب الدرابزين)

المشهد السادس

(چيروم دى كورفوازييه يلتفت ، ثم ، وعيناه مثبتتان على الباب الذى خرجا منه ، يعود ببطء إلى وسط المسرح)

چيــــــروم : **(بسخرية مريرة)** إنهما عاشقان . إلى أى هياج عنيف دفعت الغيرة وقرب الموت بأعز أصدقائى ! إنه قد لا يتردد فى قتلى لكى يسلبنى زوجتى ... أما هى ،التى كنت قبل برهة وجيزة أفضى إليها بشقائى ، فقد كانت شريكته فى الجرم ، وربما كانت تنذر النذور من أجل موتى ... ولم لا ؟ إننى العقبة التى تقف فى طريق هنائهما ! إيه حسن ، فلتطب نفساهما ! لن أظل طويلا أمثل هذه العقبة ... إننى لا أحب أن أرغم على احتجاز شخص للبقاء معى وهو يتوق إلى التخلص منى . كذلك لم أعد أحب أن أستمر مقيدا إلى هذه البشرية الوضيعة ... الوضيعة ؟ كلا السخيفة . إنها حتى لا تستحق الاحتقار ... كائن واحد كان لا يزال يمنحنى سببا للإيمان بها . ولقد انتزعها منى ... حسن ... إذا كان هذان التعيسان لا يزالان يجدان لذة فى الحياة ، فهنيئا لهما ! أما أنا ، فإننى أهب حياتى ...

(يذهب إلى مكتبه ، ومن مجلد كبير ، يسحب مخطوطات مخبأة تحت الغلاف الجلدى)

فى هذه الأوراق التى تدينهم سيعثر الجلادون على قرار إدانتى جاهزاً .

(يضع المخطوطات ظاهرة فوق المنضدة ، وسط حجرة الاستقبال)

(ثم يعود إلى النافذة المطلة على الشارع وينظر إلى الخارج)

يخرجون من المنزل الآخر ... يعبرون الشارع ... يدخلون ... وأنا مستعد .

المشهد السابع

(تسمع مجموعة من الرجال تصعد السلم فى ثقل .
طرقات عنيفة على الباب.
چيروم ، دون عجلة ، يذهب ليفتح . يدخل مندوب وعشرة رجال مسلحين .
ملابس المندوب : " بنطلون واسع من الصوف الأسود ، سترة قصيرة مثله ، صديرية ذات ثلاثة ألوان ، باروكة يعقوبية ذات شعر قصير أسود مرسل ، قبعة حمراء ، سيف ، شاربان ضخمان "
" الرجال ليس عليهم سوى قطع من هذا الزى . كثيرون منهم دون سترة ولا صديرية ، يلبسون الصنادل ، يتسلحون بالحراب)

كـــــرابار : لجنة الأمن ! ...

چيـــــروم : تفضلوا !... أهذا أنت ، أيها المواطن كرابار ؟

كـــــرابار : **(منذ البداية ، يبدى عداءه)** لم تكن تتوقع ذلك ؟

چيـــــروم : **(بهدوء وازدراء)** إننى أتوقع كل شىء .

كـــــرابار : **(ساخرا ومهددا)** أترى ، كيف نتلاقى ، هيه ؟

چيــــــروم : (**بهدوء وازدراء**) خاصة حينما يكون أحدنا (**ليس أنا !**)
يبحث عن الآخر.

كـــــرابار : لم تخطئ أبدا ... ولكننى لم آت لكى أجـفف حلقى فى
الكلام .
هل رأسك مثبت جيدا ؟

چيــــــروم : عليك أنت أن تتأكد من ذلك !

كـــــرابار : (**مخاطبا الآخرين**) هيا (**يصفر وكأنه يصفر لكلاب**)
ابحث ! ابحث !
انهب !

چيــــــروم : هذه هى الكلمة . لقد قلتها بالضبط .

كـــــرابار : ... الذى يضحك فى النهاية هو الرابح .

(الرجال يبدءون فى تفتيش الأثاث بغلظة ، ينزعون الأدراج ، يقلبونها رأسا على عقب فوق الأرضية ، ينثرون الأوراق . على الصوت ، صوفى تقبل من الحجرة المجاورة . تقترب من چيروم الذى يقف ثابتا وسط الحجرة ، موليا ظهره للمقتحمين)

چيــــــروم : (**دون أن يتحرك ، ودون أن يفتح فمه تقريبا**) خلاص ؟

صـــــوفى : (**تشير برأسها ، نعم ، دون أن تتكلم . ثم ، بصوت خفيض**)
هل هناك أمل ؟

چيــــــروم : (**بصوت خفيض**) أبدا .

صـــــوفى : (**بصوت خفيض**) من هذا ؟

چيـــــروم : (**بصوت خفيض**) كرابار . أفَّاق أمرت بالقبض عليه ، قبل عامين ، في الحي العربي ، بوصفه بائع فضة .

كـــــرابـار : (**مخاطبا أحد الرجال**) تيموليون ، نظف المدفأة !

(الرجل يغرس حربته داخل المدفأة ويحركها بقوة)

قليل من القش المبلل ! ... " دوسان " ، أشعل هنا ، فإذا كان الثعلب بالداخل فسنسمع سعاله !

صـــــوفى : (**بصوت خفيض إلى چيروم**) هل يعرفون ؟

(چيروم يهز كتفيه)

كـــــرابـار : (**مخاطبا رجاله**) فتشوا ! فتشوا !

چيـــــروم : (**مخاطبا كرابار**) ارحم على الأقل هذه التحف الفنية الهشة !

(أحد الرجال بعد أن سبر أغوار الجدران بحربته ، يغرسها فى إحدى اللوحات الكبيرة)

(صوفى تطلق صرخة)

كـــــرابـار : (**يهرول ناحية الرجل**) ها ! ها ! ... اغرسها مرة أخرى ! ...

(الرجل يغرس حربته فى اللوحة من جديد)

هل تشعر بشىء ، خلفها ؟ ... أبدا ...

(يلتفت إلى صوفى)

لماذا صرخت ؟

صوفى (**تتأمله بازدراء**)

كـــــرابـار : (**هائجا**) لا تتفضلين بالرد على ؟ ... إنها تنظر إليك كالكلب ... أعوذ بالله!

... أيتها المواطنة ، سنرى إذا كنت تخفين شيئا تحت لوحتك ... ليس هذه ... بل جلدك ... سنبحث بداخلك عن البراغيث ...

(چيروم يأتى حركة ليدفع كرابار . كرابار ينحيه . يدفعه)

أما أنت ، أيها العجوز . فالزم مكانك ! ... انتظر حتى يحين دورك . إن لدى أمرا بتفتيش كل شىء ... وإننى أفتش ... ولكننا ندرك واجبنا بالنسبة لعفة الجنس الآخر ... لسنا نحن أيتها المواطنة ، الذين سننقب بين مفاتنك ... "بودان " ! **(يصيح)** ... أين تلك المرأة ؟ ... بودان !

(تظهر عند باب السلم ، بودان ، فتاة مسدلة الشعر، ذات وجه متودج وصدر ضخم)

هل كنت منهمكة فى إغراء شاب من المغرورين ؟ إياك أن أضبطك ! ... تقدمى ! اصطحبى هذه الكتكوتة إلى الحجرة المجاورة وانظرى إذا كان هناك مهاجر تحت قميصها !

(يضحكون . صوفى تأتى حركة تمرد ، ولكنها تلقى نظرة على باب الحجرة التى أغلقتها دون فاليه ، وتذهب إلى الحجرة الأخرى ، قرب الحديقة ، تتبعها بودان)

چيـــــروم : **(يحدث نفسه)** آه ! كالعادة ، سيبحثون فى كل الأماكن التى لا يوجد فيها شىء يمكن العثور عليه ، ولكن يجب إرغامهم على النظر إلى ما تحت أعينهم . **(يقترب من المنضدة التى فى وسط الحجرة ، حيث لا تزال ظاهرة**

للعيان الأوراق التى تركها دون أن يفكر أحد الرجال فى النظر إليها . يتصرف بطريقة تجذب انتباه كرابار فيجذب الأوراق ، كما لو كان يريد أن يخفيها)

كــــــرابـار : (**منقضا عليه**) مكانك ! ... ناولنى هذا ! ناولنى هذا ! ...

(ينتزع منه الأوراق ، يتصفحها بسرعة ويقرأ :)

" بحث فى العبودية " ... الجمهورية المستعبدة " ...

إننى أحتفظ بذلك !

(يلوّح له بالأوراق تحت أنفه)

لابد وأنه يخفى غيرها ... " تافتا " أمسك يديه ! " فاشار " أخرج ما فى جيوبه !

(رجل يمسك بقبضة چيروم ، وهما خلفه ، بينما الآخر يفتشه ، تحت نظر كرابار)

كــــــرابـار : رأسك فى يدى ، رأس الخنزير !

چيــــــروم : (**بازدراء غير مكترث**) كله !

(يدخل لازار كارنو فى ثياب عضو من لجنة الخلاص العامة . طويل ، ذو عينين زرقاوين ، جبهة عريضة ، كثيف الحاجبين ، خشن ، متغطرس ، متهكم)

المشهد الثامن

كـــــــارنـو : (يتوقف لحظة عند العتبة ، ينظر بدهشة ، يتبين الأمر ، ويصيح بصوت مدو :) أيها الأغبياء ، ماذا تفعلون هنا ؟
(الرجال يلتفتون ناحية الباب)

الرجـــــال : كارنو ! ... كارنو عضو اللجنة العليا !

كـــــــارنـو : (بخطى واسعة أقبل ناحية كرابار ، فينحيه بغلظة ، ينتزع چيروم من الأيدى التى تمسك به) " جان فوتر " اتركه .

كـــــرابار : (ثائرا) لقد جئت بناء على أمر !

كـــــــارنـو : وأنا ، أعطيه .

كـــــــربار : إن واجبى أن أفتش .

كـــــــارنـو : إن واجبك أن تحترم المحترمين . دع هذا الرجل !

كـــــرابار : أهناك امتيازات بالنسبة لأعداء الجمهورية ؟

كـــــــارنـو : أيها الغبى ! إن الجمهورية تدين لهذا الرأس بأكثر مما تدين لمائة رأس حمار من نوعك . إن اكتشافاته هى التى أمدت جيوش الثورة بالأجهزة المدمرة التى جعلتها تنتصر فى معركة واتينى .

كـــــــرابـار : إن الانتـصـار ليس شـهـادة فى الوطنيـة . إننى لا أطمـئن
إلى النسور .

كـــــــارنـو : هل ترى أنهم يحلقون أعلى من اللازم ؟

كـــــــرابـار : إنهم يتجاوزون الحدود . فلننزع أجنحتهم ! كلهم سواء !

كـــــــارنـو : كلهم ضـفـادع ! **(رجال كرابار يضـحكون)** يا كرابار ،
وإلى أن ينزل العالم إلى مستواك ، فإن الجمهورية فى
حاجة إلى قادة . وأنا واحد منهم ، اترك هذا المكان .

كـــــــرابـار : سأرحل ، إذا تراءى لى ذلك . إنك لست السـيد ، هنا .
إننى ممثل لجنة الأمن ، ولا أسمح أبدا بالسخرية ...

كـــــــارنـو : إن لجنة الأمن ليس من عادتها أن تمزح . الويل لمن يقاوم
أوامرها !

كـــــــرابـار : حـسن . سـأرحل ، لأننى أريـد ذلك . ولكن لجنة الأمن
ستـعلم . وإذا كـانت رأسى أنـا فى يديك ، فإننى أقبض
على رأس الآخر .

**(يلوح بالأوراق التى أخـذهـا من چيـروم ، ويخـرج مع
رجاله وتلحق بهم بودان)**

(چيروم وكارنو يبقيان وحدهما)

المشهد التاسع

كـــــارنـو : ماذا أخذ ؟

چيـــــروم : قرار الاتهام .

كـــــارنـو : بوصفك متهَما أو متهِما ؟

چيـــــروم : الاثنان ، أتهم فى هذه الأوراق مفاسد الدستور ، والطغاة الذين يستغلونه .

كـــــارنـو : إنك ترجم السماء . الحجر يسقط فوق رأسك .

چيـــــروم : أنا أعلم ذلك . إن الحقيقة قاتلة .

كـــــارنـو : كورفوازييه ، إن الوقت يمضى بسرعة . كنت أعلم ذلك ، وأنا فى طريقى إلى هنا . لكن الأمور تمضى أسرع مما قدرت لها . فلم أكن أتصور أننى سأجد هنا الوشاة والجواسيس .

چيـــــروم : إذن ، أليست لجنة الخلاص العامة هى التى أرسلتهم ؟

كـــــارنـو : إن لجنة الخلاص العامة ليست فى حاجة إلى جواسيس . يكفيها أصدقاؤك . .

چيـــــروم : هل تكلم دينى بايو ؟

كـــــارنـو : نعم .

چيــــــروم : ليس لدى إذن ما أخبرك به .

كـــــــارنو : إنك تخفى هنا أحد كلاب الجيروند .

چيــــــروم : تنتظر منى أن أسلمه ؟

كـــــــارنو : كلا . بل ألق به فى الخارج ! وليلق حتفه فى مكان آخر ! إننى لم أحضر لأحدثك عنه . فحيثما كان هذا الشقى ، وحيثما ذهب ، فإن حياته لا قيمة لها فى هذه الساعة . لقد جئت لأحدثك عن نفسك .

جــيــــروم : ماذا تريد ؟

كـــــــارنو : كورفوازييه ، أنت تعلم أنك جعلت نفسك موضع شبهة ولم يبدأ ذلك اليوم فقط . فإن موقفك المثير للشك قبل عدة شهور ، واستنكارك الصامت لتصرفات اللجنة ، وامتناعك عن التصويت ، جعل منك عدوا . لم يجدوا مشقة فى استشفاف مشاعرك الخفية . إن ما استطاع أن ينقذك إنما هى الخدمات التى أسديتها للوطن وتدخل " بريور " و " جان بون " وأنا ، نحن الراغبين فى إنقاذ رأسك من أجل الدفاع الوطنى . ولكن اليوم ، قد فاض الكيل. إن ما أثارته أقوالك الطائشة فى جلسة المجلس ، وخروجك المتعجل قد فجر غيظ اللجنة . فلقد وقع هناك منذ قليل مشهد عنيف . والموقف أصبح فوق طاقتنا . إن الأغلبية تريد التخلص من المقاومة التى تلزم الصمت ، وهى أكثر خطرا من التى تتكلم . وهم يخيرونك : فإما أن تؤيد صراحة القرارات الجديدة ضد المحكوم عليهم ،

وإما أن تلحق بهم . ولقد جئت لكى أبلغك بأن تذهب هذا المساء ، إلى المجلس وتصعد المنصة وتعلن تأييدك للقرارات . هذا هو الشرط الذى وضعوه لنجاتك .

چيروم : (بهدوء) وأنا أرفضه : أنا أعلم أنى أثير الشك منذ عام مضى . واليوم أيضا، أبديت اضطرابا لم يكن جديرا بى . ولكن منذ ذلك الحين فإن ظروفا معينة ، لا فائدة من ذكرها ، أعادت إلى وضوح الرؤية واطمئنان النفس . وسأكون سعيدا فى النهاية أن أمارس مسئولياتى .

كارنو : وما هى ؟

چيروم : سأندد بالأحكام الجائرة وبدكتاتورية الدماء .

كارنو : لن تفعل ذلك أبدا . إنك لا تملك الحق فى ذلك ، ولا القدرة أيضا .

چيروم : إننى أملك حق ضميرى ، والقدرة على أن أضحى بنفسى من أجله .

كارنو : أيها المجنون ، إنك لا تدرك إطلاقا أننا لا نستطيع فى هذه الساعة أن نهاجم اللجنة ، دون أن نهدم ما أنجزناه وهو الجمهورية .

چيروم : إن إنجازاتنا كانت إقامة حقوق الإنسان الحر .

كارنو : لكى يكون الإنسان حرا ، يجب أولا أن نحميه من أولئك الذين يستعبدونه .
إن حقوق الفرد لا تُعدُّ شيئا دون قوة الدولة .

چيروم : إنها لا تعد شيئا إذا ضحينا بها فى سبيل قوة الدولة .

كـــــــارنو : إنها ليست شيئا الآن . ولكنها ستكون . فلنتعلم كيف نضحى بالحاضر فى سبيل المستقبل .

چيـــــــروم : إننا إذْ نضحى فى سبيل المستقبل بالحقيقة ، والحب ، وكل فضائل الإنسان ، واحترام الذات ، فإننا نضحى بالمستقبل . إن العدالة لا تنبت فى تربة الرذيلة .

كـــــــارنو : لنتكلم بصراحة ، يا كورفوازييه ! نحن رجال علم . وكلانا يعلم قسوة قوانين الطبيعة . فهى لا تهتم بالعاطفة على الإطلاق . وفضائل الإنسان تركلها بقدميها ، لكى تحقق غاياتها . إن الفضيلة هى الغاية ، وأنا أريد الغاية . أيا كان الثمن الذى أدفعه فى سبيلها . وهذا الثمن لست أنا الذى وضعته . ولكننى أقبله . إننى أتقزز ، مثلك ، وربما أكثر منك ، من هؤلاء الرجال ، أهل الدهاء والدماء . وأكثر منك ، يتحتم علىَّ أن أعيش معهم جنبا إلى جنب . إننى أتقزز من ألوان العنف التى يطلبون منى أن أوقع عليها كل يوم . لكننى لا أظننى قادرا على رفضها والهرب من المعركة ، لأنها تلوث يدى . فإننى أضع فى الحسبان هدف المعركة التى نخوضها . إن تقدم الإنسانية يستحق منا بعض القذارات - وإذا لزم الأمر ، بعض الجرائم .

چيـــــــروم : إننى أفهمك يا كارنو . فأنا لا أهاجم فيك خلوك من الشفقة . لأن العلم ، كما قلت أنت ، لا يهتم بالشفقة . وأنا مثلك ، لا أثق بالعاطفية . ولكننى لا أثق أيضا

بالأيدولوجيات . ولما كنت أكبر منك سنا ، فإننى لم أعد أؤمن مثلك بالتقدم البشرى . إننى رجل علم إلى درجة لا أستطيع معها أن أؤمن دون تحفظات بإحدى نظرياتنا (**لأن الأمر لا يعدو أكثر من ذلك**) ومهما بلغ إطراؤها لعبقرية الإنسان وأمله الحار ، فإننى لن أجعل منها فى حياتى إله فوق هيكل ، يتغذى على رائحة دماء القرابين . فما من شىء مقدس فى نظرى سوى الحياة ، الحياة الحاضرة .

كـــارنو : وتسلمهم حياتك ؟

جـيـروم : إننى أرفض ، فى سبيلها ، تسليم حياة الآخرين .

كـــارنو : إن حياتهم ، على أية حال ، ضائعة .

چيــروم : أما حياتى فليست كذلك على الإطلاق ، إذا كانت تضع فى مواجهة عصر دنىء حافل بالجبناء والطغاة ، روحا طاهرة حرة .

كـــارنو : إننى لا أكترث لروحك ! لكننى أتمسك بحياتك . إننى فى حاجة إلى عقلك .
كورفوازييه ، إننا فى حاجة إلى نشاطك ، إلى عبقريتك . إن الدولة تطالب بهما . وأنت مجند . وليس من حقك الهروب . إنك تسلب الأمة ثمارا هى من حقها .

چيــروم : إننى آسف لقطع سلسلة الأعمال التى بدأتها . إن حب الحقيقة هو الوحيد الذى لا يخدع . إن البحث الصبور المخلص فى سبيلها هو العرض الوحيد الذى يمكن أن

يدوم . ولكننا تعلمنا ، فى هذه السنين الأخيرة ، أن علينا دائما أن نكون على استعداد ، بين يوم وليلة ، لأن نزهد فى كل ما نملك : الثروة ، والشرف ، والسعادة ، والحب ، والعمل ، والحياة . وأنا على استعداد .

كارنو : أيها الأنانى ! إنك لا تفكر إلا فى نفسك ، وأنت تهب نفسك ! ... أنا أيضامستعد بالنسبة لنفسى . ولكننى لست كذلك بالنسبة لك . إننى لن أذعن لذلك .

كورفوازييه ! ... باسم الاحترام القديم والمشاركة فى العمل الذين يربطان بيننا ! ... اقبل شروط الخلاص والنجاة التى أحملها إليك .

چيروم : لا أستطيع .

(يبتعد)

كارنو : **(يهز كتفيه)** كلام نظريات ! ... غباء وعناد !

(ينتظر لحظة ، ثم يتقدم بضع خطوات نحو چيروم ، ويقدم إليه أوراقا)

خذ ! أمسك !

چيروم : **(يتناول الأوراق)** ما هذا ؟

كارنو : كنت متأكداً من ذلك مقدما ! إننى أعرف عناد علماء الرياضة ... هيا ، ضعها فى جيبك ! ... جوازان للسفر ! باسمين مستعارين ، لك ولزوجك . ولكن ليس هناك يوم واحد يمكن تضييعه ! غادر باريس هذا المساء ! فى

الحـال ، إذا أمكن . إن مكانيكمـا مـحـجـوزان فى العـربة العـامـة ، من باريس إلى ديجـون، ومن هناك إلى سـان كلود . وداعا . لا يجب أن يراكما أى إنسان بعد الآن ! .

چيـــــروم : (**متأثرا**) كارنو ! ... (**يشد على يده**) ... ولكن فيم يفيد الهـروب ؟ سـيـقـبض علينا فى الحـال ... هل نفلت من مخبرى اللجنة وحقد روبسبيير ؟

كـــــارنـو : إنه على علم بالموضوع .

چيـــــروم : من ؟ هو ؟

كـــــارنـو : المنزه عن الهوى والفساد . أجل . إن المبادرة جاءت من جانبى . ولكن على الرغم من أنه تظاهر بجهله التـام ، فإننى جئت بموافقته الصـامتـة . إن موتك يحـزننا يا كورفوازييه . إن الجمهورية لا تحب أن تحمل جثتك فوق ذراعيها. إنها بالغة الثقل . اخدمنا واحملها عنا ! إن اللجنة تغـمض عـينيـهـا . ولكـن لا ترغـمنا على إعـادة فتحـهمـا ! لا تعـرض نفسك للخطر ! فلن يغفروا لك ذلك أبدا .

(يخرج)

المشهد العاشر

(چيروم دى كورفوازييه يجلس إلى مكتبه مفكرا . باب حجرة صوفى يفتح بحيطة ، صوفى تظهر . تنظر إلى الحجرة الخالية وزوجها الذى يوليها ظهره)

صوفى : **(بصوت خفيض)** انصرفوا ؟

چيروم : **(دون أن يلتفت)** نعم .

صوفى : وماذا قال لك كارنو ؟

چيروم : لا شىء . **(يلتفت)** لا نضيع دقائقنا فى كلام لا يفيد ! فهى محسوبة علينا .
لننظر ماذا يجب أن نقول . اقتربى يا صوفى . إن ما سنتحدث فيه الآن لا يجب أن يسمعه رجل الجانب الآخر . **(يشير إلى الباب الذى خرج منه فالليه)** هذا الرجل أنت تحبينه ... لا تردِّى ! إننى أعرف . إن صراحتك أكبر من قدرتك على إخفاء ذلك . **(بعد برهة)** مع أنها كانت ضئيلة جدا لأنك لم تعترفى لى بهذا الحب **(تأتى من جديد حركة ، يوقفها)** ولكننى لا ألومك على شىء . فإذا كنت لم تستطيعى ذلك فإن أية امرأة ، مكانك ،

ما كانت لتستطيع . لأننى أعرف إخلاصك وضعف القلب . إننى أرثى لك .

(صوفى واقفة أمام چيروم الجالس ، ويداها ملتصقتان بجسمها تطأطئ رأسها عند سماع هذه الكلمات الأخيرة ، كالمحطمة)

چيــــروم : **(يتأملها بابتسامة حزينة)** كم تحبينه !

صــــوفى : **(مطأطئة الرأس)** إننى أحبُّه .

(صمت قصير)

اغفر لى !

چيــــروم : أنت حرة .

صــــوفى : **(ترفع رأسها ، تمد يديها إلى چيروم)** چيروم ! أخبرنى ... ما العمل ؟

چيــــروم : ليس لى أن أجيبك . كل فرد يقضى فى أمر نفسه . كل يجيب لنفسه .

صــــوفى : ولكنك سوف تحتقرنى !

چيــــروم : كلا . إننى لا أشعر بحقد ولا باحتقار لأى شىء . الخطأ ليس خطأ أحد .

الخطأ هو خطأ الحياة .

صــــوفى : **(ويداها ممدودتان نحوه)** ولكن أنت ، أنت سوف تتألم .

چيــــروم : كلا . فى مثل سنى ، فى هذا الوقت ، لن يكون لدى الوقت ، لن يكون لدى الوقت . لا تفكرى إلا فى أمر نفسك ! اهنئى ، إن استطعت ذلك .

صــــــوفـى : (بيأس) چيروم !

(واقفة ، مستنده إلى حاجز المدفئة ، تنتحب ، ووجهها بين يديها . چيروم متأثرًا ، ينهض ، يذهب إليها ، ينحنى بطريقة أبوية)

صــــــوفـى : **(رافعة وجهها المغطى بالدموع)** وا أسفاه ! لقد أحب كل منا الآخر . فلماذا يمضى الحب ؟ لماذا يتغير الحب ؟ ... آسفة ! إننى أجرحك مرة أخرى ... أى صديقى ، إننى لم أكف عن الاحتفاظ لك بأصدق الود . وبدلاً من أن أسبب لك اليوم شقاء ، كان أحرى بى أن أتحمل وألزم الصمت حتى الموت ... ولكن العاطفة ، كالريح العاصفة ، أقبلت وفتحت الأبواب . استولت على ، وساقتنى . ماذا أصنع ؟ قل لى ماذا بوسعى أن أصنع ؟ هل بوسعى مقاومتها؟ هل نستطيع ذلك ؟ هل نستطيع ذلك ؟ هل هذا جميل ؟ هل هذا فى مقدورنا نحن البشر ؟

(چيروم ينظر إليها برثاء . يبتسم لها ، فى شفقة . ثم ، يتناول من فوق المكتب جوازى السفر ، اللذين تركهما كارنو ، ويقدمهما إليها)

(صوفى تأخذهما بطريقة آلية ، وتنظر إليهما ، دون أن تفهم)

چـــيــــروم : سترحلان ، أنتما الاثنان ، هذا المساء . هذه الأوراق تفتح لكما أبواب باريس وطرق فرنسا حتى الحدود السويسرية. لقد عمل حساب كل شىء . التأشيرات سليمة ، والأماكن محجوزة . سيكون من السهل عليكما

أن تجعلا ملابسكما وملامحكما مطابقة للمواصفات المدونة . اذهبي وأخبرى فاليه ، استعدا بسرعة ! لا ينبغي أن يأتي هذا المساء وهو مازال هنا. اذهبى ! أنقذى حياته، وأنقذى سعادتك !

صــــــوفـى : **(وهى فريسة لاضطراب بالغ)** صديقى ! ... هل تريد ذلك ؟ هل تريد ذلك؟

... كلا ! هذا مستحيل .

چيــــــروم : **(هادئا)** يجب إنقاذ فالليه . ألا تريدين ذلك ؟

صــــــوفـى : **(متأثرة)** بلى أريد ذلك .

چيــــــروم : اذهبى إذن بصحبته ! فإنه لن يرحل بمفرده . ولا ينبغى لك ذلك . إننى أعهد بكل منكما إلى الآخر . لا تتأخرا ! ارحلا !

صــــــوفـى : **(تنحنى أمام چيروم دى كورفوازييه ، تأخذ يده وتقبلها . چيروم يريد تخليص يده . صوفى تنتصب ، ولكن دون أن تترك يد زوجها ، يلبثان واقفين ، كل فى مواجهة الآخر ، وكل منهما ينظر إلى الآخر)**

أنت إنسان طيب ! ... ولا أستطيع أن أقبل ذلك .

چيــــــروم : تستطيعين ذلك صراحة ، كل شىء بيننا صريح .

صــــــوفـى : لا أستطيع أن أتركك .

چيــــــروم : لقد تركنى قلبك . صوفى ، لا نحاول أن نخادع أنفسنا ! إن قلبك مع الآخر .

صــــــوفـى : ما أشد ألمى إذ أتصور أن هذا القلب ، كنت قد وهبته لك ، وأننى أستعيده منك اليوم ! ... إنى لا أريد ! ... يا لألمى !

إن قلبى ليس ملكا لى ! ... كل شىء يفر منى ، حتى نفسى ! ... إننى أشعر بوطأة مرور الزمن . بالأمس كنت لك ، كنت قد وعدتك بأن أحمل أتراحك وأفراحك حتى النهاية . ثم أتخلى عنك ، وسط الطريق ، لكى آخذ على كاهلى عبء حب يبدأ من جديد؟ ... آه ! ما دام يبدأ ، فسينتهى أيضا ! ... هل سيتوافر لى من الإيمان ما يكفى لكى أقيم حياة جديدة ؟ أين أجد ثقتى فى نفسى وفى الحياة ؟ ما أشد ألمى !...

چيـــــروم : إن الحياة ، التى تموت كل مساء وتبعث كل صباح ، سرعان ما ستقدم لك النسيان والأمل . لا تفكرى بعد ذلك ! إن الوقت يمضى حثيثا .

(يدفع صوفى برقة ناحية باب الحجرة التى أغلقت على فاالليه . يضع لها جوازى السفر فى يدها)

صـــــوفى : **(التى أخذت الجوازين وتنظر إليهما آليا . وراحت فى تفكير عميق)**

ولكن هذين الجوازين ، كيف حصلت عليهما ؟

چيـــــروم : ما أهمية ذلك ؟

صـــــوفى : من أين حصلت عليهما ؟

چيـــــروم : كارنو أعطاهما لى .

صـــــوفى لماذا ؟ ... لماذا أعطاهما لك ؟ إنهما من أجلك ، أنت وأنا . لنا نحن الاثنين. كان علينا إذن أن نرحل ؟ ... هناك خطر يتهددك ! ... أنت فى خطر ! ...

چيـــــروم : **(محاولا تغيير مجرى تفكيرها)** كلا ، كلا ... لا خطر على الإطلاق .

صـــــوفى : إذا لم يكن هناك خطر فلماذا جاء يحمل إليك وسائل هروبنا ؟

چيـــــروم : هيا ؟ لا تكونى مجنونة ! لا تختلقى هموما لا وجود لها ! كفانا همومنا الحقيقية . لا تفكرى إلا فى إنقاذ من تحبين !

صـــــوفى : من أحب ؟ ... كورفوازييه ، إننى أحمل اسمك ، إننى لازلت زوجتك . وإلى أن يفصم الرباط الذى يربطنا ، فإننى أطالب بحقى ، حقى كزوجة ، والقانون الذى احترمناه فيما بيننا دائما كالحقيقة المطلقة ... أنت مدين لى به . تكلم ولا تخف شيئا .

چيـــــروم : **(بعد صمت قصير)** لقد أبلغ عنا . لقد سلمنا بايو . إنهم يعلمون من نخفى عندنا . وسيأتون فى الليل للقبض على فاالليه .

صـــــوفى : وعليك .

چيـــــروم : إن صداقة كارنو ستكون كفيلة بحمايتى . كفى كلاما ! استعدى للرحيل !

ارتدى ملابس ثقيلة . اجمعى الحاجيات التى لا يمكن الاستغناء عنها . إننى ذاهب لآتى بفااللييه .

(يهم بفتح الباب ، عندما يظهر فااللييه ، زائغا ، وملابسه فى فوضى)

المشهد الحادى عشر

فـــاليـــه : **(يلقى نظرة حوله)** انصرفوا ؟

چيـــــروم : نعم . لكنهم سيعودون .

فـــاليـــه : **(قلقا)** متى ؟

چيـــــروم : لست أدرى .

فـــاليـــه : **(يجوب الحجرة ، بخطى واسعة قلقة ، ينظر من النافذة ، ينصت للباب ، دون أن يكف عن السير)** أين الفرار ؟ أين الملجأ ؟

چيـــــروم : أريد أن أتحدث إليك .

فـــاليـــه : **(الأداء نفسه دون أن ينصت)** لن أعود أبدا إلى المخبأ الصغير الذى حبستنى فيه. إننى لا أستطيع أن أبقى هكذا ممنوعا من الحركة ! كنت هناك ، متمددا، محشورا وكأننى فى نعشى . وكنت أسمعهم وهم يسيرون داخل الحجرة .

ولقد احتكوا بالجدار الذى كنت مختبئا فيه ، وأنا أكاد أختنق دون أن أستطيع إتيان حركة أدافع بها عن نفسى ... لا أستطيع أن أتحمل ذلك ! ... لن أعود أبدا .

چيــــــروم : (جلس ، هادئا) لن تعود . اسمع ما سأقوله لك .

فـــاللـيـــه : تقول إنهم سيعودون ؟

چيــــــروم : (هادئا) لدينا وقت لكى نتحدث .

(يشـيـر إليـه بالجلوس . فـالليـه يجلس ، ولكنه ، وهو يتابع كلام كورفوازييه يرصد فى قلق الضوضاء التى فى الخارج)

چيــــــروم : (هادئا) لقد أقنعت زوجتى بالابتعاد عن باريس ، لفترة من الوقت . إن صحتها ، منذ الشتاء ، متوعكة . ستذهب لقضاء شهرين ببلدتها " سون " ، جهة من أعمال " كلونى " . كان ينبغى أن أصحبها . لكن الشئون العامة لا تسمح لى بذلك ...

صبـــــوفـى : (هادئة) إنهم يصعدون إلى الطابق الذى فوقنا .

(فالليه يعود إلى الجلوس)

(فالليه نهض من فوق كرسيه ، عندما سمع خطوات تصعد السلم)

چيــــــروم : (**يواصل وكأنه لم يقاطع**) ... إننى لا أستطيع مصاحبتها . هاهو ذا جواز سفرى . ستذهب أنت بدلا عنى .

(**مذهولا**) أنا !

فـــاللـيـــه : (**الأداء نفسه**) وهكذا ، وأنت تقوم برعايتها ، ستمر من

چيــــــروم : خلال الشبكة التى نُصبت لصيدك . وما إن تصلا عند أهلها بوصفكما اثنين من سكان "كلونى" ، حتى تصبح قريبا من الحدود . والباقى يخصك .

(فالليه نهض ، يأخذ جواز السفر الذى يقدمه إليه كورفوازييه ، يطويه ويفضه ، وهو من الانفعال بحيث لا يستطيع الكلام)

(وفى خلال ما فات صوفى تنصت ، تفكر ، تنظر إلى الرجلين ، ثم ، بلا ضوضاء ، تمزق جواز سفرها وتلقى به فى نار المدفأة . تنهض وتذهب ناحية فاللييه)

صـــــوفـى : **(مخاطبة چيروم ، الذى يشير إليها بالسكوت)** كلا ، يا صديقى ، دعنى أتكلم، لا يجب أن تخفى شيئا .

(مخاطبة فاللييه ، برقة حازمة) كلود ، إن زوجى يعلم بشعورنا . فلقد اعترفت له . وهو من الشهامة والنبل بحيث ترك لى حرية الذهاب معك .

ولقد اتخذت قرارى . إننى وقد أصبحت حرة ، سأظل بجانب زوجى . لقد وهبته نفسى ، بملء حريتى ، إلى الأبد . وهو لم يفقد أبدا من قيمته فى نظرى . وإننى لا أستطيع أن أسترد نفسى منه دون أن أفقد من قيمتى . إن النفس الكريمة لا تتنكر لذاتها أبدا . لقد أردت أن أقاسمه محنة حياته . وما أردته لازلت أريده **(تذهب إلى زوجها وتقدم له يدها)**

چيـــــروم : **(متأثرا)** لم يعد من حقى أن أستبقيك . فقد أجرُّك معى فى الضياع الذى يتهددنى .

صـــــوفـى : **(بسرعة وبصوت خفيض)** اسكت ! لا يجب أن يعرف !

فـــاللـيــه : **(بمرارة)** آه ! إنك لم تحبينى أبدا !

صـــــوفـى : إننى أحبك ، يا فاالليه . وسأظل أحبك . ولكننا إذا لم نكن قادرين على ألا نتألم من الحب ، فإننا قادرون على ألا نكون لعبة للحب .

فـــاالليـــه : (**بمرارة**) إنك لم تحبى فى حياتك أحدا ! إنك لا تحبين سوى كبريائك .

صـــــوفـى : (**برقة**) صديقى ، لو لم يكن بى هذا الكبرياء ، كما تقول ، ذلك الكبرياء التعيس المجروح ، فهل كنت ستحبنى إلى هذه الدرجة ؟ هل كنت ستحبنى طويلا ، لو كنت ضعيفة ، ضائعة ، نهبا للعاطفة التى تزول وتنقضى ، جاحدة لعهدى ؟ وهل كنا سننعم بالسعادة ؟ كنا سنعيش فى فزع السعادة التى تنتهى ، والحب الذى ينوى وحينما نسأم ونمل ، نعود وحيدين ذابلين .

فـــاالليـــه : (**عنيفا**) لا يهم ! فسأكون قد حصلت عليك !

صـــــوفـى : (**بابتسامة حزينة**) وستكون قد حطمتنى... هيا ، يجب إنقاذك ، يا عصفورى المسكين الذى وقع فريسة ! بالنسبة لبعضهم ، فأنت فى هذه الساعة فريسة .

كفى كلاما ! ولنفكر فى سبل الهرب !

فـــاالليـــه : إننى لا أريد أن أرحل ! لا أرحل دونك !

صـــــوفـى : لقد أحرقت جواز سفرى . ولم أعد أستطيع الرحيل .

فـــاالليـــه : على الأقل ، ليس هذه الليلة ! أريد أن أقضى هذه الليلة تحت سقف دارك .

چيـــــــروم : إنـهم يعلمــون أننى آويك عندى . قــبل منتــصف الليل سيقبض عليك .

فـــالليـــه : كلا ! إنك تخدعنى ! إنك تكذب !

چيـــــــروم : ستتـأكد من ذلك . إن من الممكن أن يصلوا بين دقيـقة وأخرى .

فـــالليـــه : هذا خطأ ! (**ينصت**) إننى أسمعهم ! ... كلا ... لن أرحل أبدا ، سأبقى .

چيـــــــروم : (**هادئا**) ابق إذن ! هل أنت مستعد لأن تموت ؟

فـــالليـــه : (**وقـد هزته رعـدة**) أمـوت ! ... كـلا ! كـلا ! لا أريد ! ... أموت ! ... ياللفظاعة !

چيـــــــروم : (**هادئا**) يُقبض عليك بعد ساعة ، ويحكم عليك صباح الغد ، وفى المساء تعدم بالمقصلة ...

فـــالليـــه : (خـارجا عن طوره) مـساء غـد ، فى تلك السـاعـة ، أصبح كومة من اللحم ، تلقى فى العربة ويقذف بها فى جب الموتى ... أنا ! ... أبدا ! ... لا أريد !

... أنقذونى ! ...

(يبدو كالتائه ويرتمى عند قوائم كرسى خال ، وتظل يداه متعلقتين بمسند الكرسى)

جـــيـــروم : تهيأ إذن للرحيل .

(نهض ، وكذلك زوجته ، يجمع بعض الأشياء ، ملابس وغذاء ، التى ستكون بالنسبة لفالليه متاع سفر . فالليه ينهض ببطء ، يتنفس بشـدة مطأطئ الرأس ،لا يجـرؤ

على النظر إلى صديقيه الذين يروحان ويجيئان داخل الحجرة ، يواليهما ظهره وهو واقف معتمد على مسند الكرسى ووجهه ناحية الصالة)

فـــاالليـــه : إننى أشعر بالخجل ...

صــــــوفـى : **(تذهب إليه وتلقى بمعطف فوق كتفه)** سننقذك أيها الصديق !

فـــاالليـــه : إننى أشعر بالخجل ...

صــــــوفـى : **(تلبسه وكأنها أمه)** كلا . لا تخجل أبدا ! إننى أحب أن تكون لديك الرغبة فى الحياة . إننى سعيدة إذ أرى أن الحياة لازالت غالية عندك .

فـــاالليـــه : إننى أبغضها ، وأريدها . إننى لا أستطيع ، لا أستطيع أن أذعن لفقدها ... أوه أيتها الآلهة ! ماذا حدث ؟ إن المهانة تحطمنى ... صوفى ، إننى لكى ألحق بك ، تحديت ألف موت ، إننى لم أرتعد بتاتا إلا خشية ألا أراك مرة أخرى .
والآن ، والآن ! ... لم أعد أستطيع أن أتحمل فكرة الموت... كلا ، لاتنظرى إلى بعينين تملؤهما الشفقة ! أى نفور أوحى إليك به !

صــــــوفـى : **(بصوت خفيض)** أيها الصديق ، إننى لم أحبك قط كما أحبك الآن !

فـــاالليـــه : آه ! إن رؤيتى لك هى التى سلبتنى حميتى لأننى أدركت من جديد قيمة الحياة التى كنت قد زهدت فيها ، لم أعد أريد أن أتخلى عنها .

(وهو منهار)

إننى جبان ، إننى خائف .

چيـــــزوم : **(يقبل نحوه بحنان)** لا تعذب نفسك ! لا تتهم ضعفك !
إننا نعلم يا صديقى ، أنه ما من إنسان أعظم منك شهامة . ولكن هذا الرجل الشهم هو إنسان . لقد استهلكت قواك حتى المستحيل . فقد واصلت خمسة أشهر كاملة ، كفاحا يفوق طاقة البشر . وحط عليك الإرهاق على حين فجأة ، مثل الحجر . فلمست الأرض . ولكن وأنت تناضل . انسحب من الميدان . فأنت تستطيع ذلك ، مرفوع الهامة. يجب أن تفعل ذلك . غادر باريس ! اخرج من فرنسا ! اهرب من أعدائك ! اذهب واستعد قواك لمعارك جديدة .

فـــالليـــه : **(مستعيدا قوته شيئا فشيئا بفعل هذا الكلام ، ينهض ويتهيأ للرحيل)**
ولكنكما ستلحقان بى ؟

چيـــــروم : إننى لست مخلداً .

فـــالليـــه : ولكن أنت يا صوفى ... ما قولك ؟ ربما ذات يوم ؟ ...
(يتوقف فجأة وهو يلقى بنظرة خاطفة على كورفوازييه ، ينحنى كى يقبل طويلا يدى صوفى ، يتوجه ناحية الباب ، فى لحظة الخروج ، يلتفت ، يرى كورفوازييه الذى يمد له يده ، يتردد لحظة ، يأخذ يده ، يلقى نظرة أخيرة على صوفى)
وداعا !
(يخرج)

المشهد الثانى عشر

(چيروم دى كورفوازييه وصوفى يمكثان وحدهما . وقد حل الليل تماما .

چيروم لا يزال ينظر إلى الباب الذى خرج منه فاالليه .

صوفى ، وهى تقترب من النافذة ، تنظر من خلال الستائر)

چيروم : **(بطيبة)** أعتقد أن الولد الطيب قد قدَّر قصر أيامى .

(يتوجه ناحية المدفأة ويشعل لهبا)

صوفى : **(تترك مكانها الذى تراقب منه ، تقبل نحو المدفأة ، بسخرية يشوبها ود وكآبة)**

لكنه لم يدرك قدْر أيامى .

(تلتفت إلى زوجها وتمد له يديها . يتناولها وينظر إليها بحنان)

چيروم : ألست نادمة على شىء ؟

صوفى : هل أمر القبض أكيد ؟

چيروم : ليست هناك أية فرصة للهرب .

صوفى : إذن كل شىء على ما يرام .

(تخلص يديها ، يجلسان ، حول النار التى تخمد !)

جـيـــــروم : سهرتنا الأخيرة .

صـــــوفـى : إننى أشعر بارتياح . لم أعد مشغولة باتخاذ أى قرار ، لم يعد على أن أخوض أية معارك . لم أعد أرغب فى شىء ، لم يعد هناك إلا أن أستسلم للأشياء التى تريد بدلا عنا ، لجدول الليل .

(چيروم يقترب منها ويتأملها بود صادق . تضع رأسها فوق كتف زوجها . وهى جالسة بالقرب منه ، سيقانهما تتلامس وأيديهما ثابتة فوق سيقانهما : يحلمان ويبتسمان ، وهما ينظران إلى النار . كل الحوار الآتى تقريبا يقال بصوت خفيض)

صـــــوفـى : **(بحنان وهدوء)** زوجى الطيب العـــزيز ، يا من كنت تضحى بنفسك فى سبيلى ، بكل هذه البساطة !

چيـــــروم : ليس من التضحية فى شىء أن نريد سعادة من نحب .

صـــــوفـى : إننى سعيدة الآن .

چيـــــروم : تريدين أن تواسينى .

صـــــوفـى : **(هادئة ، بطيئة ولكن عند الكلام الأخير تنتابها رعدة خفيفة)**

كلا ، يا صديقى ، إننى أقول الحقيقة . لقد تركت أشجانى على الشاطئ الآخر الذى تركناه . آه ! آه ما أعظم ارتياحى إذ أراها تبتعد ، ورأسى فوق كتفك ! ابق ! لا تتحرك ! وهذا الجحيم البشرى ، ونزواته ومخاوفه ! .

چيـــــروم : لم يسأم منها بعد صديقنا فالليه .

صـــــوفى : **(الأداء نفسه ، وابتسامة خفيفة على شفتيها)** الشاب المسكين ! ... نعم ، كم كان متلهفا للخوض فيها من جديد ! ... هل تظن أنه سينجح فى الهرب ؟

چيـــــروم : أتعشم ذلك .

صـــــوفى : ياللسعادة ! ... لكننى أخشى عليه من الحزن حينما يعلم بمصيرنا .

چيـــــروم : ستكون الحياة هى الأقوى .

صـــــوفى : نعم ! أظن ذلك ... مسكين يا فالليه !

چيـــــروم : هل تذكرين ، يا صوفى ، أمسياتنا الطويلة ، هنا فى هذه الحجرة ؟ أنا جالس قرب المنضدة ، أقرأ ، وأنت تنظرين إلىَّ وأنا أعمل ، وأنا أنظر إليك وأنت تحلمين ، وكلانا كان يحلم : لأن كل شىء ، الأفكار ، الأعمال ، العلم ، الحب ، كلها حلم ، وكلٌّ بدوره ، يقدم لصاحبه أحلامه ، وغالبا ، عندما كانت تصادفنى المصاعب ، كنت ألجأ إلى فكرك الصافى ، يا ناصحتى الطيبة ...

صـــــوفى : إننى أذكر كل شىء ، منذ أول مساء دخلت فيه وأنا شابة هذا المنزل القديم .

كنا متزوجين حديثا ومع أنك كنت محاطا بالمجد ، فقد كنت خائفا منى ، لأننى كنت شابة ، ولأنك لم تعد كذلك . حينئذ ، كنا وحدنا ، فاقتربت منى وقلت لى بصوت خفيض : " اغفرى لى أنى أحبك " .

چيــــــروم : هل غفرت لى ؟

صـــــوفـى : لقد سرى خلال قلبى عرفان ، عثرت عليه من جديد ، هذا المساء ، هذا المساء الآخير . اغفر لى ، أنت ، أنى نسيته .

(تقدم جبهتها لچيروم الذى يقبلها)

چيــــــروم : أنا أيضا يا صوفى ، كنت قد نسيت نفسى ، كنت قد نسيت واجبى من الشجاعة والصراحة . فى أية حالٍ من الضعف كنت لا أزال هذا المساء عندما عدتِ ! إن الشعور بأنى فقدتك هو الذى أعاد إلى قوة قرارى .

صـــــوفـى : كنا قد ضللنا - كلانا - فى متاهة هذا العالم المعذب ... تباركت هذه الساعة الأخيرة التى جعلت كلينا يعثر على صاحبه ، وعلى نفسه !

چيــــــروم : والآن لتسدل الستارة . لقد وصلنا ... اسمعى ! فى الشارع الخالى ، خطوات القادمين ...

صـــــوفـى : **(وقد استيقظ قلقها)** وكل مشروعاتنا الكبرى ، وكل آمالنا الخائبة ، وكل أعمالنا المحطمة ، كل ما يموت معنا ...

چيــــــروم : **(منصتا)** إنهم يصعدون السلم ...

صـــــوفـى : **(بقلق)** لو أننا على الأقل تركنا من بعدنا ، طفلا ! ... لماذا ، لماذا وهبت لنا الحياة ؟

چيــــــروم : **(حازما)** لكى نقهرها .

(صمت . ينهضان . صوفى ، معتمدة على چيروم ، تنظر إليه وتبتسم ، راضية - لا ينفصلان حتى النهاية ،

يقفان متقابلين ، رأس صوفى على كتف چيروم ، ينظر كل منهما إلى الآخر . لا يعيران انتباها حتى للباب الذى يفتح)

(تسمع أصوات مقبلة)

صـــــوفـى : (باكتئاب باسم) نقهرها ... وداعا ، يا صديقى " الغار قطف ... "

(يطرق الباب بعنف)

چيـــــروم : (بحنان بالغ) وهذه الجميلة ستذهب لجمعه ... "

صـــــوفـى : (وهى تشير فوق المنضدة إلى غصن زنبقة متروك منذ مشهد البداية)

كلا ، بل أعطنى هذا العنقود النضير الذى يموت ، هذه الزنبقة .

(كورفوازييه يعطيها الغصن المزدهر . تطبع عليه قبلة)

(الباب يفتح ... تدخل مجموعة من الرجال المسلحين)

النهايـــة

المترجم فى سطور

حماده إبراهيم محمد إسماعيل

دكتوراه الدولة من جامعة السوربون

رئيس قسم اللغة الفرنسية بمركز اللغات والترجمة بأكاديمية الفنون ، مؤلف ومترجم وناقد مسرحى .

فى مجال الترجمة ترجم الأعمال الكاملة للكاتب المسرحى الفرنسى أوجين يونسكو (٣٤ مسرحية) ، والأعمال المسرحية الكاملة للكاتب الفرنسى ألفريد جارى . وعشر مسرحيات لجان تارديو وبعض مسرحيات الإيطاليين إدواردو دى فيليبو وداريو فو . كما شارك فى ترجمة ومراجعة موسوعة وصف مصر .

المشروع القومى للترجمة

المشـروع القومـى للترجمـة مشـروع تنميـة ثقافيـة بالدرجـة الأولى ، ينطلق من الإيجابيات التى حققتها مشروعات الترجمة التى سبقته فى مصر والعالم العربى ويسعى إلى الإضافة بما يفتح الأفق على وعود المستقبل، معتمداً المبادئ التالية :

١- الخروج من أسر المركزية الأوروبية وهيمنة اللغتين الإنجليزية والفرنسية .

٢- التوازن بين المعارف الإنسانية فى المجالات العلمية والفنية والفكرية والإبداعية .

٣- الانحياز إلى كل ما يؤسس لأفكار التقدم وحضور العلم وإشاعة العقلانية والتشجيع على التجريب .

٤- ترجمة الأصول المعرفية التى أصبحت أقرب إلى الإطار المرجعى فى الثقافة الإنسانية المعاصرة، جنبًا إلى جنب المنجزات الجديدة التى تضع القارئ فى القلب من حركة الإبداع والفكر العالميين .

٥- العمل على إعداد جيل جديد من المترجمين المتخصصين عن طريق ورش العمل بالتنسيق مع لجنة الترجمة بالمجلس الأعلى للثقافة .

٦- الاستعانة بكل الخبرات العربية وتنسيق الجهود مع المؤسسات المعنية بالترجمة .

المشروع القومى للترجمة

١-	اللغة العليا	جون كوين	أحمد درويش
٢-	الوثنية والإسلام (ط١)	ك. مادهو بانيكار	أحمد فؤاد بلبع
٣-	التراث المسروق	جورج جيمس	شوقى جلال
٤-	كيف تتم كتابة السيناريو	انجا كاريتنيكوفا	أحمد الحضرى
٥-	ثريا فى غيبوبة	إسماعيل فصيح	محمد علاء الدين منصور
٦-	اتجاهات البحث اللسانى	ميلكا إفيتش	سعد مصلوح ووفاء كامل فايد
٧-	العلوم الإنسانية والفلسفة	لوسيان غولدمان	يوسف الأنطكى
٨-	مشعلو الحرائق	ماكس فريش	مصطفى ماهر
٩-	التغيرات البيئية	أندرو. س. جودى	محمود محمد عاشور
١٠-	خطاب الحكاية	چيرار چينيت	محمد معتصم وعبد الجليل الأزدى وعمر حلى
١١-	مختارات شعرية	فيسوافا شيمبوريسكا	هناء عبد الفتاح
١٢-	طريق الحرير	ديڤيد براونيستون وأيرين فرانك	أحمد محمود
١٣-	ديانة الساميين	روبرتسن سميث	عبد الوهاب علوب
١٤-	التحليل النفسى للأدب	جان بيلمان نويل	حسن المودن
١٥-	الحركات الفنية منذ ١٩٤٥	إدوارد لوسى سميث	أشرف رفيق عفيفى
١٦-	أثينة السوداء (جـ١)	مارتن برنال	بإشراف أحمد عتمان
١٧-	مختارات شعرية	فيليب لاركين	محمد مصطفى بدوى
١٨-	الشعر النسائى فى أمريكا اللاتينية	مختارات	طلعت شاهين
١٩-	الأعمال الشعرية الكاملة	چورج سفيريس	نعيم عطية
٢٠-	قصة العلم	ج. ج. كراوثر	يمنى طريف الخولى و بدوى عبد الفتاح
٢١-	خوخة وألف خوخة وقصص أخرى	صمد بهرنجى	ماجدة العنانى
٢٢-	مذكرات رحالة عن المصريين	جون أنتيس	سيد أحمد على الناصرى
٢٣-	تجلى الجميل	هانز جيورج جادامر	سعيد توفيق
٢٤-	ظلال المستقبل	باتريك بارندر	بكر عباس
٢٥-	مثنوى	مولانا جلال الدين الرومى	إبراهيم الدسوقى شتا
٢٦-	دين مصر العام	محمد حسين هيكل	أحمد محمد حسين هيكل
٢٧-	التنوع البشرى الخلاق	مجموعة من المؤلفين	بإشراف: جابر عصفور
٢٨-	رسالة فى التسامح	جون لوك	منى أبو سنة
٢٩-	الموت والوجود	جيمس ب. كارس	بدر الديب
٣٠-	الوثنية والإسلام (ط٢)	ك. مادهو بانيكار	أحمد فؤاد بلبع
٣١-	مصادر دراسة التاريخ الإسلامى	جان سوفاجيه - كلود كاين	عبد الستار الحلوجى وعبد الوهاب علوب
٣٢-	الانقراض	ديفيد روب	مصطفى إبراهيم فهمى
٣٣-	التاريخ الاقتصادى لأفريقيا الغربية	أ. ج. هوبكنز	أحمد فؤاد بلبع
٣٤-	الرواية العربية	روجر ألن	حصة إبراهيم المنيف
٣٥-	الأسطورة والحداثة	پول ب. ديكسون	خليل كلفت
٣٦-	نظريات السرد الحديثة	والاس مارتن	حياة جاسم محمد

٣٧-	واحة سيوة وموسيقاها	بريجيت شيفر	جمال عبد الرحيم
٣٨-	نقد الحداثة	ألن تورين	أنور مغيث
٣٩-	الحسد والإغريق	بيتر والكوت	منيرة كروان
٤٠-	قصائد حب	آن سكستون	محمد عيد إبراهيم
٤١-	ما بعد المركزية الأوروبية	بيتر جران	عاطف أحمد وإبراهيم فتحى ومحمود ماجد
٤٢-	عالم ماك	بنجامين باربر	أحمد محمود
٤٣-	اللهب المزدوج	أوكتافيو باث	المهدى أخريف
٤٤-	بعد عدة أصياف	ألدوس هكسلى	مارلين تادرس
٤٥-	التراث المغدور	روبرت دينا وجون فاين	أحمد محمود
٤٦-	عشرون قصيدة حب	بابلو نيرودا	محمود السيد على
٤٧-	تاريخ النقد الأدبى الحديث (جـ١)	رينيه ويليك	مجاهد عبد المنعم مجاهد
٤٨-	حضارة مصر الفرعونية	فرانسوا دوما	ماهر جويجاتى
٤٩-	الإسلام فى البلقان	هـ . ت . نوريس	عبد الوهاب علوب
٥٠-	ألف ليلة وليلة أو القول الأسير	جمال الدين بن الشيخ	محمد برادة وعثماني الميلود ويوسف الأنطكى
٥١-	مسار الرواية الإسبانو أمريكية	داريو بيانوييا وخ. م. بينياليستى	محمد أبو العطا
٥٢-	العلاج النفسى التدعيمى	ب. نوفاليس وس . روجسيفيتز وروجر بيل	لطفى فطيم وعادل دمرداش
٥٣-	الدراما والتعليم	أ . ف . ألنجتون	مرسى سعد الدين
٥٤-	المفهوم الإغريقى للمسرح	ج . مايكل والتون	محسن مصيلحى
٥٥-	ما وراء العلم	چون بولكنجهوم	على يوسف على
٥٦-	الأعمال الشعرية الكاملة (جـ١)	فديريكو غرسية لوركا	محمود على مكى
٥٧-	الأعمال الشعرية الكاملة (جـ٢)	فديريكو غرسية لوركا	محمود السيد و ماهر البطوطى
٥٨-	مسرحيتان	فديريكو غرسية لوركا	محمد أبو العطا
٥٩-	المحبرة (مسرحية)	كارلوس مونييث	السيد السيد سهيم
٦٠-	التصميم والشكل	جوهانز إيتين	صبرى محمد عبد الغنى
٦١-	موسوعة علم الإنسان	شارلوت سيمور - سميث	بإشراف : محمد الجوهرى
٦٢-	لذّة النّص	رولان بارت	محمد خير البقاعى
٦٣-	تاريخ النقد الأدبى الحديث (جـ٢)	رينيه ويليك	مجاهد عبد المنعم مجاهد
٦٤-	برتراند راسل (سيرة حياة)	آلان وود	رمسيس عوض
٦٥-	فى مدح الكسل ومقالات أخرى	برتراند راسل	رمسيس عوض
٦٦-	خمس مسرحيات أندلسية	أنطونيو جالا	عبد اللطيف عبد الحليم
٦٧-	مختارات شعرية	فرناندو بيسوا	المهدى أخريف
٦٨-	نتاشا العجوز وقصص أخرى	فالنتين راسبوتين	أشرف الصباغ
٦٩-	العالم الإسلامى فى أوائل القرن العشرين	عبد الرشيد إبراهيم	أحمد فؤاد متولى وهويدا محمد فهمى
٧٠-	ثقافة وحضارة أمريكا اللاتينية	أوخينيو تشانج رودريجث	عبد الحميد غلاب وأحمد حشاد
٧١-	السيدة لا تصلح إلا للرمى	داريو فو	حسين محمود
٧٢-	السياسى العجوز	ت . س . إليوت	فؤاد مجلى
٧٣-	نقد استجابة القارئ	چين ب . تومبكنز	حسن ناظم وعلى حاكم
٧٤-	صلاح الدين والمماليك فى مصر	ل . ا . سيمينوڤا	حسن بيومى

٧٥-	فن التراجم والسير الذاتية	أندريه موروا	أحمد درويش
٧٦-	جاك لاكان وإغواء التحليل النفسي	مجموعة من المؤلفين	عبد المقصود عبد الكريم
٧٧-	تاريخ النقد الأدبي الحديث (جـ٣)	رينيه ويليك	مجاهد عبد المنعم مجاهد
٧٨-	العولمة: النظرية الاجتماعية والثقافة الكونية	رونالد روبرتسون	أحمد محمود ونورا أمين
٧٩-	شعرية التأليف	بوريس أوسبنسكي	سعيد الغانمي وناصر حلاوي
٨٠-	بوشكين عند «نافورة الدموع»	ألكسندر بوشكين	مكارم الغمري
٨١-	الجماعات المتخيلة	بندكت أندرسن	محمد طارق الشرقاوي
٨٢-	مسرح ميجيل	ميجيل دي أونامونو	محمود السيد علي
٨٣-	مختارات شعرية	غوتفريد بن	خالد المعالي
٨٤-	موسوعة الأدب والنقد (جـ١)	مجموعة من المؤلفين	عبد الحميد شيحة
٨٥-	منصور الحلاج (مسرحية)	صلاح زكي أقطاي	عبد الرازق بركات
٨٦-	طول الليل (رواية)	جمال مير صادقي	أحمد فتحي يوسف شتا
٨٧-	نون والقلم (رواية)	جلال آل أحمد	ماجدة العناني
٨٨-	الابتلاء بالتغرب	جلال آل أحمد	إبراهيم الدسوقي شتا
٨٩-	الطريق الثالث	أنتوني جيدنز	أحمد زايد ومحمد محيي الدين
٩٠-	وسم السيف وقصص أخرى	بورخيس وآخرون	محمد إبراهيم مبروك
٩١-	المسرح والتجريب بين النظرية والتطبيق	باربرا لاسوتسكا - بشونباك	محمد هناء عبد الفتاح
٩٢-	أساليب ومضامين المسرح الإسبانوأمريكي المعاصر	كارلوس ميجيل	نادية جمال الدين
٩٣-	محدثات العولمة	مايك فيذرستون وسكوت لاش	عبد الوهاب علوب
٩٤-	مسرحيتا الحب الأول والصحبة	صمويل بيكيت	فوزية العشماوي
٩٥-	مختارات من المسرح الإسباني	أنطونيو بويرو بابيخو	سرى محمد عبد اللطيف
٩٦-	ثلاث زنبقات ووردة وقصص أخرى	نخبة	إدوار الخراط
٩٧-	هوية فرنسا (مج١)	فرنان برودل	بشير السباعي
٩٨-	الهم الإنساني والابتزاز الصهيوني	مجموعة من المؤلفين	أشرف الصباغ
٩٩-	تاريخ السينما العالمية (١٨٩٥-١٩٨٠)	ديفيد روبنسون	إبراهيم قنديل
١٠٠-	مساءلة العولمة	بول هيرست وجراهام تومبسون	إبراهيم فتحي
١٠١-	النص الروائي: تقنيات ومناهج	بيرنار فاليط	رشيد بنحدو
١٠٢-	السياسة والتسامح	عبد الكبير الخطيبي	عز الدين الكتاني الإدريسي
١٠٣-	قبر ابن عربي يليه آياء (شعر)	عبد الوهاب المؤدب	محمد بنيس
١٠٤-	أوبرا ماهوجني (مسرحية)	برتولت بريشت	عبد الغفار مكاوي
١٠٥-	مدخل إلى النص الجامع	چيرارچينيت	عبد العزيز شبيل
١٠٦-	الأدب الأندلسي	ماريا خيسوس روبييرامتي	أشرف علي دعدور
١٠٧-	صورة الفدائي في الشعر الأمريكي اللاتيني المعاصر	نخبة من الشعراء	محمد عبد الله الجعيدي
١٠٨-	ثلاث دراسات عن الشعر الأندلسي	مجموعة من المؤلفين	محمود علي مكي
١٠٩-	حروب المياه	چون بولوك وعادل درويش	هاشم أحمد محمد
١١٠-	النساء في العالم النامي	حسنة بيجوم	منى قطان
١١١-	المرأة والجريمة	فرانسس هيدسون	ريهام حسين إبراهيم
١١٢-	الاحتجاج الهادئ	أرلين علوي ماكليود	إكرام يوسف

١١٣-	راية التمرد	سادى پلانت	أحمد حسان
١١٤-	مسرحيتا حصاد كونجي وسكان المستنقع	وول شوينكا	نسيم مجلى
١١٥-	غرفة تخص المرء وحده	فرجينيا وولف	سمية رمضان
١١٦-	امرأة مختلفة (درية شفيق)	سينثيا نلسون	نهاد أحمد سالم
١١٧-	المرأة والجنوسة فى الإسلام	ليلى أحمد	منى إبراهيم وهالة كمال
١١٨-	النهضة النسائية فى مصر	بث بارون	لميس النقاش
١١٩-	النساء والأسرة وقوانين الطلاق فى التاريخ الإسلامى	أميرة الأزهرى سنبل	بإشراف: رءوف عباس
١٢٠-	الحركة النسائية والتطور فى الشرق الأوسط	ليلى أبو لغد	مجموعة من المترجمين
١٢١-	الدليل الصغير فى كتابة المرأة العربية	فاطمة موسى	محمد الجندى وإيزابيل كمال
١٢٢-	نظام العبودية القديم والنموذج المثالى للإنسان	جوزيف فوجت	منيرة كروان
١٢٣-	الإمبراطورية العثمانية وعلاقاتها الدولية	أنينل ألكسندرو فنادولينا	أنور محمد إبراهيم
١٢٤-	الفجر الكاذب: أوهام الرأسمالية العالمية	چون جراى	أحمد فؤاد بلبع
١٢٥-	التحليل الموسيقى	سيدرك ثورپ ديڤى	سمحة الخولى
١٢٦-	فعل القراءة	ڤولڤانج إيسر	عبد الوهاب علوب
١٢٧-	إرهاب (مسرحية)	صفاء فتحى	بشير السباعى
١٢٨-	الأدب المقارن	سوزان باسنيت	أميرة حسن نويرة
١٢٩-	الرواية الإسبانية المعاصرة	ماريا دولورس أسيس جاروته	محمد أبو العطا وآخرون
١٣٠-	الشرق يصعد ثانية	أندريه جوندر فرانك	شوقى جلال
١٣١-	مصر القديمة: التاريخ الاجتماعى	مجموعة من المؤلفين	لويس بقطر
١٣٢-	ثقافة العولمة	مايك فيذرستون	عبد الوهاب علوب
١٣٣-	الخوف من المرايا (رواية)	طارق على	طلعت الشايب
١٣٤-	تشريح حضارة	بارى ج. كيمب	أحمد محمود
١٣٥-	المختار من نقد ت. س. إليوت	ت. س. إليوت	ماهر شفيق فريد
١٣٦-	فلاحو الباشا	كينيث كونو	سحر توفيق
١٣٧-	مذكرات ضابط فى الحملة الفرنسية على مصر	جوزيف مارى مواريه	كاميليا صبحى
١٣٨-	عالم التليفزيون بين الجمال والعنف	أندريه جلوكسمان	وجيه سمعان عبد المسيح
١٣٩-	پارسيڤال (مسرحية)	ريتشارد ڤاجنر	مصطفى ماهر
١٤٠-	حيث تلتقى الأنهار	هربرت ميسن	أمل الجبورى
١٤١-	اثنتا عشرة مسرحية يونانية	مجموعة من المؤلفين	نعيم عطية
١٤٢-	الإسكندرية: تاريخ ودليل	أ. م. فورستر	حسن بيومى
١٤٣-	قضايا التنظير فى البحث الاجتماعى	ديرك لايدر	عدلى السمرى
١٤٤-	صاحبة اللوكاندة (مسرحية)	كارلو جولدونى	سلامة محمد سليمان
١٤٥-	[illegible] تيميو كروث (رواية)	كارلوس فوينتس	أحمد حسان
١٤٦-	[illegible] (رواية)	ميجيل دى ليبس	على عبدالرءوف البمبى
١٤٧-	[illegible]	تانكريد دورست	عبدالغفار مكاوى
١٤٨-	القصة القصيرة: النظرية والتقنية	إنريكى أندرسون إمبرت	على إبراهيم منوفى
١٤٩-	النظرية الشعرية عند إليوت وأدونيس	عاطف فضول	أسامة إسبر
١٥٠-	التجربة الإغريقية	روبرت ج. ليتمان	منيرة كروان

١٥١- هوية فرنسا (مج ٢ ، جـ١)	فرنان برودل	بشير السباعى
١٥٢- عدالة الهنود وقصص أخرى	مجموعة من المؤلفين	محمد محمد الخطابى
١٥٣- غرام الفراعنة	فيولين فانويك	فاطمة عبدالله محمود
١٥٤- مدرسة فرانكفورت	فيل سليتر	خليل كلفت
١٥٥- الشعر الأمريكى المعاصر	نخبة من الشعراء	أحمد مرسى
١٥٦- المدارس الجمالية الكبرى	جى أنبال وآلان وأوديت ڤيرمو	مى التلمسانى
١٥٧- خسرو وشيرين	النظامى الكنجوى	عبدالعزيز بقوش
١٥٨- هوية فرنسا (مج ٢ ، جـ٢)	فرنان برودل	بشير السباعى
١٥٩- الأيديولوچية	ديفيد هوكس	إبراهيم فتحى
١٦٠- ألة الطبيعة	بول إيرليش	حسين بيومى
١٦١- مسرحيتان من المسرح الإسبانى	أليخاندرو كاسونا وأنطونيو جالا	زيدان عبدالحليم زيدان
١٦٢- تاريخ الكنيسة	يوحنا الآسيوى	صلاح عبدالعزيز محجوب
١٦٣- موسوعة علم الاجتماع (جـ ١)	جوردون مارشال	بإشراف. محمد الجوهرى
١٦٤- شامبوليون (حياة من نور)	چان لاكوتير	نبيل سعد
١٦٥- حكايات الثعلب (قصص أطفال)	أ. ن. أفاناسيفا	سهير المصادفة
١٦٦- العلاقات بين المتدينين والعلمانيين فى إسرائيل	يشعياهو ليڤمان	محمد محمود أبوغدير
١٦٧- فى عالم طاغور	رابندرنات طاغور	شكرى محمد عياد
١٦٨- دراسات فى الأدب والثقافة	مجموعة من المؤلفين	شكرى محمد عياد
١٦٩- إبداعات أدبية	مجموعة من المؤلفين	شكرى محمد عياد
١٧٠- الطريق (رواية)	ميجيل دليبيس	بسام ياسين رشيد
١٧١- وضع حد (رواية)	فرانك بيجو	هدى حسين
١٧٢- حجر الشمس (شعر)	نخبة	محمد محمد الخطابى
١٧٣- معنى الجمال	ولتر ت. ستيس	إمام عبد الفتاح إمام
١٧٤- صناعة الثقافة السوداء	إيليس كاشمور	أحمد محمود
١٧٥- التليفزيون فى الحياة اليومية	لورينزو فيلشس	وجيه سمعان عبد المسيح
١٧٦- نحو مفهوم للاقتصاديات البيئية	توم تيتنبرج	جلال البنا
١٧٧- أنطون تشيخوف	هنرى ترويا	حصة إبراهيم المنيف
١٧٨- مختارات من الشعر اليونانى الحديث	نخبة من الشعراء	محمد حمدى إبراهيم
١٧٩- حكايات أيسوب (قصص أطفال)	أيسوب	إمام عبد الفتاح إمام
١٨٠- قصة جاويد (رواية)	إسماعيل فصيح	سليم عبد الأمير حمدان
١٨١- النقد الأدبى الأمريكى من الثلاثينيات إلى الثمانينيات	فنسنت ب. ليتش	محمد يحيى
١٨٢- العنف والنبوءة (شعر)	و.ب. ييتس	ياسين طه حافظ
١٨٣- چان كوكتو على شاشة السينما	رينيه جيلسون	فتحى العشرى
١٨٤- القاهرة: حالمة لا تنام	هانز إيندورفر	دسوقى سعيد
١٨٥- أسفار العهد القديم فى التاريخ	توماس تومسن	عبد الوهاب علوب
١٨٦- معجم مصطلحات هيجل	ميخائيل إنوود	إمام عبد الفتاح إمام
١٨٧- الأرضة (رواية)	بُزرج علوى	محمد علاء الدين منصور
١٨٨- موت الأدب	ألفين كرنان	بدر الديب

١٨٩-	العمى والبصيرة مقالات في بلاغة النقد المعاصر	بول دى مان	سعيد الغانمى
١٩٠-	محاورات كونفوشيوس	كونفوشيوس	محسن سيد فرجانى
١٩١-	الكلام رأسمال وقصص أخرى	الحاج أبو بكر إمام وآخرون	مصطفى حجازى السيد
١٩٢-	سياحت نامه إبراهيم بك (جـ١)	زين العابدين المراغى	محمود علاوى
١٩٣-	عامل المنجم (رواية)	بيتر أبراهامز	محمد عبد الواحد محمد
١٩٤-	مختارات من النقد الأنجلو-أمريكى الحديث	مجموعة من النقاد	ماهر شفيق فريد
١٩٥-	شتاء ٨٤ (رواية)	إسماعيل فصيح	محمد علاء الدين منصور
١٩٦-	المهلة الأخيرة (رواية)	فالنتين راسبوتين	أشرف الصباغ
١٩٧-	سيرة الفاروق	شمس العلماء شبلى النعمانى	جلال السعيد الحفناوى
١٩٨-	الاتصال الجماهيرى	إدوين إمرى وآخرون	إبراهيم سلامة إبراهيم
١٩٩-	تاريخ يهود مصر فى الفترة العثمانية	يعقوب لانداو	جمال أحمد الرفاعى وأحمد عبد اللطيف حماد
٢٠٠-	ضحايا التنمية المقاومة والبدائل	جيرمى سيبروك	فخرى لبيب
٢٠١-	الجانب الدينى للفلسفة	جوزايا رويس	أحمد الأنصارى
٢٠٢-	تاريخ النقد الأدبى الحديث (جـ٤)	رينيه ويليك	مجاهد عبد المنعم مجاهد
٢٠٣-	الشعر والشاعرية	ألطاف حسين حالى	جلال السعيد الحفناوى
٢٠٤-	تاريخ نقد العهد القديم	زالمان شازار	أحمد هويدى
٢٠٥-	الجينات والشعوب واللغات	لويجى لوقا كافاللى- سفورزا	أحمد مستجير
٢٠٦-	الهيولية تصنع علمًا جديدًا	جيمس جلايك	على يوسف على
٢٠٧-	ليل أفريقى (رواية)	رامون خوتاسندير	محمد أبو العطا
٢٠٨-	شخصية العربى فى المسرح الإسرائيلى	دان أوريان	محمد أحمد صالح
٢٠٩-	السرد والمسرح	مجموعة من المؤلفين	أشرف الصباغ
٢١٠-	مثنويات حكيم سنائى (شعر)	سنائى الغزنوى	يوسف عبد الفتاح فرج
٢١١-	فردينان دوسوسير	جوناثان كلر	محمود حمدى عبد الغنى
٢١٢-	قصص الأمير مرزبان على لسان الحيوان	مرزبان بن رستم بن شروين	يوسف عبدالفتاح فرج
٢١٣-	مصر منذ قدوم نابليون حتى رحيل عبدالناصر	ريمون فلاور	سيد أحمد على الناصرى
٢١٤-	قواعد جديدة للمنهج فى علم الاجتماع	أنتونى جيدنز	محمد محيى الدين
٢١٥-	سياحت نامه إبراهيم بك (جـ٢)	زين العابدين المراغى	محمود علاوى
٢١٦-	جوانب أخرى من حياتهم	مجموعة من المؤلفين	أشرف الصباغ
٢١٧-	مسرحيتان طليعيتان	صمويل بيكيت وهارولد بينتر	نادية البنهاوى
٢١٨-	لعبة الحجلة (رواية)	خوليو كورتاثار	على إبراهيم منوفى
٢١٩-	بقايا اليوم (رواية)	كازو إيشجورو	طلعت الشايب
٢٢٠-	الهيولية فى الكون	بارى باركر	على يوسف على
٢٢١-	شعرية كفافى	جريجورى جوزدانيس	رفعت سلام
٢٢٢-	فرانز كافكا	رونالد جراى	نسيم مجلى
٢٢٣-	العلم فى مجتمع حر	باول فيرابند	السيد محمد نفادى
٢٢٤-	دمار يوغسلافيا	برانكا ماجاس	منى عبدالظاهر إبراهيم
٢٢٥-	حكاية غريق (رواية)	جابرييل جارثيا ماركيث	السيد عبدالظاهر السيد
٢٢٦-	أرض المساء وقصائد أخرى	ديفيد هربت لورانس	طاهر محمد على البربرى

٢٢٧-	المسرح الإسبانى فى القرن السابع عشر	خوسيه ماريا ديث بوركى	السيد عبدالظاهر عبدالله
٢٢٨-	علم الجمالية وعلم اجتماع الفن	جانيت وولف	مارى تيريز عبدالمسيح وخالد حسن
٢٢٩-	مأزق البطل الوحيد	نورمان كيجان	أمير إبراهيم العمرى
٢٣٠-	عن الذباب والفئران والبشر	فرانسواز جاكوب	مصطفى إبراهيم فهمى
٢٣١-	الدرافيل أو الجيل الجديد (مسرحية)	خايمى سالوم بيدال	جمال عبدالرحمن
٢٣٢-	ما بعد المعلومات	توم ستونير	مصطفى إبراهيم فهمى
٢٣٣-	فكرة الاضمحلال فى التاريخ الغربى	أرثر هيرمان	طلعت الشايب
٢٣٤-	الإسلام فى السودان	ج. سبنسر تريمنجهام	فؤاد محمد عكود
٢٣٥-	ديوان شمس تبريزى (جـ١)	مولانا جلال الدين الرومى	إبراهيم الدسوقى شتا
٢٣٦-	الولاية	ميشيل شودكيفيتش	أحمد الطيب
٢٣٧-	مصر أرض الوادى	روبين فيدين	عنايات حسين طلعت
٢٣٨-	العولمة والتحرير	تقرير لمنظمة الأنكتاد	ياسر محمد جادالله وعربى مدبولى أحمد
٢٣٩-	العربى فى الأدب الإسرائيلى	جيلا رامراز - رايوخ	نادية سليمان حافظ وإيهاب صلاح فايق
٢٤٠-	الإسلام والغرب وإمكانية الحوار	كاى حافظ	صلاح محجوب إدريس
٢٤١-	فى انتظار البرابرة (رواية)	ج . م. كوتزى	ابتسام عبدالله
٢٤٢-	سبعة أنماط من الغموض	وليام إمبسون	صبرى محمد حسن
٢٤٣-	تاريخ إسبانيا الإسلامية (مج١)	ليفى بروفنسال	بإشراف: صلاح فضل
٢٤٤-	الغليان (رواية)	لاورا إسكيبيل	نادية جمال الدين محمد
٢٤٥-	نساء مقاتلات	إليزابيتا آديس وآخرون	توفيق على منصور
٢٤٦-	مختارات قصصية	جابرييل جارثيا ماركيث	على إبراهيم منوفى
٢٤٧-	الثقافة الجماهيرية والحداثة فى مصر	والتر أرمبرست	محمد طارق الشرقاوى
٢٤٨-	حقول عدن الخضراء (مسرحية)	أنطونيو جالا	عبداللطيف عبدالحليم
٢٤٩-	لغة التمزق (شعر)	دراجو شتامبوك	رفعت سلام
٢٥٠-	علم اجتماع العلوم	دومنيك فينك	ماجدة محسن أباظة
٢٥١-	موسوعة علم الاجتماع (جـ٢)	جوردون مارشال	بإشراف: محمد الجوهرى
٢٥٢-	رائدات الحركة النسوية المصرية	مارجو بدران	على بدران
٢٥٣-	تاريخ مصر الفاطمية	ل. أ. سيمينوڤا	حسن بيومى
٢٥٤-	أقدم لك: الفلسفة	ديف روبنسون وجودى جروفز	إمام عبد الفتاح إمام
٢٥٥-	أقدم لك: أفلاطون	ديف روبنسون وجودى جروفز	إمام عبد الفتاح إمام
٢٥٦-	أقدم لك: ديكارت	ديف روبنسون وكريس جارات	إمام عبد الفتاح إمام
٢٥٧-	تاريخ الفلسفة الحديثة	وليم كلى رايت	محمود سيد أحمد
٢٥٨-	الغجر	سير أنجوس فريزر	عُبادة كُحيلة
٢٥٩-	مختارات من الشعر الأرمنى عبر العصور	نخبة	فاروجان كازانجيان
٢٦٠-	موسوعة علم الاجتماع (جـ٣)	جوردون مارشال	بإشراف: محمد الجوهرى
٢٦١-	رحلة فى فكر زكى نجيب محمود	زكى نجيب محمود	إمام عبد الفتاح إمام
٢٦٢-	مدينة المعجزات (رواية)	إدواردو مندوثا	محمد أبو العطا
٢٦٣-	الكشف عن حافة الزمن	چون جريبين	على يوسف على
٢٦٤-	إبداعات شعرية مترجمة	هوراس وشلى	لويس عوض

٢٦٥-	روايات مترجمة	أوسكار وايلد وصمويل جونسون	لويس عوض
٢٦٦-	مدير المدرسة (رواية)	جلال آل أحمد	عادل عبدالمنعم على
٢٦٧-	فن الرواية	ميلان كونديرا	بدر الدين عرودكى
٢٦٨-	ديوان شمس تبريزى (جـ٢)	مولانا جلال الدين الرومى	إبراهيم الدسوقى شتا
٢٦٩-	وسط الجزيرة العربية وشرقها (جـ١)	وليم چيفور بالجريف	صبرى محمد حسن
٢٧٠-	وسط الجزير العربية وشرقها (جـ٢)	وليم چيفور بالجريف	صبرى محمد حسن
٢٧١-	الحضارة الغربية: الفكرة والتاريخ	توماس سى. باترسون	شوقى جلال
٢٧٢-	الأديرة الأثرية فى مصر	سى. سى. والترز	إبراهيم سلامة إبراهيم
٢٧٣-	الأصول الاجتماعية والثقافية لحركة عرابى فى مصر	جوان كول	عنان الشهاوى
٢٧٤-	السيدة باربارا (رواية)	رومولو جابيجوس	محمود على مكى
٢٧٥-	ت. س. إليوت شاعراً وناقداً وكاتباً مسرحياً	مجموعة من النقاد	ماهر شفيق فريد
٢٧٦-	فنون السينما	مجموعة من المؤلفين	عبدالقادر التلمسانى
٢٧٧-	الچينات والصراع من أجل الحياة	براين فورد	أحمد فوزى
٢٧٨-	البدايات	إسحاق عظيموف	ظريف عبدالله
٢٧٩-	الحرب الباردة الثقافية	ف.س. سوندرز	طلعت الشايب
٢٨٠-	الأم والنصيب وقصص أخرى	بريم شند وآخرون	سمير عبدالحميد إبراهيم
٢٨١-	الفردوس الأعلى (رواية)	عبد الحليم شرر	جلال الحفناوى
٢٨٢-	طبيعة العلم غير الطبيعية	لويس وولبرت	سمير حنا صادق
٢٨٣-	السهل يحترق وقصص أخرى	خوان رولفو	على عبد الرءوف البمبى
٢٨٤-	هرقل مجنوناً (مسرحية)	يوربيديس	أحمد عتمان
٢٨٥-	رحلة خواجة حسن نظامى الدهلوى	حسن نظامى الدهلوى	سمير عبد الحميد إبراهيم
٢٨٦-	سياحت نامه إبراهيم بك (جـ٣)	زين العابدين المراغى	محمود علاوى
٢٨٧-	الثقافة والعولمة والنظام العالمى	أنتونى كنج	محمد يحيى وآخرون
٢٨٨-	الفن الروائى	ديفيد لودج	ماهر البطوطى
٢٨٩-	ديوان منوچهرى الدامغانى	أبو نجم أحمد بن قوص	محمد نور الدين عبدالمنعم
٢٩٠-	علم اللغة والترجمة	جورج مونان	أحمد زكريا إبراهيم
٢٩١-	تاريخ المسرح الإسبانى فى القرن العشرين (جـ١)	فرانشسكو رويس رامون	السيد عبد الظاهر
٢٩٢-	تاريخ المسرح الإسبانى فى القرن العشرين (جـ٢)	فرانشسكو رويس رامون	السيد عبد الظاهر
٢٩٣-	مقدمة للأدب العربى	روجر ألن	مجدى توفيق وآخرون
٢٩٤-	فن الشعر	بوالو	رجاء ياقوت
٢٩٥-	سلطان الأسطورة	جوزيف كامبل وبيل مويرز	بدر الديب
٢٩٦-	مكبث (مسرحية)	وليم شكسبير	محمد مصطفى بدوى
٢٩٧-	فن النحو بين اليونانية والسريانية	ديونيسيوس ثراكس ويوسف الأهوازى	ماجدة محمد أنور
٢٩٨-	مأساة العبيد وقصص أخرى	نخبة	مصطفى حجازى السيد
٢٩٩-	ثورة فى التكنولوجيا الحيوية	جين ماركس	هاشم أحمد محمد
٣٠٠-	أسطورة بروميثيوس فى الأدبين الإنجليزى والفرنسى (مج١)	لويس عوض	جمال الجزيرى وبهاء چاهين وإيزابيل كمال
٣٠١-	أسطورة بروميثيوس فى الأدبين الإنجليزى والفرنسى (مج٢)	لويس عوض	جمال الجزيرى و محمد الجندى
٣٠٢-	أقدم لك: فتجنشتين	جون هيتون وجودى جروفز	إمام عبد الفتاح إمام

٣٠٣-	أقدم لك: بوذا	جين هوب وبورن فان لون	إمام عبد الفتاح إمام
٣٠٤-	أقدم لك: ماركس	ريوس	إمام عبد الفتاح إمام
٣٠٥-	الجلد (رواية)	كروزيو مالابارته	صلاح عبد الصبور
٣٠٦-	الحماسة: النقد الكانطى للتاريخ	چان فرانسوا ليوتار	نبيل سعد
٣٠٧-	أقدم لك: الشعور	ديفيد بابينو وهوارد سلينا	محمود مكى
٣٠٨-	أقدم لك: علم الوراثة	ستيف جونز وبورين فان لو	ممدوح عبد المنعم
٣٠٩-	أقدم لك: الذهن والمخ	أنجوس جيلاتى وأوسكار زاريت	جمال الجزيرى
٣١٠-	أقدم لك: يونج	ماجى هايد ومايكل ماكجنس	محيى الدين مزيد
٣١١-	مقال فى المنهج الفلسفى	ر.ج كولنجوود	فاطمة إسماعيل
٣١٢-	روح الشعب الأسود	وليم ديبويس	أسعد حليم
٣١٣-	أمثال فلسطينية (شعر)	خايير بيان	محمد عبدالله الجعيدى
٣١٤-	مارسيل دوشامب: الفن كعدم	جانيس مينيك	هويدا السباعى
٣١٥-	جرامشى فى العالم العربى	ميشيل بروندينو والطاهر لبيب	كاميليا صبحى
٣١٦-	محاكمة سقراط	أى. ف. ستون	نسيم مجلى
٣١٧-	بلا غد	س. شير لايموفا- س. زنيكين	أشرف الصباغ
٣١٨-	الأدب الروسى فى السنوات العشر الأخيرة	مجموعة من المؤلفين	أشرف الصباغ
٣١٩-	صور دريدا	جايترى اسبيفاك.وكرستوفر نوريس	حسام نايل
٣٢٠-	لمعة السراج لحضرة التاج	مؤلف مجهول	محمد علاء الدين منصور
٣٢١-	تاريخ إسبانيا الإسلامية (مج٢، جـ١)	ليفى برو فنسال	بإشراف: صلاح فضل
٣٢٢-	وجهات نظر حديثة فى تاريخ الفن الغربى	دبليو يوجين كليبناور	خالد مفلح حمزة
٣٢٣-	فن الساتورا	تراث يونانى قديم	هانم محمد فوزى
٣٢٤-	اللعب بالنار (رواية)	أشرف أسدى	محمود علاوى
٣٢٥-	عالم الآثار (رواية)	فيليب بوسان	كرستين يوسف
٣٢٦-	المعرفة والمصلحة	يورجين هابرماس	حسن صقر
٣٢٧-	مختارات شعرية مترجمة (جـ١)	نخبة	توفيق على منصور
٣٢٨-	يوسف وزليخا (شعر)	نور الدين عبد الرحمن الجامى	عبد العزيز بقوش
٣٢٩-	رسائل عيد الميلاد (شعر)	تد هيوز	محمد عيد إبراهيم
٣٣٠-	كل شىء عن التمثيل الصامت	مارفن شبرد	سامى صلاح
٣٣١-	عندما جاء السردين وقصص أخرى	ستيفن جراى	سامية دياب
٣٣٢-	شهر العسل وقصص أخرى	نخبة	على إبراهيم منوفى
٣٣٣-	الإسلام فى بريطانيا من ١٥٥٨-١٦٨٥	نبيل مطر	بكر عباس
٣٣٤-	لقطات من المستقبل	أرثر كلارك	مصطفى إبراهيم فهمى
٣٣٥-	عصر الشك: دراسات عن الرواية	ناتالى ساروت	فتحى العشرى
٣٣٦-	متون الأهرام	نصوص مصرية قديمة	حسن صابر
٣٣٧-	فلسفة الولاء	جوزايا رويس	أحمد الأنصارى
٣٣٨-	نظرات حائرة وقصص أخرى	نخبة	جلال الحفناوى
٣٣٩-	تاريخ الأدب فى إيران (جـ٣)	إدوارد براون	محمد علاء الدين منصور
٣٤٠-	اضطراب فى الشرق الأوسط	بيرش بيربروجلو	فخرى لبيب

٣٤١- قصائد من رلكه (شعر)	راينر ماريا رلكه	حسن حلمى
٣٤٢- سلامان وأبسال (شعر)	نور الدين عبدالرحمن الجامى	عبد العزيز بقوش
٣٤٣- العالم البرجوازى الزائل (رواية)	نادين جورديمر	سمير عبد ربه
٣٤٤- الموت فى الشمس (رواية)	بيتر بالانجيو	سمير عبد ربه
٣٤٥- الركض خلف الزمان (شعر)	بونه ندائى	يوسف عبد الفتاح فرج
٣٤٦- سحر مصر	رشاد رشدى	جمال الجزيرى
٣٤٧- الصبية الطائشون (رواية)	جان كوكتو	بكر الحلو
٣٤٨- المتصوفة الأولون فى الأدب التركى (جـ١)	محمد فؤاد كوبريلى	عبدالله أحمد إبراهيم
٣٤٩- دليل القارئ إلى الثقافة الجادة	أرثر والدهورن وآخرون	أحمد عمر شاهين
٣٥٠- بانوراما الحياة السياحية	مجموعة من المؤلفين	عطية شحاتة
٣٥١- مبادئ المنطق	جوزايا رويس	أحمد الانصارى
٣٥٢- قصائد من كفافيس	قسطنطين كفافيس	نعيم عطية
٣٥٣- الفن الإسلامى فى الأندلس: الزخرفة الهندسية	باسيليو بابون مالدونادو	على إبراهيم منوفى
٣٥٤- الفن الإسلامى فى الأندلس: الزخرفة النباتية	باسيليو بابون مالدونادو	على إبراهيم منوفى
٣٥٥- التيارات السياسية فى إيران المعاصرة	حجت مرتجى	محمود علاوى
٣٥٦- الميراث المر	بول سالم	بدر الرفاعى
٣٥٧- متون هرمس	تيموثى فريك وبيتر غاندى	عمر الفاروق عمر
٣٥٨- أمثال الهوسا العامية	نخبة	مصطفى حجازى السيد
٣٥٩- محاورة بارمنيدس	أفلاطون	حبيب الشارونى
٣٦٠- أنثروبولوجيا اللغة	أندريه جاكوب ونويلا باركان	ليلى الشربينى
٣٦١- التصحر: التهديد والمجابهة	آلان جرينجر	عاطف معتمد وآمال شاور
٣٦٢- تلميذ بابنبرج (رواية)	هاينرش شبورل	سيد أحمد فتح الله
٣٦٣- حركات التحرير الأفريقية	ريتشارد جيبسون	صبرى محمد حسن
٣٦٤- حداثة شكسبير	إسماعيل سراج الدين	نجلاء أبو عجاج
٣٦٥- سأم باريس (شعر)	شارل بودلير	محمد أحمد حمد
٣٦٦- نساء يركضن مع الذئاب	كلاريسا بنكولا	مصطفى محمود محمد
٣٦٧- القلم الجرىء	مجموعة من المؤلفين	البرّاق عبدالهادى رضا
٣٦٨- المصطلح السردى: معجم مصطلحات	جيرالد برنس	عابد خزندار
٣٦٩- المرأة فى أدب نجيب محفوظ	فوزية العشماوى	فوزية العشماوى
٣٧٠- الفن والحياة فى مصر الفرعونية	كليرلا لويت	فاطمة عبدالله محمود
٣٧١- المتصوفة الأولون فى الأدب التركى (جـ٢)	محمد فؤاد كوبريلى	عبدالله أحمد إبراهيم
٣٧٢- عاش الشباب (رواية)	وانغ مينغ	وحيد السعيد عبدالحميد
٣٧٣- كيف تعد رسالة دكتوراه	أومبرتو إيكو	على إبراهيم منوفى
٣٧٤- اليوم السادس (رواية)	أندريه شديد	حمادة إبراهيم
٣٧٥- الخلود (رواية)	ميلان كونديرا	خالد أبو اليزيد
٣٧٦- الغضب وأحلام السنين (مسرحيات)	جان أنوى وآخرون	إدوار الخراط
٣٧٧- تاريخ الأدب فى إيران (جـ٤)	إدوارد براون	محمد علاء الدين منصور
٣٧٨- المسافر (شعر)	محمد إقبال	يوسف عبدالفتاح فرج

٣٧٩- ملك فى الحديقة (رواية)	سنيل باث	جمال عبدالرحمن
٣٨٠- حديث عن الخسارة	جونتر جراس	شيرين عبدالسلام
٣٨١- أساسيات اللغة	ر. ل. تراسك	رانيا إبراهيم يوسف
٣٨٢- تاريخ طبرستان	بهاء الدين محمد إسفنديار	أحمد محمد نادى
٣٨٣- هدية الحجاز (شعر)	محمد إقبال	سمير عبدالحميد إبراهيم
٣٨٤- القصص التى يحكيها الأطفال	سوزان إنجيل	إيزابيل كمال
٣٨٥- مشترى العشق (رواية)	محمد على بهزادراد	يوسف عبدالفتاح فرج
٣٨٦- دفاعًا عن التاريخ الأدبى النسوى	جانيت تود	ريهام حسين إبراهيم
٣٨٧- أغنيات وسوناتات (شعر)	چون دن	بهاء چاهين
٣٨٨- مواعظ سعدى الشيرازى (شعر)	سعدى الشيرازى	محمد علاء الدين منصور
٣٨٩- تفاهم وقصص أخرى	نخبة	سمير عبدالحميد إبراهيم
٣٩٠- الأرشيفات والمدن الكبرى	إم. فى. روبرتس	عثمان مصطفى عثمان
٣٩١- الحافلة الليلكية (رواية)	مايف بينشى	منى الدروبى
٣٩٢- مقامات ورسائل أندلسية	فرناندو دى لاجرانجا	عبداللطيف عبدالحليم
٣٩٣- فى قلب الشرق	ندوة لويس ماسينيون	زينب محمود الخضيرى
٣٩٤- القوى الأربع الأساسية فى الكون	بول ديفيز	هاشم أحمد محمد
٣٩٥- آلام سياوش (رواية)	إسماعيل فصيح	سليم عبد الأمير حمدان
٣٩٦- السافاك	تقى نجارى راد	محمود علاوى
٣٩٧- أقدم لك: نيتشه	لورانس جين وكيتى شين	إمام عبدالفتاح إمام
٣٩٨- أقدم لك: سارتر	فيليب تودى وهوارد ريد	إمام عبدالفتاح إمام
٣٩٩- أقدم لك: كامى	ديفيد ميروفتش وآلن كوركس	إمام عبدالفتاح إمام
٤٠٠- مومو (رواية)	ميشائيل إنده	باهر الجوهرى
٤٠١- أقدم لك: علم الرياضيات	زياودن ساردر وآخرون	ممدوح عبد المنعم
٤٠٢- أقدم لك: ستيفن هوكنج	ج. ب. ماك إيفوى وأوسكار زاريت	ممدوح عبدالمنعم
٤٠٣- ربة المطر والملابس تصنع الناس (روايتان)	تودور شتورم وجوتفرد كولر	عماد حسن بكر
٤٠٤- تعويذة الحسى	ديفيد إبرام	ظبية خميس
٤٠٥- إيزابيل (رواية)	أندريه جيد	حمادة إبراهيم
٤٠٦- المستعربون الإسبان فى القرن ١٩	مانويلا مانتاناريس	جمال عبد الرحمن
٤٠٧- الأدب الإسبانى المعاصر بأقلام كتابه	مجموعة من المؤلفين	طلعت شاهين
٤٠٨- معجم تاريخ مصر	جوان فوتشركنج	عنان الشهاوى
٤٠٩- انتصار السعادة	برتراند راسل	إلهامى عمارة
٤١٠- خلاصة القرن	كارل بوبر	الزواوى بغورة
٤١١- همس من الماضى	جينيفر أكرمان	أحمد مستجير
٤١٢- تاريخ إسبانيا الإسلامية (مج٢، جـ٢)	ليفى بروفنسال	بإشراف: صلاح فضل
٤١٣- أغنيات المنفى (شعر)	ناظم حكمت	محمد البخارى
٤١٤- الجمهورية العالمية للآداب	باسكال كازانوفا	أمل الصبان
٤١٥- صورة كوكب (مسرحية)	فريدريش دورينمات	أحمد كامل عبدالرحيم
٤١٦- مبادئ النقد الأدبى والعلم والشعر	أ. أ. رتشاردز	محمد مصطفى بدوى

٤١٧-	تاريخ النقد الأدبى الحديث (جـ٥)	رينيه ويليك	مجاهد عبدالمنعم مجاهد
٤١٨-	سياسات الزمر الحاكمة في مصر العثمانية	جين هاثواى	عبد الرحمن الشيخ
٤١٩-	العصر الذهبى للإسكندرية	جون مارلو	نسيم مجلى
٤٢٠-	مكرو ميجاس (قصة فلسفية)	فولتير	الطيب بن رجب
٤٢١-	الولاء والقيادة في المجتمع الإسلامى الأول	روى متحدة	أشرف كيلانى
٤٢٢-	رحلة لاستكشاف أفريقيا (جـ١)	ثلاثة من الرحالة	عبدالله عبدالرازق إبراهيم
٤٢٣-	إسراءات الرجل الطيف	نخبة	وحيد النقاش
٤٢٤-	لوائح الحق ولوامع العشق (شعر)	نور الدين عبدالرحمن الجامى	محمد علاء الدين منصور
٤٢٥-	من طاووس إلى فرح	محمود طلوعى	محمود علاوى
٤٢٦-	الخفافيش وقصص أخرى	نخبة	محمد علاء الدين منصور وعبد الحفيظ يعقوب
٤٢٧-	بانديراس الطاغية (رواية)	باى إنكلان	ثريا شلبى
٤٢٨-	الخزانة الخفية	محمد هوتك بن داود خان	محمد أمان صافى
٤٢٩-	أقدم لك: هيجل	ليود سبنسر وأندزجى كروز	إمام عبدالفتاح إمام
٤٣٠-	أقدم لك: كانط	كرستوفر وانت وأندزجى كليموفسكى	إمام عبدالفتاح إمام
٤٣١-	أقدم لك: فوكو	كريس هوروكس وزوران جفتيك	إمام عبدالفتاح إمام
٤٣٢-	أقدم لك: ماكيافللى	باتريك كيرى وأوسكار زاريت	إمام عبدالفتاح إمام
٤٣٣-	أقدم لك: جويس	ديفيد نوريس وكارل فلنت	حمدى الجابرى
٤٣٤-	أقدم لك: الرومانسية	دونكان هيث وجودى بورهام	عصام حجازى
٤٣٥-	توجهات ما بعد الحداثة	نيكولاس زربرج	ناجى رشوان
٤٣٦-	تاريخ الفلسفة (مج١)	فردريك كوبلستون	إمام عبدالفتاح إمام
٤٣٧-	رحالة هندى في بلاد الشرق العربى	شبلى النعمانى	جلال الحفناوى
٤٣٨-	بطلات وضحايا	إيمان ضياء الدين بيبرس	عايدة سيف الدولة
٤٣٩-	موت المرابى (رواية)	صدر الدين عينى	محمد علاء الدين منصور وعبد الحفيظ يعقوب
٤٤٠-	قواعد اللهجات العربية الحديثة	كرستن بروستاد	محمد طارق الشرقاوى
٤٤١-	رب الأشياء الصغيرة (رواية)	أرونداتى روى	فخرى لبيب
٤٤٢-	حتشبسوت: المرأة الفرعونية	فوزية أسعد	ماهر جويجاتى
٤٤٣-	اللغة العربية: تاريخها ومستوياتها وتأثيرها	كيس فرستيغ	محمد طارق الشرقاوى
٤٤٤-	أمريكا اللاتينية: الثقافات القديمة	لاوريت سيجورنه	صالح علمانى
٤٤٥-	حول وزن الشعر	پرويز ناتل خانلرى	محمد محمد يونس
٤٤٦-	التحالف الأسود	ألكسندر كوكبرن وجيفرى سانت كلير	أحمد محمود
٤٤٧-	أقدم لك: نظرية الكم	ج. پ. ماك إيڤوى وأوسكار زاريت	ممدوح عبدالمنعم
٤٤٨-	أقدم لك: علم نفس التطور	ديلان إيڤانز وأوسكار زاريت	ممدوح عبدالمنعم
٤٤٩-	أقدم لك: الحركة النسوية	نخبة	جمال الجزيرى
٤٥٠-	أقدم لك: ما بعد الحركة النسوية	صوفيا فوكا وريبيكا رايت	جمال الجزيرى
٤٥١-	أقدم لك: الفلسفة الشرقية	ريتشارد أوزبورن وبورن ڤان لون	إمام عبد الفتاح إمام
٤٥٢-	أقدم لك: لينين والثورة الروسية	ريتشارد إبجينانزى وأوسكار زاريت	محيى الدين مزيد
٤٥٣-	القاهرة: إقامة مدينة حديثة	جان لوك أرنو	حليم طوسون وفؤاد الدهان
٤٥٤-	خمسون عامًا من السينما الفرنسية	رينيه بريدال	سوزان خليل

٤٥٥- تاريخ الفلسفة الحديثة (مج٥)	فردريك كوبلستون	محمود سيد أحمد
٤٥٦- لا تنسنى (رواية)	مريم جعفرى	هويدا عزت محمد
٤٥٧- النساء فى الفكر السياسى الغربى	سوزان موللر أوكين	إمام عبدالفتاح إمام
٤٥٨- الموريسكيون الأندلسيون	مرثيديس غارثيا أرينال	جمال عبد الرحمن
٤٥٩- نحو مفهوم لاقتصاديات الموارد الطبيعية	توم تيتنبرج	جلال البنا
٤٦٠- أقدم لك: الفاشية والنازية	ستوارت هود وليتزا جانستز	إمام عبدالفتاح إمام
٤٦١- أقدم لك: لكان	داريان ليدر وجودى جروفز	إمام عبدالفتاح إمام
٤٦٢- طه حسين من الأزهر إلى السوربون	عبدالرشيد الصادق محمودى	عبدالرشيد الصادق محمودى
٤٦٣- الدولة المارقة	ويليام بلوم	كمال السيد
٤٦٤- ديمقراطية للقلة	مايكل بارنتى	حصة إبراهيم المنيف
٤٦٥- قصص اليهود	لويس جنزبيرج	جمال الرفاعى
٤٦٦- حكايات حب وبطولات فرعونية	فيولين فانويك	فاطمة عبد الله
٤٦٧- التفكير السياسى والنظرة السياسية	ستيفين ديلو	ربيع وهبة
٤٦٨- روح الفلسفة الحديثة	جوزايا رويس	أحمد الأنصارى
٤٦٩- جلال الملوك	نصوص حبشية قديمة	مجدى عبدالرازق
٤٧٠- الأراضى والجودة البيئية	جارى م. بيرزنسكى وآخرون	محمد السيد النتة
٤٧١- رحلة لاستكشاف أفريقيا (جـ٢)	ثلاثة من الرحالة	عبد الله عبد الرازق إبراهيم
٤٧٢- دون كيخوتى (القسم الأول)	ميجيل دى ثربانتس سابيدرا	سليمان العطار
٤٧٣- دون كيخوتى (القسم الثانى)	ميجيل دى ثربانتس سابيدرا	سليمان العطار
٤٧٤- الأدب والنسوية	بام موريس	سهام عبدالسلام
٤٧٥- صوت مصر: أم كلثوم	فرجينيا دانيلسون	عادل هلال عنانى
٤٧٦- أرض الحبايب بعيدة: بيرم التونسى	ماريلين بوث	سحر توفيق
٤٧٧- تاريخ الصين منذ ما قبل التاريخ حتى القرن العشرين	هيلدا هوخام	أشرف كيلانى
٤٧٨- الصين والولايات المتحدة	ليوشيه شنج و لى شى دونج	عبد العزيز حمدى
٤٧٩- المقهـــى (مسرحية)	لاو شه	عبد العزيز حمدى
٤٨٠- تساى ون جى (مسرحية)	كو مو روا	عبد العزيز حمدى
٤٨١- بردة النبى	روى متحدة	رضوان السيد
٤٨٢- موسوعة الأساطير والرموز الفرعونية	روبير جاك تيبو	فاطمة عبد الله
٤٨٣- النسوية وما بعد النسوية	سارة جامبل	أحمد الشامى
٤٨٤- جمالية التلقى	هانسن روبيرت ياوس	رشيد بنحدو
٤٨٥- التوبة (رواية)	نذير أحمد الدهلوى	سمير عبدالحميد إبراهيم
٤٨٦- الذاكرة الحضارية	يان أسمن	عبدالحليم عبدالغنى رجب
٤٨٧- الرحلة الهندية إلى الجزيرة العربية	رفيع الدين المراد آبادى	سمير عبدالحميد إبراهيم
٤٨٨- الحب الذى كان وقصائد أخرى	نخبة	سمير عبدالحميد إبراهيم
٤٨٩- هُسِّرل: الفلسفة علمًا دقيقًا	إدموند هُسِّرل	محمود رجب
٤٩٠- أسمار الببغاء	محمد قادرى	عبد الوهاب علوب
٤٩١- نصوص قصصية من روائع الأدب الأفريقى	نخبة	سمير عبد ربه
٤٩٢- محمد على مؤسس مصر الحديثة	جى فارجيت	محمد رفعت عواد

٤٩٣-	خطابات إلى طالب الصوتيات	هارولد بالمر	محمد صالح الضالع
٤٩٤-	كتاب الموتى: الخروج فى النهار	نصوص مصرية قديمة	شريف الصيفى
٤٩٥-	اللوبى	إدوارد تيفان	حسن عبد ربه المصرى
٤٩٦-	الحكم والسياسة فى أفريقيا (جـ١)	إكوادو بانولى	مجموعة من المترجمين
٤٩٧-	العلمانية والنوع والدولة فى الشرق الأوسط	نادية العلى	مصطفى رياض
٤٩٨-	النساء والنوع فى الشرق الأوسط الحديث	جوديث تاكر ومارجريت مريودز	أحمد على بدوى
٤٩٩-	تقاطعات: الأمة والمجتمع والنوع	مجموعة من المؤلفين	فيصل بن خضراء
٥٠٠-	فى طفولتى: دراسة فى السيرة الذاتية العربية	تيتز رووكى	طلعت الشايب
٥٠١-	تاريخ النساء فى الغرب (جـ١)	آرثر جولد هامر	سحر فراج
٥٠٢-	أصوات بديلة	مجموعة من المؤلفين	هالة كمال
٥٠٣-	مختارات من الشعر الفارسى الحديث	نخبة من الشعراء	محمد نور الدين عبدالمنعم
٥٠٤-	كتابات أساسية (جـ١)	مارتن هايدجر	إسماعيل المصدق
٥٠٥-	كتابات أساسية (جـ٢)	مارتن هايدجر	إسماعيل المصدق
٥٠٦-	ربما كان قديسًا (رواية)	آن تيلر	عبدالحميد فهمى الجمال
٥٠٧-	سيدة الماضى الجميل (مسرحية)	بيتر شيفر	شوقى فهيم
٥٠٨-	المولوية بعد جلال الدين الرومى	عبدالباقى جلبنارلى	عبدالله أحمد إبراهيم
٥٠٩-	الفقر والإحسان فى عصر سلاطين المماليك	آدم صبرة	قاسم عبده قاسم
٥١٠-	الأرملة الماكرة (مسرحية)	كارلو جولدونى	عبدالرازق عيد
٥١١-	كوكب مرقّع (رواية)	آن تيلر	عبدالحميد فهمى الجمال
٥١٢-	كتابة النقد السينمائى	تيموثى كوريجان	جمال عبد الناصر
٥١٣-	العلم الجسور	تيد أنتون	مصطفى إبراهيم فهمى
٥١٤-	مدخل إلى النظرية الأدبية	جونثان كولر	مصطفى بيومى عبد السلام
٥١٥-	من التقليد إلى ما بعد الحداثة	فدوى مالطى دوجلاس	فدوى مالطى دوجلاس
٥١٦-	إرادة الإنسان فى علاج الإدمان	أرنولد واشنطون ودونا باوندى	صبرى محمد حسن
٥١٧-	نقش على الماء وقصص أخرى	نخبة	سمير عبد الحميد إبراهيم
٥١٨-	استكشاف الأرض والكون	إسحق عظيموف	هاشم أحمد محمد
٥١٩-	محاضرات فى المثالية الحديثة	جوزايا رويس	أحمد الأنصارى
٥٢٠-	الولع الفرنسى بمصر من الحلم إلى المشروع	أحمد يوسف	أمل الصبان
٥٢١-	قاموس تراجم مصر الحديثة	آرثر جولد سميث	عبدالوهاب بكر
٥٢٢-	إسبانيا فى تاريخها	أميركو كاسترو	على إبراهيم منوفى
٥٢٣-	الفن الطليطلى الإسلامى والمدجن	باسيليو بابون مالدونادو	على إبراهيم منوفى
٥٢٤-	الملك لير (مسرحية)	وليم شكسبير	محمد مصطفى بدوى
٥٢٥-	موسم صيد فى بيروت وقصص أخرى	دنيس جونسون	نادية رفعت
٥٢٦-	أقدم لك: السياسة البيئية	ستيفن كرول ووليم رانكين	محيى الدين مزيد
٥٢٧-	أقدم لك: كافكا	ديفيد زين ميروفتس وروبرت كرمب	جمال الجزيرى
٥٢٨-	أقدم لك: تروتسكى والماركسية	طارق على وفِلْ إيفانز	جمال الجزيرى
٥٢٩-	بدائع العلامة إقبال فى شعره الأردى	محمد إقبال	حازم محفوظ وحسين نجيب المصرى
٥٣٠-	مدخل عام إلى فهم النظريات التراثية	رينيه جينو	عمر الفاروق عمر

٥٣١- ما الذي حَدَثَ في «حَدَث» ١١ سبتمبر؟	چاك دريدا	صفاء فتحي
٥٣٢- المغامرُ والمستشرق	هنري لورنس	بشير السباعي
٥٣٣- تعلُّم اللغة الثانية	سوزان جاس	محمد طارق الشرقاوي
٥٣٤- الإسلاميون الجزائريون	سيڤرين لابا	حمادة إبراهيم
٥٣٥- مخزن الأسرار (شعر)	نظامي الكنجوي	عبدالعزيز بقوش
٥٣٦- الثقافات وقيم التقدم	صمويل هنتنجتون ولورانس هاريزون	شوقي جلال
٥٣٧- للحب والحرية (شعر)	نخبة	عبدالغفار مكاوي
٥٣٨- النفس والآخر في قصص يوسف الشاروني	كيت دانيلر	محمد الحديدي
٥٣٩- خمس مسرحيات قصيرة	كاريل تشرشل	محسن مصيلحي
٥٤٠- توجهات بريطانية - شرقية	السير رونالد ستورس	رءوف عباس
٥٤١- هي تتخيل وهلاوس أخرى	خوان خوسيه مياس	مروة رزق
٥٤٢- قصص مختارة من الأدب اليوناني الحديث	نخبة	نعيم عطية
٥٤٣- أقدم لك: السياسة الأمريكية	باتريك بروجان وكريس جرات	وفاء عبدالقادر
٥٤٤- أقدم لك: ميلاني كلاين	روبرت هنشل وآخرون	حمدي الجابري
٥٤٥- يا له من سباق محموم	فرانسيس كريك	عزت عامر
٥٤٦- ريموس	ت. ب. وايزمان	توفيق علي منصور
٥٤٧- أقدم لك: بارت	فيليب تودي وآن كورس	جمال الجزيري
٥٤٨- أقدم لك: علم الاجتماع	ريتشارد أوزبرن وبورن فان لون	حمدي الجابري
٥٤٩- أقدم لك: علم العلامات	بول كوبلي وليتاجانز	جمال الجزيري
٥٥٠- أقدم لك: شكسبير	نيك جروم وبيرو	حمدي الجابري
٥٥١- الموسيقى والعولمة	سايمون ماندي	سمحة الخولي
٥٥٢- قصص مثالية	ميجيل دي ثربانتس	علي عبد الرءوف البمبي
٥٥٣- مدخل للشعر الفرنسي الحديث والمعاصر	دانيال لوفرس	رجاء ياقوت
٥٥٤- مصر في عهد محمد علي	عفاف لطفي السيد مارسوه	عبدالسميع عمر زين الدين
٥٥٥- الإستراتيجية الأمريكية للقرن الحادي والعشرين	أناتولي أوتكين	أنور محمد إبراهيم ومحمد نصرالدين الجبالي
٥٥٦- أقدم لك: چان بودريار	كريس هوروكس وزوران جيفتك	حمدي الجابري
٥٥٧- أقدم لك: الماركيز دي ساد	ستوارت هود وجراهام كرولي	إمام عبدالفتاح إمام
٥٥٨- أقدم لك: الدراسات الثقافية	زيودين ساردارويورين ڤان لون	إمام عبدالفتاح إمام
٥٥٩- الماس الزائف (رواية)	تشا تشاجي	عبدالحي أحمد سالم
٥٦٠- صلصلة الجرس (شعر)	محمد إقبال	جلال السعيد الحفناوي
٥٦١- جناح جبريل (شعر)	محمد إقبال	جلال السعيد الحفناوي
٥٦٢- بلايين وبلايين	كارل ساجان	عزت عامر
٥٦٣- ورود الخريف (مسرحية)	خاثينتو بينابينتي	صبري محمدي التهامي
٥٦٤- عُش الغريب (مسرحية)	خاثينتو بينابينتي	صبري محمدي التهامي
٥٦٥- الشرق الأوسط المعاصر	ديبورا ج. جيرنر	أحمد عبدالحميد أحمد
٥٦٦- تاريخ أوروبا في العصور الوسطى	موريس بيشوب	علي السيد علي
٥٦٧- الوطن المغتصب	مايكل رايس	إبراهيم سلامة إبراهيم
٥٦٨- الأصولي في الرواية	عبد السلام حيدر	عبد السلام حيدر

٥٦٩- موقع الثقافة	هومى بابا	ثائر ديب
٥٧٠- دول الخليج الفارسى	سير روبرت هاى	يوسف الشارونى
٥٧١- تاريخ النقد الإسبانى المعاصر	إيميليا دى ثوليتا	السيد عبد الظاهر
٥٧٢- الطب فى زمن الفراعنة	برونو أليوا	كمال السيد
٥٧٣- أقدم لك: فرويد	ريتشارد ابيجنانس وأسكار زارتى	جمال الجزيرى
٥٧٤- مصر القديمة فى عيون الإيرانيين	حسن بيرنيا	علاء الدين السباعى
٥٧٥- الاقتصاد السياسى للعولمة	نجير وودز	أحمد محمود
٥٧٦- فكر ثربانتس	أمريكو كاسترو	ناهد العشرى محمد
٥٧٧- مغامرات بينوكيو	كارلو كولودى	محمد قدرى عمارة
٥٧٨- الجماليات عند كيتس وهنت	أيومى ميزوكوشى	محمد إبراهيم وعصام عبد الروف
٥٧٩- أقدم لك: تشومسكى	چون ماهر وچودى جرونز	محيى الدين مزيد
٥٨٠- دائرة المعارف الدولية (مج١)	جوں نيزر وبول سيترجز	بإشراف: محمد فتحى عبدالهادى
٥٨١- الحمقى يموتون (رواية)	ماريو بوزو	سليم عبد الأمير حمدان
٥٨٢- مرايا على الذات (رواية)	هوشنك كلشيرى	سليم عبد الأمير حمدان
٥٨٣- الجيران (رواية)	أحمد محمود	سليم عبد الأمير حمدان
٥٨٤- سفر (رواية)	محمود دولت أبادى	سليم عبد الأمير حمدان
٥٨٥- الأمير احتجاب (رواية)	هوشنك كلشيرى	سليم عبد الأمير حمدان
٥٨٦- السينما العربية والأفريقية	ليزبيث مالكموس وروى أرمز	سهام عبد السلام
٥٨٧- تاريخ تطور الفكر الصينى	مجموعة من المؤلفين	عبدالعزيز حمدى
٥٨٨- أمنحوتب الثالث	أنييس كابرول	ماهر جويجاتى
٥٨٩- تمبكت العجيبة (رواية)	فيلكس ديبوا	عبدالله عبدالرازق إبراهيم
٥٩٠- أساطير من الموروثات الشعبية الفنلندية	نخبة	محمود مهدى عبدالله
٥٩١- الشاعر والمفكر	هوراتيوس	على عبدالتواب على وصلاح رمضان السيد
٥٩٢- الثورة المصرية (جـ١)	محمد صبرى السوربونى	مجدى عبدالحافظ وعلى كورخان
٥٩٣- قصائد ساحرة	بول فاليرى	بكر الحلو
٥٩٤- القلب السمين (قصة أطفال)	سوزانا تامارو	أمانى فوزى
٥٩٥- الحكم والسياسة فى أفريقيا (جـ٢)	إكوادو بانولى	مجموعة من المترجمين
٥٩٦- الصحة العقلية فى العالم	روبرت ديجارليه وآخرون	إيهاب عبدالرحيم محمد
٥٩٧- مسلمو غرناطة	خوليو كاروباروخا	جمال عبدالرحمن
٥٩٨- مصر وكنعان وإسرائيل	دونالد ريدفورد	بيومى على قنديل
٥٩٩- فلسفة الشرق	فرداد مهرين	محمود علاوى
٦٠٠- الإسلام فى التاريخ	برنارد لويس	مدحت طه
٦٠١- النسوية والمواطنة	ريان فوت	أيمن بكر وسمر الشيشكلى
٦٠٢- ليوتار نحو فلسفة ما بعد حداثية	چيمس وليامز	إيمان عبدالعزيز
٦٠٣- النقد الثقافى	آرثر أيزابرجر	وفاء إبراهيم ورمضان بسطاويسى
٦٠٤- الكوارث الطبيعية (مج١)	باتريك ل. أبوت	توفيق على منصور
٦٠٥- مخاطر كوكبنا المضطرب	إرنست زيبروسكى (الصغير)	مصطفى إبراهيم فهمى
٦٠٦- قصة البردى اليونانى فى مصر	ريتشارد هاريس	محمود إبراهيم السعدنى

٦٠٧- قلب الجزيرة العربية (جـ١)	هارى سينت فيلبى	صبرى محمد حسن
٦٠٨- قلب الجزيرة العربية (جـ٢)	هارى سينت فيلبى	صبرى محمد حسن
٦٠٩- الانتخاب الثقافى	أجنر فوج	شوقى جلال
٦١٠- العمارة المدجنة	رفائيل لوبث جوثمان	على إبراهيم منوفى
٦١١- النقد والأيديولوجية	تيرى إيجلتون	فخرى صالح
٦١٢- رسالة النفسية	فضل الله بن حامد الحسينى	محمد محمد يونس
٦١٣- السياحة والسياسة	كولن مايكل هول	محمد فريد حجاب
٦١٤- بيت الأقصر الكبير(رواية)	فوزية أسعد	منى قطان
٦١٥- عرض الأحداث التى وقعت فى بغداد من ١٩٩٧ إلى ١٩٩٩	أليس بسيرينى	محمد رفعت عواد
٦١٦- أساطير بيضاء	روبرت يانج	أحمد محمود
٦١٧- الفولكلور والبحر	هوراس بيك	أحمد محمود
٦١٨- نحو مفهوم لاقتصاديات الصحة	تشارلز فيلبس	جلال البنا
٦١٩- مفاتيح أورشليم القدس	ريمون استانبولى	عايدة الباجورى
٦٢٠- السلام الصليبى	توماش ماستناك	بشير السباعى
٦٢١- النوبة المعبر الحضارى	وليم ى. أدمز	فؤاد عكود
٦٢٢- أشعار من عالم اسمه الصين	آى تشينغ	أمير نبيه وعبدالرحمن حجازى
٦٢٣- نوادر جحا الإيرانى	سعيد قانعى	يوسف عبدالفتاح
٦٢٤- أزمة العالم الحديث	رينيه جينو	عمر الفاروق عمر
٦٢٥- الجرح السرى	جان جينيه	محمد برادة
٦٢٦- مختارات شعرية مترجمة (جـ٢)	نخبة	توفيق على منصور
٦٢٧- حكايات إيرانية	نخبة	عبدالوهاب علوب
٦٢٨- أصل الأنواع	تشارلس داروين	مجدى محمود المليجى
٦٢٩- قرن آخر من الهيمنة الأمريكية	نيقولاس جويات	عزة الخميسى
٦٣٠- سيرتى الذاتية	أحمد بللو	صبرى محمد حسن
٦٣١- مختارات من الشعر الأفريقى المعاصر	نخبة	بإشراف: حسن طلب
٦٣٢- المسلمون واليهود فى مملكة فالنسيا	دولورس براموں	رانيا محمد
٦٣٣- الحب وفنونه (شعر)	نخبة	حمادة إبراهيم
٦٣٤- مكتبة الإسكندرية	روى ماكويد وإسماعيل سراج الدين	مصطفى البهنساوى
٦٣٥- التثبيت والتكيف فى مصر	جودة عبد الخالق	سمير كريم
٦٣٦- حج يولندة	جناب شهاب الدين	سامية محمد جلال
٦٣٧- مصر الخديوية	ف. روبرت هنتر	بدر الرفاعى
٦٣٨- الديمقراطية والشعر	روبرت بن ورين	فؤاد عبد المطلب
٦٣٩- فندق الأرق (شعر)	تشارلز سيميك	أحمد شافعى
٦٤٠- ألكسياد	الأميرة أنَّاكومنينا	حسن حبشى
٦٤١- برتراندرسل (مختارات)	برتراند رسل	محمد قدرى عمارة
٦٤٢- أقدم لك: داروين والتطور	جوناثان ميلر وبورين فان لون	ممدوح عبد المنعم
٦٤٣- سفرنامه حجاز (شعر)	عبد الماجد الدريابادى	سمير عبدالحميد إبراهيم
٦٤٤- العلوم عند المسلمين	هوارد د.تيرنر	فتح الله الشيخ

٦٤٥-	السياسة الخارجية الأمريكية ومصادرها الداخلية	تشارلز كجلى ويوجين ويتكوف	عبد الوهاب علوب
٦٤٦-	قصة الثورة الإيرانية	سيهر ذبيح	عبد الوهاب علوب
٦٤٧-	رسائل من مصر	جون نينيه	فتحى العشرى
٦٤٨-	بورخيس	بياتريث سارلو	خليل كلفت
٦٤٩-	الخوف وقصص خرافية أخرى	جى دى موباسان	سحر يوسف
٦٥٠-	الدولة والسلطة والسياسة في الشرق الأوسط	روجر أوين	عبد الوهاب علوب
٦٥١-	ديليسبس الذى لا نعرفه	وثائق قديمة	أمل الصبان
٦٥٢-	آلهة مصر القديمة	كلود ترونكر	حسن نصر الدين
٦٥٣-	مدرسة الطغاة (مسرحية)	إيريش كستنر	سمير جريس
٦٥٤-	أساطير شعبية من أوزبكستان (جـ١)	نصوص قديمة	عبد الرحمن الخميسى
٦٥٥-	أساطير وآلهة	إيزابيل فرانكو	حليم طوسون ومحمود ماهر طه
٦٥٦-	خبز الشعب والأرض الحمراء (مسرحيتان)	ألفونسو ساسترى	ممدوح البستاوى
٦٥٧-	محاكم التفتيش والموريسكيون	مرثيديس غارثيا أرينال	خالد عباس
٦٥٨-	حوارات مع خوان رامون خيمينيث	خوان رامون خيمينيث	صبرى التهامى
٦٥٩-	قصائد من إسبانيا وأمريكا اللاتينية	نخبة	عبداللطيف عبدالحليم
٦٦٠-	نافذة على أحدث العلوم	ريتشارد فايفلد	هاشم أحمد محمد
٦٦١-	روائع أندلسية إسلامية	نخبة	صبرى التهامى
٦٦٢-	رحلة إلى الجذور	داسو سالدييار	صبرى التهامى
٦٦٣-	امرأة عادية	ليوسيل كليفتون	أحمد شافعى
٦٦٤-	الرجل على الشاشة	ستيفن كوهان وانا راى هارك	عصام زكريا
٦٦٥-	عوالم أخرى	بول دافيز	هاشم أحمد محمد
٦٦٦-	تطور الصورة الشعرية عند شكسبير	وولفجانج اتش كليمن	جمال عبد الناصر ومدحت الجيار وجمال جاد الرب
٦٦٧-	الأزمة القادمة لعلم الاجتماع الغربى	ألفن جولدنر	على ليلة
٦٦٨-	ثقافات العولمة	فريدريك جيمسون وماساو ميوشى	ليلى الجبالى
٦٦٩-	ثلاث مسرحيات	وول شوينكا	نسيم مجلى
٦٧٠-	أشعار جوستاف أدولفو	جوستاف أدولفو بكر	ماهر البطوطى
٦٧١-	قل لى كم مضى على رحيل القطار؟	جيمس بولدوين	على عبدالأمير صالح
٦٧٢-	مختارات من الشعر الفرنسى للأطفال	نخبة	إبتهال سالم
٦٧٣-	ضرب الكليم (شعر)	محمد إقبال	جلال الحفناوى
٦٧٤-	ديوان الإمام الخمينى	آية الله العظمى الخمينى	محمد علاء الدين منصور
٦٧٥-	أثينا السوداء (جـ٢، مج١)	مارتن برنال	بإشراف: محمود إبراهيم السعدنى
٦٧٦-	أثينا السوداء (جـ٢، مج٢)	مارتن برنال	بإشراف: محمود إبراهيم السعدنى
٦٧٧-	تاريخ الأدب فى إيران (جـ١ ، مج١)	إدوارد جرانفيل براون	أحمد كمال الدين حلمى
٦٧٨-	تاريخ الأدب فى إيران (جـ١ ، مج٢)	إدوارد جرانفيل براون	أحمد كمال الدين حلمى
٦٧٩-	مختارات شعرية مترجمة (جـ٣)	وليام شكسبير	توفيق على منصور
٦٨٠-	سنوات الطفولة (رواية)	وول شوينكا	سمير عبد ربه
٦٨١-	هل يوجد نص فى هذا الفصل؟	ستانلى فش	أحمد الشيمى
٦٨٢-	نجوم حظر التجوال الجديد (رواية)	بن أوكرى	صبرى محمد حسن

٦٨٣-	سكين واحد لكل رجل (رواية)	ت. م. ألوكو	صبرى محمد حسن
٦٨٤-	الأعمال القصصية الكاملة (أنا كنذا) (جـ١)	أوراثيو كيروجا	رزق أحمد بهنسى
٦٨٥-	الأعمال القصصية الكاملة (الصحراء) (جـ٢)	أوراثيو كيروجا	رزق أحمد بهنسى
٦٨٦-	امرأة محاربة (رواية)	ماكسين هونج كنجستون	سحر توفيق
٦٨٧-	محبوبة (رواية)	فتانة حاج سيد جوادى	ماجدة العنانى
٦٨٨-	الانفجارات الثلاثة العظمى	فيليب م. دوبر وريتشارد أ. موار	فتح الله الشيخ وأحمد السماحى
٦٨٩-	الملف (مسرحية)	تادووش روجيفيتش	هناء عبد الفتاح
٦٩٠-	محاكم التفتيش فى فرنسا	(مختارات)	رمسيس عوض
٦٩١-	ألبرت أينشتين: حياته وغرامياته	(مختارات)	رمسيس عوض
٦٩٢-	أقدم لك: الوجودية	ريتشارد أبيجانسى وأوسكار زاريت	حمدى الجابرى
٦٩٣-	أقدم لك: القتل الجماعى (المحرقة)	حاثيم برشيت وآخرون	جمال الجزيرى
٦٩٤-	أقدم لك: دريدا	جيف كولينز وبيل مايبلين	حمدى الجابرى
٦٩٥-	أقدم لك: رسل	ديف روبنسون وجودى جروف	إمام عبدالفتاح إمام
٦٩٦-	أقدم لك: روسو	ديف روبنسون وأوسكار زاريت	إمام عبدالفتاح إمام
٦٩٧-	أقدم لك: أرسطو	روبرت ودفين وجودى جروفس	إمام عبدالفتاح إمام
٦٩٨-	أقدم لك: عصر التنوير	ليود سبنسر وأندرزيجى كروز	إمام عبدالفتاح إمام
٦٩٩-	أقدم لك: التحليل النفسى	إيفان وارد وأوسكار زارايت	جمال الجزيرى
٧٠٠-	الكاتب وواقعه	ماريو فرجاش	بسمة عبدالرحمن
٧٠١-	الذاكرة والحداثة	وليم رود فيفيان	منى البرنس
٧٠٢-	الأمثال الفارسية	أحمد وكيليان	محمود علاوى
٧٠٣-	تاريخ الأدب فى إيران (جـ٢)	إدوارد جرانفيل براون	أمين الشواربى
٧٠٤-	فيه ما فيه	مولانا جلال الدين الرومى	محمد علاء الدين منصور وآخرون
٧٠٥-	فضل الأنام من رسائل حجة الإسلام	الإمام الغزالى	عبدالحميد مدكور
٧٠٦-	الشفرة الوراثية وكتاب التحولات	جونسون ف. يان	عزت عامر
٧٠٧-	أقدم لك: فالتر بنيامين	هوارد كاليجل وآخرون	وفاء عبدالقادر
٧٠٨-	فراعنة من؟	دونالد مالكولم ريد	رءوف عباس
٧٠٩-	معنى الحياة	ألفريد أدلر	عادل نجيب بشرى
٧١٠-	الأطفال والتكنولوجيا والثقافة	يان هاتشباى وجوموران إليس	دعاء محمد الخطيب
٧١١-	درة التاج	ميرزا محمد هادى رسوا	هناء عبد الفتاح
٧١٢-	ميراث الترجمة: الإلياذة (جـ١)	هوميروس	سليمان البستانى
٧١٣-	ميراث الترجمة: الإلياذة (جـ٢)	هوميروس	سليمان البستانى
٧١٤-	ميراث الترجمة: حديث القلوب	لامنيه	حنا صاوه
٧١٥-	جامعة كل المعارف (جـ١)	مجموعة من المؤلفين	نخبة من المترجمين
٧١٦-	جامعة كل المعارف (جـ٢)	مجموعة من المؤلفين	نخبة من المترجمين
٧١٧-	جامعة كل المعارف (جـ٣)	مجموعة من المؤلفين	نخبة من المترجمين
٧١٨-	جامعة كل المعارف (جـ٤)	مجموعة من المؤلفين	نخبة من المترجمين
٧١٩-	جامعة كل المعارف (جـ٥)	مجموعة من المؤلفين	نخبة من المترجمين
٧٢٠-	جامعة كل المعارف (جـ٦)	مجموعة من المؤلفين	نخبة من المترجمين
٧٢١-	فلسفة المتكلمين فى الإسلام (مج١)	هـ. أ. ولفسون	مصطفى لبيب عبد الغنى

٧٢٢-	الصفيحة وقصص أخرى	يشار كمال	الصفصافى أحمد القطورى
٧٢٣-	تحديات ما بعد الصهيونية	إفرايم نيمنى	أحمد ثابت
٧٢٤-	اليسار الفرويدى	بول روبنسون	عبده الريس
٧٢٥-	الاضطراب النفسى	جون فيتكس	مى مقلد
٧٢٦-	الموريسكيون فى المغرب	غييرمو غوثالبيس بوستو	مروة محمد إبراهيم
٧٢٧-	حلم البحر (رواية)	باچين	وحيد السعيد
٧٢٨-	العولمة: تدمير العمالة والنمو	موريس أليه	أميرة جمعة
٧٢٩-	الثورة الإسلامية فى إيران	صادق زيباكلام	هويدا عزت
٧٣٠-	حكايات من السهول الأفريقية	أن جاتى	عزت عامر
٧٣١-	النوع الذكر والأنثى بين التميز والاختلاف	مجموعة من المؤلفين	محمد قدرى عمارة
٧٣٢-	قصص بسيطة (رواية)	إنجو شولتسه	سمير جريس
٧٣٣-	مأساة عطيل (مسرحية)	وليم شكسبير	محمد مصطفى بدوى
٧٣٤-	بونابرت فى الشرق الإسلامى	احمد يوسف	أمل الصبان
٧٣٥-	فن السيرة فى العربية	مايكل كوبرسون	محمود محمد مكى
٧٣٦-	التاريخ الشعبى للولايات المتحدة (جـ١)	هوارد زن	شعبان مكاوى
٧٣٧-	الكوارث الطبيعية (مج٢)	باتريك ل. أبوت	توفيق على منصور
٧٣٨-	دمشق من عصر ما قبل التاريخ إلى الدولة المملوكية	جيرار دى جورج	محمد عواد
٧٣٩-	دمشق من الإمبراطورية العثمانية حتى الوقت الحاضر	جيرار دى جورج	محمد عواد
٧٤٠-	خطابات القوة	بارى هندس	مرفت ياقوت
٧٤١-	الإسلام وأزمة العصر	برنارد لويس	أحمد هيكل
٧٤٢-	أرض حارة	خوسيه لاكوادرا	رزق بهنسى
٧٤٣-	الثقافة: منظور داروينى	روبرت أونجر	شوقى جلال
٧٤٤-	ديوان الأسرار والرموز (شعر)	محمد إقبال	سمير عبد الحميد
٧٤٥-	المآثر السلطانية	بيك الدنبلى	محمد أبو زيد
٧٤٦-	تاريخ التحليل الاقتصادى (مج١)	جوزيف أ. شومبيتر	حسن النعيمى
٧٤٧-	الاستعارة فى لغة السينما	تريفور وايتوك	إيمان عبد العزيز
٧٤٨-	تدمير النظام العالمى	فرانسيس بويل	سمير كريم
٧٤٩-	إيكولوجيا لغات العالم	ل.ج. كالفيه	باتسى جمال الدين
٧٥٠-	الإلياذة	هوميروس	بإشراف: أحمد عتمان
٧٥١-	الإسراء والمعراج فى تراث الشعر الفارسى	نخبة	علاء السباعى
٧٥٢-	ألمانيا بين عقدة الذنب والخوف	جمال قارصلى	نمر عاروری
٧٥٣-	التنمية والقيم	إسماعيل سراج الدين وآخرون	محسن يوسف
٧٥٤-	الشرق والغرب	أنّا مارى شيمل	عبدالسلام حيدر
٧٥٥-	تاريخ الشعر الإسبانى خلال القرن العشرين	أندرو ب. دبيكى	على إبراهيم منوفى
٧٥٦-	ذات العيون الساحرة	إنريكى خارديل بونثيلا	خالد محمد عباس
٧٥٧-	تجارة مكة	باتريشيا كرون	آمال الروبى
٧٥٨-	الإحساس بالعولمة	بروس روبنز	عاطف عبدالحميد
٧٥٩-	النثر الأردى	مولوى سيد محمد	جلال الحفناوى
٧٦٠-	الدين والتصور الشعبى للكون	السيد الأسود	السيد الأسود

٧٦١-	جيوب مثقلة بالحجارة ( )	فيرجينيا وولف	فاطمة ناعوت
٧٦٢-	المسلم عدوًا و صديقًا	ماريا سوليداد	عبدالعال صالح
٧٦٣-	الحياة فى مصر	أنريكو بيا	نجوى عمر
٧٦٤-	ديوان غالب الدهلوى (شعر غزل)	غالب الدهلوى	حازم محفوظ
٧٦٥-	ديوان خواجة الدهلوى (شعر تصوف)	خواجة الدهلوى	حازم محفوظ
٧٦٦-	الشرق المتخيل	تييرى هنتش	غازى برو وخليل أحمد خليل
٧٦٧-	الغرب المتخيل	نسيب سمير الحسينى	غازى برو
٧٦٨-	حوار الثقافات	محمود فهمى حجازى	محمود فهمى حجازى
٧٦٩-	أدباء أحياء	فريدريك هتمان	رندا النشار وضياء زاهر
٧٧٠-	السيدة بيرفيكتا	بينيتو بيريث جالدوس	صبرى التهامى
٧٧١-	السيد سيجوندو سومبرا	ريكاردو جويرالديس	صبرى التهامى
٧٧٢-	بريخت ما بعد الحداثة	إليزابيث رايت	محسن مصيلحى
٧٧٣-	دائرة المعارف الدولية (جـ٢)	جون فيزر وبول ستيرجز	بإشراف: محمد فتحى عبدالهادى
٧٧٤-	الديموقراطية الأمريكية التاريخ والمرتكزات	مجموعة من المؤلفين	حسن عبد ربه المصرى
٧٧٥-	مرآة العروس	نذير أحمد الدهلوى	جلال الحفناوى
٧٧٦-	منظومة مصيبت نامه (مج١)	فريد الدين العطار	محمد محمد يونس
٧٧٧-	الانفجار الأعظم	جيمس إ. ليدسى	عزت عامر
٧٧٨-	صفوة المديح	مولانا محمد أحمد ورضا القادرى	حازم محفوظ
٧٧٩-	خيوط العنكبوت وقصص أخرى	نخبة	سمير عبدالحميد إبراهيم وسارة تاكاهاشى
٧٨٠-	من أدب الرسائل الهندية حجاز ١٩٣٠	غلام رسول مهر	سمير عبد الحميد إبراهيم
٧٨١-	الطريق إلى بكين	هدى بدران	نبيلة بدران
٧٨٢-	المسرح المسكون	مارفن كارلسون	جلال عبد المقصود
٧٨٣-	العولمة والرعاية الإنسانية	فيك جورج وبول ويلدنج	طلعت السروجى
٧٨٤-	الإساءة للطفل	ديفيد أ. وولف	جمعة سيد يوسف
٧٨٥-	تأملات عن تطور ذكاء الإنسان	كارل ساجان	سمير حنا صادق
٧٨٦-	المذنبة (رواية)	مارجريت أتوود	سحر توفيق
٧٨٧-	العودة من فلسطين	جوزيه بوفيه	إيناس صادق
٧٨٨-	سر الأهرامات	ميروسلاف فرنر	خالد أبو اليزيد البلتاجى
٧٨٩-	الانتظار (رواية)	هاجين	منى الدروبى
٧٩٠-	الفرانكفونية العربية	مونيك بونتو	جيهان العيسوى
٧٩١-	العطور ومعامل العطور فى مصر القديمة	محمد الشيمى	ماهر جويجاتى
٧٩٢-	دراسات حول القصص القصيرة لإدريس ومحفوظ	منى ميخائيل	منى إبراهيم
٧٩٣-	ثلاث رؤى للمستقبل	جون جريفيس	رءوف وصفى
٧٩٤-	التاريخ الشعبى للولايات المتحدة (جـ٢)	هوارد زن	شعبان مكاوى
٧٩٥-	مختارات من الشعر الإسبانى (جـ١)	نخبة	على عبد الروف البمبى
٧٩٦-	آفاق جديدة فى دراسة اللغة والذهن	نعوم تشومسكى	حمزة المزينى
٧٩٧-	الرؤية فى ليلة معتمة (شعر)	نخبة	طلعت شاهين
٧٩٨-	الإرشاد النفسى للأطفال	كاترين جيلدرد ودافيد جيلدرد	سميرة أبو الحسن

٧٩٩-	سلم السنوات	أن تيلر	عبد الحميد فهمى الجمال
٨٠٠-	قضايا فى علم اللغة التطبيقى	ميشيل ماكارثى	عبد الجواد توفيق
٨٠١-	نحو مستقبل أفضل	تقرير دولى	بإشراف: محسن يوسف
٨٠٢-	مسلمو غرناطة فى الآداب الأوروبية	ماريا سوليداد	شرين محمود الرفاعى
٨٠٣-	التغير والتنمية فى القرن العشرين	توماس باترسون	عزة الخميسى
٨٠٤-	سوسيولوجيا الدين	دانييل هيرفيه-ليجيه وجان بول ويلام	درويش الحلوجى
٨٠٥-	من لا عزاء لهم (رواية)	كازو إيشيجورو	طاهر البربرى
٨٠٦-	الطبقة العليا المتوسطة	ماجدة بركة	محمود ماجد
٨٠٧-	يحى حقى: تشريح مفكر مصرى	ميريام كوك	خيرى دومة
٨٠٨-	الشرق الأوسط والولايات المتحدة	ديفيد دابليو ليش	أحمد محمود
٨٠٩-	تاريخ الفلسفة السياسية (جـ١)	ليو شتراوس وجوزيف كروبسى	محمود سيد أحمد
٨١٠-	تاريخ الفلسفة السياسية (جـ٢)	ليو شتراوس وجوزيف كروبسى	محمود سيد أحمد
٨١١-	تاريخ التحليل الاقتصادى (مج٢)	جوزيف أ.شومبيتر	حسن النعيمى
٨١٢-	تأمل العالم الصورة والأسلوب فى الحياة الاجتماعية	ميشيل مافيزولى	فريد الزاهى
٨١٣-	لم أخرج من ليلى (رواية)	آنى إرنو	نورا أمين
٨١٤-	الحياة اليومية فى مصر الرومانية	نافتال لويس	آمال الروبى
٨١٥-	فلسفة المتكلمين (مج٢)	هـ. أ. ولفسون	مصطفى لبيب عبدالغنى
٨١٦-	العدو الأمريكى	فيليب روجيه	بدر الدين عرودكى
٨١٧-	مائدة أفلاطون: كلام فى الحب	أفلاطون	محمد لطفى جمعة
٨١٨-	الحرفيون والتجار فى القرن ١٨ (جـ١)	أندريه ريمون	ناصر أحمد وباتسى جمال الدين
٨١٩-	الحرفيون والتجار فى القرن ١٨ (جـ٢)	أندريه ريمون	ناصر أحمد وباتسى جمال الدين
٨٢٠-	ميراث الترجمة هملت (مسرحية)	وليم شكسبير	طانيوس أفندى
٨٢١-	هفت بيكر (شعر)	نور الدين عبد الرحمن الجامى	عبد العزيز بقوش
٨٢٢-	فن الرباعى (شعر)	نخبة	محمد نور الدين عبد المنعم
٨٢٣-	وجه أمريكا الأسود (شعر)	نخبة	أحمد شافعى
٨٢٤-	لغة الدراما	دافيد برتش	ربيع مفتاح
٨٢٥-	ميراث الترجمة عصر النهضة فى إيطاليا (جـ١)	ياكوب بوكهارت	عبد العزيز توفيق جاويد
٨٢٦-	ميراث الترجمة عصر النهضة فى إيطاليا (جـ٢)	ياكوب بوكهارت	عبد العزيز توفيق جاويد
٨٢٧-	أهل مطروح البدو والمستوطنون والذين يقضون العطلات	دونالد پ.كول وثريا تركى	محمد على فرج
٨٢٨-	ميراث الترجمة: النظرية النسبية	ألبرت أينشتين	رمسيس شحاتة
٨٢٩-	مناظرة حول الإسلام والعلم	إرنست رينان وجمال الدين الأفغانى	مجدى عبد الحافظ
٨٣٠-	رق العشق	حسن كريم بور	محمد علاء الدين منصور
٨٣١-	ميراث الترجمة تطور علم الطبيعة	ألبرت أينشتين وليو پولد إنفلد	محمد النادى وعطية عاشور
٨٣٢-	تاريخ التحليل الاقتصادى (جـ٣)	جوزيف أ.شومبيتر	حسن النعيمى
٨٣٣-	الفلسفة الألمانية	فرنر شميدرس	محسن الدمرداش
٨٣٤-	كنز الشعر	ذبيح الله صفا	محمد علاء الدين منصور
٨٣٥-	تشيخوف: حياة فى صور	بيتر أوربان	علاء عزمى
٨٣٦-	بين الإسلام والغرب	مرثيدس غارثيا	ممدوح البستاوى

٨٣٧-	عناكب فى المصيدة	ناتاليا فيكو	على فهمى عبدالسلام
٨٣٨-	فى تفسير مذهب بوش ومقالات أخرى	نعوم تشومسكى	لبنى صبرى
٨٣٩-	أقدم لك. النظرية النقدية	ستيوارت سين وبورين فان لون	جمال الجزيرى
٨٤٠-	الخواتم الثلاثة	جوتهولد ليسينج	فوزية حسن
٨٤١-	هملت: أمير الدانمارك	وليم شكسبير	محمد مصطفى بدوى
٨٤٢-	منظومة مصيبت نامه (مج٢)	فريد الدين العطار	محمد محمد يونس
٨٤٣-	من روائع القصيد الفارسى	نخبة	محمد علاء الدين منصور
٨٤٤-	دراسات فى الفقر والعولمة	كريمة كريم	سمير كريم
٨٤٥-	غياب السلام	نيكولاس جويات	طلعت الشايب
٨٤٦-	الطبيعة البشرية	ألفريد أدلر	عادل نجيب بشرى
٨٤٧-	الحياة بعد الرأسمالية	مايكل ألبرت	أحمد محمود
٨٤٨-	ميراث الترجمة. ماريخ الدولة العربية	يوليوس فلهوزن	عبد الهادى أبو ريدة
٨٤٩-	سونيتات شكسبير	وليم شكسبير	بدر توفيق
٨٥٠-	الخيال، الأسلوب، الحداثة	مقالات مختارة	جابر عصفور
٨٥١-	ميرات الترجمة: الطب التجريبى	كلود برنار	يوسف مراد
٨٥٢-	العلم والحقيقة	ريتشارد دوكنز	مصطفى إبراهيم فهمى
٨٥٣-	العمارة فى الأندلس عمارة المدن والحصون (مج١)	باسيليو بابون مالدونادو	على إبراهيم منوفى
٨٥٤-	العمارة فى الأندلس عمارة المدن والحصون (مج٢)	باسيليو بابون مالدونادو	على إبراهيم منوفى
٨٥٥-	فهم الاستعارة فى الأدب	جيرارد ستيم	محمد أحمد حمد
٨٥٦-	القضية الموريسكية من وجهة نظر أخرى	فرانشسكو ماركيث يانو بيانويا	عائشة سويلم
٨٥٧-	نادجا (رواية)	أندريه بريتون	كامل عويد العامرى
٨٥٨-	جوهر الترجمة عبور الحدود الثقافية	ثيو هرمانز	بيومى قنديل
٨٥٩-	السياسة فى الشرق القديم	إيف شيمل	مصطفى ماهر
٨٦٠-	مصر وأوروبا	القاضى فان بملن	لطيفة سالم
٨٦١-	الإسلام والمسلمون فى أمريكا	جين سميث	محمد الخولى
٨٦٢-	بيفاء الكاكادو	أرتور شنيتسلر	محسن الدمرداش
٨٦٣-	لقاء بالشعراء	على أكبر دلفى	محمد علاء الدين منصور
٨٦٤-	أوراق فلسطينية	دورين إنجرامز	عبد الرحيم الرفاعى
٨٦٥-	فكرة الثقافة	تيرى إيجلتون	شوقى جلال
٨٦٦-	رسائل خمس فى الأفاق والأنفس	مجموعة من المؤلفين	محمد علاء الدين منصور
٨٦٧-	المهمة الاستوائية	ديفيد مايلو	صبرى محمد حسن
٨٦٨-	الشعر الفارسى المعاصر	ساعد باقرى ومحمد رضا محمدى	محمد علاء الدين منصور
٨٦٩-	تطور الثقافة	روبن دونبار وآخرون	شوقى جلال
٨٧٠-	عشر مسرحيات (جـ١)	نخبة	حمادة إبراهيم

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

رقم الإيداع ١٥٤٠٩ / ٢٠٠٥